

التي وضعها عز وجل . وفي الجزء الثاني انبأنا بموانع الحوادث الدينية ان العناية
 الصمدية قادت النوع الانساني من حال الى اخرى فاوصلتهم الى المسيح الذي مبط
 الى الارض فسن شريعة ازلية بدلاً من الشريعة الموسوية . وفي الجزء الثالث اشعرنا
 بارتفاع الممالك ومبوطها ان العناية الالهية كانت تدبر الامور لتكون توطئة لاذاعة
 الانجيل والدين المسيحي وان الممالك الكبيرة اصبحت في غنى عن توحيد الشرائع
 والعمادات واللسان بعد ان توطدت اركان الدين على البسيطة وقصارى القول ان
 هذا الكتاب بمثابة تبصير للمتأخرين وتذكير للمتقدمين فنسأل الله ان ينفع به مطالعيه
 وانا لندرجهم ان يعاملونا بارفق ويسدلوا على ما يعثرون من الاغلاط نجاف الستر
 والمعذرة فان لله العصمة وليس لغيره الكمال

خطاب

* في التاريخ العام *

* بَسِطَ لَدَى وَلِي عَهْدِ فَرَنْسَا *

مقدمة

في غاية تاليف هذا التاريخ ونجزته الى ثلاثة اجزاء

ان التاريخ ولو قدر انه غير مأجور على نفعه لعامة الناس فلا نُدحه للملوك ان
يضر بول بينهم وبين مطالعته ستاراً . فانهم لا يعثرون على وسيلة ينفع سواه تنشر لديهم
ما طوته الاهواء والاعراض وحب الايام وحادثاتها والآراء سديدة او خاملة . وليست
مؤلفات التاريخ من سوى ما لوفات اعمالهم الخالية . ولا تبرز الا ما يعود عليهم بالنفع
العظيم . وان قضي لم ان الاختبار يفتح لم ابواب الحصافة والحكمة للجوا صروج الاحكام
عادلين فمن اهم الشئون ان لا يبدؤوا ظهوراً بل ينتضي ان ينسبوا الى ما عانوا منه في
سالف الدهر ما يتهمكون فيه وهم منغصون في نعيم احكامهم طول ايامهم المتواترة .
ولا يندب عنهم ان عكوفهم على علم التاريخ محجة تؤدبهم الى تعزيز ولائهم دون ان يغالوا
في ترهات الخطر الممين لدى وقوفهم على الحوادث القابضة فذلك يصدمهم عن ولاه
احوال يشرفون بها على المخاطر بنقطة مرثوسيم والثناء مجدهم الخاص الى مهاوي الانتال .
حتى اذا ما حامت طيور بصائرهم على ما كان مطويًا من مساوى الملوك الظاعين
ورأوا ان اطروقات الثناء عليهم كانت منظومة في اسلاك الدهان عنت لهم بذلك عبرة
وخامرهم الاستحياء بمسرة زاهقة سببتها المصانعة والتدليس وعلموا ان السوءدد موكل
الي ما يترتب من الاهلية والاستحقاق

ومن الامور التي تبعث على الاستحياء وهي التي لا تعي في دائرتها الملوك فقط بل
تستغرق افراد الانسان الذين يزابلون مفاوز الخشونة ويتطرقون الى مسالك المدينة

ان تذهب عن المرء معرفة شؤن الذين هم من طينته والعلم باحوال ذات بال طرأت على تواتر الايام في العالم . وان لم يقف المرء في التاريخ على مياية الازمنة عن بعضها ركب من الشطط والعمور وهم ان البشر كانوا في عهد النواميس الطبيعية او في عهد النواميس الموسوية كما يرام الان في عهد الشريعة الانجيلية . ولا يبعد عنه ان يذكر الفرس ايام كانت تغتالهم ابادي الذلة مدحورين في عهد الاسكندر العظيم مثل ان يذكرهم رافعين لواء الغنمة والظفر في زمان قورش الملك . ويزعج ان بلاد اليونان كانت تترعرع فيها اغصان الحرية في ايام الملك فيلبوس المكوني مثل ان كانت في ايام تيمستوكل وملسياد وان الرومانيين كانت الشهامة تهب في هامهم ايام الامبراطورين مثل ان كانت تهب في عهد الفناصل وان البيعة كانت رانعة في مجبوحة الامن والسكينة في عهد ديوكليسيانوس مثل ان كانت في عهد الملك قسطنطين . وان فرنسا التي احلدم فيها وطيس الشجاء الالهية يوم كان على صهوة عرشها الملكان كارلوس التاسع وهنريكس الثالث قد نبأت من الصولة مكانة باذخة مثلما كانت في عهد الملك لويس الرابع عشر فلا ريب انها خلت في عهد هذا الملك المصور من ادران الشناق ونهضت به من حضب الحسف الى ذرى الجهد والعزة فاصبحت على اوربا قاطبة مستظرة . فيامولاني ان ما طالما استقرائه من التواريخ قديمة وحديثة كان ذريعة نيك من تلك القوائل . اما نحن فلن يبرح عنا ان نحيط علمك بتاريخ شعب الله الذي هو ركن الدين وعماده . وقد رنخت قدما في معرفة تاريخ اليونان والرومان ولم نغادر ذاهلا عن فرنسا العظي التي انت مندوب ان توسع خطا سعادتها

وقد دار في خلدنا ان نرفع اليك خلاصة سلسلة الاعصار خيفة ان يتلبس لديك ما علمته من التاريخ بما ستعلمه منه اذ لا يغيب عنك ان نسبة التاريخ الكلي بالنظر الى كل بلد وشعب كسبة رسوم الخطط الكلية بالنظر الى الجزئية . فانك لا ترى في الرسوم الجزئية سوى ما تحيط به دائر الرسم من مملكة واحدة او اقليم واحد لكنك تنقف في الرسوم الكلية على معرفة اجزاء الارض بالنسبة الى مجموعها فيعود عليك ذلك بفائدة كبرى تربك مثلاً ما تكون باريس او اقليم (ايل دي فرنس) بالنسبة الى المملكة الافرنسية وما تكون هذه المملكة بالنسبة الى اوربا وما تكون اوربا بالنسبة الى البسيطة فن ذلك دليل على ان التاريخ الجزئية تدني المطالع من معرفة تسلسل الاشياء منفصلة

منوطة بشعب واحد. فالذي يسميك معرفة في الامور الكلية ما يكون رباطاً بين تاريخ واخرولا يبرز ذلك الى حيز الوجود سوى تاريخ مختصر يحوي تسلسل الاجيال كلها فيرفث عليها طائر الذهن لحمة واحدة فيكون فيه مطمح عظيم لنظرك ولا سيما اذ ترى فيه الاجيال الغابرة تعود اليك في برهة دانية وتعلم كيف تتعاقب الممالك ولم تعبت بالذين برائن الدثار منذ بدء العالم الى هذه الايام بعد ان تعاقبت عليه ممالك متفاوتة ويلزمك ان لا تطوي كتماناً عن ان تستظهر هذين الامرين اعني الدين والحكم السياسي اللذين هما محور تدور عليه الاحوال البشرية. فكل من سرح طرف طرفه في هذا التاريخ الموجز وتفرس في ما اودع من المحوادث انضمت له سلسلة الاعصار ونظام الكون. وراى ان عقله يعي الامور العظمى فحسب انه قابض على ازمة الدنيا باسرها وتخيّل لديه انه يجالح خطّة جيله الضيقة منبعثاً الى الوقوف على كنه الاعصار الدابرة كمن يرى في الرسوم الكلية انه يزابل المسكينة التي هي مسقط رأسه والموضع الذي يكون فيه خالساً فيجوب جواد فكره الامصار كافة ويستقصي بحارها الزاخرة وارضيتها الشاسعة ولكي تنفوي حافظته على معرفة الحال يقتضي له ان يستظهر حاضرات المدائن ويعزو اليها ما يكتننها كلاً حسب مسافه ويعكف في تسلسل الاجيال على الاعصار الخالية وينبدي لما اشهر من ازمنتها الاصلية بالمحادثات الكبرى فيجعلها موضوعاً ينسب اليه سائرهما وذلك ما يدعى محطاً بكون للمرء موقفاً يتشوّف منه الى الطوارئ السابقة واللاحقة ويامن بذلك ان يجنف عن الجادة القوية الى العنور في تاريخ الازمنة اما الان فلا تنصّر الهمة عن استقصاء بعض اعصار اودعها التاريخ القديم وهي

اولاً	آدم او التكوين
ثانياً	نوح او الطوفان
ثالثاً	دعوة ابراهيم او بداعة معاهدة الله للبشر
رابعاً	موسى او السنة المكتوبة
خامساً	افتتاح تروادة
سادساً	سليمان او بناء الهيكل
سابعاً	روميلوس او تاسيس رومة
ثامناً	قورش او انقاذ شعب الله من سبي بابل

تاسعاً سييون او اتخذال فرطاجنة

عاشراً مولد يسوع المسيح

حادى عشر قسطنطين او سلام البيعة

ثاني عشر كارلوس العظيم او تشييد الامبراطورية الجديدة

ولقد جعلت لك تشييد الامبراطورية الجديدة في عهد الملك كارلوس العظيم
 كهابة للتاريخ القديم اذ ينبغي منه انقراض دولة الرومان القديمة وبناء عليه لم يكن من
 الهم الا ان اوقفك في هذا الزمن الذي يتلقى التاريخ العام اهميته بالبرة والكرامة وتنبئك
 عما يليه بجزء اخر يجعلك تدرج الى هذا العصر الشهير الذي تكمل راسه باعمال ابيك
 الماثورة . وان اقتداءك به انما هو ذجا يوطد آمالنا على ان ننال مجداً جديداً . ولقد سؤل
 لي المخاطر بعد ان ابنت لك من هذا التاريخ مقصداً جليلاً ان لا اخرج عن ثلاثة
 اشياء يتوفر لنا منها كبير عائدة وهي . علي ان افري معك الاعصار التي احاط بها حكمك
 واكشف لك بوجيز الكلام الغشاء عن حوادث خطيرة تدعوك ان تبتطمها بكل من
 هذه الازمنة وان اعود ذمك على ان يلقي المحوادث الى محالها عاكفاً على نظام الازمنة
 وبما ان قصارى الامر ان افيزك بالجمادة التي تنياك بتواتر الحقب تسلسل الامور
 الدينية والممالك العظيمة بعد ان طابقت المحوادث التي تختص بالدين والممالك على
 تسير الاعوام اتدبت الى ان اعود مدققاً بنوع خاص الى كل ما يبيننا عن حيوة الدين
 المستقر وما يوصلنا الى معرفة الاسباب التي دارت بها رجي الثقلبات في الدول العظمى
 ولا تتمكن من ذلك الا بعد ان نغرى الاحوال التي تتعلق بهذين الامرين حسب
 مسير الاعوام الغابرة حتى اذا ما انبريت لمطالعة ما تروم من التاريخ قديماً او حديثاً
 دانت لديك الفائة وعرفت لكل امرٍ مندور عاقبة كبيرة وخامرك العجب العجاب
 من توالي الاحكام الالهية في الامور الدينية فتقف اذ ذاك على تسلسل الاحوال البشرية
 وما يقتضي لتديرها من التبصر والحكمة الشاهنة

الجزء الاول

في الاعصار او تسلسل الاجيال

العصر الاول

في ادم او التكوين

الاجل الاول للعالم

مشهد عظيم في ذا العصر تحارلدنه الفكر فان الله فطر فيه السموات والارضين
بكلته السامية وبراً الانسان على مثاله (٤٠٠٤) (١) ٤٩٦٣ (٢) ومثله بدا تاريخ
موسى مبرزاً آيات الحكمة فيصلاً للحق وأقدم المؤرخين وأقام لما سطر وما علم وما نص
من الناموس عماداً قوياً ذلك عصر يعلن ان لنيف الأناس كانوا في طي اناس
واحداً استنصت منه المرأة وان عند الزفاف ورباط الالفة البشرية موقوفين على ذلك
وان الانسان منسحق الى ذروة الكمال ما دام لصورة الله حافظاً وان الله سخر له
الحيوانات طراً وان عصر الشعراء الذهبي يستودع ذكرى المبرة والسعادة اللتين اقصاهما
عن ابويننا الاولين في الفردوس نفص الوصية العالية وان روح الخناس المختلة ولجت داخل
الشعبان فمبط ابوانا هبوطاً لحق بنسلاهما اجمعين واقام ذو العدل العقاب عدلاً في ذرية
نسل الانسان الاول واضرم نيران رجزه على الجنس البشري ثم وعدهم بالنداء وعداً
اولاً فلم يكونوا الا لينفوا من الطاغى الذميم ويمسوا عليه مستظمرين

وقد امتد بساط الارض واخذت الناس ترح عليه كثيراً وزادت جرائم العابرين
فأرى قايين البكر الناس المحدثين دماء مهراقة امامهم فكان اول القاتلين (٣)
(٢٨٧٥ - ٤٨٣٣) فشرعت الرذائل تترصد للفضائل من ذلك الوقت اضطهاداً
شديداً فأنجلت من ثم لدى الابصار مباينة السجيا في الاخوين فكان هابيل برأ صدوقاً

(١) حسب راي بوسويت (٢) حسب كتاب يقال له فن تخنيق الاعوام

(٣) تكوين فصل ٤ ع ١ و ٣ و ٤ و ٨

يعيش راعياً للمواشي قدّم قربانه لله فحاز من لدنه قبولاً وكان قايماً غائصاً في عباب
 الحسنة والدعاة اقام القربان لله فانج عليه عناكب الاهال مردولاً فيبعثه المحسد على
 الابقاع باخيه قتلاً فعاقبه الله البيا وزارت الشعلة في ضميره وبلاً وثبوراً مستمراً فاخذ
 بهم على وجه تامها ليتوارى من غضب الجنس البشري له وانتقامه منه فساد ذلك العمل
 اللئيم مدينة في اول المدائن ليلوذ بها متوارياً من حنى الجنس البشري منه واخترع بنوه
 بعض ما تدور به رجي صناعتهم وحكمت فيهم الاهواء النفسية عسفاً وبهاقت الجنس
 البشري على الشر وامتلات القلوب مكرّاً غريباً لكما برز ثمة قسراً عن ذلك الفساد
 اعناباً لتثبت طابوا سريعاً واخلصوا النية لله وتخلص احتوخ من بين الملاء الذين
 لا يستحقون ان يكون في حوزتهم صاعداً من بينهم بامر لا يتدبره عن الخوارق
 (٢٠١٧ - ٢٩٧٨) وانفرز اولاد الله عن اولاد الانسان ابي الذين يرضخون لاحكام
 الجسد عن يرضخون لاحكام النفس بيد انهم امتزجوا فيما بعد واخذوا يعثون مسفدين
 فهاج عليهم الغضب من لدنه تعالى فاعتمد هلاكهم بحكمه العادل واوعز الى عبد نوح ان
 انذرهم هلاكاً راثماً ان لبثوا معتسفين عن السابلة التوبة (٢٤٦٨ - ٢٤٢٨) فلم
 يرفعوا عن غيهم بل تصدت قلوبهم فانزل عليهم السيل مدراراً واغرقهم في غمر
 الطوفان هالكين (٢٣٤٨ - ٢٣٠٨) واتخذ من ذلك نوحاً وآل بيته ليكونوا ذخراً
 يتولد منه جنس البشر. فذلك ما حدث منذ ١٦٥٦ سنة وتلك بداية التواريخ طراً
 ولاحت قدرة المهيمن المتعال وانضحت حكمته الرفيعة وجودته الفائقة واصبح عفاً الاثار
 منجوداً نحت اكافه وحليف الارجاس مرضوضاً تحت اثقال نفته غير انه لم يأس من
 اياب الاثم الى التوبة . وبدا للانسان اسى مثابة من العظمة والرفعة لدن فطرته وامتاز
 بخلقه منذ دخل وليمة المفاسد وظهر جنوحه الى البغضاء والمسد فامتاز سيف الظلم
 واتشر ما كان مطوباً من الاسباب الداعية الى اصلاح نيران المظالم والفن وبامجاز
 القول تيننت مبادي الدين والآداب

واتخذ نوح مع النوع الانساني اثار الصنائع التي كان بنوا الانسان يارسونها منذ
 فطرتهم وهي قوام للعاش والملاذ او التي قد اخترعوها فيما بعد فاماً الصنائع التي كانوا
 يعرفونها بداية بدء وهي فن الزراعة والرعاة وليس الكساء وربما فن البناء ايضاً فقد
 يلوح انهم تعلموها من الباري ولهذا لانرى بداية هذه الفنون في ارجاء المشرق حيث

امتدت الاجناس البشرية (١)

اما خير الطوفان العام فقد تدولته الالسن في اقطار البسيطة كلها واصبحت السفينة التي كانت ملجأ لنوح وآله تلج بذكرها الالسن في الشرق ولسيا في الانحاء التي استوت عليها بعد نضوب الماء فمن الحوادث كلها مسطر في باطن تاريخ السنين ومروية في تقليدات الشعوب الفارطة فان الاعصار ليست عربية من المطابقة لبعضها فما حدث من الشون في الاعصار الآتية ينسب الى ما طرأ في الاجيال الماضية

العصر الثاني

في الكلام عن نوح او الطوفان

(الاجل الثاني للعالم)

اخذت آجال الناس تقصر بعد الطوفان ٢٢٤٨-٢٢٠٨ وطفقوا يستبدلون امر المعيشة (٢٢٠٧-٢٢٤٧) فتخبروا لم قوتا جديدا بعد ان كانوا يلتمهون ثمار الحقل . ومنع الله نوحا بعض وصايا شفاها وذبيت من البرية خلال الضعة فشرعوا يتشامخون خيلاء وكبرا فعلموا بينون لم برجا في بابل شاهقا ينطج روق السماء فتطجبت السنهم متبلبة (٢٢٠٧-٢٢٤٧) فدل ذلك البناء على استغراقهم في سبات الكبرياء وخول آرائهم معا . ولعبت باولاد نوح الثلاثة اكف التفريق فتناصوا في بطون الارض فاجترأت بهم اجزاء اولآ . وكانوا اصولا ندرعت منها الامم والشعوب وترطبت السنة الانام بذكرهم خالدا

اما يافت فقد امتلأت افاصي الغرب من نسله واستمر معروفا ما بينهم بلتب يابت الشهير . واشهر حام وابنه كنعان ما بين المصريين والفينيقيين . ونشر العبرانيون ذكر سام اصل نشأتهم مدى الدوران

ويعد ان افترق بنو الطينة في بطاح الارض نشأ رجل يقال له نمرود كان ذا خلة شرسة فاخذ يكدر في ان يفتح المدائن فكان اول الفاتحين وهكذا كان ابتداء

الفتوحات ورفع لواء حكمه فوق بابل (١) حيث كان المتمردون عازمين عزماً لا يشوبه الوهن ان يبنوا ذلك البرج الذي اخطأ السهم به دون مرامهم وقامت في ذلك الحين اعمدة نينوى العظمى وتأسست بعض ممالك قديمة كانت حاضرة في تلك الازمنة فقد كان في مصر وحدها اربع ممالك وهي تاب وتان ومفيس وتانيس التي كانت قاعدة لمصر السفلى ويمكن لنا ان نعزو الى ذلك العصر ابتداء نواميس المصريين ورفعة اهرامهم التي لم يطوها الى الان كرور الايام وابتداء نشأة المراسد الفلكية المنوطة بهم وبالكلدانيين (٢٨٩٣ - ٢٢٢٣) ولذلك نرى ان رقبان النجوم لا يتخطى ذاك الحين وان الكلدانيين الذين ملكوا ناصية ذاك الفن وفاقوا سوام به قد خولوا كليتين اياه ليبقيه لارسطو ذخراً

لابد من ان يكون كل شيء قد ابتدأ ودليل ذلك انه لا يتلئف احد تاريخاً قديماً الا يعترف به سواء كان في ما عبر من الاعصار او فيما سياتي منها على اثار بيئة تدل على ان العالم حادث وانه يرى فيه كيف تسن الشرائع وتندم الاخلاق وتكون الممالك وانه يخرج من دباحي الجهالة رويداً رويداً ويهد له الاخبار سبيلاً يجعله بصيراً بالامور واحمل لعبه التدبير ويؤمله من الاستطاعة على اختراع الصنائع او تحسينها

وكما كثر البشر فوق بساط الارض اصبحت تتلي رويداً رويداً فانهم كانوا من قبل يدوخون قن الجبال الراسخة ويتبطنون الوهاد ويعبرون الانهار والبحار ويشيدون مواطن جديدة نعيمهم من لوافح الحر ونوافح البرد فان الارض لم تكن اذ ذاك الامفاوز فخلعت ثوبها السخج ورفلت ببرد حياً لها رونقاً وجمالاً . فقد جذمت عن عانتها الاشجار وامست مزدراً ومسرحاً ترتعي فيه المواشي ونبهة فقام عليها الدساكر والفرى والمدائن واخذ بنو الانسان يتعلمون ان يتنصصوا نوع الحيوان فدجنوا بعض ما اقتنصوا واستخدموه قنية لهم ووطنوا يصارعون الضواري ويفاوون اقوياءها فتال بذلك صناديدهم اعلام الظفر ويعتلم ذلك على اختراع اسلحتهم نديهم فيما بعد الى ان يتناثلوا بها فذاع حينئذ ذكر نرود وسبق الإبطال بافتتاح المغلفات فدعاه الكتاب المقدس جبّاراً صياداً .

وكما ان الانعام كانت له الجرأة على اقتحام الحيواناب وتدجينها افضى به ذكوره

الى تحلية النار وتجميل النبات واخضاع المعادن لمنفعته واستخدم رويداً رويداً من ثم
الطبيعة باسرها . ولما كان من الطبع ان الوقت يدرجه الى اختراع اشياء حجة قد ابرح
تتادم الايام كثيراً منها من بالوان ما ابتداء نوح من الصنائع الاولى لنسله كان مرغياً
بكامله حيث توى النوع الانساني اولاً لكننا اصبحنا الابلام تغداه كلما كانوا يتشاصون عن
تلك الانحاء فصار من متبادر الامر اما ان ينشوا اليها عاكفين على تعليلها او ان الذين
رسخت في ادمغتهم يطرحون بها اليهم وبناءً عليه نرى ان كل شيء قد تالي من
تلك الامصار التي ما برحت مقطونة . ولما كانت مبادئ الصناعة حجة ما بينهم
كان الناس يتنبسون كل يوم اموراً ذات بال لم يروا لهم مندوحة عنها . فضلاً عن
ذلك فان معرفة الله وذكر التكوين لم يكونوا يسدلون عليها حجاب النسيان في بادئ
الامر لكننا هوروا في ما بعد الى وفاد الاهال وغادروها نسباً نسبياً واخذت
التقليدات تناسي وبغشها حجاب الظلام وقتنها خزعات لم ترع منها سوى تصورات
سحبة ففتشت الالهة وذلك ما بعث الاله الحق على دعوة ابراهيم

العصر الثالث

في دعوة ابراهيم او معاهدة الله للبشر

(الاجل الثالث للعالم)

لما رأى الله ان الشعوب كانت تتجمع بهم اموالهم الى فيا في المجد والانكار وانهم ركبو مطايا
الكفر والطغيان جانفين عن جادة الحق اصطفى له شعباً من بينهم متورعاً يذل فيهم
تلك الخلال السبئية وذلك بعد ان توالى على الطوفان اربعة ايام وست وعشرون سنة فاختر
من بينهم ابراهيم خيلاً صفيّاً له ليكون جرثومة يخرج منها المؤمنون (٢٢٦٦-١٩٢١)
فاوعز اليه ان يوافي ارض كنعان حيث يكرس فيها عبادته ووعد بان نسله ينمو كثيراً
في فوق نجوم السماء ورمال البحار عدداً وانه يسخه الارض التي ولد فيها لتكون مثوى له
ولسائر اخلائه من بعده واعظم من ذلك ان يسوع المسيح ياتي من ذريته فيكون بركة
علوية تمثل على الشعب الذي يرح فوق بساط الارض فلا ريب في ان يسوع المسيح
هو الذي ابرز له ابراهيم مآثر الاكرام بشخص الخبر ملكي صادق الذي مثله وانسدى اليه

عشر الغنيمة التي التزعتها من الملوك الذين ارحمهم مغالب الظفر ومن لدنه وحده قد حظي بالبركة

ولا يخفى ان ابراهيم كان عظيم الشوكة غائصاً في لجة الترف ورغد العيش وبالكفا من حطام الدنيا وحذاقها ما لا يتجاوزه ذوو العروش السنيعة ومع ذلك فلم يدع لعوائث الندية بواعث تحمله على اسرارها في زوايا الاهمال فلم يكن متأنقاً بالملبوس والمطعم وكان ذا عيشة رعائية سذجاً يبدئه لم يكن يغادر الكرم جانباً يوم كان يفرى المتضفين

وبعث اليه العلي ضيقاً (٢٢٦٧ - ١٨٥٦) وانذره الملائكة بمآرب الرب فاذا عن للانذار مومناً ولاحت عليه سمات النقي والبر والامانة ونهض في عصره ايناخوس اقدم ملوك اليونان قاطبة وشاد مملكة ارغوس .

وقد خلف ابراهيم ابنة اسحق وحيداً يعقوب اللذان لم يكونا الا ليقتديا بامانة ذلك الاب الصدوق فانها كانا عائشين عيشته الرعائية واعاد الله عليهما المواعيد ذاتها التي وعده بها وقادها في كل شيء كما كان ينتقد برحمته العلوية فيبارك اسحق يعقوب الاصغر بدلاً من اخيه عيسو البكر (٢١٢٩ - ١٧٥٩) وان حسب الناس ذلك زهقاً منه وشططاً فانه قد اتم ما رآب العلي وقرر ميراث الشيعين ولم يكن ذلك الا امرأ مقدوراً .

واما عيسو فقد لقب بادوم فخرج منه قوم يقال لهم الادوميون . واما يعقوب فكان يرعاه الله وياخذ بيده ففاق اخاه عيسو بكل ما ينجح اليه فكره . وازحف عليه الملك فتناله قتالاً ممثلاً اسراراً ودعاه من بعد ذلك اسرائيل فقبل لاختلافه اسراييليون ونشأ منه اثني عشر اباً كانوا رؤساء لاثني عشرة قبيلة عبرانية ومنهم لاوي فجاءه اخلاف بنال لم لاويون فانهم كانوا يهتمون في خدمة الاسرار الالهية .

ومنهم يهوذا الذي نشأ منه النسل الملوكي ويسوع المسيح ملك الملوك وسيد السادات وبوسف الذي ارفقت عليه عواطف ابيه فانه ارقاه الى اعلى مكانة من الاعزاز والاكرام فوق سائر اخوته .

وعليها ان نستلثم الانظار الى هذه المدرجة العظيمة لنرى ان الحكمة الالهية ابرزت اسراراً جديدة . فينضح بر بوسف وطيب سريرته وفرط حكمته واذلاله الرذائل بحسام

ذكائه الثاقب وإمتهانه بمنازعتها في خوته وإحلامه السرية والنبوية وصبره عرضة
 لحسد اخوته كما كان قايين (١٧٢٨-٢٠٩٢) وبيع هذا الابي الصالح وإصراره على
 الامانة نحو سيده . وعناقه الغريب الذي سبب له اضطهاداً عظيماً (١٧١٧-٢٠٩٢)
 وحبته مغلولاً وثباته ونبوته وخلاصة العجيب من دركات السجن وتعبيره لاحلام فرعون
 (٢٢١٥-٢٢٠٩) واستنمائه والمعينة السامية واستقامته ورعاية الله له التي اتاح له
 السلطة مخففة ايان حل وتبصره في ما سياتي من عواقب الامور واراد السديك وقبضة
 في مصر السفلى على زمام السلطة المطلقة التي مكنته من انفاذ ابيه واسرته

اما بنو اسرائيل فقد نالوا الرضى والاعزاز من لدنه تعالى واتخذوا مصر موطناً لهم
 وقد كانت قاعدتها وقتئذ مدينة تنايس وكان ملوكها يلقبون بالفراعنة ١٧٠٦-٢٠٧٦
 وبادهت المنية يعقوب ٢٠٥٩-١٦٨٩ وتنبأ عند احضاره نبوة ذائعة الصيت ايان
 لاولاده فيها الحالة التي يتطرق اليها اخلافهم و ايان ليهوذا زمن المخلص الذي ينشأ من
 نسله فلم يمر على سرة يعقوب زمن قصير الا اصبحوا شعباً تيد به الارض فاحدثت
 قلوب المصريين عليهم حسداً وبغياً وطفقوا يعاملونهم بالاساءة والجور ويطرحون
 الرحمة عنهم جانباً فاقام الله لهم موسى نصيراً ١٧٢٥-١٥٧١ واستلفت اليه انظار ابنة
 فرعون الهاماً فانفذته من مياه النيل واخذرته ابناً وقامت باعباء ثقيفة حسب حكمة
 المصريين وقد كان المصريون اذ ذاك يسبرون مهاجرين من ارضهم الى ارجاء مختلفة
 من اليونان . فناد سيكروبس نخلة من مصر الى هنالك بنت اثنتي عشرة مدينة او
 بالاحرى اثنتي عشرة قرية ١٦٤٢-١٥٥٦ تالفت منها مملكة اثينا ففر فيها نواميس
 وطنه والالهة التي يودون لها العبادة في مصر وحدث في تسالية بعد ذلك بوجيز من
 الزمن طوفان ديكاليون فتوسم اليونانيون انه الطوفان العرمي واتسع نطاق الحكم لهيلان
 بن دكاليون في جهة فينيقية من بلاد تسالية فانتفى اليه اليونان في تلك الامصار فتلقبوا
 بالهيلانيين بعد ان كانوا يتلقبون بالكريك واما اللاتينيون فلم يحفلوا بذلك بل لبثوا
 يلقبونهم بالاسم القديم ويعتبرون من ذلك العصر راحل كادموس بن اجينور نخلة فينيقية
 الى بلاد اليونان اخذاً معه آلهة سورية وفينيقية فوطد اركان تاي في بلاد بهوسيا واما موسى
 فقد كان وقتئذ يبلغ اشدّه منزعجاً فما وصل الى سن الاربعين من اجله نبذ وراءه
 الترف والنعم في البلاط الملوكي واستمضته مآثر الرحمة والرافة ليزحج الانتقال التي

كانت تعني اخوته الاسرائيليين (١٥٣١-١٦٨٥) فنصدي للاخطار الويلة رجاء ان
 يلصمهم من تلك الحباثل المكينة لكنهم لم يكونوا ليغيبوا فرصة غيرته ويتخذوا جرأة مجتالاً لم
 بل اجموا عليه غضب فرعون فولى مديراً من تلك الاقطار الى جهة مدين من بلاد
 العرب فعاد ثمة بلاذ اناحت له النخلة لانقاذ المضطهدين فهذا الرجل العظيم سواء كان
 يعز رجاءه من خلاص شعبه او ينتظر زمناً يتدبى الى ذلك قد تمهك في رعاية الضئان
 هند حبه بنو اربعين سنة الى ان رأى العليقة ملتهبة ١٤٥١-١٦٤٦ في البادية فواجه
 الله اله ابائهم منها وبعثه الى مصر ليرفع نيران الجور عن اعناق اخوته فظهرت حيث شئ مبرته
 ودماثة اخلافه وجرأته وعجايبه وصلاحه قلب فرعون والريزايا المائلة التي اعطها الله
 عليه والنصح وعبور البحر الاحمر وفرعون والمصريون تلعب بهم ايدي اللجج غارقين وانقاذ
 شعب الله من وهاد المسكنة فائرين

العصر الرابع

في الكلام عن موسى او السنة المكتنية

(الاجل الرابع للعالم)

برزت السنة الى حيز الوجود فبدت على ايدي موسى ساطعة وذلك بعد دعوة ابراهيم
 السنة الاربعاء والثلاثين وفاقاً للسنة الثمانية والست والخسين بعد الطوفان والسنة التي
 نزع فيها الشعب العبراني من اراضي مصر ١٦٤٥-١٤٩١ فان هذا التاريخ هام جداً
 لانه الوساطة الكبرى التي تدل على كل الازمنة الفارقة منذ موسى حتى يسوع المسيح
 وانه يلدع زمان السنة المكتنية تميزاً له من زمان السنة الطبيعية الذي لم يكن فيه
 للبشر وقتن من شكيمة سوى الغفل الطبيعي واحاديث آبائهم

ولما اراح الله شعبه من اعنات المصريين وجورهم واقتادهم الى الارض التي اصطنعها
 مبتدى يعبدونه به انزل عليهم قبل ان يطئوها السنة التي قضى عليهم برعايتها وكتب
 مبادئها على لوحين ساهما لموسى فوق ذروة جبل سيناء وفي الوصايا العشر التي تترتب
 عليها عبادة ذي العزة والرحموت وتوقف عليها دائمة الهيئة الاجتماعية
 والى عليه نوايس اخرى شاد حسب منطوقها قبة العهد رمزاً الى الزمان

الذي سباني والثابوت وما يدل على ان العلي كان يقطنه عجائبة المخارقة التي كانت
تدوي وانباءه ايضا بمكانه هارون اخيه الباذخه وكنوته العظيم وحبرته الوحيدة التي انبسطت
بعهدته وعهدة اخلاقه وطفوس تكريسهم وهيئة كسائهم الرمزية ووظائف الكهنة اولاد
هارون ووظائف اللاويين والفرائض الدينية التي يجب عليهم حفظها ولا سيما الفرائض التي
تتكفل بتحسين عوائد شعبه المصطفى وحسن ادارتهم الداخلية والخارجية وقد توطأ هو
نفسه لان يكون شارعهم اما الشعب فقد استمروا يطوون البوادي والفار وزاغوا عن
محجة العبدل متمردين فانخذلوا لم اصناما يعبدونها فانذرهم الله عذابا اليما معاقبا ثم عالمهم
بالحسنى رجوما معزيا وقد كان يتقدمهم بعنايته يتفهم رويدا رويدا بكل واسطة تعود
عليهم بالنفع العليم وبعد ان فتكت بهرون مخالب الردى نبوا ولك اليعازار مكانة
الحبرية رصينا ١٦٠٥-١٤٥٢ وبدا دينب الغيرة في فواد فينيس بن اليعازار فوعده
الله بان يكون الكهنوت في حوزة اخلاقه وفي ذاك الحين استمر المصري سلب الملك من
مخلائهم في جهات متغايرة ولا سيما في بلاد اليونان حيث دانوس المصري سلب الملك من
الملوك الذين من ذرية ابنيوخوس واستوى ملكا على عرش ارغوس واما العبرانيون ففي
نهاية نسيارهم في البطاح والنيافي اصلوا نيران النجاء واغنموا النصح بدعاء موسى مصليا
معتزلا وبعد ذلك مات ذلك الفاضل التريه ١٦٠٥-١٤٥١ وترك للاسرائيليين كامل
تاريخهم فانه اثابه الله نقر في تاليفه مدققا واوعاه كل ما حدث منذ بدء العالم الى يوم
موته وقد اتمه من بعد يشوع وخلفائه واجتثروا الى جملة اسفار منها سفر يشوع وسفر
الفضاة واسفار الملوك الاربعة

اما ذلك التاريخ فقد اوعب بالاموس كاملا وقسم الى خمسة اسفار تحوي مبادئ
الدين وبعد ان اغتالته طائلة الموت زارت مواقد الحرب في عهد يشوع ١٥٩٩-١٤٤٥
وقبض الارض المقدسة مظفرا وقسمها الى اقسام فعثا الشعب وتردد وعوقب وتوطد مرارا
متباعدة ولدن ذلك جد عشتيل في منازلة اعدائه فانتصر فائزا ورفع عن شعبه نير العبودية
الذي القاه على عوائقهم كوشان ملك ارام ١٥٥٤-١٤٠٥ وبعد ان تقادم على ذلك
من الجحوشول ثمانون ظهر اهود على عجليون ملك مواب ١٤٩٦-١٢٢٥ وفي وشك
ذلك الزمن حكم في يلبونيزيا يلبوس التريمياني ابن طنطال فتسمت تلك البلاد
الشهيرة من ذاك الوقت باسمه ١٢٢٠-١٢٢٢

وقدم الكلدانيون للملكهم باعال عبادة الهية وهبط الاسرائيليون الذين لم يرجعوا
 جيلاً الى حضيض العبودية فان يابين ملك كنعان ضيق عليهم سعة الارتياح وقهرهم
 اذلاء منكبين ١٤١٦-١٢٠٥ اما النيثة دبورة التي كانت قاضية للشعب وباراق بن
 ابينوعم فقد استظفرا على سيسارا قائد شعب ذلك الملك العتي واحبطا سعية مدبراً
 ١٢٩٦-١٢٨٥ وبعد ان مرّ من ذلك الآن اربعون عاماً فاز جدعون دون قتال
 واقتنى آثار المديانيين واعمل بهم السيف البائر ١٢٤٩-١٢٤٥ وقتل ابنه ايبالك
 اخوته واختلاس السلطة فدانت له صاغرة ١٢٠٩-١٢٣٦ وكان ملكاً جائراً لا يبري
 للعدل جانباً فترعت السلطة من يمينه وهلك غير ماجور عليه واما يفتاح ١١٨٧-١٢٤٢
 فقد خضب انتصاره بهرق دم لا يمتنحه الله التوبة عنه الا بسرّ الهي لا يطرق اسماعنا
 النبأ عنه ولا نحن الى كنهه بتوصلين وقد طرأ في ذلك الحين اشياء كثيرة بين الوثنيين
 يصوب اليها السمع لانه على حسب تاريخ هيرودوت الذي ترجمت صحته على غيره يجب
 ان نحصر تاريخ نينوس بن باعال وانشاء الاولى لدولة اثور بخمسمائة واربع عشرة سنة
 قبل تشييد مدينة رومية وفي عهد دبورة ١٩٦٨-١٢٦٧ فان هذه الدولة العظيمة
 الشوكة والسامية العز قد كان مركز صولتها في نينوى المدينة التي كانت شهيرة وقديمة (١)
 ومد اليها الملك نينوس يد فارجحها ابنة وزين ظاهرها . فان المؤرخين الذين يزعمون
 ان دولة الاثوريين قد استمرت ألفاً وثلاثمائة سنة ياخذون على ذلك دليلاً قدمية المدينة
 واما هيرودوت فانه يقول ان اجلا لم يعمر اكثر من خمسمائة وعشرين سنة واعتبر
 ذلك وقت بدوخ مكانتها وسيادة سلطتها في عهد نينوس بن باعال الذي جعل شوكتها
 ممتدة في اسيا العليا وقد تشيدت او تجددت مدينة صور في عهد هذا الملك الظافر
 واصبحت في غابة قصوى من الشهرة بسبب مهارة قاطنيها في سلك البحار وبسبب الرحل
 الذين جاحوها وامندوا في افطار العالم . وبعد عهد ايبالك بتايل من الزمن
 ١٢٣٠-١٢٥٢ لاحات اعمال هرقل البطل الصنديد ابن انفيريون وبدت الحروب
 التي الهب شرارها نازي ملك اثينا الذي احرز في مدينة واحدة كل الدساكر والفرى
 التي بناها سيكروبس وسن لاينا قوانين سادت لدى الناس شهرة ففي عهد يفتاح يفا

كانت سميراميس ارملة نينوس ووليه ابنها نينياس توسع مملكة الاثوريين بكثرة فتوحاتها
هبت النار المحرقة في ابنية تروادة الشهيرة التي فتحها في سالف الزمن اليونان في عهد
لومودون ملكها الثالث وهوت دائر باليونان انفسهم واصبحت كأن لم تكن شيئاً مذكوراً
وذلك في عهد بريام بن لومودون بعد ان حاصرها اولئك اليونانيون عشر
سنوات ١٢٧٠ - ١١٨٤

العصر الخامس

في الكلام عن افتتاح مدينة تروادة
(الاجل الخامس للعالم)

في نحو السنة الثلاثماية والثاني بعد ان جلا اخصاء الله عن مصر وستة الالف والمائة
والاربع والستين ٢٠٣٨ - ١١٦٤ بعد الطوفان عشت بتروادة ايدي الدثار فاصبح طود
عزها مذكوكا هابطة هبوطاً رائعا فكان عصر سقوطها مهلاً وسبب اهميته اما ان يكون
بالحوادث الرائع الذي انشده الشاعران المختبران اكبر شعراء اغريقيا وابطاليا اولامكانية
ما نراه الى ذاك الحين انه اهم ما يطرأ في تلك الاحقاب التي تدعى خرافية او بطلية
فبسبب تسميتها خرافية موقوف على ان الحوادث التاريخية كانت وقتئذ مكتنفة بالمخرفات
وسبب تسميتها بطلية موقوف على اولئك الذين دعاهم الشعراء اولاد الالهة وابطالاً ولم
تكن ايام حياتهم قاصية عن فتوح تروادة العظيمة فقد بدا في عصر لومادون ابو بريام
ابطال التوازن الذهبية وهم جازون وهرقل اورفا وكاستور وبولكس ومن كان
مشهوراً من نظرائهم في ايامهم السالفة ونشأ في عصر بريام يوم ان حوصرت تروادة
حصاراً نهائياً اشيل واكامنون ومينيلوس وعولوس وهكتور وسريديون بن جوييتار
وانه بن الزهراء الذي يتخذ الرومانيون اصل نشأهم وابطالاً اخرون قد كانت شعوب
عظيمة واقوام جمة ينتفرون بانهم اليهم يعتزون فبناء عليه اصبح ذلك العصر يستأهل
ان يعزى اليه احراز الحوادث ذات التحقيق والعظمة التي جرت في ايام الخزعبلات
الباطلة

اما الكتاب الاقدس فقد انبأنا عن هم اشد باساً وعظمة منهم فانه ذكر لنا قوة

شمشون ووهنة الغربيين ١١٥٢-١١٧٧ وعالي الخبر الاعظم الذي نال الدرجة القصوى
 من الميرة والزاجه ولقد بادته الذلة والحمول بجراث اولاده الخاملين ١١٥٢-١١٧٦
 وصموئيل من ندر بدثار العدل نبياً عفا الازار مصطفى من العلي ليمسح الملك
 ١٠٨٠-١٠٩٥ وشاول الملك من كان اول من دانت له الامرة على اصفياء الله فغاز
 مظفراً وقم الفرايين متعظاً لا يطلب من الكهنة اذناً يعاصي او امر الله معتذراً بالكين
 فلم يكن عذره مقبولاً فاذله الله مردولاً . وجعله هاوياً هابطاً الى اسفل الخضبض
 وكودروس ملك اثينا في عصر من اسنات خفية عن شعبه فكان لم بذلك فوز وغلبة
 وتنازع من بعد الملك ولده ميدون ونيله فاغنم حيثذ الاثينيون الفرصة والقوا السلطة
 الملكية واعلنوا ان لا يكون عليهم سوى جوينار ملكاً واقاموا لم ولاية . وازعين دعوم
 اركونت وقسروهم على ان يستمروا مبرزين لم حساباً على كل ما يتجشمون من مهام
 الامروكان اول من قبض على شكينة الملك ميدون بن كدريس ودان الحكم لعصيته
 من بعده زماناً مديداً وتناثرت النحلات من اثينا الى انحاء اسيا الصغرى فدعيت تلك
 الانحاء ابونية وفي ذلك العصر نفسه كانت تمتد الرحل الاهوليون فغدت من ثم اسيا
 الصغرى منعمة من المدائن اليونانية وبعد ان شرب شاول كأس الختوف
 ١٠٤٠-١٠٥٥ نهض داود فاتكاً على اريكة الملك وقد كان في بادي الامر راعياً
 للضئان عجباً وجندل جليات الجبار صريعاً واستظهر على كل اعداء الرب فرحبت له
 ساحات الصولة فاتحاً فتجاً ميبناً وتنبأ صالحاً ورعاً وكان اهلاً لابراز مكنونات الشيد
 للعة الصمدية وقصارى الامرانه كان راضحاً لمشيئة الله كما دعاه هو نفسه وشط بعدئذ
 مجرمًا تائباً فاحال زيفانه لمجد الرب ١٠٢٢-١٠٣٤ وخلف هذا الملك الصالح الجافع
 الى الحرب سليمان ولده الحكيم عادلاً وراعياً في الهدء والسكينة ١٠٠١-١٠١٤ فلم
 تقتضب يدهم بالدماء المهرقة ولذلك كان قميناً بان يشيد هيكل الله عظيماً
 ٩٩٨-١٠١٢

العصر السادس

في الكلام عن سليمان او اتمام بناء الهيكل

(الاجل الخامس للعالم)

ان سليمان اتم بناء الهيكل لله ١٠٠٤ — ٩٩٢ في تشرين الثاني سنة ثلاثة الاف بعد الخليفة وفاقا لسنة اربعماية وثماني وثمانين بعد نزوح شعب الله من مصر وان قبول زمن التاريخ دينيا معه دنيويا نقل ان سليمان انجز بناء الهيكل سنة مائتين وخمسين قبل تشييد رومية وسنة المائة والثمانين بعد افتتاح تروادة وسنة الاف قبل المسيح فاقام باعباء تكريسه بعظمة وورع عظيمين وكانت معجزات احكامه في امسى مكانة من الشهور وتناهت احكامه بالثريب والمعائب لانه نصي النساء عاشقا فحدث انوار عقله وضعف قلبه وفقدت ثنوه وتصدى لعبادة الاوثان جاحدا فالنقى الله عليه غيظا عادلا ثم هامله بالرفق والرحمة كرامة لذكر داود الصدوق عبده لكنه لم يترك عتابه لنكرانه الجبيل نسبيا منسيا بل جزا بعد موته مملكته على عهد ولدك رجبعام فان ذلك الملك العاتي تكبر وطفى فاحسره الله عشرة اسباط اقصاصم ياربعم عن الهمهم وملكمهم ٩٦٢ — ٩٧٥ وصددهم عن الذهاب الى هيكل اورشليم ليندموا فيه الثرايين خيفة ان يوهوا الطاعة والرضوخ لملك يهوذا ولهذا اقام لهم آلهة عجولا من ذهب دعاها آلهة اسرائيل طمعا في ان لا يرى الشعب ذلك امرا غريبا لكن هذا الصدد حمله على ان يرعى الشريعة الموسوية التي كان يقوم بتاويلها حسب امياله وكان يحض شعبه على رعاية الجنبات الاوفر من التاموس نظاما مدنيا ودينيا فكانت خمسة الاسفار لموسى مرفعة المقام مرغية من اولئك الاسباط الضالين المنفصلين فاتعصب لذلك مملكة اسرائيل التي اصبح الكفر فيها سائدا فعثا اهله منسدين ونصبت لمملكة يهوذا حباثل البغضاء والشحناء واما مملكة يهوذا فقد كانت لاتنبذ الدين جانبيا وان كانت تلم به كوارث المجد والكفر الذمير ولند كان وقتئذ ملوك مصر يصعدون الى اطوار العز والشوكة فان اربعة الممالك كانت متحاذة الى مملكة ناب وقد ذهب الناس الى ان سيزوستريس الفاتح الذي ذاع صيته لدى المصريين هو اسزك نفسه الذي قواه الله على ان يبيل رجبعام العناب الرهيب لسبب كفر المنط ٩٥٨ — ٩٧١

وان ايام البر ابن رحبعام قد انتصر على الاسباط المنفصلين في ايام ملكه انتصاراً عظيماً .
واما ولد آسا ٩٣٧—٩٤٤ فنجد كان متديناً ورعاً ونال في الكتب المقدسة اطروقة
من الثناء على ذلك غير انه كان يثق بالاطباء يوم كان ممنوعاً بالامراض الملهة اكثر مما كان
يثق بنعمة الله . وقد بنى عمرئى ملك اسرائيل في عرصه مدينة السامرة ٩١٤—٩٣٤ وجعلها
مقر السدنة الملوكة واحكم بعد ذلك يوشافاط ٩٠٤—٩١٤ فازدهرت في عرصه
ادواح الدعة والبر واستوى قسطاس العدل وتمهد السبيل لسلك التجار وسادت صناعة
الحرب فتوسم آل اليهودية فيه احكاماً داودية . وقد كان في عرض حكمه احاب وامراته
ايزابل مسدين لواء السلطة فوق اسرائيل وكادحين في انتهاك حرمة الهيئة يزوران
عن طريق الهداية الى الترهات الباطلة ويتمهاتان على الكفر والمجود فضلاً عما كانا يتسنان
بعبادة ياربعام الوثنية ٨٩٠—٨٩٩ فتتكت بهما برائن البؤس صاغرين وهويا الى
دركات الشفاء هالكين اما الله فقد ابى لها في فكره عقاباً رائعاً فاراد ان يثار نابوت
الصديق الذي قتله لئمنعه عن ان يبيعها سرمداً ارث آبائه حسبما نامره السنة الموسوية
فاندرها بقم عبده اليا النبي عذاباً فاخذ الملك احاب يترصد سبيلاً يقيه من غائلة
الردي فلم يجده ذلك نفعاً فانه هلك مقتولاً ٨٩٧—٨٨٨ وقد تشيدت في ذلك
الوقت مدينة قرطاجنة ٨٦٠—٨٩٣ فشادتها ديدون الصورية على ضفة البحر
الرومي حيث تكون محطاً لرحال التجارة وتكون لها السيادة البحرية . ولقد عسر علينا ان
نعرف الوقت الذي به خففت اعلام الحكم الجمهوري في تلك المدينة لكننا نعهد ان
امتزاج السوريين والافريقيين جعلهما مثابة سامية للتجار والصدام واما المؤرخون
الاقدمون الذين وقفوا على ايان بنائها وعلموا ان ذلك كان قبل اندراس تروادة العظي
فقد يوءخذ من كلامهم ان ديدون جعلتها في غاية السعة وقوتها وان بنائها لم يكن
موقوفاً عليها . واما مملكة يهوذا فقد بادتها الشومون المتغابرة لان عتاليتها بنت احاب
وايزابل اتت الى بيت يوشافاط باو حال الكفر والفساد ٨٨٠—٨٨٥ واما ياربعام
فقد نبذ وراء ظهره اعمال ابيه وتهمك في ما يقوم بعينه حموة فحلت عليه يد الرب وكانت
ايام حكمه قصاراً ومات شراً ميتة ٨٧٦—٨٨٥ وقد كانت معجزات الرب في خلال
تلك العقابات جليلة الوقع بل كان اجالاه مصروفاً في سبيل انقاذ الاسرائيليين الذين
كان يدعوهم الله الى التوبة فاهم عبديه ايليا واليشع ان ياتياهم بالمعجزات فتنبأ اوتيا

بالعجائب الينة فلم تدمت بذلك خالماً فقد رأينا ابصارهم وعمت عنها بصائرهم فلم
 يتوبوا . فان ذينك النبيين تبعاً في عهد الملك احاب وخمسة من خلفائه واشتهر اذ ذاك
 هوميروس وذاع صيت ازبود الشاعر من قبله ثلاثين سنة فاعزز الينا عن تلك العوائد
 القديمة والسذاجة البائنة التي هي حرية بان تكون ذات بال وتشعر بقدمية الآثار ومن
 ذلك فائده كبرى تبيننا على اليقين بعظمة اثار الكتاب المقدس وقدميته وان اموراً
 رهيبة قد حدثت في مملكة يهوذا واسرائيل فان الملك ياهو قد حتى من ايزابل حنفاً
 بعثه على الايناع بها فامر بطرحها من قبة برج حالي الى اسفل ٨٧٦-٨٨٤ ولم تجد لها
 الحل التي كانت لتخرج بها نفعاً فانه قد امر بها ان تداس تحت سنابل خيول وقتل ايضاً
 ملك اسرائيل المدعى يورام بن احاب فانقضت كل سراة احاب وكانت السلالة
 الملكية في يهوذا قد اوشكت ان تنكس بها ايدي الابداء والافتراض لان اخزيا الملك
 الذي ابوه يورام ملك يهوذا وامه عتاليا قد تضرع بمائة قتيل في سامرة هو وسائر
 اخوته بحجة انه كان يمين وثاق الاخاء بينه وبين اولاد احاب ولما تناقشت الالسن ذلك
 الخبر واصبح شائعاً في اورشليم ازمنت عتاليا على ان تبعد كل من تراه باقياً من بيت الملك
 حتى انها فتكت باولادها فتكاً ذريعاً وقد بعثها على ذلك الكلف بركوب تحت اورشليم
 بعد موت بنها اما يواش ابن اخزيا فقد نجى من مكائد جدته بوساطة يوشاباع اخيه
 امرأة يوياداع رئيس الكهنة التي وارته في مخدع الرب وبذلك الوسيلة الماثورة انتذت
 هذا السوء الثمين من نسل داود . وكانت عتاليا في دعة واطمئنان لانها كانت تنكر
 ان ايدي النية قد اغتالته مثل اخوته . وفي تلك الايام كان ليكورك يسر شرايع باهظة
 على مدينة لسيديمون وقد اصابته سهام اللوم والتنديد لانه جعل موضوع كل تلك الشرائع
 الحروب القذرة بين يوس الملك غير آت بنظامات يترتب عليها آداب النساء بل
 كان يجعل الشبان في شطف شديد من العيش رجاء ان ذلك يكسبهم فيما بعد قوة على
 الانحدار الى كل معصية رائعة وقد كنت عتاليا وقتئذ يظنوها الجوف في اليهودية لا يفرش
 اخذ لما ضلها فخالته ان عرش ملكها لا يزل لانها لبست حاكمة ست سنوات ولم يثر عليها
 احد لكما الرب اعد لها في ميكلو من يوم بالانتقام منها جزاء لنفسها بما فعلت فان يواش
 لما بلغ من العيرسبة اعوام ٧٧٨-٨٧٠ رفع امره يوياداع الكاهن الى بعض ظهراء الجيش
 الذين تخرج نفوسهم اليه واستنصر اللاويين على تنصيبه فوق سرير الملك فبسخة اذ ذاك

ملكاً في الهيكل فدانت له الرعية ووثقوا به خليفة لداود ويوشافاط ولما ذاع النبا عنه
 اسرعت عناليا على تنقيب المخالفين له لكنهما بدرت اليها الاكف فشده وثاقها وقيدت
 الى حيث غودرت تستقي صاب الردى الزوام عناباً على جرائرها المستكرهة اما يواش
 فاستوى بعدها على صهوة السلطة واعنصم بعري السنة الموسوية برعى زمامها طالما كان
 يوباداع الكاهن حياً فبعد ان فتكت به اظفار النية افسد المصانعون فبعد الاوثان
 فشق ذلك على ذكرى اخبر ابن يوباداع واراد ان يوبه فاوزع الى يواش ان ارشنة
 بالبحارة رجماً ففعل ذلك نابذاً كل مبرات ابيه ٨٢٢-٨٤٠ ولا ريب في ان تلك
 الجربة تأتي بعدها العناب صارناً فان السريان اوسعوه في السنة الثانية تهرجاً وعناباً
 وامنته الشعب وقتله آل ييه فخلته ابنة امصياً فطاطاً له راس العرش سالكاً احسن
 منه ٨٢١-٨٢٩ واما مملكة اسرائيل فقد ومن حولها وطولها لكثرة ما ارهتها عياء ملوك
 سوريا وما توالى عليها من الحروب الالهية لكنها بعد ان اوشكت ان تكون ظامسة نهضت
 في عهد الملك ياروبوعام الثاني الذي جرّ رداء السلوة على سلائق بنواه ٨١٧-٨٢٥ واما
 عزريّا او امازياس بن امصياً فلم تكن احكامه في يهوذا باقل شوكة ومصال منه
 ٨٠٢-٨١٠ لكما عراه بعد ذلك داء البرص منضياً واقيم عليه القريب كما انبأنا
 الكتاب المقدس نظراً الركوب في اواخر حياته من الجرة على ان يجلس وظائف
 الكهنة بتقدمه كباء الجور على المذبح العطري عالماً ان ذلك من الامور التي لا يسوغ
 لغير الكهنة ان يقوم باعبائها فافرز عن الناس محترماً طبقاً لما نصته شريعة موسى وان
 يكن ملكاً فخلته ابنة يوتام واستوى على طود العز عادلاً يسوس البلاد بكل دراية
 ودراية وقد شرع الانبياء في عصر الملك عزريّا ان يكتبوا نبوانهم اكتباباً في اسفار
 خاصة ويتركونها في الهيكل رغبة في ان تكون آثاراً قديمة للاجيال الآتية واعظمهم هوشاع
 واشعيا واما النبوات الصغيرة التي كانت تلى شفاهاً على المسامع فقد اثبتت حسب
 المعناد مع حوادث العصر في دفاتر الهيكل وتجددت في سنة ٧٧٦ العاشر الالمياك
 التي انشأها هرقل بعد ان كانت مطوية في غابر الايام ملقبة زمناً مديداً فتأتى لنا
 حساب الاولياء باعادة القاب الالمياك ومن ذاك الحين كان حساب اعوام
 اليونانيين واليه كان انتهاء الآجال التي يصنفها فرون العالم انها خرافية فان التواريخ
 الدنيوية كانت الى ذاك الحد مشوهة بالخرافات ولم يكن لها نظام سديد ومن ثم

حصل شزوع في قصص الحوادث التاريخية بكل تحرر وتدقيق واشتهرت الاعلاب الاولى بانتصار كوريب وكانت اذ ذاك تعبد كل خمسة اعوام او بعد مضي اربع سنوات كاملة ولقد كان يصير الاحتفال ثمة امام اليونانيين في بادىء الامر في بينا ثم في ابيد وكل من دانت له النصر ظافراً قابله المشاهدون بتصفيق الاكف وضحج الاستحسان يضعون على راسه اكليلاً وبناءً عليه كانت تلك الاعلاب مرعية بعين الاعتبار لانهم كانوا يزادون بها قوة وتهذيباً وفي ذاك الوقت كانت ايطاليا ترفل باثواب الخشونة والتغول وكانت للملوك اللاتينيين الذين هم من اخلاف ائمة حيازة على مدينة الب واما قول فقد كانت له صولة الملك على الاثوريين وزعم الناس انه كان اباً للملك سردانابال الذي يلقبه الشرقيون حسب عادتهم بساردان بول اي ساردان بن بول وظن ايضا ان الملك بول اوفول الذي اعتز به سرير الملك في نينوا تاب هو وشعبه عن سيئاتهم تنفيذاً للانذار الذي اوعز به اليهم يوناس النبي وقد حملت هذا الملك الثورة التي تعناها الملوك الاسرائيليون على ان يشن عليهم الغارة ٧٥٨-٧٧١ بيد ان منجم اخمد جذوة غضبه فاقامه سردانابال على اربعة الملوك فجازه منجم على ذلك بالف وزنة ابريزية وفي عهد ابوه سردانابال واخر ولاء لخمعون على الاثينيين اخذ هؤلاء الذين قد اغرهم العادة بان يخفوا حيناً بعد حين الى الحالة الجمهورية بوجزون الادارة الاركونية وافضى بهم الامر بعد ذلك الى ان يحصروها في عشرين سنوات وكانت اول من حكم على ذاك النمط شاروبس

واما روميلوس وريموس اللذان هما من ذرية ملوك الب لاهما ايليا فقد اقاما ثانية نيميتور جدها حاكماً على مملكة الب وهو الذي كان اخوه اميلوس قد نزع الملك من يد ومن ثم شادا اعمة رومية في عهد يونام الذي كان وقتئذ منبواً تحت يهودا.

العصر السابع

روميلوس او تشيد مدينة رومية

ان مدينة رومية التي كانت تروم ان تجعل العالم تحت حيازتها وتكون مقراً للدين ترعاه حشية انتهاكه قد تأسست في ثالث سنة من الاوليات السادس وفي نحو سنة

اربعماية وثلاثين بعد فتح مدينة تروادة العظمى التي يعتقد الرومانيون انها جرثومة
لاجنادهم وفي سنة سبعمائة وثلاث وخمسين قبل المسيح ٧٥٤-٧٥٣ وان روميلوس الذي
ترعرع بين الرعاة النساء القلوب مارنا على الحروب قد كرس هذه المدينة لاله الحرب
الذي كان الناس يزعمون به انه ابنه وقد حدث في حين بناء رومية طوبس مملكة
الاثوريين الاولى وذلك بسبب شمول رأي سردينا بالان وهن قواه ٧٥٩-٧٤٨ لان
الماديين الذين كانت تطيب نفوسهم بزيور سبب الحرب طغوا وتردوا على ذلك الملك
الخنث واصبحوا انوزجا بامهاته لدى الرعية وكان السبب في اثارهم غلبه ارباس والهم
فلما شعر شعبه بشورة الثائرين وترددهم اقتدوا بهم هائجين وجاهروا بعدم الرضوخ فلما
راى ذلك منهم صغرت لديه نفسه وكبر الامر عليه فذهب الى عاصمته نينوا والتي بنسبه
الى النار ومجصباته ونسائه فاثاروا حجة حربيا فتكونت من خراب هذه الدوكة ثلاث ممالك
عظيمة واما مملكة الماديين التي كانت عرضة للتشكيل فتد التي عنها ارباس او اورباس
المدعوى لدى البعض بقول نيرالاسترقاق وبعد ان شوهمتها النظامات النافذة قبض
زمامها ملوك اشدها وفضلا عن ذلك ففي الحال بعد حكم سردانا بال ٧٤٧-٧٥٩
نشأت للاثوريين مملكة اخرى استمرت نينوا حاضرة لها ومملكة اخرى لبابل فانها
لملكيان تناقلت ذكراها موطنات المورخين الدنيويين واشهرنا في صفحات التاريخ
القدس فمملكة نينوا الثانية شادها تجلت بن فلاسر وبناء على ذلك دعي حسب
عادة الشرقيين تجلت فلاسر ولقب بنينوس الحديث واما مملكة بابل فتد شادها
بالادان الذي يلقب اليونان بلزيس لكنه مشهور بلقب نابونصر ولقد كان ذائع
الصيت واشهر لدى بتوليموس والفلكيين الذين يجعلون حسان سنينهم من عهده . . .
ومن الامور التي ترفعت اهميتها ان تنوه ان الحسان او تعداد الحمول اضطلاج
يقفه بنو الانسان بتد في وقت موعجل قد اشهر بمجداث ذات بال حملت الناس
على ان تشبه اليه ولقد كان آحاز ملك يهوذا غائصا في لجنة الكفر والثناء فانقلب
الى هذه الضيق والازمة الشديدة فتد ضايته راسين ملك سوريا وفاقح بن رمليا ملك
ايسرائيل بالزحف عليه ففاضلاده شديدا ولم يحلها على ارغام انثو الا دعوة من العزة
العمدية فبدلا من ان يستنصر الله الذي اثار عليهم هذين العدوين ليعاقبه على شره الفجا
الى تجلت فلاسر ملك الاثوريين الاول ٧٢٥-٧٢٠ فاروهن هذا الملك مملكة ايسرائيل

وطبق معاقل مملكة سوريا فاضحات به اضحلالاً وفي الوقت نفسه نهب مملكة
يهودا التي كانت قد استجذته. ولذلك هب ملوك اثور مستنظفين واهتدوا الى بلاد
اسرائيل فاتحين ففتحها شلمناسر بن نبجلت فلاسر وجعلها عاقية دارسة ٧١٨—٧٢١
اما هوشع ملك اسرائيل فقد كان يامل ان سياكون اوسوء ملك ابثويا الذي فتح مصر
ان ياخذ يده بيداته ولو كان عظيم لباس والصولة فقد ضاق ذرعاً عن ان ينفذ من
ابدي شلمنصر واما الاسباط العشرة فلما اضحت عبادة الرب في درجات الثلاثي
والاهال سبغوا الى نينوا وتبددوا ابدي سبا بين الوثنيين وتواروا عن الوجوه فلم يبق
للعيون سبيلاً لان ترى لهم اثرًا او عيناً وفيهم عددٌ نزرٌ ظلٌ بمتزجاً باولاد يهوذا
فاضحوا جميعهم قمماً صغيراً من مملكة اليهودية وفي خلال ذلك مات روميلوس
٧١٥ وقد كان ذلك الباسل الصندي يقضى ايامه في مقاواة الصعاب لا يفتحم نائبة الا
اذها وقال بها لواء النصر ولقد كان في عرض نهافتة على تاجج نيران الحروب يشيد
قواعد الدين ويسن نوايس لمؤسسه يستنوب بها ولما سادت السكينة وخففت
الموتة السلام في عهد نيم خاينته اتخذ له ذرية يتذرع بها الى نعمة اعمال روميلوس
فوطد اركان الدين ودمت اخلاق الرومانيين بعد ان كانت في حالة الخشونة والتغول
وقد انشأ في ايامه المهاجرون الذين اتوا من قورنتيه ومن بعض مدائن اخرى في بلاد
اليونان سيراكيز في جزيرة سيسيليا وكروتون وتارنت واربا يكونون قد شادوا مدناً اخرى
في انحاء ايطاليا التي لقبها رُحل اقدم منهم قاطنون في تلك الانحاء ببلاد يونان العظمى
وفي ذاك العصر كان حرقيا افضل الملوك طراً واعد لم بعد داود حاكماً في يهوذا
فخاصه في اورشليم سخاريب بن شلمنصار وخليفته وضيق عليه يبيشو العظيم لكنما ملك
الرب اباد الجيش في ليلة واحدة ٧٠٧—٧١٠ ولما رأى حرقيا تلك النعمة التي بعث
بها اليه العلي رَضَحَ وعرف مندار المنة فتعبد لله هو وشعبه بامانة صادقة وسريّة
خالصة وبعد ان افتقدت يد الرب نفسه ٦٩٤—٦٩٨ نسي شعب اليهودية في عهد ابنه
منسى التاكر الجميل خالفهم واخذوا يفسدون في الارض ويتدنسون باوحال المنكرات
وزادت قبائحهم واخذ في ذلك العصر الحكم الجمهوري بنو بين الاثينيين الذين طفقوا
ينتخبون الاركونت كل سنة وكان اول من تسلم زمام ذلك المصال كرهون ٦٨٤—٦٨٧
وبينما كانت القبايح والكفر تمتد في اليهودية كانت شوكة ملوك الاثوريين المزمعين ان

بنقلوا منهم تعزز في عهد الملك أصرحون بن سخاريب وضم هذا الملك مملكة بابل
الى مدينة نينوى ومد شوكنة في اشيا الكبرى كما كانت اثنا شوكة الاثوريين ٦٨٠-٦٨١
اما الماديون فقد شرعوا ان يعزروا شوكنهم وبرهبوا بها المشوقين اليها فانثا ملكهم
الاول ديجوس الذي يزعم بعض المؤرخين انه ارفكساد المذكور في سفر يهوديت مدينة
اكتنان المشهورة واقام له ركبا لمملكة عظمى فاصطفاه الماديون عليهم ملكا جازا على ما
انام به من الامتنان ورجاء ان يدرأ كل شعب انيت بينهم من علم النظام وقد اصبحوا
وهم تحت قيادته لم الثقة على اذلال ما يجاورهم من الاعداء لكما ملكهم كان غير رحب
وشوكنهم غير ممتدة واما مدينة رومية فقد كانت في ذلك الوقت ماثلة الى النوى على مهل
في عهد نوابوس اوستليوس ملكها الثالث ٦٧١ وتنكست اعلام مدينة الب بابتصار
الاورباس على الكورباس وانحاز سكانها الى رومية النائرة وتوسعت بذلك دائرتها وتوثت
شوكنها وكان اول من ألع الى توسيع المدينة على ذاك النمط روميلوس فانه احاز اليها
السايتين وكل الشعوب الذين ذللهم ايادي الغلبة فبعد ان انضموا الى قلب المدينة
لاحت على اجبتهم سمات السرور والجدل وجعلوا ما تحشوه من المكائد والاعتنا
نسبا منسيا واصبحوا رعاة امناء لرومية . وكانت هذه المدينة تنظم جنودها وتحسن داخلتها
كلما كانت تزداد بنجاحها وقد شرعت تعصم بوثاق ذلك النظام في عهد الملك
اوشليوس فان ذلك قد جرها الى ان تملك العالم قاطبة

واما مملكة مصر فبعد ان لعبت بها ايدي الشقاق واحدقت بها النوائب من
كل جانب نهضت من حضض الخسف والخبول وتجددت قوتها في عهد الملك
بسامتيك ٦٧١-٦٧٠ وهذا الملك الذي قام بناصر اليونانيين والكاربون وطمع
في مصر وقد كانت لا تطأها ارجل الاجنبي الى ذاك الحين لكما ذلك زال منها بعد
ان تسلم حكمها هذا الملك الرصين وبسبب ذلك جعل الصلات التجارية بين المصريين
واليونانيين ومن ثم اصبح تاريخ مصر صادق الرواية حقا بعد ان كان مشحونا بالخزعبلات
التي كان يفتريها المكينة كما قال هرودوت

وقد كان ملوك الاثوريين يبنون شوكة واقدارا الى ان اصبحوا رعية واربابا للشرق
كافة وقد ظم على اركسناد ملك الماديين في موقعة عظيمة ساوسريشان بن اصرحون
الذي روي عنه انه بختصر المنوه عنه سنة سفر يهوديت ٦٥٧-٦٥٥ وان هذا الملك

المستولي عليه وان لم يكن ديجيس نفسه اول من اقام اعمدة اكبانان فبن المحمل ان
 يكون ابنه فراهورت او افراهورت الذي اقام اسوارها ولما رأى ذلك الملك الاشوري
 الجبار ان المنفعة دانت له والفوز اصبح رقاً يلي مقالته سولت له نفسه على ان يفتح الارض
 برمتها ٦٥٤-٦٥٦ فجدّ يطوي الارضين الى ان وصل نهر الفرات فعبره وخرق سيفه
 البلاد عاتياً من الموضع الذي خرج منه الى ان وصل الى اليهودية واما اليهود ولو كانوا
 في ايامهم السالفة اجموا ضدّهم غيظ الله بكثرة جرائمهم وهبوا الاصنام امثالاً لنساذ منسى
 الملك لكنهم تابوا فيما بعد وايّاه وبنّاه عليه قد ترأف عليهم الرب واطلم تحت ستر
 حمايته ولذلك قد توقف بمختصر وقائد جيشه اليفانا عن الفتح بواسطة امرأة صديقتها
 عن اتمام ذلك ولو كان ديجيسيس قد تنكل تحت صدمات الاثوريين فان الماديين
 اصبحوا بعد موته يعرجون في سلم النجاح والتقدم في عهد خلفائه وبينما ان فراهورت ابنه
 وحفيده يسمعان الفرس ويمتدان على بساط الارض فاتحين من اسيا الصغرى الى شواطئ
 نهر الهليس كانت مملكة يهوذا قد شاهدت نهاية ولاه آمون الشقي ابن منسى ٦٤٠*٦٤٢
 وكان يوشيا بن آمون براً فاضلاً صدوقاً من صغرسه وقد اخذ وقتئذٍ يصلح الشوائب
 التي اتي بها جدد الملوك اسلافه ٦٣٩*٦٤١ وقد انتصب انكوس مارسيوس على عرش
 رومية التي ثابرت على ان تمنع بعض شعوب لاينية وتضم اليها اعداءها لتجعلهم من
 قاطنيها وتكتنهم تحت اسوارها واما سكان مدينة فيث فقد تكبدوا خسائر جمة في عهد
 خلفاء الملك روميلوس الذي اذاقهم في ما مضى شدة الهول والنصب وقد اخذ انكوس
 مارسيوس يمد فتوحاته في البلاد الى ان وصل الى ساحل البحر الذي بداني رومية واقام اذ
 ذاك على ضفته مدينة وسمي لدى مصب النهر وفي ذاك الحين اغار نيولا صار على مملكة
 بابل ٦٣٦ بيد ان هذا الخائن الذي اقامه شينالادان اوساراك وسلمه قيادة جيشه امل
 ان يرهق سياكسار ملك الماديين قد اتحد مع استياج بن سياكسار وقبض عليه في
 نينوا وادمرها بعد ان كانت متسلطة على المشرق وذاتة الصولة في اقطار البسيطة وجلس
 اذ ذاك على عرش مولاه . وكانت بابل ترفل برداء التيه والكبر في عهد هذا النائح
 المطامع . ولما تكاثر العثيان والنساذ في اليهودية اصحبت عرضة لما يداهمها من الغوائل
 ولهذا خيف عليها من كل نائبة ملية وسبة ٦٣٣-٦٣٤ توقف غضب الرب عن ان
 يباده يهوذا نظراً لما كان عليه يوشيا الملك من خفض الجناح وطول الاناة بيد ان

المفاسد فشت في عهد اولاده ٦٠٩-٦١٠ وبعد ان مات نبو بولصر خلفه ابنه
 نبو كودنصر الثاني وانه كان هيباً يفوق ابيه ترويعاً ٦٠٥-٦٠٧ ولقد غمّدي
 باعتزاز النفس والخيلاء وحكته الايام المربية التي التقى بها سبع النوايب ففتح فتوحات
 عظيمة شرقاً وغرباً ولقد سوّلت له الحوياء على ان كل من يسطر الارض لابد ان يكون
 تحت نير عبودية بابل وتم ذلك الوعيد والانذار فان اورشليم فتمت ابوابها له لما رآته
 مقبلاً عليها وولجها ثلاث مرات اولاً في ابتداء ملكواي في السنة الرابعة من حكم يوباقيم
 الملك ومن ذاك الان يجري تعداد السبعين عاماً لسي بابل الموعز اليها في سفر ارميا
 النبي وثانياً في عهد الملك جكونياس ابو ياكين بن يوباقيم ٥٩٨-٥٩٩ واخيراً في عهد
 صديقاً الملك ففي هذه المدة طبقى اسوار المدينة وطمس معالمها واحرق الهيكل
 واستأسر الملك الى بابل وسرايا الكاهن واكثر الشعب ٥٨٧-٥٨٨-٥٩٨ وقد كان
 اشهر هؤلاء الاسرى حزقيال ودانيال والنبية الثلاثة الذين لم يكن من وسع نبو كودنصر
 ان يجعلهم يعبدون تمثاله ولا ان يحرقهم بلهب الانون وكانت في ذاك الان بلاد اليونان
 زاوية زاهرة وحكامها السبعة يتأرجح ذكرهم في ارجاء الكون وكان سولون احد الحكماء
 السبعة يسكن نوايس للآثينيين قبل اندراس اورشليم بزمان قليل ٥٩٤ وقد كان
 يجعل للحرية ركناً هو العدل وفي ذلك الان هاجرت اول نخبة من الرجل النوسيين
 الفاطنيين بلاد ابونيا الى مرسيليا ولما نظفر ترکان القدم ملك رومية وبرح بقسم عظيم
 من بلاد نوسكان واخذ يزين حاضرة ملكه ويدّخر لها عمارات كثيرة انقطع ويريد ملكه
 ٥٧٨ وجاء في عصر الغوليين وكان مقدمة طلبتهم ييلوفيس فحلوا في نواحي نهر الب
 في ايطاليا ولقد كان في اثناء ذلك اخوه سيموفيس قاصداً جرمانيا وتحت قيادته نخبة
 كبيرة من تلك الأمة ٥٦٦ واما سرفيوس تليوس خليفة ترکان القدم فقد نظم الاهلين
 ورتب لنفوسهم حساباً وعليه اصبحت رومية ذات نظام بين كيت خاص واما نبو كودنصر
 فقد حسن مدينة بابل وزينها ولا ريب في ان بابل كانت في ذاك الان تجذب اليها
 غناء الشرق وغنائم اورشليم يد أنها لم تلبث متمتعة بتلك الغضارة اياماً مديدة فانها انقضت
 عن مقام السامي وهورت الى دركات النذل وقد شاهد ملكها الجبار المهاب قبل
 انقضاء اجله خرابها الذي كان على واشك الحدوث ٥٦٣ فان ابنه افيليروداك الذي
 منته رعاياه لكثرة رذائله لم تدم له ايام السلطة فان تيريكليسور صهره قتله واخلس بذلك

ملكه ٥٦٠ وقد كان في المحين ذاته بيزنطراط يتصدى لاختلاس السلطة السامية في
 ايثيا وابشت تحت يد ثلاثين عامًا رغبًا عن نوابس الدهر ورزاياه وخلفها بعد ذلك
 لاولاده فلم يمكن للملك نرجيليصوران بفعل شوكة الماديين التي كانت لا تبرح تمتد في
 الشرق ولهذا شهر عليهم الحرب وبها كان استيلاج بن سياكسار الاول يتخذ للمدافعة
 اغتاله برائن الردي فخنقه ابنه سياكسار الثاني الذي يدعوه دانيال داريوس ملك
 الماديين فاخذ حينئذ يخطى طرق المدافعة فاقام قورش ابن اخيه مندان قائدًا على
 جيشه ابن كميس ملك الفرس الذي كان وقتئذ خاضعًا لسلطة الماديين ٥٥٩ ولم
 يندع عن المعرفة ان شهر قورش التي بانست في حروب متباينة سارت بها الركبان ودوخت
 الاقطار والامصار في زمان جئ استيلاج فجعلت اكثر ملوك الشرق يرزحون تحت راية
 الملك سياكسار وستة ٥٤٨ قبض قورش على كرزوس ملك ليديا في عاصمته وسلبه
 خزينة العظيمة وبدد الذين بحالفون ملك بابل على اليهود وجعل شوكتهم سائدة في
 سوريا واسيا الصغرى ٥٤٣ ثم تقدم الى بابل وفتحها ٥٣٨ واطلق لخاله سياكسار السلطة
 عليها ولما اصبح هذا الملك في امتنان لافعاله واماته كافاه بان زف اليه ابنته ورشته الوحيدة
 وفي عهد الملك سياكسار ٥٣٦*٥٣٧ كان دانيال النبي الذي تخبره الله ليكون نبيا
 يحل غوامض الخفيات ذائع الصيت كما كان في عهد اسلافه فرأى ان كثيرين من
 الملوك والملالك كعابرين السابلات امامه وراى اخيرا سبعين اسبوعا كانت دليلا على
 وقت مجيء المسيح وحالة اليهود فان تلك الاسابيع تدل على الاعوام ومحصل مجموعها
 اربعماية وتسعون عامًا وكان ذلك الحسبان يستعمله اليهود الذين كانوا يغادرون السنة
 السابعة دون شغل مثل ما كانوا لا ينهمكون في الاشغال النهار السابعة وبعد ان مضت
 تلك الروما بايام وجيزة عثت اظافر الحمام بالملك مياكسار ٥٣٦ والملك كميز اي
 قورش واما الملك قورش الهصور فند ضم مملكة الفرس التي كانت الى ذاك المحين
 منكورة العرفان الى مملكة الماديين التي جعلتها فتوحاتها من السعة غاية كبرى وبناء
 عليه اصبح قورش مستوليا على كل الشرق واقام له مملكة تستصغر عندها الممالك

ومن الامور التي تستلفت اليها الاحداق لتسلسل الازمنة ان نعلم ان هذا الفاتح
 اصدر الاوامر من اول ملكه الى من هم تحت امرته ليجددوا في اورشليم الهيكل ويشبوا
 اليهود الى اليهودية اما الان فليس علينا الا ان نسرّح طائر الظرف في هذا الان فنراه

زماناً أصبح حساباته من المعوصات فيعسر جداً انطباق التاريخ الديني فيه على التاريخ
 المتدس وإذا حشفت ودققت يأسدي رابت ان ما اخبرته عن قورش يباين كثيراً ما
 طالعه عن جويستان المورخ الذي لا يذكر البتة مملكة الاثوريين الثانية ولا الملوك
 الذين تسامت شهرتهم عندهم وذاعت ذكراهم في بابل والكتاب الاقدس وقضاري الامور
 ان ما انبأته عنه لا يطابق ما يوعز اليه هذا المورخ بشأن الممالك الثلاث ومن مملكة
 الاثوريين الاولى التي انقرضت في عهد الملك سردانا بال ومملكة الماديين التي انقرضت
 لدى موت استياج جد قورش ومملكة الفرس التي اقامها قورش وطسمها اسكندر
 المكودي ويمكن لك ان تستقري ما نصه ديودور واكثر مولفي اليونان واللاتين الذين
 تداولت ايدينا تأليفهم فانك ترى ما يروونه لا يطابق ما نص الكتاب الاقدس فيتضح
 لديك جلياً ان ما اجره يقاس على ما اجراه جويستان ومن نص التاريخ الديني
 وراي ما بينها وبين الكتاب الاقدس مباينة واضحة ليس له حق للدهشة من ذلك فانه
 اذا تحرى الامر بعين البصرة راي ان تلك التواريخ نفسها ليس يخلو بعضها من ان
 يباين البعض الاخر ودليل ذلك ان اليونان رويوا عن قورش روايات مختلفة وان
 هيرودوت ينوه عن ثلاث منها عدا تلك التي اعتمدها هو نفسه ولم يثبت في مولته انه
 تلقىها من رواية اكثر ثقة منه اقدمين وقد نبه ان قد اختلفت الروايات على موت
 قورش فاعتمد هيرودوت رواية زعم انها تثارن الصدق دون ان يثبت لنا عنها حجة
 بينة واما اكرتوفون الذي دوح بلاد الفرس مراتفاً قورش الشاب اخا ارتخشاشا
 الملك الملقب بمهنون قد تشوف الى كل اعماله قورش التديم وتلقن ترجمة حياته من تواريخ
 الفرس وكل ما روي عنه ومن كان ذا خبرة في الآثار الندية لا يبالك ان يجاري
 التديس امروثوس بايثار كرتوفون الفيلسوف الحكيم العريق في مهارة القيادة على
 كينزياس الذي لا تنة برواياته التاريخية وعنه روي اكثر اليونان الذين اخذ عنهم
 جويستان واكثر مؤرخي اللاتين ويوشه ايضاً على هيرودوت ولو كان مؤرخاً فغري
 الامور بكل ضبط واتقان وان ما حملني على ان اعتمد ان هذا التاريخ الممسل الذي
 لا يخلو عن مدار صدق الرواية يحوي صفة اخرى تزيد فائدة وهي انطباقه على الكتاب
 المتدس الذي قد ساد على كل التواريخ اليونانية لسبب قدمته وابعازه عن ارتباط
 الشعوب اليهودية بالشرقيين فذلك يزيد كمالاً فضلاً عما تفراته منبعث من

اما ثلاث الممالك الاولى فان كل مارواه عنها اليونانيون ظهر مشتبهاً لدى اعتقادها فان افلاطون لدي كلامه عن كنه مصر بلوح ان اليونانيين يجهلون بوجود عالم الآثار القديمة وان ما كتبه بخصوص الاثوريين لا يحسبه اروسطو الا خزعبلات وما ذلك الا لانهم قد اتوا مؤخراً ولما ارادوا ان ياتوا اهلهم الذين يميلون الى ارتياح النفوس بتأليف يتفكرون بها اعتمدوا على توارخ ليست ثابتة النفل وعكفوا على ان ينفوا عبارات كتاباتهم دون ان يهتموا بالمصادر الحقة التي لا يشوبها ريب وبهتان .

وما لاربية فيه ان كيفية ترتيب الممالك الثلاث الاولى يباين واقعي الامر فان اليونانيين بعد ان انتفى ساردانبال والاثوريون يذكرون دولة الماديين ثم يتعقبونها بدولة الفرس كأن الماديين خلفوا صولة اثور وكان دولة فارس سمت الى ذروة السيادة عقيب ان حظمت شوكة الماديين . لكننا دخيلة الامر بعكس ذلك فنقد بلوح مفرراً ان ارباس لما اثار الماديين متمردين على ساردينا بال لم يستخدم من الامر الا ان يطلق لم زمام العتق دون ان يخضع لم دولة اثور . وقد يميز هيرودت نفسه بين حين استقلالهم وحين ملكهم الاول ديموستاس وكانت فترة الزمن بين ذينك الحيتين نحواً من اربعين عاماً حسباً قومه ارباب فن حسابان الاعوام . ومن الامور الحقة حسب رأي هذا المؤرخ العظيم وراي كزنوفون ضارين صحتاً عن التنويه عن غيرهما ان قد كان الزمن الذي يعزى لدولة الماديين يرى في بلاد اثور ملوكاً اشداء عظام الصولة بينهم الشرق طراً وقورش الملك هو الذي قوض بابل فائحاً ولو قدر ان اكثر مولاي اليونان واللاتين الذين تبعوهم لا يذكرون ملوك بابل ولا يستقون هذه المملكة الثوبة في مرتبة الممالك الثوبة الذين يدنون منا النبأ عنهم وان لم نعتد في تأليفهم على امر هام يتعلق بهؤلاء الملوك المشهورين كتجلت فلصر وسليصر وسخرريب ونبو خوذنصر والملوك الذي ينوه عنهم الكتاب المقدس والتواريخ الشرقية فليس علينا ان نعزو ذلك الا الى جهل اليونان الذين يجهلون في ان يعتمدوا على النصيحة اكثر من اعتمادهم على تحري الحفنة في رواياتهم او ان نعزو الى فقدان كتبهم التي ربما كانت محررة ومدققة

وذلك ان هيرودوت كان قد اعان الله بيرزالي عالم الوجود تاريخياً بتعاقب مملكة الاثوريين ومع ذلك فلم نره عياناً فليس لنا به علم دل فصر عن الوصول اليها وان

يد التقدان قد اغتالته او الظروف لم تسخ له بتاليه ولو قدرنا وجود ذلك التاريخ لتدنا
انه يتضمن الكلام عن ملوك دولة الاثوريين الثانية لان احدهم سخرىب قد ذكر عنه
انه كملك للاثوريين والغرب في موهلات هذا المؤلف المتصلة البنا وقد نقل سترابون
الذي كان في عهد اوغسطس ما برويه مكاستين المؤرخ القديم والداني من عصر
الاسكدر بشأن فتوحات نيوخوذ نصر ملك الكلدانيين المشهورة ميينا انه عبر اوروا
ووصل اسبانيا بالاسلحة الى عواميد هرقل واما ملك اثور الذي يدعوه المؤلف دميان
تيلفاموس فهو دون ربة الذي يدعوه الكتاب المقدس نجلت ويرى في بتولياوس
تعداد الملوك الذين حكموا في المالك العظام ومنهم جم غفير من الملوك الاثوريين الذين
يجهل معرفتهم اليونانيون ويسهل مطابقتهم للكتاب المقدس ولو استقرنا كل ما رواه
مورخو سوريا كبروز وايدانوس ونقولا الدمشقي لضاق دوننا المتنام باسهاب العبارة .
فاذخر لنا ازيبوس النيصري وبوسيفوس المؤرخ نبذات ذات فائدة عينية سمحت بها
افكارها وافكار غيرها الذين كانت تالفهم لم تبرز في ذاك العصر وان ما يذكرونه
ينطبق على كلام الكتاب المقدس بالنظر الى الامور الشرقية القديمة ولا سيما على توارىخ
الاثوريين

واذا احدثنا النظر في دولة الماديين التي يحسبها اكثر المؤرخين الديويين في
المرتبة الثانية اذ يعدون المالك العظام ويعملونها كاتها منفصلة عن دولة الفرس فاننا
نرى اذ ذاك ان الكتاب المقدس يجهلها دولة واحدة ولذلك ترى ياسيدي ان
تسلسل الحوادث ذاتها يجهل على ان تستقصي هذا النمط فضلاً عن استنادك على
الكتاب المقدس وان الماديين وان كانوا وصلوا الى درجات الشوكة والعظمة قبل
قورش الملك فان بابل كانت لها شوكة عظيمة تسود قوة واقنداراً واما قورش فانه
كر على بل كرهه ضافه عليها الماديون والفرس فتفتحها فتحاً مييناً وقضت له الاقدار بان
يسي ملكاً على الشعبين بخلافة شرعية تطبيقاً لما اوعزنا اليه فيما مضى حسب ما رواه
كرنوفون ولقد اتضح ان تلك المملكة العظمى التي اقام عاها ذلك الاصيد البسول
قد تلتبت باسم الامتين وبناء على ذلك فقد اصبحت دولة الماديين ودولة الفرس امراً
واحداً قسراً عن مجد احشوروش الذي جعل اسم الفرس متغلباً
وقد يسوغ لنا التندبران ملوك الماديين قبل ان يرحلوا ببابل وتفتحوا مغلتانها اتسع

نطاق حكمهم من جهة عمارات اليونان في اسيا الصغرى فذاع كبا ذكرهم لدى اليونانيين وعزوا اليهم الاحكام في اسيا الكبرى وايقتوا انهم الملوك كل الملوك ولم يبقوا في خربة البابل لغبرهم من ملوك الشرق زاوية

ومع ذلك فان ملوك نينوا وبابل الذين تسامت عظمتهم واصبحوا ذوي شوكة تفوق شوكة الماديين لم نر لهم في ما وصلنا اليه من تواريخ اليونان ذكراً يتيماً وما ذلك الا لانهم كانوا منكوبين لديهم وما يؤيد مصداق المقال ان العصر الذي خلى منذ سردنبال الى قورش نموه الى الماديين وحدهم . ولهذا لا نجد الفكرة ياسيدي حتى تقابل ما بين التاريخ الديني والتاريخ المقدس لان التاريخ المقدس ليس فيه شيء من متعلقات الاثوريين الا كلمة مفردة ليست مقصودة ولا يعرض بذكر نينوس موصل دولتهم ولا باحد من خلفائه الا قول وما ذلك الا لان تاريخهم لا علاقة له بتاريخ شعب الله واما دولة الاثوريين الثانية فليس عندنا من البناء عنها ما يزيد الامر جلاء فلا نفقه هل اليونان جهلوا امرها او البسوها رداء الدولة الاولى لسبب ما شطوا عنها معرفة وعلماً ولرب متقدم ما قيل يستند على موافق اليونان الذين سؤلت لهم النفوس على ان ينظروا الممالك الاولى الثلاث حسب احوالهم وامياهم وطفقوا بذكر ان الماديين يخلطون الاثوريين الاقدمين دون ان يذكروا البتة الدولة الثانية التي انبأ عنها التاريخ المقدس انها مؤتلة المجد ورفيعة المثابة . واذا كان الامر على هذا النمط فيكون منا الرد على ذاك الانتقاد قائلين ان اليونانيين لم يعرفوا من ذلك التاريخ فصلاً يبطونه بهذا المعنى وانهم يناقضون بما يروونه ما اودعه الكتاب المقدس وما نصه المؤرخون المسترعون المدققون الذين هم من اترابهم واليه يسمون

وبما يجاز القول فحل هذا المشكل قائلين ان المؤرخين الدينيين كانت اعصارهم ومحل اقرب من سواهم من الممالك الشرقية وفضلاً عن ذلك احرزوا تاريخاً لشعب الله الذين لم يكونوا منفردين في شؤونهم عن الممالك العظيمة وان لم يكن التاريخ المقدس مجيلاً الا بهن السمة فكفاه بان يقضى به على اليونان ومن قنأهم من اللاتين بالصمت مخلداً .

ومع ذلك فلواصروا على ان يرفعوا تلك الممالك الثلاث نظاماً ويحتسبوا الماديين في المرتبة الثانية ويجعلوا ملوك بابل رازحين تحت نير شوكتهم رضوخاً مغترين ان اولئك

يزحزون عن عوائقهم بعد مائة سنة ائثال العبودية متمردين لرعا بنوع تسلسل
 التاريخ المقدس ولكن هذا ليس بمطابق لما نصه المؤرخون الدنيويون العظام الذين
 يدنومن اجلهم التاريخ الديني الذي تكون فيه دولة الفرس والماديين في سالك واحد
 ومن الامور التي تؤيد المثال بان التاريخ القديمة عربة عن الجلاء والوضوح هوان
 ملوك الشرق جرهم العادة الى ان يتلبسوا باسماء كثيرة والقاب حجة نسي المشوفين اليهم
 اسماءهم الخاصة وانذ كان الناس يلهجون بها ويلفظونها بانواع مختلفة حسب اختلاف
 اللهجات وبناء على ذلك لم يبق لتلك التاريخ الا ادلة نادرة تدل عليها فاصبحت
 في حيز الابهام ولا ريب في ان اختلاف التللفظ بتلك الاقواب ارجى سجاى الرية وهوش
 اسماء باسماء والقابا بالقاب ولهذا شق علينا جدا ان نثبت في تاريخ اليونان الملوك
 الذين تلقوا باسم احشوروش وهو اسم يحمله اليونانيون ويعرفه الشرقيون . ومن ذا
 الذي يتخالف فكأن ان كياسار هو اسم احشوروش نفسه فانه مركب من كلمة كي اي سيد
 ومن اكسار كلمة تدل على لقبه فاذا امتزجا معا تحول بحسب اختلاف الترجمة الى
 كسيوروس او احشوروش

وقد تلتب ثلاثة ملوك او اربعة بلفظة احشوروش وهم ملتبون بمخلافنا وبدل على
 ذلك ان داريوس المادي قد كان ياتب باسباروس او احشوروش ودلائل كثيرة
 كانت تدل على انه كان ملتباً باحد هذين الاسمين

ولو لم يصر الاملاع بان نبو قودونصر ونبو قودونصر ونبوقلصر اسماء
 لمسى واحد لشق على الذهن الوقوف على الحقيقة بيد ان ذلك لم يخامره جهتان ولا
 تمويه فان لفظه نابو هي اسم مطلق لكل من الالهة التي يتعبد لها الناس في بابل وقد
 حيرت العادة بان يضيفوها الى اسماء الملوك حسب روح اللغات ويعتبرها التحريف لكثرة
 ما يطرأ عليها من اختلاف اللهجات فان ساراكون هو تخريب نفسه واويزاس هو
 ازادياس وسيدسياس هو ماتانياس وبواكيم هو سيلم وقد ظن ان سوء اوسيا هو سياكون
 ملك الحبش واسرحدون الذي يلفظ بانواع مختلفة هكذا : ازر حدون او ازر حدون
 بدعوه الكوتيون استفر وبظرة ان سردانبال هو الملك نفسه الذي دعاه بعض
 المؤرخين سارك ويعرف هذا الاسم عند اليونان باسم نونوس كوتكوليروس وانه لاسم
 خفيت عن المحدثين حقيقته . وقد نوهنا سابقا ان سردانبال هو ساردان بن قول اوبول

ومن يعلم ان فولاً المذكور في الكتاب المقدس ليس هو الملك فلصّر نفسه فان اسماء
 الملوك بعد ان ثاقلتها اقلام المترجمين اخذوا التحريف يعترها فمنهم من كان يختصر الالفاظ
 ومنهم من كان يطيلها ويردّها بما يقتضيه اسلوب اللغة وعلى ذلك لا يبعد ان يكون
 تجلّت فلصراي تجلّت بن فلصّر احد اولاد فول الذي هو اشد من اخيه سردانبال
 ولذلك رعى جزءاً من الملكة التي اخلست من بيت ابيه وليس بصعب علينا ان نأتي
 مجدول عظيم يتضمن كثيراً من الشرفيين الذين بذكرهم التاريخ اسماء مختلفة فتلك
 مزينة قد التها اللاتين فانهم قد ازالوا اسماء ملوك حجة عن دائرة وضعها بان الصفواها الالغاب
 والكئي الصاقاً غير مفترق وبناء عليه فقد اصبح لقب اوغسطس والايفريقي علمين لقيصر
 اوكتيان وسيون واصبح النبرونيون قياصرة فكل ذلك لا يعرجانه شيء من الريب
 ولا بنال المدقق في شأنه نوعاً كبيراً وبالعمرى من ذا الذي يغالي في لجنة الاستغراب
 عندما يسمع بعدد الحوول الذي يعزوه المصريون اليهم فليس له اذ ذاك الا ان
 يتصفح تاريخ هيرودت الذي يؤكد لنا بتدقيق وتحرير كما انف المقاتل ان توارخ
 المصريين ليست بذات وثوق الا منذ زمن بساميتيك ابي نوحاً من ستاية او سبعمائة
 سنة قبل المسيح

ولا ريب ان من اشكلت عليه معرفة الزمن المعزول الى دولة الاثوريين الاولى ليس
 عليه الا ان يعلم ان هيرودت ذهب الى انه محصور في مدة خمسمائة وعشرين سنة ووافقه
 على ذلك ايون ودانيوس البكارناس الذي تسامت معارفه في فن التاريخ وطال باعه
 في تاليفه وان استمر احد بعد ذلك جانفاً عن دائرة الحساب السائر قصد ان يستفري
 الحوادث حادثة بعد حادثة والتواريخ التي يخالها حقة تاريخاً بعد تاريخ فيمكن له ان
 يغالي في الحساب السبعيني الذي غادرته البيعة حسب الاوطار والاميال لتنبه الخواطر
 الى الملوك الذين دارت رحى احكامهم في نينوا والى السنين التي كانت تتألق بها بروق
 حوهم وطولهم والى سلالات ملوك مصر باي نوع يود تنظيمها وتاريخ بلاد الصين دون
 ان يتأني له جلاء

وليس من دأني يأسيدي ان امره فيما بعد على افكارك بصعوبات حساب التاريخ
 الذي لانجدبك منه منفعة بيد ان الصعوبة التي طرأت لدينا هنا تبعثني على ابضاها
 لانها ذات بال واما الان فبعد ان غالينا في سرد ما تقتضيه غايتنا الماثورة جدت بنا

النكفة الى ان نشفي الى تسلسل الابعصار مدققين .

العصر الثامن

في قورش او عود اليهود من سبي بابل

(الاجل السادس للعالم)

ان الملك قورش لما اتبرى الى رفع عماد دولة الفرس دبت الغيرة في فواده جاهداً واصدر الامرا الى ظرائق وحواشيء حسب اصطفاء العلي له لينفذ شعبه من مخالف الرق ويشيد هيكله الاقدس وقد كان ذلك في سنة ٢١٨ بعد بناء مدينة رومية سنة ٥٢٦ قبل المسيح سنة ٧٠ بعد سبي بابل . ولما ذاعت ايامه في الاقطار والامصار وقرعت عوافها ابواب الاذان عاد زربابل ويشوع بن صادق عظيم الكهنة بالاسرى فسادوا الهيكل الثاني واقاموا ريم المذبح واما السمرة الذين طالما اخدمت في افتدتهم نيران الحسد عليهم فقد رغبوا في ان يضافروهم على ذلك العمل المبرور متفقين معهم بوحدة الكلمة والرأي ولذلك هروا الى زروبابل طالبين اليوان يوزن لهم باسعاده على بناء الهيكل بحجة انهم يعبدون اله اسرائيل وان خلطوا بعبادته عبادة الهتهم الكذبة لكن اولاد يهوذا سئمت منهم نفوسهم ضجراً وعياً وانفوا من تلك العبادة المجترئة فرفضوا طلبهم واقاموا عليه نكيراً ٥٢٥ فلما تخفى ذلك لديهم ورأوا خيبة مسعاهم جدوا في احياء الخيلة والخداع ونصب حبال المكر وتظاهروا بالعسف والجور . واما في رومة فبهتة من ذلك الان عزم سرفيوس توليوس بعد ان اوسع اسوارها وابذخها ان يجعل الحكم فيها جمهورياً لكن مسعاه اصبح حابطاً فانه قتل وهو خائن في غرب ذلك الفكر براى ابنته وامر صهره تركوين المتجبر ٥٢٢ فحكم حيث يشاء هذا الجائر عاتياً واستمر طويلاً يعثو في الارض مفسداً واما دولة الفرس فاستمرت تنتوى يوماً بعد يوم وامتدت شوكتها في الاخياء والانحاء وتعزز مصالحها في قلوب الاولياء ففتحت المدائن وفضلاً عن انها رفعت لواء سطوتها فوق اقاليمها الجمة في اسيا الكبرى رضخت لشوكتها اسيا السفلى الشاسعة البرور وطاطأت لها رؤوس الاعراب والسريران ومع حرص المصريين على شرائهم رضخوا الى سننها وحافظها على نظامها ومبادئها وكان الفتح ٥٢٥ بواسطة كيش

بن قورش يد أن ذلك الملك الذمير لم يحيَ طويلاً بعد موت اخيه اسمرديس الذي قتله خفية نفيماً لما بدا له في حلم ذي غموض ٥٢٢

وأما اسمرديس المجوسي فقد تولى الملك حنبة بلنثب اسمرديس اخي كميس ولما نفي عنه غشاء النفاق توامر على قتله سبعة من الامراء فاهرقوا دمه غير ماسوف عليه واستوى واحد منهم مكانه على الفرس ملكاً ٥٢١ يدى داربوس بن هيسناسب ونص كثيراً في تواربجه انه منفرد في الشائل ونزاهة النفس وانه اوجد بني الطية ودلائل كثيرة تدل على انه احشوروش الملك المذكور في سفر استير وقد تم فيه غرق ملكه الهيكى بعد ان كان السمرة ذريعةً للتقاعد عن اتمامه مراراً كثيرة ومن ذلك الزمن تسعرت لهب البغضاء والتلى بين تينك الامتين فاخذت اورشليم والسامرة تنناظران وترصد كل الشحاء للآخرى وفي عهد الملك داربوس نشأت الحرية في رومية واثننا ولاح مجد اليونان العظيم لدى الفاصي والداني وانفذ ارمودبوس واريستوجيتون الاثينيان منبت شعبتهما من عنو هيبارك بن بيزيسترث وجوره لكنا تصدى لها ظمراهه المتربون لديه واما تودها بعرار الحسام ٥١٢ واما هيباس اخو هيبارك فقد شمر عن ساعد العزيمة ليقى مكانة اخيه فحبط مسعاه وطرده الشعب ممتهناً ٥٠٩-٥١٠ ولم تعد اذن نسع بيجور آل بيزيسترث واعنسا فمهم . ولما تخلص شعب اثننا من وثاق العبودية اقاموا نمائل تذكراً لمنقذهم اللذين زحزحوا عن عوانتهم ائثال المكروه وبعد ذلك ازهرت حالة الجمهورية واما فيباس فاذا رأى ان لامل له بالعود الى وطنه الا باعانة الملك داربوس تراعى عليه ملتجئاً فراه على اهمة التسيار الى بلاد اليونان فاتحاً وفي الوقت الذي طرد فيه هيباس كانت رومية تتحرر وتتمزق عنها رداء الظلم واذا رأى الناس استبداد تركوين الجبار وما سؤلت له نفسه من البؤس والسوء كرهوا الحكم الملوكي كل الكراهية وانقاد ابنه سكستوس الى فتك الحرمة وارتكاب الفحشاء فكان ذلك علة تنفيذ دثار بيتي فان ليكريس انني اغصمها عراها المنجل والاستحياء وشق عليها الامر فاتتحت فائار نجيها وخطاب برتيوس الشعب على كل سالته وقاموا على قدم وساق وتواثبوا على الملوك فطردهم مروعين وشيدوا حكم التناصل حسب قصد سرفيوس تولىوس ٥٠٩ لكنا الشعب فقيرت في صدورهم يبايع الحسد فوهنت قوى الساطة وتقلصت الشوكة ومنذ تاسست الفصالية الاولى اساء المرثوسون الظن بنلاربيوس الذي

ذاع صيته بنصره المبين وقوة بأسه في مساورة العدو ولكظم حنق الالهيين سن نواميس
 يصير بموجبها احالة الدعاوى من مجلس الندوة والتناصل الى الشعب اذا مسبت
 الجريمة احد الاهالي ليكون عليهم اقامة العتاب في حق جريرته واما الملوك المجاورون
 فلما سمعوا بطرد التركوبيين وجسوا من ذلك خيفة وقالوا ان هذه النعلة امانة لنا
 وخرق لحمة نواميسنا ولذلك انبروا الى ان يكونوا لم محامين واما بورسينا ملك
 الكليزيين القاطنين اتروريا فقد استشاط من ذلك حنقا وثلك بالسلاح المبرح وكبر
 على رومية متفقا ٥٠٧ ولما اصبحت المدينة على وشك الدثار واشكت ابوابها ان تنفتح للعدو
 نضا هو راسيوس كوكليس الضامي وفهم على الاعداء بقلب اقسى من الصخرة الصماء وقناه
 الرومانيون رافعين الوية النصر واطهروا بسالة احبت لهم حريتهم بعد ان كادت تفصل
 ومن الامور العجيبة ان شابا من المدينة يدعى سفولا احرق به بسعير النار عتابا لها لانها
 لم تصب بورسينا ونالت كليله الفتاة الشهرة العظيمة على ما ابدت من الجرأة الفائقة في
 مضار القتال وادهشت بورسينا نفسه بفرط بسالتها فافضى به الامر حينئذ الى ان يدع
 المدينة مضروبا عليها سراق الامان فتركها وشانها وبقي تركوين واهل بيته لانه يصير
 لم ولا معين واما ايباس الذي تحرش للاخذ بناصر الملك داريوس فقد كان املة في
 النجاح وطيدا ٥٠٠ لان بلاد الفرس تحفزت لاسعاده على نوال الغنيمة فصارت من
 ذلك رهبة في القلوب واستنظر الناس شبوب نار محرقة في اثينا وينا كما كان داريوس
 يتأهب لتلك الحرب الهائلة اوشكت رومية ان تهوي الى دركات الخمول هالكة بعد
 ان كانت دافعت عن نفسها ضد الاجانب فان الحسد الذي ناصل فيها عزز العداوة
 والبغضاء بين الاعيان والشعب فان سلطة القناصل الباطلة ولو دمثها فلادبوس
 بشر بعته فقد بقيت ثقيلة على عواتق الالهيين الذين كانوا كثيري الحرص على استقلال
 الحرية ولذلك نزحوا من المدينة وتوطنوا جبل افنتين ٤٩٢ فقد حاولوا ان ينصحوهم
 بالوعيد فكان ذلك عبثا لكما كلام مينيبوس اكربيا المؤثر الرائق حملهم على الانشاء
 لاخوف عليهم ولا هم يجزنون . فالتزم حينئذ الاعيان ان يروا لذلك الداء دواء ويقبضوا
 للشعب محامين ضد القناصل يدافعون عن حقوقهم ودعوا لاذ ذاك الشريرة التي صار
 بموجبها هذا القضاء مقدسة ومن ذاك الان صار المحامون للشعب واعلن داريوس الحرب
 على اليونان واما صهره ماردونيوس فقد جاز اسيا متوجها انه يجمع اليونانيين بكثرة جيوشه

فوافاه ملسباد الى سهول مرتون ومعه عشرة الف محارب من الاثينين فزارت الحرب بين الفريقين فدارت الدائرة على داريوس وأُذيق مر النكال ٤٩٠ وكانت وقتئذ رومية تظفر بأعدائها الجاورين ولم يكن يخشى عليها الا من شفاق اهلها

وكان في ذاك الوقت رجل له الغيرة الصرفة لحزبه الاعيان يقال له كورثولان وهو من اعظم قادة الجيش فبدلاً من ان تؤدى له الكرامة ويثاب على خدمته المخلصة لوطنه حكم عليه بالطرد من حزب الشعب فشق عليه ذلك جداً وعول على خراب بلاده فجدد له عسكرياً من الفولسك ٤٨٩ وزحف على رومية وإتاهما بالنكبات الويلة وأغلق عليها طرق الامان مضيغاً لكتما امه طلبت اليه ان يكظم عنها غيظته فكف عن التبرمج بها ٤٨٨

واما بلاد اليونان فقد تالت السكينة عقيب موقعة مرتون لكن تلك السيادة لم تبق فيها مديداً فان كركساس بن داريوس وخليفته وحفيد قورش لاه اطوس عزم على ان ياخذ بشار الفرس وايه من اليونانيين فجهز من العساكر الهائلة احد عشر كوة اوسبعة عشر كوة على مذهب البعض من المؤرخين والى من البلاتيين

وزحف على اليونان وتاججت موافد الهبياء بعد ان سبر بحر الفأ ومايتين سفينة فيها عسكر كركساس و فصول الاسلحة وابرقت الاسنة وتطابرت الهامات عن المناكب وانساع الدم على الغبراء غمر ومسيلا اما هونيداس ملك سبرنا الذي لم يكن معه سوى ثلاثماية مقاتل فقد قتل من جيش الفرس عشرين الفا في مضيق جبال الترمويل ثم قتل ورفقائه طراً ٤٨٠ واما كركساس فقد فبت قواته البحرية باراء تيمستوكل الاثيني في تلك السنة عند جزيرة سلاميني ثم رجع عابراً بحر الهلسبون والرعبة والخشية تقفوان اثره ولم يحل من ذلك الحين حول الا تصدى لجيشه الارضي ٤٧٩ عند بلاته بوزانياس ملك لاسيديمونيا وارىستيد الاثيني المدعو الصديق واعملايه وبقائك ماردونيوس حذا الحسام وابتصر عليه وكان ذلك وقت انبثاق الصباح ولما امسى ذلك النهار الرائع وثب يونانيوا اسيا الصغرى الذين كانوا قد القوا عن عوانتهم نير عبودية الفرس واهلكوا من فارس ثلاثين الف راجل في موقعة ميكال تحت قيادة ليونشيد

فباشاع ذلك الفائد الاصيد خبراً معناه ان ماردونيوس وجيشه تنككوا في بلاد اليونان وما ذلك الا ليلي الجراة في قلوب جنوده لكما الاقدار جعلت ذلك الخبر

صادفنا ولم يعلم ان كان علمه بوقوعه موكولا الى تواتر الانباء او الى الصدفة الغربية . ولدين
 ذلك قطع كل يونان اسيا الصغرى رباط العبودية ورفعوا فوق رؤوسهم راية الحرية
 ودوخوا الافطار والامصار وتسلفوا على جبال الفتيبة والانتصار . وقبل ذاك الحين
 جرعوا الترتيبين الاشداء وقتئذ . صاب الذلة في صنليا صاغرين اذ بعثهم المطامع
 الذاتية على ان يوسعوا نطاق سلطتهم اجابة لما حضهم عليه الفرس فكان ذلك وسيلة
 لارهاقهم والابتعاد بهم يدا انهم قسرا عما احيط بهم من النكبات كانوا لا يبرحون يجددون
 مناصدهم في نوال تلك الجزيرة التي تنوي شوكتهم البحرية التي نهافت على طينها جمهوريتهم
 ولم تكن تلك الجزيرة تناط وقتئذ الا بعمدة اليونان ولم تكن محدقة الا لجبهة الشرق
 والفرس ولما كان الفرس مستولين على جزيرة قبرص استنزفت الفيرة بوزانياس ولمصها
 من حباله العبودية ٤٧٧-٤٧٦ ومن ثم قصد ان يجعل وطنه رادحا تحت نير عبوديته
 فحبط بذلك مسعاء قسرا عما وعده الملك كسر كساس من النجاح وقد وقعت الخيانة في
 حقه من فاق الجميع بمبادئه فكانت صباينة المنرطة علته لموت ٤٧٧-٤٧٤ وقتل اربان
 رئيس شرطة الملك كسر كساس في تلك السنة عينها وامر قتله اما لان هذا الخائن ود
 الاستواء على عرش سين اوانه خاف قسوته الرائعة لانه لم ينفذ بسرعة اوامر المجائفة اما
 ارتحشتا الملقب باليد الطويلة ابن كسر كساس فقد دانته له هامة الحكم ولم يلبث ان
 يتبوا سرير الخلافة الا بعث اليه نيمستوكل بكتاب ماله ان يوازره على اليونان لانه كان
 منقيا من منبت شعبه ٤٧١-٤٧٣ فتلاين الملك وتساهل في امر هذا الفائد الماهر وقره
 اليه ورثته رائبا يقوم باوده ونظر اليه بعين الرعاية قسرا عن اوليائه الحاسدين وضم الى
 اكثاف حمايته الشعب اليهودي ٤٦٧ وفي السنة العشرين من ملكه المشتهر بما يعزى
 اليها من الحوادث المهمة اصدر امرا الى تحميا ان يقيم اورشليم من حضب دثارها ويرفع
 اسوارها ٤٥٤ وامر ارتحشتا بشأن ذلك بخلف عن امر قورش لان امر قورش موعز
 به الى اقامة الهيكل وامر ارتحشتا الى المدينة وان الاربع مائة والتسعين سنة من حساب
 الاسابيع تبدأ منذ صدور ذلك الامر المذكور الذي تنبأ عنه دانيال وهو مذكور في نبوته
 وان هذا التاريخ المهم مكن على اساس غير مزعزع وقد نص في تاريخ ازيوس
 ان نيمستوكل صار نفيه في اخر سنة من الاوليات السادسة والسبعين وذلك يطابق
 سنة ٢٨٠ من تاسيس رومية وفي غيره انه اُبعد قبل ذلك الزمن بقليل من الحوول

ولما كانت المياينة جزية بعثتنا الظروف الزمنية على ان نعتد تاريخ ايزيبوس . وهذه الظروف التي اعتمدها ايزيبوس مأخوذة من تاريخ اتوسيديد المورخ الصادق الذي قد تراه مولفه من شائبة اليهتان واشتمر في ثبات النقل وصدق الرواية وقد كان معاصراً لتيستوكل فضلاً عن كونه تقريباً من أبناء اترايه فقد وصل اليها النبأ منه ان تيمستوكل بعث بكتايو الى ملك الفرس ارتخششتا في غرة ملكه وليس من مآرب كورنوليوس نبوس المؤلف القديم العظيم ان ناس الرية احداً في ان هذا التاريخ معول عليه بالاستناد على قول تيسيديد ومصدق مثاله ثبته البراهين السديقة فان مولفنا اقدم من تيسيديد هوشارون من لمساد الذي يذكره المورخ بلوتارك نصغ المنقرون مقاله فراوه منطقاً على ما اثبت في باطن تاريخه وبلتارك نفسه يقول ان تواريخ الفرس اجمع تنطبق على ما ينصه هذان المورخان ومع هذا كله فانه لم يستند على شيء من مثاله ولم يبرز لنا ادلة على عدم اعتماده عليها واما المورخون الذين حصروا حكم ارتخششتا ثمانى او تسع سنوات بعد المحين المذكور فليسوا من ارباب ذلك العصر وليس عندهم من الحجج اليينة ما يؤيد اراءهم فنصارى الامران ابتدا حكم هذا الملك لا بد من ان يكون في اواخر الاوليات السادسة والسبعين وفي مصرية من وقت تشييد رومية ٢٨٠ وبناء على ذلك يتبع ان السنة العشرين من حكمه تنطبق على اخر سنة من الاوليات الحادية والثمانين ونحو ٢٠٠ سنة من تشييد رومية وفضلاً عن ذلك فان المورخين الذين حصروا قبل هذا المحين المعتمد عليه حكم ارتخششتا ليطلقوا بين المولدين قد توهوا ان اباه قد شاركه في ملكه لما بعث اليه تيمستوكل بتلك الرسالة وفي كل حال نرى ان تاريخنا لم يشوه بشيء من اليهتان والمين بل دبته التخرى والتدقيق وصدق الرواية وهذا الركن مأسوس وما بقي من الحساب سهل صنعة وان نسل الاحوال بجملة لديك محسوساً وبعد ان صدر امر الملك ارتخششتا على اليهود بينون مدينتهم ويرفعون اسوارها تايداً لما تنبأ دانيال (١) وكان شهما يدبر مهام ذلك العمل بحكمته وحصافة عفاك وقوة جنائيه قسراً عن السمرة والعرب والعونيين والشعب يجهد كادحاً في احباء هذا العمل الماثور وكان الباشيب الكاهن العظيم بقومهم بمنله وكان الاولياء المحدثون الذي اصطفوا لان يكونوا حاكمين الشعب

قد زادوا البلبله والاضطراب

ورومية التي تشيدت في عهد الملوك كانت في احتياج عظيم الى شرايع هامة تسير
بوجهها جمهورية حسنة ولما اشتهر اليونان بسداد الاحكام اكثر من الانتصار اتخذهم
الرومانيون انودجاً لهم وطفقوا يقتدون بهم ويتعلمون حكمتهم فسبروا مبعوثين الى المدن
اليونانية ولاسيا اثينا لياتوم بشرائعها المناسبة لاحكامهم الجمهورية ٤٥٣-٤٥٢ وفي السنة
الثانية ٤٥١ اقاموا عشرة ولاه اولي ايمه وصوله واطفقوا لهم السلطة ولقبوهم باسم ديسمير فسئوا
لهم شرائع كتبوها على اثني عشر لوحاً على نسق الشرائع اليونانية وقد جعلوها ركناً للشرعية
الرومانية فلما نظر اليهم الشعب ورأوا فيه حسن الطوبه وعلم الجور في نص الشرائع
تركهم يتقلدون السلطة المطلقة لكنهم لم يبقوا في دائر العدالة بل جنسوا عن تلك السابله
وامسوا يعثون ويظلمون ٤٥٠ فكثرت حيثر في رومية الفلاقل والشغب وتاصلت
الاحن والفساد واول ما سبب ذلك فساد ايوس كلوريوس احد هؤلاء (الديسمير)
اي الولاة العشرة. واما فيرجيني فقد تصباها ايوس وانضاه شوها وهيامها فاخذت
الفيرة عليها اباهما ورغب في اهلاكها فقتلها خشية ان تقتنصها حبائل الهوى ولما اهرق دم
ليكراس الثانية هاج الرومانيون وازبدوا وطردها الديسمير بكل حنارة وامتهان
وفي اثناء ما كانت تسن شرائع رومية ويهدبها ذوو الامرة في عهد الديسمير كان عزرا
العالم بشرية الله ونحميا النابض على زمام الشعوب الاية الى اليهودية يصلحان الشعب
ويعتائهم على رعاية شريعة موسى تستنابهما لانها كانا اول من يعكف على رعايتها واول
بند من اصلاحها هوان الرجال ولاسيا الكهنة مندوبون ان يغادروا النساء
الغريات اللاعي اتخذوهن قسراً عما حرّمته الشريعة واما عزرا فقد عكف على الكتب
القدسية وجعل لها انتساقاً ونقحها كل التنقيح واحرز روايات شعب الله القديمة والف
منها سفرى اخبار الايام وازاف اليها تاريخ عصه الذي اتمه نحميا وبكتبهما ينتهي هذ
التاريخ القديم الذي باشه موسى وما زال المؤلفون الذين اتوا فيما بعد حتى الان الذي
نهضت فيه اورشليم من دنارها بتمونه بكل جد وكدح وبينما كان عزرا ونحميا يتمان
السفر الاخير من هذا المؤلف العظيم كان هيرودوت الذي يدعوه المؤرخون
الدينوبون ابا التاريخ قد شرع يكتب تاريخه وعلى هذا يلغى مؤرخو الكتاب المقدس
الاخرون باول مؤلف لتاريخ اليونان ولما برز هذا التاريخ الى عالم الوجود تبين ان

تاريخ شعب الله تقدم عليه خمسة عشر جيلاً من عهد ابراهيم ولقد تصفحنا تاريخ مبرودوت الذي اتصل لدينا ونقرنا في هوامشه لنرى لنا فيه نبأ عن تاريخ اليهود فحبط مسعانا وسقط سهمنا دون القرض المرام وما ذلك الا لان اليونان لم يكونوا يهتمون الا في القصص عن الشعوب الذين كانوا يعرفونهم بسبب الصلات الحربية او التجارية او بسبب شهرتهم . واما اليهودية فبعد ان عبثت بها ايدي اليباب كادت تكون حلقة الحية بعد طوسها ومع هذا فلم تستأهل ان يرنوا اليها باحداق بصائرهم وفي ذلك الزمان المشوه بشوائب الاكدار والحوادث المدلهمه اخذت اللغة العبرانية تبرز باللغة الكلدانية التي كانت لغة بابل لما كان الشعب العبراني فيها في اغلال الاسر . ولقد كان القسم الاكبر من الشعب يقيمها كما يظهر من تلاوة عزرا كتب الشريعة در امام الجماعة امام الرجال والنساء وكل ذي فهم . . . فقرأوا في سفر نورا الله مبلغين المعنى حتي فهموا الفراءة ٢٢ (١) ومنذ ذاك الان اخذت تغل حيناً بعد حين فلم تقدم عليها اعوام كثيرة الا ولم تعد لغة سائرة لان اليهود قد تعلموا من سبي بابل اللغة الكلدانية وبعد ذلك بسبب اتصالهم مع الكلدانيين لانها كانت تضاهي لغتهم مادةً ولهجةً وبناءً على ذلك بعثتهم الضرورة على ان يغيروا احرف لغتهم العبرانية وطلقوا يكتبون الالفاظ العبرانية باحرف كلدانية لسهولة تراكيب الناطقها وشيوع استعمالها فيما بينهم وقد جرى هذا التغير دون عناء وصعوبة لتأرب مخارج احرف اللغتين ومنذ ذاك الوقت لم تتناقل اليهود الكتب المقدسة الا بالاحرف الكلدانية .

بيد أنه وجد في ايامنا هن خمسة اسفار موسى في ايدي السرة مكتوبة باحرف عبرانية قديمة كالأحرف التي على النصامات (اي الابقونات) والآثار التي تنبئ عن الاجيال الدابة وهن الاسفار لا تختلف عما هو في ايادي اليهود الا في محل واحد يلاحظ محل العبادة لله ومع هذا فقد حكم على ذلك بالتزوير فان السرة رعو ان الله اعز اليهم باتمامها على جبل غاريزايم بالقرب من السامرة وقال اليهود لا بد من ان يكون ذلك في اورشليم

وقد يرى ايضاً بعض مباينات جزئية وتضع ان الاباء الاقدمين الذين منهم اوسا يوس

وايرونيوس طالما هذه الاسفار السامرية ونجد في النسخة التي ننداؤها الايدي في هذا
الحين كل السمات التي رسم الاباء بها النسخة التي تكلموا فيها فياسيدي انني مندوب ان
افصح لك باوجز العبارة عن تاريخ السامريين واسفارهم الخمسة رجاء ان تشعربا انار شعب
الله الندية ولذلك يقتضي ان تذكر ان باربعام ابان عشرة اسباط عن مملكة يهوذا
ليوملف منها مملكة اسرائيل التي حاضرها السامرة ٩٢٤-٩١٤ وذلك في عهد رحبعام
بن سليمان بعد ان اغتالت سليمان المنية ٩٧٥-٩٦٢ وكان ذلك عناباً على آثامه . ولما
قضي على هؤلاء الاسباط بالانفصال شق عليهم الامر ونزلوا جانباً الكتب المقدسة التي
كانت من عهد سليمان وداود وتقاعدوا عن تقديم القرابين في هيكل اورشليم ولم يعشوا
ياوامر دينك الملكتين اللذين احدهما هباً الهيكل واعه والاخرشاده وكرسه
اما مدينة رومية فقد أسست ٢٢٥٠ بعد التكوين ٤٢٠٩-٢٢٥٠ وبعد
ان مضى عليها ثلاث وثلاثون سنة من بنائها اي ٢٢٧٢ بعد التكوين
سبق عشرة الاسباط المنفصلون عن يهوذا اسرى الى نينوا وتشعشوا ايدي
سباين الوثنيين

وبعث حصرثون ملك اثور في عهد بالكوتين (١) الى السامرة ليعظموها
٦٧٢-٦٧٧ وقد كانوا قبلاً اثورين فدعوا نيا بعد سامريين وقد اجتزئوا عبادتهم
بين الله العلي والاصنام ونظمهم الملك حصرثون كاهناً اسرائيلياً دمت سجاياهم وعلمهم
عبادة اله الحل اي معرفة النواميس الموسوية لكنه لم يهزم الا اسفار موسى التي حتمت
اليها عشرة الاسباط بكل روض ووقار ونكصوا عن الاسفار المقدسة الاخرى
لاسباب ذكرناها انفاً . فعلى ذاك ارتضع هؤلاء الشعوب من افوايق ذاك التعليم وليشوا
يشابرون على البغضاء التي كانت كامنة في صدور عشرة الاسباط ضد اليهود . ولما
لاين قورش اليهود واباح لهم ان يقيموا هيكل اورشليم ٥٢٥ تصدى لهم السمرق سراً
معارضين مشروعم وتظاهروا علناً انهم يرغبون في الاشتراك معهم بذلك الصنع الجديد
بحجة انهم يعبدون اله اسرائيل وهم لايفتكون يودون العبادة والسجود لاصنامهم وليشوا
بعارضونهم ويصادمونهم لما اخذوا يرفعون اسوار مدينتهم تحت قيادة نحميا فكثرت

الخباء بين الامتين واصبحت كل امّة تساور الاخرى وتظر اليها شزراً

وغدا اولئك الاقوام لا يسلكون السابلة التي بطرقها اليهود واجتهدوا في ان لا يفتندوا بهم في امر من الامور. ولذلك لم يغيروا الاحرف العبرانية باحرف كلدانية وبناء عليه بنيت خمسة اسفار موسى مكتوبة بينهم بالا حرف العبرانية القديمة كما اسلفنا في ما مضى وهرعوا الى الملك اسكندر يستاذنونهم ببناء الهيكل على جبل غرزائم ٢٢٢ فاستأذن عليه عبيدهم منسى اخويثوس الكاهن الاعظم وفرش الدخلة عن لسان النور فحاز الطلب لدن الملك قبولاً. وقد لاح ان السمرة طفقوا يرفعون في ايامه عن عبادة الالهة الافاكة واصبحوا لا يباينون اليهود ويتخذونهم واحداً وهو انهم لا يهودون عبادة الله في اورشليم فنادوا لاسرع بل على جبل غرزائم ومن ذلك تجلو العلة التي لاجلها حرقوا في اسفار موسى الكلام الذي يوعز الى الجبل فصد ان يؤموا لدى الابصار ان التنديس والتكريس ليسا منوطين باورشليم بل به. ولبثت العداوة والفى بين الامتين فزعم السامريون ان هيكل جبل غرزائم يستأثر بذاته ولا تكون العلاقة بينه وبين هيكل اورشليم فكثرت المناظرة والمنازعة وبقيت تخدم نار المشاحنة الى ان ركب متن خلافة مصر الملك بولماوى فيلومينور فطرحوا حيثئذ الدعوى لدى ارباب الحل والعقد واخذت الادلة والبراهين تدور على رحاها فكسبها اليهود استناداً على تواتر الاحوال والتنايد البينة وصدر لهم الحكم من لدن الملك نفسه واما السمرة ففي عرض اضطهاد اتبيوخوس وملوك سوريا لليهود آل بهم الامران بنحازوا اليهم فانبري لم يوحنا هيركان ابن سمعان وفتح بلادهم وطس هيكلهم على جبل غرزائم ١٢٠١٢٩ يدانه لم يمكن له ان يصددهم عن ان يستمروا عابدين الله على ذاك الجبل حيث كان هيكلهم ولا ان يعبدتهم ربهم في هيكل اورشليم فلبثوا معتصمين بعروة تلك العبادة في عهد المسيح الذي قضى بالحكم عليهم فتقوا من ذاك الحين في محلين او ثلاثة في الشرق. فدوخ الامصار احد سواحنا فغفر بهم واتانا بنسخة من خمسة اسفار موسى تدعى سامرية فانضحت لدينا قدميتها ومن ذلك نفث على البواعث التي حملتهم على ان يستمروا على تلك الحال وتجرجع اليهود في عهد الملك ارتخششتا كوهوس الطمانينة والامان واما سيمون بن ملسياد قايد جيوش الاثنيدين فاغضب الملك ارتخششتا على ان يبرم صلحاً يخرق ناموسة. وقد قنط من ذاك الحين ان يظهر على اليونانيين بالارهاب والاذلال فتهاقت على ان ينتهز منزهة شناقهم. ودخيلة الامر

أن قد حدث تنور عظيم بين الاتيين والاسيدومونيين وغرت صدور الاتيين بالمحمد
 واخذنا نتحمان كل بلاد اليونان واوقد باريكس الاتيني نيران الحرب في شبه جزيرة
 البونيز ٤٢١ فاشهر اذ ذلك تيراني ورازبول والسياد والاتيون وبشت العبرة
 برازيداس ويندار الالاسيدومونيين على ان يذودا عن الوطن فهلكا قتيلين . فاستمرت
 تلك الحرب ثلث عشرة مائة سبع وعشرين سنة وكانت نتيجةها حسة للاسيدومونيين قائمهم
 رفلوا برده النصر والاستظهار لان داربوس النغل ابي البدوق ابن ارتخششتا كان يقوم
 بتاصرهم وساورا اثينا قائد جنود لاسيدومونيا البحرية ليزندر فاذاها ذئاب المون وفحيا
 وغير هيئة حكومتها فشرع الفرس انهم عززوا الالاسيدومونيين وانجح لم شوكة عظيمة
 ولاسيا اذ متن وثاق اخائهم ثوروش اليافع ٤٠٤ يوم تمرد على ارتخششتا المثلث بمونون
 لفرط المعية فترصدوا لم بذلك رهبة واحترسا من وقبح الغائلة لان ثوروش اليافع لما
 كان في رواد البحر احالت امة ياديزايس على اخراجه منه فخلص من الادام والاعلال
 واخذ يتوقع الزمن لاخذ ثاره فامال اليه الولاة لفرط حناي وتطوعوا وطوى اسيا الصغرى
 وكر متانلا اخاه فوجج ملكته هجوما وجرحه يث واخذت به الخيلاه كل ماخذ فاصح
 شديد الختروانة ظاننا ان النصر طوع بينه قات قتيل الجسارة والجرأة اما عشرة الالاف
 من اليونانيين الذين كانوا يناضلون معه قابوا الى اوطانهم ايايا تحييا اذ كان يتولى قيادتهم
 في غاية سيرهم كرتوفون الفيلسوف والحبيذ المتضال والثائد الجري الذي ألف تاريخ
 رجوعهم . وواصل الالاسيدومونيين الحمل على مملكة الفرس التي اذاها اجريانوس
 صاب الشاويق والارهاب في اسيا الصغرى غير انه التجأ الى الاباب الى وطه لما شعر
 بالشتاق السائد بين اليونانيين ٢٦٦ وفي ذلك الوقت زحف الرومانيون تحت قيادة
 كميل على مدينة في فناصرها عشر سنوات ونحوها بعد نجاحات متباينة وكانت تلك
 المدينة قصاصي رومية بالسودد والجد . وبعد ان فاز كميل بالنصر المين صوب
 اسنة قوتو على مدينة اخرى يقال لها فيليك فعلق يضيق عليها محاصرا قائم احد معلمي
 النسية مسلما اليوالاد اعيان المدينة امل ان يحظى من لدنه باسمي المكناة قدبت الشهامة
 في رأس الثائد واعاده الى المدينة متكلما مهنا فاضطر الموالو المدينة امتناعهم منه وسلموه
 نفوسهم والمدينة راخضين ٢٦٤ فلم يشأ الرومانيون ان ينفوزوا غنرا ولا يجيئوا الوقت
 بالنصرة بواسطة ذلك الخائن الشيم الذي خدع مولانك الاحداث السذج ثم دخل

الغوليون السونيون ايطاليا واحاطوا بمدينة كلوبوم ٣٩١ وحاصروها فاستظهروا على
 الرومانيين في معركة اليا الشهيرة ٣٩٠ واستولوا على رومية واحرقوها وبما كان
 الرومانيون يدافعون عن نفوسهم في الكيبتول كان كميل المنفي منهم يصلح شوئهم في
 الخارج واستمر الغوليون منبوثين رومية سبعة اشهر ولما التجأ الى ان يجالوا عن ابراهيم
 وبما جروا الى انحاء اخرى نرحوا من البلاد واصحبوا معهم الميام والغنائم . وفي اثناء
 الثورة التي احندمت بين اليونان اشهر ابا مينونداس التيباني بعلمه واستقامته وانتصاراته
 ٣٧١ ومن مبادئه المألوفة ان لا يمين ولو هزلاً . واشتهرت اعماله الماثورة في اواخر حكم الملك
 مثنون ونحت ادارة هذا القائد المفضل نال التهبانيون النوز على اللسدوميين ونكسوا
 شوكتهم واما ملوك مكدونيا فقد اخذت سلطتهم تبدو في عهد الملك فيليبوس ابي اسكندر
 الكبير ٣٥٩

اما فيليبوس ففسراً عن تصدي ملكي الفرس له اخوس وابنه ارسيد وما بادته من
 الموانع التي سببها له في اثينا ديموستينوس بفراط فصاحته وذوده الشديد عن الحرية
 ظهر على اليونانيين مدة عشرين سنة واثقلهم بوعسا ودانت له السلطة المطلقة بعد ان قبض
 على عنان النصر في موقعة كبروني حيث تنكس الاثينيين والتخدين معهم ٣٣٨ واذ كان
 يصلح على الاعداء ويجول ويتلقى صدماتهم بمجن تجلك حانت منه النفائة فرأى ابنه
 الاسكندر وهو في سن الثاني عشرة سنة يحرق صفوف التهبانيين فافتر لذلك سروراً
 وهؤلاء الجنود كانت بينهم الفرقة المقدسة التي تدعى جنودها الاصحاب وكان يحتاج
 فكرها مراراً ان تنكيلها من الامور المستحيلة . وعلى ذلك استولى فيليبوس على بلاد اليونان
 كافة وكان يضافر ابنه الذي كان منتهى آماله واوطاره واخذ من ثم يصلح الشؤون
 ويقدم على المقاصد الحسنة ولم يهجم في بادى الامر الا بتقويض اركان دولة الفرس
 فاغرى اليونان بان يولجوه قيادة جيشهم العام ٣٣٧ ومع ذلك فبقي دثار مملكة
 الفرس الى ان يقوم بعث الاسكندر . وفي ذاك الحين وثب على فيليبوس الملك احد
 خطيري المدينة وقتله في غضون حفلة زفافه ٣٣٦ وما ذلك الا لانه كان قد قضى
 عليه جوراً واعسافاً وفي تلك السنة عينها ابتدر باغواس الخصي لقتل ارساس ملك
 الفرس ونصب مكانه داربوس بن ارزام الملقب بقودومانوس الذي يحملنا فرط بايه
 على اعتقاد الراي الاحق وهو المقول به انه من السلالة الملوكية . وعلى ذلك عكف على

نبؤ المملكة ملكان ذوا بسالة وشما داريوس بن ارزام واسكندر بن فيلبوس فقد كان هذان الملكان يتناظران وتفر صدورهما حسداً وانجلي لدى الناس انهما لم يلد الا ليتنازعا في امتلاك العالم . اما اسكندر فقد ازمع على ان يبط قدمه على مملكته قبل ان يكر على خصمه حاملاً فتأراً بادىء بدء اباه وقهر الشعوب الذين طغوا عليه وتمردوا واستهانوا حدائنه وحطم اليونانيين الذين سولت لهم نفوسهم عبثاً على ان يطرحوا عن مناكبهم نير عبوديته وجعل مدينة ناب طامسة دارسة ٢٢٥ ولم يعرض الا عن مواخاة عترة بندان الذي رنت اشعاره في البلدان اليونانية ولما قوي واصبح مظنراً بتلك المعامع الماثلة زحف على داريوس متولياً قيادة اليونان وواقعه مرات ثلاثاً فاذاقه عرق القربة وقمعه مذلاً ودخل بابل وسوز فائراً ٢٢٠ وجعل برسوبوليس حاضرة الفرس عاقبة دارسة وبسط فتوحاته الى بلاد الهند ٢٢٧

وبعد ان فرى النياقي ودوخ الحواضر مدثراً بشعار الفوز عاد الى بابل ومات فيها وهو في سن الثلاث والثلاثين سنة ٢٢٤ وزفت في ذاك الان ابنة سنايلا السامري الذي تولى بلاد اليهود بامر من داريوس الى منسى اخي الكاهن العظيم فاوقد شرارة الشغب بين اليهود فرغب اليه اخوه يادوس ومجلس اورشليم ان يطلق هذه المرأة الغربية فاي ذلك وانحاز الى السمرة فقتله كثير من اليهود ليكونوا قاصدين عن تلك الاحكام وعزم منسى منذ ذاك الحين على ان يبني هيكلًا بالقرب من سامرة على جبل غرزائم الذي يراه السامريون مقدساً وغداً كاهناً فيه . ولما كان جموعه مقرباً الى داريوس وحائراً من لدنه النعمة وترف العيش وعده بان يجعله مستظلاً تحت ستر حمايته غير ان الاقدار الطارئة كانت أشد عضد له لانه اذ بدا الاسكندر غادر سنايلا ملك الفرس واتاه بجريغ من الجنود ليقيم بناصه وهو محاصر صور ٢٢٢ وبناء على ذلك احسن مثواه وانه كل ما شاء وتمنى واقيم بذلك هيكل غرزائم وقبضت مطامع منسى على غاياتها اما اليهود الذين استمروا مصرين على مواخاة الفرس فقد اتفوا من اسكندر واجعلوا على ان لا يهودوا له الجزية التي طلبها فزحف عليهم قاصداً الانتقام منهم في اورشليم فشعر بذلك المحبر الاعظم والكهنة فبادروا الى لقاء امامهم الشعب راقلين بانواب يتقنه فكظم اذ ذاك غيظه وعاملهم بالرفق والعناية ولما استقر به وبهم الميثاق اسدوا لديه نبوات النبي دانيال التي تنبى عن انتصاره فرنا اليهم بعين الرعاية ومنهم كلما رغبوا اليه

فيه فانتقلوا له اوداء اصفياء كما كانوا للملك الفرس
وفي عرض الفتوحات التي كان يقوم الاسكندر باعبائها كانت رومية شاهقة الحرب
على السنينيين الذين بناوحوها وكانت تضيق ذرعاً عن ان تقعهم باعظم قادتها بايروس
كبرسور ٢٣٤-٢٣٦-٢٣٥-٢٣٤

وبعد ان اغتالت اسكندر برائن الردى تجزأت مملكته اجزاء وذلك لان برديكاس
وبولماوس بن لاغوس واتيكون وسلاكوس وليرماك وانتيباطروا وبه كساندر وكل
الفادة الذين تمرنوا تحت يده على افتخام المعارك حملوا بعد موته على مملكته وقاوها
بالاسلحة وجعلوا كل سرائه اي انسابه واخيه ٢١٨ وامه ٢١٦ واولاده ٢١١ وشقائقه
٢٠٩ ضحية لمطامعهم فانساع في ذاك الحين الدم مداراً ولم يكن يرى الا معامع مشوهة
بالدم الناصع ومواقع لم ير مثلاً من مواقع وشعوب كثيرون من اسيا الصغرى وما يجاورها
عضدتهم تلك الكوارث والبلابل على الاستئلال فبنوا المعازل الحصنة والممالك المحسنة
مثل مملكة البون وبركام وبيتيني . ولما كانت ارضهم خصبة ودانية الفطوف اثروا واصبحوا
في ما بعد ممالك قوية غنية والثقت في ذاك الزمن نفسه ارمينيا عن عانتها نير عبودية
المكدونيين واصبحت مملكة عظيمة مثرية رجة البرور والبلدان وشيدت مدينتها وابنه
الملقب باسمه مملكة كبادوك وكانت مصر اعظم الممالك التي شيدت في تلك الاحقاب
وقد اقامها بتولماوس ٢٢٣ بن لاغوس وملوكها يدعون لاثيديين وسوريا التي وطد
اركانها سيلكوس ٢١٢ وملوكها يدعون السلوسيديين وكانت تخر لصولتها اقاليم في اسيا
العاليا اراضيها رجة وغنية كانت من ذي قبل مخازة الى عهد الفرس وعلى هذا نرى
ان كل قاطني الشرق رضخوا لليونانيين وتعلموا لغتهم . واما قادة جيوش الاسكندر فقد
كانوا يعثون ويحورون على بلاد اليونان نفسها واصبحت مندونية التي نشأت منها
سلاطين الشرق فريسة لمن يتبوء عرشها ونظار اولاد كساندر منها فطرد ديمتريوس
بوليورسيت بن اتيكونوس بيروس ملك البيروت ٢٩٤ الذي كان قد حل في قسم
من هذه المملكة ٢٩٦ ثم طرده ييروس المذكور ٢٨٩-٢٨٧ فطرد ييروس ليرماك
٢٨٦ فطرد ليرماك (٢٨٢ - ٢٨١) سلاكوس الذي قتله بتولماوس سيرانوس المطرود
من مصر وذلك عدداً غير مكثرت بما افضل بوعلي ٢٨٠-٢٨١ ولم يلبث ذاك
الخائن ان تبوء مندونية الا باغته الغوليون حاملين وجندلوه قتيلاً في معركة تعانها

الفرقان ٢٨٠ - ٢٧٩ وفي أثناء الثورات الشرقية اتى الفوليون الى اسيا الصغرى يتقدم
 القائد برنوس وتوطنوا غلاسيا التي دعيت باسمهم وهجوا من ثم على مقدونية فسلبوها ووقعوا
 الرعبة والنشعرب في كل بلاد اليونان ولما حملوا على ميكل ديلف ٢٧٨ بغزوة
 رجع جيشهم الفهري هالكين وكانت هذه الامة تخرك من كل الجهات ولم
 تفر بشيء.

وقبل الحرب التي زارت في ديلف بقليل من الحمول ٢٨٣ اثار السمينيون
 والبروسيون والاتريرون الفوليين القاطنين ايطاليا بان بزحوا على الرومانيين
 وبروعوم فانقضوا عليهم واكثروا قتلاهم وجرحاهم لكنهم لم يكتفوا بما قتلوا ومخروقا بل
 تطالوا الى قتل السفرا فاستشاط من ذلك الرومانيون واعادوا كيدهم الى نخورهم لانهم تجدوا
 في مضمار الوغى واثبهم مائة الضواري وتكلموا اي تنكيل ودخلوا اراضيهم وماجر البعض
 منهم اليها وحملوا عليهم مرتين اخريين فتهروم واغصبوا الباقيين على ابرام الصلح ٢٨٣
 ولما طرد غوليوا الشرق من بلاد اليونان ٢٧٨ - ٢٧٧ اغار على مقدونية دون مانع
 انتيكونوس غوناناس ابن ديمتريوس بوليورسيت الذي كان حاكما بلاد اليونان منذ
 ١٢ سنة دون هدء وسكبة اذ كان يروس مشغولا في جهة اخرى . ولما طرد يروس من
 هذه المملكة حملته المطامع على ان يفتح ايطاليا وذلك بعد ان استدعاه الترنستيون
 لاغاثهم ٢٨٠ لان الرومانيين ظهروا عليهم وعلى السمينيين فلم يكن بهم وقتئذ سند الا على
 يروس فراع يروس الرومانيين بافباله التي كانت ذريعة لان يولوا مدحورين وتغلب
 عليهم في مواقع سبيت له خرابا ٢٧٩ واما التفصل فابريسوس فاعلن الى الرومانيين
 ان الظهور على يروس ليس من الامور المستحيلة وكان ذلك الملك والتفصل يتنازعان
 في كرم النفس منازعة اكثر منها في الاسلحة فاعاد يروس الى التفصل الاسري كافة
 دون فدية قائلا له ان الحرب تكون بالحديد لا بالنفضة وبعث فابريسوس الى يروس
 بطيبيه الخائن الذي وكل على نفسه قتل سيك الملك بالسهم ٢٧٨ . ومن ذلك الوقت
 ذاع دين اليهود وظهروا لدى جميع اليونانيين وكانوا عاثشين بالرفاهية والطاينة حسب
 شرائعهم وملوك سوريا يستلثون انظارهم اليهم ووطن كثيرا منهم في اسيا الصغرى
 اتيوخوس المسمى الاله خنيد سلاكوس فامندوا من هنالك الى بلاد اليونان وتمتعوا في
 كل الجهات بجنوق الاهالي وحرقتهم وكان قد وطنهم قبلا في مصر بتولاموس بن

لاغوس . وفي عهد ابنه بتولماوس فيلادلفوس ٢٧٧ ترجمت كتبهم الى اللغة اليونانية
 وعرفت اذ ذاك هذه الترجمة بالترجمة السبعينية وترجموها كانوا الشيوخ العلماء الذين
 بعثهم اليغازر الكاهن العظيم الى الملك اجابة لامر صدر منه اليه . وقد زعم البعض
 انهم لم يترجموا الا خمسة اسفار الشريعة وان ما تبقى من الكتب القدسية ترجم الى اللغة
 اليونانية في عهد اليهود الذين كانوا في مصر واليونان . اذ من الممكن ان يكونوا قد نسوا
 لغتهم العبرانية القديمة واللغة الكلدانية التي تعلموها وقت سبي بابل . وقد اختلفوا لم
 لغة جديدة مزوجة من العبرانية واليونانية كتبت بها الترجمة السبعينية والعهد الجديد
 يقال لها اللغة الهلانية . ولما امتد اليهود على وجه البسيطة وتداولت انبياءهم السنة البرايا شاع
 صيت هيكلهم في العالم كله فآمنه ملوك الشرق وقدموا فيه المحرقات والقرابين . واما
 الغريون فقد كانوا يرتقبون العواقب التي تنجم من الحرب بين يروس والرومانيين
 واما القنصل كبريوس فقد قمع الملك ٢٧٥ واجهأ الى عبور البحر والانشاء الى بلاد
 الايبرولم يستكن الا زمانا قصيرا لانه عول على الاغارة على مقدونية رجاء ان يعوض
 عن خسائره في ايطاليا . وحصر انيكونوس كوناثاس في نسالونيك وضيق عليه ووضع يده
 على مملكته ٢٧٤ ثم تقوى انيكونوس لما كانت المطامع النسبية تبعث يروس على الحمل
 على اللاسيد مونيون والارجيين فالتقى الملكان معا في مدينة ارغوس حيث احزاب مختلفة
 استصرخوها فدخلوا المدينة من باين مختلفين ونشأت فيها موقعة تشعشع منها الابدان
 فدنا من الملك يروس شاب وجرحه في يده جرحا بليغا ففناه مطاردا فصد الانتقام
 فرأته أم الشاب وهي على سطح صرحها فاهوت عليه حجرا من فوق اخمدت به انفاسه
 ٢٧٢ ولما ملصت الظروف انيكونوس من احبولة عدوه الالذ اثني راجعا الى مقدونية
 التي بقيت منوطة بعمدة سلالة غنيب ثقلبات عظيمة . ومعاهدة الاشيين صدت هذه المملكة
 عن سعة ارضها وقد كانت هذه المعاهدة كبحن الحرية الاخيرة في بلاد اليونان ومنها نشأ
 البطران اللذان رفعوا راية السوءد والفر فوق اليونانيين وهما ارتوس وفيلبومين
 واما التراتونيون الذين كان يروس يعدم باسعاده ايام مواعيد عرقوية
 استنصروا بعد موته اهل قرطاجنة . ومع هذا فقد خابت امالم لان الرومانيين قد تكسوم
 والبروسيين والسمنيين الذين كانوا يواخونهم وبعد حرب استمرت اثني وسبعين سنة
 رضح السمنيون للرومانيين وانتقام قرب ذلك التراتونيون وكل الشعوب المجاورين

الذين لم يمكن لهم المصادمة والدفاع وعلى هذا أصبح كل الشعوب القاطنين ايطاليا يخضعون لشريعة رومية وخشي الغوليون الذين داهمهم مراراً الجيوش الرومانية ان يبدأ ثورة مرة اخرى . وبعد ان تقادم على تلك الحروب المستمرة اربع مائة وثلاثون من الحمول استولى الرومانيون على ايطاليا وطفقوا يترقبون الشؤون الخارجية ويعادون القرطبيين الذين يجاورونهم لما نالوا من القوة بفتحهم صقلية حيث كانوا ياتون ليشنوا الاغارة عليهم وعلى ايطاليا بحجة ان يقوموا بناصر الترتانيين

وكانت وقتئذ جمهورية قرطاجنة مسئولة على ضفتي بحر الروم وشاطئ افريقيا وممتدة في افريقية من جهة بوغاز المحيط ومتصلة بواسطة البوغاز الى شاطئ البحر من جهة اسبانيا ومالكة البحر والتجارة . وقد اغارت على جزيرتي كورسيكا وسردينيا ودافع الصقليون كل الدفاع لكنهم قاسوا بذلك عياء وقد طالما انذرت ايطاليا عذاباً وويلًا . وماك علة حروب مع قرطاجنة نشأت قسراً عن المعاهدة التي نكحها القرطبان ٢٦٤

فحرب قرطاجنة الاولى علمت الرومانيين القتال في المهر ٢٦٠ وقد اقتبسوا فناً مجهولاً ضافهم فوراً على نوال النور فان الفصل دويلوس الذي جاهد أولاً في البحر متجسماً المشاق ظفر بالاعداء فرعى ذلك الجند رغولوس وزحف على شواطئ افريقية حيث استخدم كل جيشه في سبيل مساورة الافعى الهائلة . واصبحت قرطاجنة في ازمة شديدة ولم ينقذها من غائلة تلك الحرب الهائلة الاكراتيب السدموني فانه انتفض على القائد الروماني فقمعه واقتاده اسيراً ٢٥٥ وأما رغولوس فان سجنه انالة شرقاً أكثر منه في انتصاره وفوزه لانه بعث به الى رومية لكي يسعى في تبديل الاسرى وليس انه كفيل سوى كلامه فلما لم يجلس الندوة بث رأياً من شأنه الاياس لكل من يقع اسيراً ثم انتهى ليموت بقضاء محنوم وأما الاسطول الروماني فقد غرق مرتين غرقاً مرعباً فالتجأ الرومانيون ان يغادروا سلطة البحر للقرطبيين وبقي الانتصار زماناً طويلاً في ريب بين الامتين واوشك الرومانيون ان يفتخروا وبذلوا لولا ان ينظروا الى امر مستعمراتهم ويصلحوها وقد حصلوا على غلبة النصر في معركة واحدة اتم حربيها الفصل لوتاسيوس ٢٤١ وأرغم القرطبيون على ان يؤدوا الجزية وأخرجوا من صقليا وكل الجزائر التي بين صقليا وايطاليا ونسلط الرومانيون على صقليا برمنها الا ما كان يناط بهمة ملك كان عاقداً معهم الاخاء وهو نيزون ملك سيراكوز . وبعد ان انتهت تلك الحرب الرائعة اخذ

ذوو المناصب السنية يماطلون المجنود بدفع رواتبهم فجاثوا من ذلك وثاروا طالبين حقوقهم فاشتكت قرطاجة اذ ذاك ان تهوي الى مهاوي التاخر واسعدهم على ذلك اغلب مدن دولتهم فاصبحت المدينة على جرف هار من الدمار والويل لولان اميلكار وحك الملقب بباركاس لم ينقذها من ذلك لانه وحده حمل على عاتقه مشقة الحرب الاخيرة مع الرومانيين ومكن آل وطيه من ان يفوزوا بالمتحدين الملقاة الثانية ٢٢٩

وبسبب هذه الحرب فقد القرطاجيون جزيرة سردينيا فان محافظيها المتحدين فتحوا ابوابها للرومانيين. وخشية من ان يطرأ طارىء وتوسع حرب جديدة مع الرومانيين سلم القرطاجيون الجزيرة اليهم قسراً عنهم وأثقلت عليهم الجزية وسولت لهم نفوسهم على ان يحافظوا في اسبانيا على سلطنتهم التي اوهنها تمرد الاهالي. ولهذا جاز اميلكار تلك البلاد مصحوباً بابنه انيبال الذي كان له من الاجل تسع سنوات فمات هناك في موقعة قتيلاً ٢٢٩-٢٣٠ وفي اثناء ما اضرم نارا لهيما تسعة اعوام بشدة البطش والبسالة كان ابنه انيبال الحديث السن يتعلم فن الحرب تحت درايته وتناجح بوساطته البغضاء الدموية في فواده ضد الرومانيين. وبعد موته خلفه صهره ازدروبال وقبض على عنان السلطة بدرابة ودراية وشاد مدينة قرطجة الجديدة التي كانت بسبب مركزها حاملة اسبانيا على الخضوع للقرطاجيين

وكان حينئذ الرومانيون يضرمون نار الوغى على تونا ملكة الليريا التي كانت تعتدي على السفن في كل جهات البحر دون مانع. ولما كانت الخيلاء اخذتها كل ماخذ لكثرة الغنائم التي سلبها من اليونان ولايروت اهانت الرومانيين وقتلت سفيرهم فنهاضوا عليها حالاً وقهروها ٢٢٩ ولم يبقوا تحت سلطتها الا جزءاً صغيراً من الليريا ٢٢٨ ونزعوا من يدها جزيرة كورفو التي كانت قد اختلسها والقوا حرمتهم في بلاد اليونان بسفارة بعثوها اليها رسمياً فذاعت شوكتهم مرة اولى في تلك الامصار

وكان نجاح ازدروبال يحيج في قلوبهم الحسد واما القوليون الناطقون ايطاليا فكانوا يصدونهم عن الاهتمام في احوال اسبانيا ولقد كان القرطاجيون راتعين في مجبوحة السكينة والسلام منذ خمس واربعين سنة وكان الشبان الذين بلغوا اشد ثم في ذاك الحين لا يفكرون في ما خسروا انما من الاتعام والمهام ولذلك اخذوا ينظرون الى رومية بعين التلى ويتهددون بها عذاباً مبرحاً. اما الرومانيون فلكي يهروا اولئك القوليون

الجاورين المتشاكسين فكروا في ان ينالوا طمأنينة من جهة الفرنجيين ولذلك ابرموا عهداً مع ازدروبال واعدا اياهم انه لا يعبر البتة وراء نهر الاير. واحذمت في ذاك الحبث نار العجاء بين الرومانيين والغوليين بحجة من الفيتيين ٢٢٤ وانضم الترتزليانيون (١) الى السيزيلانيين (٢) وقامت الحرب هائجة زائرة فتكفل الرومانيون بالنصرالميين ٢٢٤ واسروا من وسط المعينة كونكوليتانوس احد ملوك الغوليين. وملك اخر منهم يقال له آبروهستوس اخذ به الكمد كل ماخذ فانتحر. فيحتمل عبر الرومانيون الظافرون نهر البومنة اولى وعولوا على ان يستولوا على كل نواحي النهر التي كانت الغوليون يتسلطون عليها منذ اجيال عديدة وكان النصر برافهم ايات رحلوا وحلوا وفتحوا مدينة ميلان وقصارى الكلام ان اكثرية البلاد رخصت لشوكهم

وفي ذاك الحبث توفي ازدروبال ٢٢١-٢٢٠ وخلفه انيبال وهو في سن الخمس والعشرين فاجمع الكل حينئذ على الحرب وعزم انيبال على ان يقع اسبانيا لا يكثرث بما تنص المعاهدات السابقة فنهض الساكوتيون وشكوا امرهم للرومانيين الذين كان وثاق الاخاء شديداً بينهم ٢١٩ فسمع الرومانيون الشكوى بكل اصغاء وبعثوا سفرا الى قرطجة ٢١٩ واما الفرنجيين الذين كانت قد اصطلحت احوالهم فلم يعثوا بالتسليم ولما كان الحشد على الرومانيين متصلاً فيهم لكونهم اخذوا منهم صفلياً وسردنيا وقتلوا عليهم الخراج تحبثوا الوقت لاختد النار ولذلك لم يفر الحزب الذي كان يرغب في تسليم انيبال وكان هذا القائد المجري يزوالى كل امر بعين البصيرة فارسل سفراء سراً الى ايطاليا لينفروا له ميعاد الغوليين الفاطنين فيها واذا كانت هذه الامة غير قادرة ان تبرم امراً بذاتها تحبث الوقت عند مرور ذاك القائد لتنهض من مهاوي حالتها العيسة. فعبر انيبال حينئذ نهر الايروجاز جبال البيراني وكل بلاد الغوليين الفاطنين وراء جبال الالب وعبر جبال الالب نفسها وحمل على ايطاليا بقتة فاخذ الغوليون يدافعون اشد الدفاع عن حريتهم غير متعاضدين عن اكنار الجنود فتعكس الرومانيون اربع مرات وظن الجميع ان دثار رومية قريب ٢١٦-٢١٧-٢١٨ وانحازت صفلياً الى المظفر الفائز لان ابرونيوس ملك سيراكوز اعان انه عدو للرومانيين ٢١٥ واكثرية

(١) الغوليون الفاطنون وراء جبال الالب (٢) الفاطنون بجهة الالب من ايطاليا

شعوب ايطاليا اعرضوا عنهم ولاح ان لم يبق لهذه الدولة ثمال ولا عقد في اسبانيا بعد ان قتل سيبون واخوه ٢١٢ ولدى تلك الآزمة نالت رومية راية الفرج بعد الياس ونجحت من مكائد المعتدين فان ثلاثة من اعيانها وهم فايوس مكسيوس ومرسيلوس وسيبون الشاب قد اندوها من مخالف العدو ونضوا عنها لفاغ العار. فان فايوس مكسيوس كان صبوراً على ملاقاته النائبات ثابت القدم عند الصدام ولم يكن يخجل بالانبياء الذائفة بين البرايا فقبض على زمام القيادة وطلق بحارب انبيال بكل بسالة ونظام. ومرسيلوس حمل انبيال على ان يرفع الحصار عن مدينة نول ٢١٤ وفتح مدينة سيراكوز ٢١٢ ونفوت الجنود باعماله. واما رومية فاخذها العجب والدهشة من ذينك الباسلين فشعرت ان في سيبون الشاب امراً اعظم من ذلك فان آراءه السديدة التي عقيها بحاجة اثبتت ما سمع عنه انه من نسل الاله وان له معهم حق المفاوضة. ولما كان في اجل الاربع والعشرين سنة عول على ان يذهب الى اسبانيا ٢١١ حيث قتل ابيه وعمه فتاجته نفسه ان يحمل على قرطجة المجدبة كان ذلك الهام سماوي ٢١٠ واطبنت جنوده على المدينة ففتحوها عنوة وكان كل من براه براخي الشعب الروماني واخلى له القرطجون اسبانيا مغادريها له ٢٦٠ ولدى نزوله الى شواطئ افريقية طأ طأ له الملوك صاغرين. ولما رأت قرطجة ان الويتها منكسة من كل الانحاء افسحرت رهبة وفاجأها الكرب ٢٠٣ فاستصرخت انبيال لياخذ بيدها ويكون لها نصيراً فذهب استصراخها ادراج الرياح فلم يمكن له ان يذود عن آل وطنه. فسيبون ظهر عليهم وابرم عليهم شروطاً ٢٠٢ فتلقب بالافريقي جزاء لما صنع وبعد ان تغلب الرومانيون على الغوليين والافريقيين لم يبق شيء برهيمهم وبهيمهم ومن ذاك الحين شرعوا يحاربون دون خشية ورهبة

وفي اثناء الحرب الاولى في قرطجة سطا يهودوت والي بكتريان على اثيوخوس الملقب بالاله ابن اثيوخوس سوتر ملك سوريا واخلس منه الف مدينة ٢٥٠-٢٥٦ واتخذ اغلب الشرقيين ذلك الصنع انموذجاً لهم. فمض البريتون عاتين متمردين تحت قيادة ارزاس الذي شاد مملكة امتدت على مهل في كل اسيا العليا وكان ملوك سوريا ومصر لا يتمكون الا في ان يبدي بعضهم بعضاً بالثوة او الخداع وكانت موضوع نزاعهم دمشق وارضها المدعوة سيلي سوريا او سوريا السفلى التي على ثغور الملكتين. وكانت

حيث تدبر إدارة الأمور في أسيا منفصلة عن أوربا وفي ذاك الآن كانت رياض الفلسفة زاهرة زاهرة لدى اليونانيين وكان المذهبان الإيطاليك والإيونيك ينشأ بهما جهابذة سامون وأناس لا يعول عليهم دعاهم اليونان بمحبي العلم وشرع فوثاغورس يشيد في عهد الملك قورش وابنه كمبر المذهب الإبطاليك في بلاد اليونان العظمى قرب مدينة نابولي وكان تاليس الميلازياني يثبت نحو ذلك العصر عينه المذهب الأيونيك ونشأ من هذه المذاهب الفلاسفة الكرام وهم هرقليطس وديموقريطس وإمبيدوكلس وبرمينيدس وإناكراكورس الذي أبان لدى وشك حرب البلوبونير أن العالم فطر روحاً أزلياً . وبعد ذلك الآن نشأ سوفراط وحصر الفلسفة في فحوص السجاياء الحسنة وأضحى إذ ذاك أباً للفلسفة الأدبية وأبد تلميذ افلاطون مذهب الافادمية وأصبح أريسطو تلميذ افلاطون ومعلم الاسكندر رئيساً لمذهب المشاة . وفي عهد خليفة الاسكندر أصبح زينون المذهب بسنيان من مدينة في جزيرة قبرس في مصنف راسه أساس الستوسيين وإن كان يسوغ أن ندعو الذين يجحدون العناية الصمدية والواجبات الانسانية فلاسفة فاييكتور الابتياني أصبح رئيس الفلاسفة الذين يتبنون اليه ويعرفون الفضيلة بالملكة وبعد ايوقراط ابوالطب من الفلاسفة الكرام وانه زاهر بين اقاربه في تلك الاحيان السعيدة لدى اليونان وكان في العصر نفسه عند الرومانيين نوع اخر من الفلسفة لا يتوقف على الجدول والخطابة بل على الفناعة والنافعة واشغال الحقول والحرب ويكافوا كانوا يجوزون الفخر لم ولوطنهم والاسم الروماني ويتغلبون على ابطاليا وقرطجنة

العصر التاسع

في سيبيون اودثار قرطجنة

رضخت قرطجنة للرومانيين سنة الخمسمائة والاثنتين والخمسين بعد تشييد رومية ونحو ٢٥٠ بعد تشييد مملكة النرس ونحو ٢٠٢ قبل المسيح فقد كان انييال يثير خفية الاعناء طالما امكنه ولم ينجم من تمهكاته الا انه بعث اخذاته الاقدمين والمحدثين على تجشم الناثبات السود والتهافت على الهلاك كما انه سبب الهلاك لوطيو وشخصه . فان فيلبوس ملك مقدونية الذي كان الاخاء بينه وبين القرطجيين تشكل ودايمته

فوقه الفصل فليبيوس واصبح ملوك مقدونية تدار عليهم دوائر الضيق وانخلص اليونانيون من تحت اقبال رقيم ١٦٦ وازمع الرومانيون على اباداة انيبال الذي كانوا يرهبونته حتى بعد انكساره . يُد ان هذا القائد الباسل بعد ان التجأ الى ان يولي من وطنه مدبراً آثار عليهم الشرقيين واتى باسلحتهم الى اسيا ١٩٥

واذا اخذ انيبال بيت براهين سديتة على انتيوخوس الملقب بالعظيم يحذر من شوكتهم كل الاحتذار ولم يلبث ان شهر عليهم الحرب ٨٩٣ غير انه لم يعأ بما نصحه انيبال فتفهر براً ومجرأً واغضب على ان يرضخ لما اوعز اليه به ليسيوس سيبون اخو سيبون الافريقي وجعلت جبال الثوروس حدًا . واما انيبال فبعد ان ولي مدبراً من بلاد الرومانيين اتخذ بوزانياس ملك بتوني ثمالاً له فبعث اليه الرومانيون بمن سقاء سماً فاماته ١٨٢ واصبحوا رهبة في كل الارض لا يتعاملون على دولتهم دولة فتفاطرت اليهم الملوك واسدوا اليهم اولادهم تاميناً ومكث انتيوخوس ملك سوريا الملقب بايفان ابن انتيوخوس الاعظم زماناً مدبداً في رومية مرهوناً لكن في نحو اخر حكم اخيه البكر سيلاكوس فيلويانور بدله الرومانيون ١٧٦ بديمتريوس ابن الملك وكان له من العمر عشر سنوات . وفي عرض ذلك اغتالت المنية سيلوكوس واخلس انتيوخوس مملكة خنيد ١٧٥ وكان وقتئذ الرومانيون يفكرون في شومون مقدونية ١٧٣ حيث الملك يبرسي كان يلقى مجاوريه ولم يكن يراعي حرمة الشروط التي التفت على ابيه فيلبوس . ولدن ذلك اصبح شعب الله تحذفه الابصار ويلم به الامتهان والاضطهاد فان انتيوخوس ايفان كان يحكم كانه معنوه مجنون ولا ينظر الى اليهود الا شراً وعول على هدم هيكلهم واثلاف شريعة موسى وكل الامة اليهودية ١٧٠-١٧١ لكنما سلطة الرومانيين صدته عن ان يتيق مصر فانهم كانوا يباشرون تاجيح الحرب على يبرسي الذي اشتهر بكونه سريع الفصد بطي العمل ففر منه مواخوه لحسته وجنوده لجبائته فقبض على سلطته الفصل بولوس اميليوس واغصبه على ان ياتي امامه صاغراً ١٦٨ واما جنسبوس ملك الليريا فقد عقد حبل الماخاة مع يبروس وعاهد على الدفاع والهجوم فلم يجده ذلك نفعاً فان قائد جنود الرومانيين نكته وتخن من يعد ذلك اسيراً فاصبحت مملكة مقدونية ولاية من المملطنة الرومانية بعد ان استمرت مملكة مستقلة مدة سبعماية سنة ونشأ منها مائة مائتين سنة ملوك اليونان وسائر المشرق .

وكان انتيوخوس الملك يزداد حقاً وغياً على شعب الله ١٦٧ فظمرت اذ ذاك
 مقاومة كاهن من نسل فينه افتناه بالغيرة يقال له متتيا وبدت اوامر التي غادرها بعد
 موته لخلاص شعبه ١٦٦ . وظهر ابنه يهوذا الملقب بالمكابي على اعدائه الكثيري العدد
 ١٦٥ وسما المكابيون وتدرس الهيكل ثانية بعد ان دسسه الوثنيون ١٦٤ وحكم يهوذا
 وبدا مجد الكهنوت المنقر ثانية ومات انتيوخوس ميتة ذريعة بعد ان تاب توبة
 لا يقابلها الميمن بالرضوان والرجة . فان الله كان عليه غضوباً لكثرة ما كان عنلاً زنياً .
 وخلفه ابنه انتيوخوس اوباتور القاصر وكان مهتبه استاذة ليزياس . وفي اثناء صغره
 دخل الهاجس في عقل ديمتريوس سوتر المرهون في رومية ان يتبوا العرش الملوكي
 لكما مجلس الندوة لم ينو له العود الى مملكته لان السياسة الرومانية كانت تؤثر على
 ذلك ملكاً قاصراً . وفي اضطهاد شعب الله مستمراً في عهد انتيوخوس اوباتور والبصر
 الميمن بيد يهوذا المكابي يومئذ كيف شاء ١٦٣ واخذ الشقاق يجي في مملكة سوريا
 ١٦٢ فان ديمتريوس فرّ مدبراً من رومية ورضخت له الرعية صاغرة وانتيوخوس القاصر
 قتل هو ووصيه ليزياس واما اليهود فلم يقابلوا بالاساءة . في عهد ديمتريوس اقل ما
 كانوا يقابلون في عهد سلفائه . وقد الم اليه ما الم اليهم لان قواد جنوده ارفعهم يهوذا المكابي
 وتعلنت يد الفايدي نيكاتور الجبار بالهيكل الذي كان يندره بها خراباً يباباً . وبعد ذلك
 بقليل من الزمن ضاق يهوذا ذرعاً من كثرة الاعداء فقتل وهو يدافع دفاعاً غريباً ١٦١
 فخلفه بالمنصب والشهرة اخوه يونانان ولما ضايقته العدو وسد عليه ابواب النجاة لم يكل عياءه
 وانتهر الرومانيون الزمن لينكسوا الوية ملوك سوريا فاضلوا اليهود تحت سجاج باهم
 وكان يهوذا قد واخاهم فاستروا على الاخاء محافظين . ولما كان الرومانيون رهبة للقاضي
 والداني كان شعب الله لا يسهم ضير ما داموا متسكعين في بطاح حمايتهم ولقد كانت
 سوريا تيمد من كثرة الرزايا زماناً طويلاً واقام سكان انطاكية على العرش ملكاً
 اسكندر بالاس الذي كان يدعي بانه ابن انتيوخوس ايفان ١٥٤ وقد كان ملوك مصر
 اعداء الداء للدولة السورية ولهذا تمهافتوا على ان يكون لهم ضلع في الانقسام رغبة في
 نوال الفائذة من ذلك فانهاز بتولماس فيلوميثور الى الملك بالاس واستعرت نيران الحرب
 شديداً . ففضت الاقدار على ديمتريوس سوتر فجندل قتيلاً ١٥٠ ولم يخلفه للاخذ بدمه
 الا ولدان حديثا السن يقال لاحدهما ديمتريوس نيكاتور والاخر انتيوخوس سبطاناس

وعلى هذا بقي الخنساس غير مذعور ولا مرثات وزفت اليه كهوباترا ابنة ملك مصر واما بالاس فقد ناجته نفسه انه فاز بكل شيء فحاض في بحر النساد فاصبح ممتهماً لدى كل الرعية. وفي الوقت نفسه قض فيلوميتور الدعوى المشهورة بين السامريين واليهود ١٥٠ وكان لا يريح المنشقون المناقضون شعب الله يخازون الى اعدائه. ولكي يجعلوا التيقوس ايفان يتوسم فيهم بعين الرضى كرسوا هيكلهم على جبل غرزائم لجوييتير المضياف ١٦٧ وزيادة على ما كفروا ودنسوا طوحوا في المسئلة تطويحاً وعلقوا يرهون بعد ذاك الحين امام الملك بتولاموس فيلوميتور في الاسكندرية ان هيكلهم له حتى الاوبوية على هيكل اورشليم فتبادر الثريقان الى حلبة المحاكمة والى كل فريق بقطع راسه ان لم يأت بالبينة الصادقة من ايات شريعة موسى على صحة الدعوى. فخصص الحق لليهود وعوقب السامريون بقطع الرؤوس حسب اليهود وسخ ذلك الملك لاونياس من نسل الكهنة بان يني في مصر هيكل هيلوبوليس على رسم هيكل اورشليم فصدر الحكم من مجلس اورشليم ان هذا المشروع مناقض لمطوق الشريعة

وفي ذلك الوقت كانت قرطجة تفرح وتبشع بكل عناء ومشقة ما انقلها به سبيون الافريقي الظافر ولهذا عزم الرومانيون على تظيئها. ومن ذلك انتشبت الحرب في قرطجة من ثالثة ١٤٩ — ١٤٨ ولما اصبح ديمتريوس نكتاتور يافعاً هجم في ان يهبوا ثانية عرش اجداده. وملاينة الخنساس جعلته يتأمل بذلك فوزاً ١٤٦

ولما علم بالاس بشبوية ديمتريوس وما آل الامر الى التضا اضرب من ذلك جداً فانصب حموه فيلوميتور مناقضاً له لان بالاس لم يدعه يتولى على مملكته السورية وطلتته عرسه كهوباترا التي طالما اغراها الطبع بان تزف الى عدوه. ثم قتل هذا الملك جنوده بعد ان نهز في المعمة ومات فيلوميتور بعد بقليل من الحين لكثرة ما اتحن من الجروح. وبناء على ذلك تملصت سوريا من مخالف عدوين الدين وقضى التدر على مدينتين عظيمتين اصبحت عرضتين للدثار في آن واحد. فان سبيون اميليان بعد ان فتح قرطجة الهب فيها النار فاحرقها وقرر بهذا الفوز لقب الافريقي في عائلته وابدى انه اهل لان يكون وريث جبه سبيون العظيم وجرى على مدينة قورنتية ما جرى على قرطجة وتلاشت جمهورية الاشيين في الوقت نفسه. فان التصل مومبوس طبق اسوار هذه المدينة لانها

كانت من المخلعات والزخارف اليونانية وقد كان فيها تماثيل ثمينة لا يعرف لها قيمة عند الرومانيين ننقلها الى رومية . فان الرومانيين كانوا لا يقدرون فنون اليونان وصناعاتهم ولقد كانوا يفتخرون بمعرفة فن الحرب والسياسة والزراعة . وفي أثناء الرزبا التي كانت تلم بسوريا كان اليهود يفتخرون بالقوة والبأس وكان كل من الحزبين يزدحم لاستئالة يونانان اليه وكان نيكاتور الضافر يعاملهم معاملة اخيه ١٤٤ ! ولم يلبث طويلاً الا جوزي على ذلك جزاء مشكوراً . فان اليهود لما رأوا ان الشعوب ناروا عليه امرعوا اليه منتذبة من ايدي العصاة المتمردين فانقل هذا الملك يونانان بالانعام ولكنه لما علم انه ثبت في ملكه رجع الى مشرب ابائهم وعلق يلقى الاذى على اليهود كالسابق . فبدت حيثئذ البلايا والنائبات في سوريا ثانية فان ديودوط الماثل بترينون اتوى على العرش الملوكي وليداً من اولاد بالاس وسماه انتيوخوس الاله واستمر له وصياً مكافضاً واخذ ديمتريوس يعنوا ويحجور في الرعية فهاج الشعب ضده بتأثيرين وجامروا بالعصيان . واصبحت بلاد سوريا مضطربة في افواه الحروب الرائعة وانتزعت يوناناس وجدد المعاهدة مع الرومانيين ١٤٤ - ١٤٣ وقبل ان قتل ترينون مع اولاده مخالفة لعهده كان النجاش ياتيه كيف شاء . وخلصه اخوه سمعان ارضن المسكابين واسعدهم طالعا فضافه الرومانيون كما كانوا يصافرون اسلافه

واما ترينون فلم تكن خيائته الملك الناصر اتل ما كانت ليونانان فانه امات هذا الولد بواسطة احد الاطباء بحجة ان الملك الحديث مريض بالمحصاة . فعلى يعالجه معالجتها فاماته ولم يكن مريضاً بذلك ابداً . وبناء على ذلك وضع ترينون يده على قسم من المملكة ورغب سمعان في ان يمنح الى ديمتريوس نيكاتور الملك الشرعي ونال منه حرية وطنه التي تصدى لحرقتها ترينون المتمرده . فدافع عنها اشده الدفاع ١٤٣ ثم طرد السوريين من المعتل الذي حلقا فيه في اورشليم واخرجهم من كل محال اليهودية

وما التي عن عوانتي اليهود نير عبودية الوثنيين ببسالة سمعان قلده المفقود الملوكة وحافظوا عليها لئلا . وقبل ديمتريوس نيكاتور ذلك النظام الحديث ولدى ذلك بدت مملكة شعب الله الجديدة وولاية الاسمانيين المقتدرة بالسلطة الكهنوتية وفي ذلك الحين كانت دولة البرتيين تمتد في بلاد بكتريان والهند بانتصارات الملك

ميريدات اشهم الارزا سيدين واسلمهم . وبينما كان ميريدات زاحفاً على شواطئ النرات
اصبح ديمتريوس نيكاتور الذي استنجد الشعوب الذين داهمهم ميريدات يني آماله على ان
يخضع البرتين الذين طالما اعتدّهم السريان عاتين مقربين . ففاز بذلك احياناً حجة ولما
ثم بالرجوع الى سوريا امل ان يعني تريفون نصب له احد قادة جيوش ميريدات
فخفاً فوقع فيه فلبث اسيراً عند البرتين ١٤١ وصدّ عن تريفون اصحابه بغتة لان كبرياءه
انقلبتهم يوماً وجعلتهم لا يتأسسون على ارتفاع انفه . وفيه مئة اسر ملكهم الشرعي خضع
المصريون لحكم امرأتهم كلبوبترا واولاده ولكنهم الجئوا الى ان يقيموا لهؤلاء الملوك النصر
حمايماً . وذلك الاتزام كان منوطاً طبعاً بانتيوخوس سيدريس اخي ديمتريوس فحدثت
كلوبترا بان تجعل جميع الرعية يعترفون به وقد صنعت اكثر من ذلك لانها لما شعرت
ان قهرت اخاه ميريدات وخليفته كان يعامل نيكاتور معاملة ملك وانّه زوجته بيتيه
رودوغونة اقترنت في نفسها بانتيوخوس سيدانيس واخذت من ثم تحكم بكل اصناف
الاثام والجرائم فحمل انتيوخوس الملك الجديد على تريفون وانضم اليه سمعان لكنا الجائر
بعد ان طرد من كل مستحباته ثم حياته حسبما يستحق ١٣٩ واما انتيوخوس فلما تسلط
على الملكة نسي حالاً خدامة سمعان وقت اصطلاّ نار الحرب وقتله ١٣٥ وبينما كان
يحرز اليه كل قوات سوريا ليناضل اليهود خلف يوحنا هيركان ابن سمعان اباه في
الجهريه وخضع كل الشعب له خضوعاً كاملاً ودافع في حصار اورشليم بكل جرأة وبساله
واما الحرب التي تمهك فيها انتيوخوس ضد البرتين رجاء ان يخلص اخاه من وثاق
الاسر جعلته يلقي على اليهود شروطاً ليست باهظة

ولدن وشك ابرام الصلح رأى الرومانيون لهم اعداء اشدّاء بقاؤون
الملات ويصادمون الناثبات عبدّاهم تخار بكثرتها الابصار ولما كان امونوس من
العبيد محدداً اذاج العبدى في صقلية وافضى الامر بالدولة الرومانية ان تستعمل كل
قوتها لتقهرهم . وبعد ذاك الحين شبت نار الفتنة في رومية بسبب ارث اناكوس ملك بركام
الذي اقامه له الشعب الروماني حسبما اوصى قبل موته ١٣٣ فاخذت البابل تشب في
المدينة . ومن ثم احتدمت ثورة الكريك واصبح الشعب الذي نشأ في عرض ذود
طيارينوس كركوس احداً عيان رومية ذريعة الى هلاكه وذلك بامر صدر من مجلس
الندوة وكان من تولى هذه القلعة سيبون نريكا واما سيبون اميليانوس فقد كان ينفذ

نظام المجنود وهذا الرجل الذي كان قد هدم قرطاجنة هدم ايضاً في اسبانيا ١٢٢
مدينة نوماس التي كانت موضوع رهبة الرومانيين

واما البريتون فلم يمكن لهم ان يصدوا اثيوخوس سيدانيس الذي دان النصر
لجنوده قسراً عن فسادهم الناشئ عن تبرج غرسيا وبدت من بوجنا هيركان الذي
كان قناه في تلك الحرب الرائعة مع اليهود بسالة لانضامها بسالة وطلق الملك يحترم
دين اليهود وعبادتهم وتأييداً لذلك فانه اوقف جيشه ليكون لهم فرصة يحتفلون بها
باحاد اعيادهم

وقد رضى كل شيء امام سيدانيس خضوعاً والتجاً الملك فراهورت الى ان يرجع
ثغور مملكته الى اصلها القديم لكنه لم يأس من النجاح في اموره واخذ يهجم ان اسيره
ديتريوس يكون الواسطة الكبرى لتخسين احواله امكان شن الاغارة على مملكة
سوريا. وحدث في هذه الظروف لديتريوس احوال متباينة فآونة كانوا يطلقون سيالة
وآونة كانوا يهجرون عليه حسبما كان يتفوى الامل او الخوف في قلب حبه ولما مكر
فراهورت انه لم يبق له نجاة الا بنهك يجره في سوريا بواسطة ديتريوس اطلق له
عنان الحرية تماماً

فتغارت حيثئذ الثومون ١٢٠ فان سيدانيس الذي لم يكن عنه شيء من
المجد على احتمال المصاريف الباهظة الا بالسلب رأى الشعب ثائرين عليه طراً قائمين
على قدم وساق فهلك هو وجيشه الذي تظفر مراراً عديدة وبعت فراهورت الى
ديتريوس يطلب اليه المحضور فكان ذلك عبثاً فان هذا الملك كان قد عاد الى
المملكة ورجعت اليه امراته كهولياترا التي لم تكن تود الا ان تكون بيدها الامم. واما
رودوغونة فقد وقعت في مهاوي النسيان واغتتم هذه الفرصة هيركان ونزع مدينة سيشيم
من السامريين وطس هيكل عزيزايم وذلك بعد ما شاده سانا بلا بمايتي سنة. ولم يكن
ذلك الدثار مانعاً للسمرة عن ان يستمروا عابدين على ذاك الطود وليشت الامنان
قاطعتين رباط اللفة والاتحاد. وبعد ان مضى على ذلك المحين عام ضم هيركان كل
بلاد ادوم الى مملكة اليهود بانتصارائه وجعلهم يتبعون شريعة موسى ويتقبلون الختان
١٢٩ واستمر الرومانيون يحامون عن هيركان واغصبوا السوربين على ان يعبدوا له
كل المدن التي نزعوها منه ١٢٨ واما ديتريوس نيكاتور فلم يرجع طويلاً الطائفة والسلام

لكثرة ما كان عند من الكبر والعسف فنار عليه الشعب قصد العصيان . ولكي يوجهوا
 نيران الفتنة اقام المصريون الذين هم اعداء للسوريين ملكاً اخر وهو اسكندر زبينا ابن
 بالاس ١٢٥ فتشكل جيشه ديمتريوس وتوهمت كلويترانها تنال سلطة الحكم باسم اولادها
 اكثر منها في عهد زوجها فقتلته ولم تحسن معاملته ابنا البكر سلاكوس الذي شاء ان
 يتولى السلطة بالرغم عن انها ١٢٤ واما ابنا الثاني انتيوخوس فكان قد حمل على
 العصاة وقهرهم ورجع مظفراً فدمت منه والدته وقدمت اليه كاساً مفعمة سماً ففطن لما
 استبطنت وارغما على شربها فشربتها فماتت قتيلة الجناية ١٢٠ - ١٢١ ولدى موتها
 تأصل النور والشقاق بين اولادها الذين اولدتهم بزوجها الاخوين ديمتريوس نيكاتور
 وانتيوخوس سيدانيس وبقيت مملكة سوريا مضطربة واهنة القوى لا تستطيع وعبد اليهود .
 وفتح لدى ذلك يوحنا ميركان السامرة ١٠٩ لكنه لم يمكن له ان يهدي السامريين الى
 الايمان الحق ثم عبثت يدي المنون بعد ذلك الحادث بخمس سنوات ١٠٧ - ١٠٤
 وبقيت اليهودية ساكنة راضحة لهده ولديه اريستوبول واسكندر جاني الذين تعاقبا بنوال
 السلطة بدون ان يقلعها ملوك سوريا ١٠٦ - ١٠٣ وكان الرومانيون لا يتصدون لهذه
 المملكة الغنية بل غادروها ثلاثي بذاتها لما كانت تمتد عساكرهم في جهة الغرب . وفي عرض
 الحرب التي شبت بين ديمتريوس نيكاتور وزبينا ١٢٥ كانوا قد اخذوا ينسطون وراة جبال
 الالب . وسير سكستوس الذي ظهر على الغوليين الملقين بسليمانين الى مدينة آسيس مهاجرين لم
 يزالوا يلقيون باسمه ١٢٤ وقد كان الغوليون بدافعون عن نفوسهم بوهن فان فايوس قهر
 اللبروج ١٢٢ - ١٢٣ وسابر الشعوب الجاورين وفي نفس تلك السنة التي فيها ارغم
 جريوس امه على ان تشرب كاساً فيها سم اُحيلت الغول النربونية الى مقاطعة رومانية
 ولقيت هكذا ١٢١ - ١٢٠ ولقد كانت الدولة الرومانية تمتد وتحمل في كل الارضين
 رويداً رويداً وتخوض كل البحور المتعارفة . لكن بمقدار ما كانت هيئة الجمهورية تبدو في
 الخارج عظيمة لعظم فتوحاتها كانت داخلتها سيئة وذلك منات من مطامع اهليها المخارقة
 ومنازعاتهم المدنية لان اشرف الرومانيين واشهرهم اصبح اعظم مضغ للدولة الرومانية واني
 الكرك الاخوان بانقسامات لم تنه الا بانتهى الحكم الجمهوري واما كايوس اخوطار بوس
 فقد شق عليه ان يتاسى على موت اخيه العظيم بتلك الهيئة الدموية فتأهب هاتجاً للانتقام
 بحماسة بعثت الناس على ان يخالوا ان روح اخيه تحركت فيه . فاخذ يدحج الاهلين بالسلاح

ضد بعضهم ولما هم على ان يوهي كل شيء مات ميتة اخيه التي كان يود لو يستمر لها مفتاح
وقد كانت الرشوة سائدة في رومية فان جوكورنا ملك نوميديا ١٠٩ الذي التظ بدماء
اخوته الذين كانوا تحت حماية الشعب الروماني دافع عن نفسه بالرشوة اكثر منها بالسلاح
١١٢-١١٦-١١٤ وماريوس الذي فاز به اخيراً لم يكن له
وسيلة للقبض على عنان الصولة والسلطة الا باثارة الشعب على الاعيان ١٠٦

وقامت العبدى مرة اخرى على قدم وساق وجاهروا بالعصيان في صقليا ١٠٣
فلم تكلف ثورتهم الثانية الرومانيين اقل دم من ثورتهم الاولى . وتغلب ماريوس على
الثونيين والسبريين والام الاخرى الشمالية التي كانت قد ولجت غالبا واسبانيا واطاليا
١٠٢ . وعنت له فرصت بانتصاره ليبرز رايًا بتجزئة الارضين ١٠٠ واما ميتلوس الذي
مانع عن ذلك فتد النجيا الى ان يشاء عن ذاك الشأن بسبب الظروف ولم ينجح نار
الشقاق الابد مانتورينوس شامي الشعب وبينما كان الرومانيون يدافعون عن كبادوسيا
ضد متريدات ملك البونيين ويقمعون هذا العدو الالد لدولتهم وبلاد اليونان التي
تمرشت له ٩٤-٨٨ كانت ايطاليا التي اعتادت خوض ٨٦ المعامع بسبب ما شجعت
من الحرب مع رومية او عليها تمرد عليها واشكت الدولة الرومانية ان ثلاثى ٩١
وفي الوقت نفسه كانت السلطة الرومانية تمزق بسبب غضب ماريوس وسيللا ٨٧-٨٨
الذين احدهما اماد الغرب والشمال رهبة والاخر ظفر باليونان واسيا واصبح سيللا ينكل
وطبه الذي اقلته اوقار الرق والعبودية ٨٢ وقد امكن له ان يغادر السلطة المطلقة
اختياريا ٧٩ لكن لم يمكن له ان يدرأ غوائل مثاله السيئ لان كلا كان
يود التسلط

وسرتوريوس المنحرب لماريوس بكل جرأة جند عساكر في اسبانيا ٧٧-٧٤ واتحد
مع متريدات ٧٦-٧٣ فلم يمكن للقوة التوسرية ان تظهر على هذا القائد الجسول ولان
تضيق عليه مذهبا ولم يستطع ماريوس قهر ذاك الحزب الا ببيت الشقاق بين اعضائه
واما سبارتكوس الفارع بالحسام في المراسم ناجته نفسه ان ينفذ السلطة المطلقة بين
الجيش ولقد كان هذا العبد يرهق البرنورين والتناصل متدارما كان متريدات
يعي ليكولوس ٧١ . وتسمرت نار الوغى بسبارتكوس واحزاه حتى اصيبت خطرا على
الشوكة الرومانية . وتعرض على كراسوس اخمادها والجا الامر ان يسير ضد العبدى

وقد كان ليكيكولوس يرقل برداء النصر في الشرق ٦٨ واجناز الرومانيون نهر الفرات
 وشق على قائدهم غير المنكسر من العدد اغصاب جنوده على تادية فريضتهم وكان
 متريدات الذي تنكس مراراً حجة وهو غير ايس من الفرج بعزّز وبنقوى
 وبدا ان حضور بمبيوس كان لا بد منه لاهاد سعي الحرب ولما ارسل لعني متريدات
 طرد من البطار القرصان الذين يدخونها من صفات سوريا الى عواميد هرقل ٦٧
 وتبين حينئذ ان مجده اصبح كاملاً . وقهر هذا الملك الشديد الياس واعسف ارمينيا التي
 اصطفاها متريدات ملجأ وإباريا والباينا اللتين قامتا بناصر وسوريا التي مزقت
 احشائها الاحزاب الداخلية ٦٥ واليهودية ٦٣ حيث الانقسام المتسع نطاقه بين
 الانثوين لم تذر ليركان الثاني ابن اسكندر جاتي من السلطة الاخيلاً وقصارى
 الكلام انه اخضع كل الشرق . بيد انه لم ير محلاً يتم فيه احتفال الظفر بكل اعدائه
 الالاء لولان الفصل شيشرون لم يخلص المدينة من شوب النار التي اعد لها كانيلا
 وعضابة من خطيري رومية . وقد اصبح هذا الحزب الهائل كالحيا المنفور بفصاحة
 شيشرون الخطيب اكثر من انكساره بالسلطة انطونينوس رصيفه في التوصلات . ومع ذلك
 فقد بقيت الحرية في رومية مزعزعة الاركان فان بمبيوس كان متوجهاً ادارة مجلس
 الندوة وكانت المداولات في المسألة يدبر رحاها دولاب لسانه

ولما فتح جواوس قيصر غالباً وارضى لشوكة وطنه هذه البلاد التي هي اكثر افادة
 من كل فتوحاتها ٥٩-٥٨ هان عليه هذه الخدمة ان يشيد سلطته في وطنه ولهذا عزم
 أولاً ان يساوي في المجد بمبيوس ثم يثوقه . وكان كراسوس يهجم في ان يضاهي ذينك
 الخطارين في الكرامة والمجد مثلما يضاهيها في الصولة فتكران غناءه الجسيم يضافه على
 ذلك ولهذا شهر الحرب على البرتين دون تبصر في العاقبة ٥٤ فكان ذلك الدأب
 كيداً في حلقومه وشرارة تهب في وطنه ٥٣ وامتنع الارزاسيد المختلفون الرومانيون
 يهزؤون بما يطعمون وينددون في خمسة قائدهم . واما الغوائل العظمى التي سببها انكسار
 كراسوس فلم تكن العار الذي مس الاسم الروماني بل ذلك منات من اليقضاء بين
 بمبيوس وقيصر ولقد كانت سلطة كراسوس حاجزاً بين الشوكتين لكن ذلك لم يلبث
 طويلاً بعد موته فان الخصمين المستولين على كل القوات الرومانية اصبحا مطايع العنان

وانقطع جبل نزاعهما في معركة دموية فرفل قيصر يرد النصر وبدت قواته في وقت واحد في مصر ٤٥ واسيا ٤٧ ومورنيانيا ٤٦ واسبانيا ٤٥ ولما فاز في كل الحال اصبح متسلطاً في رومية وكل السلطنة الرومانية ٤٤ واما بريوس وكاسيوس فسوّلت لهما انفسهما على ان يقتلاه ليزحزحا عن عاتق وطنهما انقال عبوديته فقتلاه كانه ظالم قسراً عن حله وحيثئذ صوبت على رومية سهام الجور والعنف فسقطت ثانية بين ايدي مركوس انطونيوس وليبيدوس واكتوحيان القيصر الشاب حنيد جوليوس قيصر وابنه بالذخيرة واصبح هؤلاء العتاة الثلاثة المعتسفون عن طريق السكينة يلقون الرهبة في القلوب وهذه الحال كانت كرجح زرع زرع اركان السلام واجتزأوا المملكة الرومانية فتحذف قيصر ايطاليا وظهرت عليه علائم الدعة والحلم بعد ان كان انفاً عاتياً ذمياً وعلق بيدي ابيه سيق للاعمال السيئة يشركائه في السلطة وكل من بقي من الجمهور بين تلالشي هو وبوتوس وكسيوس ٤٢ ولما آباد انطونيوس وقيصر ييدوس ٢٦ ناباريا في حلبة التزل واخذوا يتناضلان ٢١ فامتطت حيثئذ كل القوات الرومانية البحر فحاز قيصر النصر في معركة اكسيك ٢١ وتددت كل قوات مصر والشرق التي كان قد استاقها انطونيوس وراءه فصد عنه اخذاته جنوباً ونفرت عنه كهوباترا التي لاجلها انكف ماله وقوته وسلم لقيصر هرودوس الاديماني المديون له بكل شيء ٢٠ ولذلك لبث متنبواً عرش مملكة اليهود وخضع الكل له صاغرين ففتحت له مدينة الاسكندرية ابوابها واصبحت مصر اقليماً من الدولة الرومانية ولما ايست كهوباترا من رعاية هذه المملكة انقضت بعد انطونيوس ومدت رومية ذراعها نحو قيصر الذي استمر وحك بامر ونهي في الدولة الرومانية باسم اغوستس ولتب امبراطور ٢٧ وسنة ٢٥-٢٤ ذل بالقرب من جبال اليراني شعوب الكتيريين والاستوريين العتاة الجائرين وطلبت مملكة الحبش اليه ابرام الصلح ٢٢ وذعر البريتون منه رهبة فاعادوا اليه الوية الرومانيين التي نزعوها من كراسوس وكل الاسرى . وطلب الهنديون ان يربطوا وثاق الاخاء بينهم وبينه واذعر صايل السخة الرومانيين كل من وطأ الارض حتى بلاد الرائيين او الغريزيين الذين ضاقت عليهم جبالهم ولم يمكن لها ان تكون لهم مهنساً يفهم من الفوائل وخضعوا له بلاد بنونيا ١٢ واعد فرائص جرمانيا ٧ ورضخت الامم القاطنة صفات التزير لنواميس ولما رفل يرد الظفر برّاً ومجرّاً قفل ابواب هيكل جانوس وكان حيثئذ كل العالم راتعياً

في مجيحه الامن والطمانينة ملكه وولد اذ ذاك يسوع المسيح سنة ٧٥٣-٧٥٤ بعد
تشييد رومية

العصر العاشر

في مولد يسوع المسيح

* الاجل السابغ والاخير للعالم *

ما قد تطرقنا الى الامتة المطلوبة من آباءنا وهو ما أتى المسيح وهذه اللفظة مشتقة من
المسيح واستأهل يسوع ان يتلقب بها لانه كان كاهناً وملكاً ونبياً وقد تبانت آراء
المؤرخين على وقت ميلاده بيد انهم قد اتفقت على صحته بضع سنين قبل حسابنا السائر
واما نحن فعمدنا عليه لسهولة ماخذ اذ لا نتوقف بالفحص عن ذلك ومهما يكن من
الامر فحسبنا العرفان انه ولد سنة ٤٠٠ او ٤٦٣ بعد التكوين. وذهب بعض المؤرخين
الى ان ميلاده كان قبل ذلك بقليل من الزمن وذهب غيرهم الى انه كان بعد
وذهب اخرون الى ان ميلاده كان في تلك السنة عينها. وهذا الاختلاف يتاتي من
عدم التحري في تاريخ التكوين او في ميلاد المسيح وعلى كل فان نحو ذاك الحين
ابي السنة الالف بعد تكريس الهيكل وسنة ٧٥٤ بعد تشييد رومية تجسد يسوع المسيح ابن
الله في الازلية وابن ابراهيم وداود في الزمان من كاعبر عنراء. وذلك العصر دعاه
المؤرخون اعظم الاعصار لسبب هذا الحادث العظيم ولان المسيحيين كافة يتخذونه من
اجيال عديدة مصدراً لحساب سنهم ولا ريب في ان هذا العصر في غاية الغرابة فانه
موافق لعود الدولة الرومانية الى السياسة المملوكية في عهد اوغسطس

وازهرت في ذلك العصر الفنون قاطبةً وتسامى الشعر اللاتيني الى اعلى درجة من
الجودة والكمال بواسطة فرجيليوس وهوراسيوس وكان الملك اوغسطس يقوئها ويجزل
اكرامها ويؤذن لها بالدخول امامه

ومات بعد المسيح هيرودس واجتراً اولاده مملكته من بعد واستولى الرومانيون
على القسم الاوفر من تلك الساططة السنة الثامنة
وتكامل حكم اوغسطس بالسودد والمجد السنة ١٤ وخلفه طباريوس الذي تحن

بالذخيرة ابتالة . واصبحت السلطة تتوارثها السلالة القيصريّة وتحتشمت رومية مشفات
عظى لكثرة ما اعتسف طباريوس بسياسة وجار لكما الطمانينة كانت في غير الحال
في اعلى السيادة . واما جرمانيكوس ابن اخي طباريوس فقد كدح وجهه في اخماد نار
الفتنة التي سهرها الجيوش المتردون وبئذ السلطة الملوكية ظهرياً وقهر ارمينوس الجبار
ووصل بفتوحاته الى صفات نهر الالب ١٦ وبذلك رضي عنه الشعوب بواسطة اعماله
واخلصوا له السرية وحسد عمه البربري المتوعر الذي امانه غماً اوساً ١٩ وبعد ان
مضى على حكم طباريوس اربعة حوول ظهر يوحنا المعمدان ٢٨ واعتمد يسوع المسيح بيد
هذا السابق الالهى ٣٠ واعترف الالب الازلي بابنه الحبيب بصوت سماوي . وحل على
يسوع الروح القدس بهيئة حمامة وديعة وظهر اذ ذاك كل الثالث الاقدس . ولما كمل
السبعون اسبوعاً لدانيال النبي علق المسيح بنذر ولقد كان الاسبوع الاخير اهم الاسبوع
كلها واعظمها ومازه دانيال عن غيره حيث كان فيه التعاقد على وشك التقرير ولان
الذبايح القديمة كانت في وسطه قرية الزوال ٨ ويمكن لنا ان ندعو اسبوع الاسرار
لان تثبيت ارسالية المسيح قد كانت به . وظهرت به تعاليمه بعجائب شتى وموته ٢٢ الذي
حدث في السنة الرابعة من اذاره وتوافق تلك السنة للسنة الاخيرة من اسبوع دانيال
الاخير واجتزئت بموت يسوع المسيح الى جزئين

وبناء عليه لا يكون حساب الاسبوع من النضاي المشككة او بالاحرى هو مصنوع
طبعاً فليس علينا الا ان نضيف الى اربعائة وثلاث وخمسين سنة خلت منذ ثلثاية سنة
من تقييد رومية وعشرين سنة من حكم الملك ارتخششتا الثلاثين السنة الاولى من بداعة
الحساب السائر وهي التي تصل الى السنة الخامسة عشرة من ملك طباريوس ومعهودية
المخلص فيكون الحاصل من مجموع هذه السنين اربعائة وثلاث وثمانين سنة ومن سبع
السنوات الباقية الى ثمة الاربعائة والسبعين سنة تكون السنة الرابعة الوسطى هي التي
مات فيها المسيح فعلى ذلك يكون كل ما تنبأ عنه دانيال ظاهراً في الحد المعين بكل
صراحة (١) . وليس لنا من الامر ما يبعثنا على كل ذلك التفسير ولا شيء يلجئنا ان
نعمد في كل تلك الصعوبة ما اوعز اليه دانيال لان المؤرخين المدققين يكفهم ان

بروا في بضع تناطٍ نشأت بين الطرفين ما تفوت به حتى ان الذين ينجسون انهم اولو حجينة بان يحصروا بداءة حكم ارتحششنا او موت المخلص قبيل ذلك او بعينه لا ينجسون في حسابهم وان الذين يرغبون في هميش هذا الامر الصريح بتراج حسابات تاريخية يملصون من تفكيرهم الذي لا يجدهم نفعاً

وماك ما يقتضي معرفته لاجتناب الاشكال في المؤرخين الديويين وادراك الآثار اليهودية على قدر الحاجة . ولا عبرة بالبحث عما يناط بياقي حساب التاريخ . وعدم التجري في تاريخ سنة العالم وسني المسيح يبعث على عدم ادراك سنة ميلاد المسيح قبل او بعد . ومهما كان الامر فن تصف مقالنا وكانت الالمعية متوفرة فيه يفتنه ان ذلك لا يبعث بتوالي المارب الرية . ومع ذلك كن قوم السلوك ياسيدي بحساب التاريخ لتلا تشكل عليك الحادثات ودع العلماء يتنازعون فانهم في كل واحد يهيمون . ولا تعبا بمن يذهب الى ان في التاريخ الديوية كل عجائب المسيح ورسله . وسوف نرى ان في التاريخ خفائق شتى أكثر مما يخالون كالكسوف الذي حدث لدى موت المخلص فان الظلمة المدلهمة التي غشت رداء الارض وقت صليبه في رابعة النهار قد احسبها المؤرخون الوثنيون الذين نقلوا ذلك الحادث الواجب التذكار كسوقاً اعتيادياً واما المسيحيون الغابرون الذين اذكروا ذلك الحادث العظيم امام الرومانيين فقد اعتبروه عجيوبة كبرى نقلها مؤرخوهم المدققون واثبتوها في السجلات العامة وابانوا ان الشمس لا يعتبرها الكسوف في السنة التي مات فيها المسيح حيث الهلال في غاية كماله . وان طراً شيء من ذلك فلا يكون الا من خوارق العادة وقد تصفنا نفس القول في تاريخ فليمون معتوق الملك ادرينانوس وقوله مبثوث في العصر الذي كانت ايدي العامة تتداول تاريخه وقفاه بذلك نالوس المؤرخ السرياني وأشير في تاريخ فليمون الى السنة الرابعة من مايتين واثنين من الاوليات بانها معتبرة كالسنة التي مات فيها المخلص

وقد نهض المسيح من القبر اليوم الثالث تهيماً للاسرار وبدا امام تلاميذه وصعد الى السما بمشهد منهم . وبعث اليهم بالروح القدس وتوطدت حيث تذر اركان البيعة واخذ الاضطهاد يسود ورجم القديس اسطفانوس والقديس بولس آب الى حجر الايمان وبعد ان مضى على ذاك الحين قليل من الزمن مات طباربوس ٢٧ وادهش الناس ابنه بالخبرة كالفنولا بنحشوته وعنوه البربري وارغم الرعية على ان يعبدوه

ويضعوا تمثاله في هيكل اورشليم ٤٠ فقتله شيريماس وانفذ العالم من هذه الآفة ٤١
ثم تولى زمام الامرة كلود يوس قسراً عن خموله وبطله وخرقت عرضه امراته ميسالينا
التي كان يطلبها بعد امانتها ٤٨ وتأهل باكرين بنت جبرما نيكوس ٤٩ وفجعت الرسل
مجمع اورشليم ٥٠ فتكلم فيه بطرس على حسب عادته أولاً. وان الوثنيين الذين آمنوا وسعوا
على الحجة القوية تملصوا من رعاية الشريعة الموسوية بموجب نص الجمع وأبرز الحكم
باسم الروح القدس والبيعة القدسية واذا ع بولس وبرنابا حكمة في الامصار والاحياء ويعتلى
المؤمنين على ان يكونوا له راضخين وهكذا كانت هيئة الجمع الاول

وكان كلود يوس في ذلك الحين قد حرم ابنه برتينا نيكوس ميراثه وتحذ يرون بن
اكرين ابنا له بالذخيرة فحشفت من ذلك امراته وعاطنه كاساً من السم فمات ٤٥ فخلته
ابنه يرون فبرح بها وانتقل على الملكة جوراً واما كوريلون فقد جعل وحن ولا يرون
مرتفعاً الى طبقات الجند والسودد بظهوره على البرتين والادوميين. واخذ في ذلك
الحين يرون يوقد نيران الحرب على اليهود ٦٦ ويضطهد المسيحيين وبذلك كان
امبراطوراً ولا جرت الوفاة وصفاقة الوجه الى اضطهاد البيعة وامات في رومية الرسولين
بطرس وبولس ٦٦-٦٧ ولما كان في ذلك الحين يجور على كل بني الانسان تألبت ضد
الفلوب من كل صنع وناد واذا علم ان مجلس الندوة قضى عليه بان يموت ذريعاً تخير
الانتحار ٦٨ واصبح كل جيش يتخبر له امبراطوراً وانضم جبل الشحاء قرب رومية
وزارت فيها معامع هائلة دموية قتل بها غلباً وأتون وقيتليوس ٦٩ واكتست الدولة
المبرحة في عهد قزباريان جلاب الازتياح ٧٠ بعد ان كانت تصنعها اكف الاضطراب
لكنما اليهود وصلوا لدى ذلك الى جرف هار من الشلف وفجعت اورشليم ابوابها فاندثرت
اي اندثار وابتلعها افواه النار واصبح طيتوس بن قزباريان وخليفته سروراً تنتربو تغور
العالم وتطليب به النفوس. ومضت ايامه كأنها لم تكن مذكورة لانها لم تكن تمر في خلال الحبر
ثم حيي يرون منتصاً بجسم دوميان وتغرز حيث لا اضطهاد ٩٢ وبعد ان اخرج القدس
يوحنا من الزيت السخنان أقصى الى جزيرة بطموس فكتب ثمة رؤياه ٩٥ وبعد ان مضت
على ذلك مدة كتب انجيله وهو معمر تسعين عاماً وانصف بعد ذلك بكونه انجيلياً ورسولاً
ونبياً واستمر اضطهاد المسيحيين منذ ذلك الوقت يذيع ويسود سواء كان يتولى السدة
ملوك اصفياء ام ملوك اشقياء. فتارة كان الملوك والاولياء المبعوضون المتقربون بشيرون

الشعوب ويسبّرون اليهم أوامر تخففهم على ذلك الاضطهاد وتارة كان الشعب يثور عليهم
 وينقم منهم ويرهقهم وهم صابرون. وأتت كان مجلس الندوة يبرز القضاء مبرماً باعنائات المسيحيين
 واذلالهم بموجب أوامر من الملوك أو بحضورهم ففشا الاضطهاد وأصبح عاماً حيث ذل وانساع
 الدم على الأرض غديراً. وصمم المجاهدون على ان يهدموا البيعة فهاجوا وازبدوا ودبت
 الحكة فيهم دينياً مستمراً وعلقت الاضطهادات تتوالى حيناً بعد حين. ولذلك قد حسب
 المؤرخون الكتابيون الاضطهادات فكانت عشرين تمت في عهد عشرة من الملوك ولم
 يأس المسيحيون من نوال الارتياح طول ذلك العناء ولم تسول لهم النفوس على إثارة
 الثورة في غضون النيامهم وتعتينهم. وقد كان الكرب يسّ الاساقفة وذوي القربى أكثر
 من سواهم وكانت كبسة رومية معرضة للاضطهاد أكثر من غيرها تخرق فيها ابدي
 المجاهدين الظالمين. فقتل من الباباوات كثير فاثبتت دماءهم الانجيل الطاهر الذي
 كانوا ينذرون به ومات دوميسيانوس قتيلاً وعلقت الدولة تستكن في عهد نيرفا ٩٦
 ولما كان هذا الملك قد اشرف على الزوال نظراً لما اعتراه من الهرم لم يمكن له اصلاح
 شؤون المملكة فرغب في ان تسود فيها الطائفة والسكينة. ولذلك اصطفى طراجانوس
 وريث ملكه وخليفة له ٩٧ واذ كانت الدولة الرومانية مستكنة داخلتها وفي مضفة
 ذبول النصر خارجاً استمرت تنزوا الى ذاك الملك العظيم بعين الاعتبار ٩٨ وان من
 اقواله التي تداولتها السنة القوم ان الرعية لابد لها من ان تود ان يتصف من مناقب
 الملك بما يود ان يرى في الملك لو لم يكن ملكاً. وقمع الداسيين وذل ملكهم ديسيبال
 ١٠٧-١٠٦-١٠٣ ووسع فتوحاته في الشرق ١١٦-١١٥ واقام على البرتين ملكاً
 وجعل الرعية تستولي على قلوبهم اجمعين وهبهم الى السلطنة الرومانية. ولله دره من ملك
 سعيد لولا ان اغنياء الخمر وصباية حملاه على ان ينطي متن امور تطرح بالعدل جانباً.
 وخلف هذا الحكم الجدير بالنفع للدولة الرومانية حكم الملك ادرينوس الذي تجاذبه
 طرفان من الحسنى والبؤسى فرعى النظام في النيات ١٢٠ وبقي هو نفسه جدياً عائشاً
 عيشة قروية ١٢٢ وخفف عن عواتق الامهين اثنال الخراج ١٢٥ فانبعث اغصان
 الفنون في بلاد اليونان التي هي منهل ذلك ١٢٦ وراع البربر بالسلاح والسلطة ١٣٠
 وانقض مدينة اورشليم من هذه اليباب ودعاها باسم ١٣٥ فلذبت حيث ذل باليا. لكنه طرد
 منها اليهود الذين لبثوا يقرّدون على الدولة ويشورون فكان عليهم شديد الانشام لايامهم

بالتودة ولا يرفق بهم . وهناك حكمه الزاهي مجرور وبهاتفه على جهده الصبابة والغرام واضح
 انطونيوس المزدول المتاله علة لعاره طول حياته ١٢١ واصلح مجده لما اذخر ابناً له
 انطونيوس الصالح الذي تبني مركوس اوريليوس الحكيم الفيلسوف ١٢٨ ولقد كان ذاك
 الملكان يرسخ فيهما خشتان حميدتان ١٦١ - ١٢٩ فان الاب لم تكن نفسه تنجح الا الى
 ابرام الاخاء والصلح ولم تاخذ عن الاغارة سنة الكرى اذا افضى به الامر الى ايجاد نار
 الوغى . وكان الابن يساور العدو في ساحة التزل وبتمك في ان يمتن ربط الصلح بين
 الدولة الرومانية ومناريلها فان اباه قد اوعز اليه ان يفضل انقاذ واحد من رعيته على
 اهلاك دماء الف من اعدائه الكاثخين . ولطالما ضرى البرنين ١٦٢ والمركومانيين
 ١٦٩ واغرام بيسائه . اما الماركومانيون فهم قتل جرمانية فمهم مركوس اوريليوس لدي
 موته وفضائل هذين الملكين بعثت الرومانيين على ان يتفأتلوا باسم انطونيوس . ولا جرم
 ان يجد هذا الاسم لم يكن خاملاً بتفنى لوسيوس فرسيوس اخي مركوس اوريليوس
 ورصينه في الملك اوبسوة لومود ابنه وخليفته ١٨٠ اما لومود فلم يستأهل ان يكون ولداً
 لايه الاروعي فانه نبذ نعيمة غير متسنن باعماله ولذلك اقام عليه مجلس الندوة والشعب
 تكبراً وقد كاشحو بالضغينة وقتلته ولينته وندما واه الاصباء ١٨٠ وخلصه برتيناكس وكان
 باسلاً ذاتداعن النظام الجندي عزباً ولذلك لم يتعد عن ان يكون هدفاً للثائرين
 الذين اقاموه على العرش الملوكي قسراً عن ميله وطرح الجنود الملكة الرومانية وقتلوه
 في سوق الشراء فانبرى المشتري ديدبوس جوليانوس ليشريها فقتله سفاريوس الافريقي
 انتقاماً وكيداً واخذ يدم برتيناكس وجد في السرى طاوياً بساط الارض شرقاً وغرباً
 ونال راية الظفر في سوريا وغاليا ١٩٧ - ١٩٤ - ١٩٥ وبريطانيا العظمى ٢٠٧ - ٢٠٩
 ولقد بارى قيصر في الفوز والفتوح لكنه لم يكن نظيره حليماً حازماً ٢٠٧ وهبت بين
 اولاده قبسة الشقاق فلم يمكن له اخمادها ولما توفاه الله وثب حالاً ابنه اليكر باسيان على
 اخيه جيتا وقتله في حجرهما جوليا ٢١٢ ولقد كان نسته باسكدر نسننا كاذباً . واستمر
 طول ايام حياته ينامي الصروف الرزية بنهك حرمة السكينة فانلاً عائياً فمات موتاً
 ذريعاً . ولم يكن يعبا بما زرع له ابوه فانه كان قد امال له قلوب الجنود والشعوب بتسمية
 انطونيوس فبذ ذلك الاسم غير حافل به ولا مكترث بمجده ٢١٨
 واما هيليو غابال السرياني (او الغابال ابنه او المزعوم كابنه) فقد ستمت منه النفوس

وايف من القوم مزايين المودة التي بهم عليها لقبه انطونيوس^٢ الذي سبب له الظهور على
ماكرينوس . ثم جرته رذائلة الى ان يتصرع كأس الحمام وخلفه ذو قرنيه اسكدر سماريوس
بن ماما فلم يبق لسوء نجت العالم على الارض طويلاً بل قضى عليه بعد ان حكم قليلاً .
فكان موته للناس خيراً وقد طالما انبأ انه كان يشق عليه قمع جنوده القاترين
أكثر من قمع اعدائهم الكاشحين . وكان امه التي كانت تقوده باعماله كانت ذرية لمحبه
وبدوخ مكينو كذلك كانت علة لهلاكه ٢٢٥ وقيل في عهده ارتشستنا الفارسي الباسل
سبيد ارتبان الذي كان اخر ملوك البرتيين وقام بتاصر دولة فارس فرقع منارها مرة
اخرى في الشرق ٢٢٢-٢٢٣

وفي ذلك الحين تعززت اركان البيعة الحديثة في كل الارض ولم تمتد في الشرق
حيث بدت اي في فلسطين وسورية ومصر واسيا الصغرى واليونان بل
انما انتشرت في ايطاليا وبين الشعوب الغالبة المختلفة الاجناس وكل مقاطعات
اسبانيا وافريقيا وجرمانيا وكل انحاء بريطانيا العظمى حيث لم تطرق ايضاً
السلطة الجنود الرومانية . وامتدت الى خارج الدولة الرومانية في ارمينية وفارس والهند
والبلدان البربرية كبلاد السرماتيين والداسيين والاندلس والمغاربة والجيوتوليين وكل الجزائر
المجهولة . ولقد نمت بدماء الشهداء والتي الى ضواري الوحش استقف انطاكية القديس
اغناطيوس في عهد تراجانوس ١١٧-١١٦ واما مركوس اوريليوس فقد كان لا يتردد
عن ان يجدل على المسيحيين لكثرة ما كان يرفع التهمة اليه عنهم المنسودون فعمد على
محماتي الدين المسيحي القديس يوستينوس الحكيم وامانه قتيلاً ١٦٣ وقضى بالحرق في
عهد هذا الملك نفسه على القديس بوليكر بوس اسقف ازمير وتلميذ القديس يوحنا وهو
في سن ثمانين سنة ١٦٧ وتجنم الشهداء مصائب شتى وعذابات كثيرة في ليون
وفينا ١٧٧ اقتداء باسقفهم القديس فوتان الذي كان يبلغ من العمر تسعين
سنة وانتشر مجد بيعة غالباً في العالم كله . واما خليفة القديس فوتان القديس
ابريلاوس تلميذ بوليكر بوس فقد اقتدى بسالفه ومات شهيداً في عهد سفاربوس هو
وحم عظيم من المؤمنين ٢٠٢ فكثيراً ما كان المسيحيون يتنفسون الصعداء التبعاً الى
ان نولوا من الاضطهاد ارتياحاً وبناءً على ذلك يذكر ان مرقوس اوريليوس بعد ان
دوخ بلاد جرمانيا وصل بعساكره الى مفازة هيا فاختار الظلمة^٣ بوجنوده كل ما أخذ

فأوعز الى فرقة من المسيحيين ان استغيثوا من ربحكم عسى ان ياتينا بالغيث من عند
مداراً فتنازلوا من لدني الحسنى وتكونوا من المفرجين فخرؤا على الارض جثياً وطفوا
بجوارون الى الله فاستجاب الدعاء وغاث البادية بطير غزير شفعه بانقضاض الصاعقات
المرميات لاعدائه فازوى الملك والجود وبعثهم هذه العجوبة على ان يلقبوا الفرقة
باسم صاعقية فراف الملك بهم وأوصل اليهم المسار فكانوا يؤايقين وأوعز الى مجلس الندوة
ان يرفق بالمسيحيين. وأسباب شتى كانت ذريعة الى توقيف الاضطهاد الى وقت ما أو
تلطفه لهما السخرة الا فاكرون توافدوا اليه واخذوا يهدمون تلك العجايب الى الهبة وانه
اهبطها باستصراخه به وان لم يكن ذلك بخاطر على بال الوثنيين. فاصاخ الملك لسلامهم
وزعم ان منهم مفرغ في اناء اليقين ولذلك لم يتالك ان ياده المسيحيين بالاضطهاد
والقلى ولبت يعنتهم طالما كان يتم الحديث اليه عنهم المنسودون وبورثون. ما بينهم وبينه
واستمر حقد الوثنيين عليهم محمداً والملك يحول عليهم وهم باثسون ودماءهم تصيب في كل
انحاء المملكة بيد انهم لم يتفاعدوا عن ادمانهم الارشاد والاذنار في عرض تاويفهم واذلالهم
ففي عهد سفاريوس وبعد بقليل من الحين ثلاث في البيعة انوار ترتوليانوس الكاهن
الفرطنجي ورعاها واثار الدفاع عنها بقلب نجيحت فيه حماسة لكنه بعد ان كانت تواجيه القلوب
وتقرب المثل اصبح مرشوقاً بسهام المنة والتفديد فان الكبرياء اضلت بصيرته عن روية
الهدى فخرج من حجر الكيسة وتخذ موتانوس المتنبى الدجال مثالا له وديدنا لاعماله
٢٠٥-٢١٥ وكان في ذاك الحين قد بحث الكاهن المفضال القديس اكليمندوس الاسكندري
عن آثار الوثنيين القديمة قصد ادحاضها اما اوريجانوس بن لاندوس الشهيد فقد كان وقتئذ
عالماً معتزاً الكيسة منذ نعومة اظفاره وعلم حقائق عظيمة بخا مرها من الضلال شي لا كبير ولقد
كان الفيلسوف امونيوس يستهم بامر الدين المسيحي فابرزله من فلسفة افلاطون ادلة
وحججاً يترتب عليها ثبوتة واستحق رفعة الشان والكرامة من كل من يعرفه حتى من الوثنيين
ايضاً. وفي ذاك الان قامت شيع كثيرة منها الغنوستيكيون وتباع والتينيانوس وغيرهم من
المجاهدين وتصدوا لحرق شأن البيعة والانجيل بالثرهات والتفديدات الباطلة فانبرى
اليهم القديس ابريناوس وعلى يقاومهم بتفديدات البيع الرسولية وسلطانها ولا سيما بالاستناد على
كيسة رومية اعظم الكنائس التي شادها القديسان الرسولان بطرس وبولس. وهالك ما قال

عنها تريليانوس ان البيعة راسخة الاركان لا يزعرعها المبتدعون ولا تنكس اعلامها اذا
ناوشتها المشقة او اوسقط اشهر علمائها الاحوذيين . وان لها من العادات المقدسة ما بعثت
اليها الاطراء من الناصبين عنها

ولقد كانت الدولة الرومانية تخبط خبط عشواء فان اسكندر بعد ان اغتالته مخالف
المنون ٢٢٥ تولى قاتله الجائر مكسيمينوس في مثالبه مع انه كان من اخلاف القوتيين
اولي العجبة والخشونة . واقام مجلس الندوة من الملوك اربعة بمقابلته ماتوا طراً مدة ستين
غير كاملين منهم غورد يانوس وابنه المقربان لدى الرومانيين ٢٢٦-٢٢٧ واما ابنهما
غورد يانوس اليافع فقد كانت بضاضته لاتصلح ٢٢٨ عن ابراز الحكمة المخارقة التي
يفضّر عنها الكحول المحتكون فاصبح مجنناً للدولة الرومانية التي اوهمت الانقسامات
وفتكت بها ايدي الجائرين . فوثب على الفرس اعدائهما ٢٤٢ ونزع من ايديهم كثيراً
ما غنموه من الملمّ منها وما سلبوه لكنه لم يبيّ طويلاً فان فيليبوس العربي نازل هذا
الملك الصالح وسلبه روحه ٢٥٤ ولما شعر بتولية ملكين اقامها مجلس الندوة انحاز الى
صابور ملك الفرس خشية ان يعتاه وابرم معه صلحاً خرق عرضه وحمله الفرس والذين
٢٤٤-٢٤٥ وقد تفرّرا هذا الملك هو اول الرومانيين الذين غادروا بعض اراض
من المملكة بموجب معاقبة ومخالفة

وقد روي انه لما سعى على السيل القوم جدّ في سبيل الله وتحذ الكنيسة له مثلاً
مستمسكاً بعرونها الوثقى والحق يقال انه طرح بالعسف جانباً واستحال ملاذاً للمسيحيين
يستنصرونه فكاشحه لدايسوس الذي اهرق دمه وجدّد الاضطهاد بكل قسوة . وبناء عليه
اخذ العائون يلومون بابتلاء الله ويضطرونهم

اما البيعة فقد كانت تمتد في الامصار كافة ولا سيما في غالبا يدراً عنها الملك داس
النواب الدامسة فتدّر عليه بزهوق الروح ٢٥١ فكان ذلك عليها وبلاً وشوراً . واما
غالويس وقوليز يانوس اللذان خلفاه فلم يلها عن الاقناع بالبيعة سوى مواليتهم للملك
ولم يكن لاميل يانوس امر سوى بروزو فانيطت الساطة المطلقة بعمة فاليز يانوس
٢٥٢-٢٥٤ فجدّ به من المهمة جاداً واخذ يعلج شئون المملكة بكل اقدام وجراة وهو في
حيز الهرم . لكنه لم يكن جائراً الا على ابناء بيعة الله ٢٥٧ ونال في عهد البابا اندريس
اسطفانوس والتديس قري يانوس استغف قريجنا اكليلي الشهادة قسراً عن خصامها

الذي لم يقطع من بينهما وثاق الإخاء ٢٥٨ ولم يكن ضلال التديس قيريانس الذي كان يشد على معمودية الهراطقة تكبراً بل بنفسه ولا بالكيسة ٢٥٦ واستمر تقليد الكرسي الرسولي مرعياً بقوته الخاصة قسراً عن حجة الفاسدة وحجج بعض انام لم اهمية اخذوا يوميدون مثاله . ولما لبث الجدل قائماً مستمراً نشأ منه كبير مضرة فان سبالبوس قد مزج ثلاثة الاقانيم معاً . فقد ذهب الى ان العلي له اقنوم واحد مثلث الاسماء ٢٥٧ فذلك تعلم تعترف البيعة بغرابة الفاتنة . وابان التديس دينسيوس اسقف اسكندرية لدى البابا سكستوس الثاني كل غي ذلك المبتدع وضلاله اما البابا فقد اقفى الذي تكبده سالته التديس اسطفانوس فبني مجاهداً الى ان بر المضطهدون راسه واخذوا برهقون شماسه التديس لورنسيوس ومجملونه ما لا يستطيع عليه صبراً . وحيث قد اخذ البربر يشنون الاغارة على الدولة الرومانية ٢٦٠-٢٥٨ فان البرغونيين وشعوباً أخرى جرمانية والتوتيين الذين كانوا يلقبون في ما غير بيجيتيين وشعوباً أخرى من الشعوب الذين يقطنون شواطئ البون نوكرسان وراء نهر الدانوب تراحضوا برمتهم الى اوربا واندفعوا يخرقون واغار الفرس والشيثيون الاسيويون على الناحية الشرقية منها وطفقوا بذللون الصعاب ويفسدون . وقبض وقتل الفرس على الملك فاليريانوس غدراً واستاسروه مهاناً ذليلاً يكابد طول حياته الثبور والمشاق وسبوا من بعد ذلك جلته بعد ان مزقوه كل ممزق واستخدموه العوبة لا بدتهم علامة للنصر وركوب متن الفلاح . اما مضافه في الملك ابنة غليانوس فقد كان خامل الراي هيوباً للامور بعد الجبن عن الهيماء فكان ذلك سبباً لانخطاطه الى حضبض الدلة مدحوراً ٢٦٠-٢٦١ وزاحم الملكة الرومانية ثلاثون رجلاً من الظلة العتاة واقسموها قسمة ضئلى . واما مدينة تدمر القديمة التي شادها الملك سليمان فكان قطان عرشها ملكاً عسوقاً يدعى اودينات يفوق كل الظلام الانين عسناً وتأويماً فانه ضيق على البربر وعسف من ايديهم الامصار الشرقية واستوى على العرش ملكاً مجلول وطول . ومن الامور التي تبعث على الدهشة ان امراته زنبوا كانت عاكفة على التسيارعة امام الجيوش وبعد ان زهنت روحه تربت عليها قيادة الجنود فاشتهرت بقوة الفواد وزاومة النفس وفي اليقين انها كانت محرزة الجمال والحناف والمعارف والبسالة ورنا كلودبوس الثاني ٢٦٨ الى الملكة الرومانية وقفاه اورليانوس ٢٧٠ واوسعا خطا فلاحها ونجاحها فرقلت ببرد العز بعد

ان كانت صاغرة ذليلة . وفي غضون تعنيهما النوتين والجرمانيين بانتصارات علنية كانت زنوبا الملكة الاروغية ترعى لبنيها ما فتح ابوه من المدائن وكانت راضية عن الديانة اليهودية . فاهتم بولس السموزاتي بان يجعلها تستمسك عن تلك الديانة قصد ان تعتنق الدين المسيحي فاختلق لها مذهباً على حسب الدين اليهودي فربياً يتعلق بالبحث عن اقنوم المسيح وخيله اليها انه انسان محض وبعد ان اسر تعليمه زمناً نفي الغشاء عنه في مجمع انطاكية وحكم عليه . وقد كان اسقفاً زهوقاً في مدينة انطاكية يتهاافت على الفاء الشعب وامانة السكينة واما الملكة زنوبا فقد دافعت في الحروب التي اجمها اورليان ٢٧٢ متوهمه انها تنال بذلك النصر والغنية فحبط مسعاها لان اورليان نازها غير مستخف بها . وفاز لدى قتالها بلواء الظهور عليها ٢٧٤ . وفي عرض تلك الحروب المستعرة لم يطو كسحاً عن ان يرعى للجنود الحربية الرسوم الرومانية وابان ان ادارة فيالق كثيرة داخلاً وخارجاً دون ان تضيك الدولة موقوفة على ان الجنود لا بد من ثبارهم على اقتفاء النظام وخشونة العيش الفديين

اما الفرنسي فقد جدوا في ان يذيع باسمهم ويقيم الرُواع منهم على بلاد الروم . وقد ثبت انهم ليسوا من محدث واحد بل انهم قلل جرمانيون كانوا يقيمون في شواطئ الرين . ومن اسمهم دليل على انهم كانوا يتسكعون في مجبوحة الحربية فبناصهم اريمانوس مستظراً قبل ان يتبوا سرير الملك . ولما تلك امر قومه نصهم المم وتجرعوا البؤس طول ايام حكمه . ولقد تقرر انه كان عيلاً عانياً لا يمسك عن اهرباق الدماء فتجهمت له الوجوه وصار الناس يكتمون له بالبغضاء والشتاء وقصارى الكلام ان شدة جوره وبهمكة في اهراق دماء العباد بعثاه على ان يفرج كاس الحمام ٢٧٥

وكل رؤساء الجيش الذين كانوا يحسبون منه خيفة ويتوهمون انه سيأدهم بالمخطر الويل تأليت عليه قلوبهم للفتك به واقيم عليهم كاتم اسرارهم رئيساً واقوعوا به فبندلوه قتيلاً . ولما اصبح من الغابرين نقاعد الجنود عن ان يتخبروا لهم ملكاً خشية ان يكون من يتقونه احد قاتليه . واذبت لمجلس الندوة حقوق الخيرة القديم انتخب نيسينوس ملكاً مكانه وفي اليقين ان هذا الملك كان شيخاً وقوراً محبوباً لا تاخذه عن الفضيلة سنة . بيد انه اقام على الجيش من انسابه رئيساً مستكبراً جائراً فنشرت منه القلوب وثارت عليه الجيوش فازهوا روحه وروح ذلك الرئيس العاتي وكان ذلك في الشهر السادس من

ملكه ٢٧٦ وعلى ذلك لم يحين من الاستواء على العرش سوى سبع دمه على بساط
الارض . واما اخوه فلوريانوس فقد تم بان يرث اخاه حكماً لانه كان اخص ورثته
فانكر ذلك عليه الرومانيون فاماتوه بحمد الحسام ونصبوا على السدة بروبيوس
الذي قسر الجيوش على ان يعيشوا طراً كالجنود الذين هم متخبطون بسلك الظلم
فعزيزت احكامه واصبحت السيادة صاغرة لولاثة والسلطة لامر وسلطانه فان الجرمانيين
والفرنسيين تراحموا في قتاله قصد ان يدخلوا بلاد غاليا فالتفتهم الى مضمار النزال
وخرق صفوفهم فخاصوا من امامهم مدبرين فخشي البربر غرباً وشرقاً بأس الرومانيين
ورعوا لم الحرمة رمية من الغائلة ٢٨٠-٢٧٨ ومن ثم رغب في ابرام الصلح واخذ يواتق
الرعية بان الدولة ليس لها اربة الى جنود محبة فبدرت من الجيوش بوادر وتغذوا
كلامة باعتماد على الاستشارة ولما بدهم منه الارهاق والتذليل ثاروا عليه مشغبين . وبعد
ان مضت على ذلك حبة من الزمن اسنوا عليه ورأوا انهم اجمعوا به عدداً وعدواناً
فأثروا من بعده كاروس خليفة له وكان بطلاً صنديداً مستميتاً لدى العراك يؤد
الانهماك في تنظيم الجنود ٢٨٢-٢٨٣

وبعد ان استقر به منصب الملك ثار مخلوقه وقمع البربر الذين كانوا قد اقتنوا
بعد موت بروبيوس ومضى من ثم الى الشرق ليضرب الفرس معجوباً بابه الثاني
نومريانوس . ووكل الى ابنه البكر كارينوس مناصبة الاعداء في ناحية الشمال وكان
قد لقبه بقبصر (هو لقب اقرب مدرجة للوصول الى رتبة الملك) اما الشرقيون فقد
هالهم حرب كاروس جداً لان الشعوب الناطقين بين النهرين تطاطبوا له تطاطوة
الدلالة ولم يمكن للفرس الذين كان الشقاق بينهم سائداً ان ترسخ امامهم اقدامهم بل مرق
شملهم فتنزقوا ابادي سبا . وبينما كان يخفض نفوس المستكبرين ويسفل لديه كل طامع
رفع استأثر به الله بصاعقه بغتة قبل انتهاء مسيره فاصبح ابنه نوميانوس من بعده رثاء
يوصل بيكائه الليل بالنهار فاوشكت مثله ان تسخ لكثرة هيبان الدموع . لكن من
سبر الامور بتنباس البصرة بشعران الغراء بالترشح الى مدارج الملك يبعث على النسوة
والنفر فان حماء آيبر بدلاً من ان يكتب لآكتايو ويرنو اليه بعين الرعاية والرفق
اغراء بتلك الطامع في الملك ٢٨٤ فتطير ديوكيسيانوس من ذلك الجبل العظيم وثار
التبيل بتلك قاتله ومن ثم رجع في دست الخلافة التي كان يقبهاها من صميم قواده . واما

كارينوس فقد كان هيباً وكلاً تخبر نيران الحق في فواده ولكنه لما فقه ما وصل اليه ديوكليسيانوس تقوى وبرز الى مضار القتال فاستحال بطلاً دعيساً واحرب الحرب حيثئذ عليه فقهه وشعث عساكره . واذ رأى جنود عدوه تغلوا منهزمين فقام مطارداً فتصدى له اذ ذاك احد انصاره وقتله كبداً وانتقاماً بحجة انه اغتصب امراته ٢٨٥ فتملص حيثئذ الدولة الرومانية من وثاق اعظم الظلمة المتمردين والبقاة المنسدين

واما ديوكليسيانوس فقد تولى الامم اما بحوله وطوله واما بتكبر فائق ولما اعتز على سرير الولاة شيخ بانفو صلناً فرحف عليه المكاشحون داخلاً وخارجاً وقلوا عليه ابواب الحيص من كل جانب فضاقت عليه عند ذاك المذاهب . واذ لم يجد للتخاح سبيلاً سولت له النفس على اقامة مكسيبيانوس امبراطوراً يسعك على تخبة الاعداء عن ملكه ٢٨٦ غير انه استبقى لنفسه السلطان والامر فتمتزز حيثئذ الملكان فوق الاسق وانتقيا لساكنهما وازعين لقباً كلاً منهما بقيصر فكان من رشح لتلك المرتبة السامية قونستنسوس فلورس وغاليريوس ٢٩٢ - ٢٩١ وانتصبا حيثئذ طراً للدفاع عن الاوطان فلقوا من الاعداء عرق القربة . وثار رومية على ديوكليسيانوس طالبة الحرية فهاجر منها الى نيقومودية حيث اقام سة لعرشه الباذخ واغرى الرعية بان يعبدوه حسب عادة الشرقيين . وفي غضون ذلك ظهر غاليريوس على الفرس فجالوا عن مثاوبهم وغادروا للرومانيين اقاليم حجة ومالك كثيرة ٢٩٧ - ٣٠٢ وبعد ان رأى ان النصرة حازنها جرأته اعتز على قومه ورام ان يخاز عن الرعية فامتن لنب قيصر وعلق بوعد مكسيبيانوس بالامر الويل واما ديوكليسيانوس فقد عراه داء عيائه او هن غتله فاضطره صهره غاليريوس الى ان يتخى عن العرش الملوكي فتخذه مكسيبيانوس اسوةً تسن بها . وبعد ذلك أنيط الملك بهمة قونستنسوس فلوروس وغاليريوس ٣٠٥ - ٣٠٤ ونخب الملكان المعتزلان قيصرين حديثين يقال لهما سفاريوس ومكسيبيانوس

ونالت بلاد غاليا واسبانيا وبريطانية العظى ترف العيش وغضارة العزم زماناً وجيزاً في عهد قونستنسوس فلوروس وكان هذا الملك لا ينجف عن الهجة القوية بل كان يراعي حرمة العدل ويعامل الرعية بحسب العنابة . وقد اتهمه الظهراء والخواشي بانه ثابت العزم على اسقاط بيت المال فابان لم ان عنك خزان شتى تقدمها الرعية اختيارياً لدى الاقتضاء . وكانت سائر الامصار تبتسم اهلوها مشاق الجور والعسف لكثرة

ما كان يعنهم الملوك والقباصع وكان اولوا المناصب السنية يكثرون ظالماً يكثر الملوك فزادت المظالم زيادة جاوزت الحد.

وفي ابان ذلك ذهب بين الناس صيت قسطنطين الشاب ابن قونستنتينوس فلوروس فاخذت الالسة تلجج بالاضطراء عليه وتشوف به النوم الى سوءدد عظيم . بيد انه كان وقتئذ تحت سلطة غاليريوس فاخذ هذا الملك الذميم يطوح به الى مناوئ الخطر والملاك فاغراه يوماً بموابة ضواري الوحش في ملعب كثر فيه المتطلعون . فلم يكن لديه الاسترها ب من الوحش اكثر منه من غاليريوس . فاسرع الفرع من امامه مدبراً واتى اباه فراه مشرفاً على النزح . وفي الحين عينه ٣٠٦ اصبح صهر غاليريوس مكسانس بن مكسيميانوس ملكاً في رومية رغمًا عن حميه . فاخذت نيرن الشقاق وتسعرت جنوة البغضاء والشنآء فعاد ذلك على الدولة بالامور الويلة . وقد بعث الى رومية تبعاً للعادة بصورة قسطنطين الذي خلف اباه فجاره مكسانس بعدم قبولها (فقبول الصور كان دليلاً على الافرار بسلطة الملوك الحديثين) فاخذت التآهبات الحرية تقوم عند الملكين . ومن جهة اخرى سير غاليريوس النيصرسناريوس الى رومية للاجحاف بمكسانس فضيق عليه مذاهب النجاة واسقط عليه الرعة والتشعير ٣٠٧ فتفتى اذ ذاك ان يكون له عضد يقوم بناصه فاستصرخ اباه مكسيميانوس لياخذ بيده فبرز ذلك الشيخ الهرم المطاع من كنه حيث هو قسراً عنه وكدج في ان يطرد حرية ديوقلسيانوس من الحديقة التي كان يحترث ارضها في سالونية فذهب جهده في ذلك درج الرياح

ولما شعر الجنود بان مكسيميانوس امتطى صهوة الملك من اخرى شقوا عصا الطاعة لسفاريوس واتوا امامه صاغرين وقتك ذلك الهرم بسفاريوس . وفي الحين ذاته لما ايقن ان غاليريوس ثابت القدم في مضمار العراك زف ابته فوستا الى قسطنطين رجاء ان يجنازه له نصيراً . فدرى بذلك غاليريوس فاقام ليسيتيوس امبراطوراً يضافن على مقاومة العدو فوغر من ذلك مكسيميانوس حسداً لانه كان متقلداً الربة النيصرية التي نالها حتى الاولوية في الحصول على مدرجة الملك اكثر من غيرها من المناصب الرفيعة ولذلك تعمس عليه الخضوع لليسينيوس . فجاره بالعصيان واستمر مستنلاً في الشرق ولم يبق لغاليريوس من حكمه سوى اللبريا التي تخذها ثمالاً ولجأ بعد ان طرد من ايطاليا . اما

الشعوب الذين تلبسوا متمكنين في الغرب فقد دانوا لمكسيبيانوس وابنه مكسانس وصهر
 قسطنطين بيد ان مكسيبيانوس لم يرغب في ان يشاركه في الملك احد اولاده اوسوام
 ولذلك عن له ان يوقع بابه مكسانس فقصده الى رومية لينتزعها من يده ويطرده
 منها . فحبط بذلك مسعاه لانه اصبح مظلوماً به لا ظاهراً ولما اضاف قسطنطين في غالباً
 استبرغور ختله فراه منطرباً على الكناخة وجانحاً الى الغدر والمخديعة وبعد ان كثر
 العدوان وفشا الفجني عول مكسيبيانوس على ان يحناز ابنته فوستا امل ان يستفزها على
 يعلم . فعلفت تداهيه وتواربه وهو غير عالم بما استبطنت فلما بطن قسطنطين ما ازمع عليه
 مكسيبيانوس من قتله اضجع احد خصمته في سريريه تحقيقاً لذلك فوثب على الخصى
 مكسيبيانوس وقتله فايقن اذ ذاك قسطنطين منه الغدر والوقية فاجهد النفس في قتله
 فعلم مكسيبيانوس بذلك فتيير الانقار ٢١٠ فدرى بذلك مكسانس مولوده فجد في ان
 ينار اياه فعالن بالعداوة قسطنطين واحربت عليه الحرب شديدة فجد قسطنطين جيوشه
 وزحف على رومية ٢١٢ واكب على الثرى ثماثيل مكسيبيانوس وديوقليسبانوس فذهب
 قلب ديوقليسبانوس من ذلك شعاعاً واشرف من كثرة التكد والغم على الهلاك فمات
 واهن الجسم كثيراً . واما رومية فقد جدت في ذاك الآن ان تلاثي الدين المسيحي ولذلك
 اخذت تجهد في سبيل اضمحلاله فكان جهدها وسيلة لتفويته وتشييده وقد روى
 المؤرخون ان غاليريوس كان محدداً للابتداع واصلاً للفساد والاضطهاد للذين طرأ على
 الدين المسيحي اخيراً . فانه قبل ان الجأ ديوقليسبانوس الى الاعتزال عن منصب الملك
 بسنتين بعثه على ابراز النسوة ضد المسيحيين وبذل الهبة في سبيل اعتنائهم وارهاقهم وانتهاك
 حرمة مذهبهم ٢٠٢-٢٠٣ واما مكسيبيانوس فقد كان يانف منهم كل الأنفة ولذلك لم
 يكن ليندفع عن اذلالهم والابقاع بهم . ولقد ظالم اثار عليهم اولى الامر والسائين ومع ذلك
 كله فلم يصل الى ما وصل اليه مكسيبيانوس وغاليريوس من الخشونة والعنف فانها كانا
 بينهما كل يوم في اخلاق ذريعة يتذرعان بها الى الاحجاف بالمسيحيين وتأويقهم وحملهم
 الخلة الدينية على خرق عرض العذارى الابهكار اللاتي لم يباهد الضهد عفانهم اقل من
 ايمانهم . وجد كثيراً في البحث عن الكتب القديمة قصد ازلتها وازهاق اثرها وبناء عليه
 لم يكن المسيحيون يجهنون على ان يدخلوها الى مساكنهم او تتداولها ايديهم ولم يتوال على
 ذلك الاضطهاد الرائع حولاً الا تعزز البغي والفساد ولبث المسيحيون يعنصون بالصبر

مستسلمين بالعروة الوثقى . ولما رأى الشعوب ان لم في الحيوة رمزاً تدلّت قلوبهم دمه
وتحيراً وعلوا انهم على الحق المبين فصرخوا اليهم سرايات يتدينون بدينهم وبعد ذلك لم
يبقى لغاليريوس سبيل يمكنه من الظهور عليهم فبعث يدالاته التي به الى الملكة
فات نائباً كانطيوخوس الى الله متابعاً كاذباً ٢١١ واما مكسيمينوس فقد استمر غالي
الطلب بعنت المسيحيين وبيّح بهم الياء وارعوى قسطنطين الكبير الظافر عن غري
وناب الى بارثو صامحاً قندين بدين المسيح جهاراً ٢١٢

العصر الحادي عشر

في الكلام عن قسطنطين او سلام البيعة

ان قسطنطين الملك قد جنح الى الدين المسيحي مستمسكاً به سنة ثلاث مائة واثني
عشر من ميلاد الرب فاتم لما اخذ يتاصب ماكناس في رومية قافلاً عليه ابواب المناص
والنصر بدا له في الجوامع اعين الجميع صليب نوراني مكتوب عليه ان النصر بيده
مأتاه وشيك فابن ابن ذلك عدة من الله له وراه في الحلم ايضاً فلم يكن من بعده
مستريباً ولما غدا بعد ليلى على الحرب قضى له الهلي حسب وعده فافاراه بالنصر على
العدو الالذ فلم يخلص رومية من عبودية مكسانس والبيعة من اضطهاده ولدن ذلك رفع
الصليب فوق هام الشعوب كانه منسقة في الدولة الرومانية وبنها من غوائل الدهر
وحدثا ٢١٢ فلم يرض على ذلك حين قصير الا قنترليسينوس الخراز الى قسطنطين
مكسيمينوس وافضى به الى مناساة الويل والثبور فكانت نهاية اجله كهابة اجل
غاليريوس فجعل للبيعة بعد ذلك امناً وطانينة واستوثق بنوما منه لنفوسهم فطمرت
بقسطنطين الذي لم ينته ان ارتفاع الاخطار باقتحام الاخطار . ودان له الاستظهار والنصر
ايان رحل وايمان حل وقع البربر برباسه وبأس اولاده . اما ليسينيوس فقد امسك
الشحناء في قلبه وتربص لفرصتها فاستحين واخذ يياده البيعة بالضمم الذم فتمض اليه
قسطنطين واذكي عليه نيران الحرب برأ ومجرأ فاذهله والجهاء الى ان هوي عن سرب
الملكة الرومانية ومن غمة لم يلبث ان عشت به برائن المنية ٢٢٤ .
وفي ذلك الحين التأم المجمع الاول العام في مدينة نيقية ٢٣٥ من بلاد بيتينية بامر

من الملك قسطنطين فضوى اليه ثلاثمائة وثمانية عشر اسقفاً انبط بهمدهم امر البيعة .
فحرموا اربوش الكاهن مجده الوهبة ابن الله وانشأوا قاعدة الايمان بان اجمعوا على ان
الاب والابن سمان في الجوهر . فكان كنه البيعة الرومانية الذين بعث بهم البابا القديس
سيلستروس لم صدر المقام في ذلك الالتئام وكان من زمة وكلاء الكريسي الرسولي احد
مورخي اليونان القدماء وكان الجميع منعقداً تحت رئاسة اربوس اسقف غوردو الشهير
فتصاغر امامه قسطنطين راضخاً لاحكامه معتقداً انها منزلة من لدن الله . اما الاريبوسيون
فقد اضرؤا على غرثهم وضلالهم كتماناً ونظاهاً وبالرضوخ امام الملك يصانعون ويداهنون
ومن الامور المفردة ان الملكة كانت في عهد قسطنطين راتعة في مجبوحة الامن
والارتياح . وبينما كان هذا الملك يظب على ادامة الطمأنينة سائتة في احياء الملكة
باسرها اذ دبت الفتنة والمشاحنة بين سرة قصر فان فوستا زوجته اتهمت ٢٢٦
كمريسوس ابن ضرمتها بانه جد في ان يعاها فحنق جداً من ذلك ابوه وطرح
بالرحمة الوالدية جانباً وعامله بالفسوة اشدّ معاملة واما هي فقد بدا لدى الجسيع افكها
وعلموا انها اختلعت لزوجها ذلك النبا الفاحش اخلاقاً فلم تنقاد عليها الايام الانالت
جزاء ما فعلت فانها ولجت يوماً الحمام لتستحم فقدر الله عليها ان تموت فيه خيفة فعار
ذلك الامر قسطنطين فاستخيا امام القوم لذهاب مكرها وخداهاها بين الخاصة والعامة
بيد ان ذلك لم يخفف مقامه فان والدته غنبت من الفضائل وتلته من الشرف ما ينسبه
ما قرفته به فوستا طول ايامه فانها اكتشفت في خراب اورشليم القديمة عود الصليب
الذي تكاثرت عجائبه والقبور المقدس وقد ازان قسطنطين وهيلانة مدينة اورشليم الحديثة
التي كان قد اقامها اوربانوس والمغارة التي ولد فيها مخلص العالم وكل المحال المقدسة
بها كل حسنة . وبعد ان توالى على ذلك الحين اربعة من الحوول رم قسطنطين
مدينة ييزانس ودعاها القسطنطينية وجعلها مركزاً ثانياً للدولة ٢٣٠ واما البيعة فقد
كانت في عهده مضروباً عليها سرداق السلام والطمأنينة لكن لما تدم لها تلك المحال لانها
كانت في بلاد فارس عرضة لمناسبة المبتدعين . وكثيرون من بنينا استعز بهم الله
مشهدين ٢٢٦-٢٢٦ ولما كان حريصاً على الشؤون العظيمة مترفعاً عن الخسائس
بعثة الشهامة على ان يكلم غبط صابور ملك الفرس عن البيعة وبنينا وبدينه بدين
المسيح فاصبح كانه ارتكب امراً غير معلوم النائية لان جدّه في ذلك الشأن ذهب عبثاً

يَدَّ اَنَّهُ اسْتَمَرَ بِمَخْلَصِ السَّيِّ فِي اَنْ يَهْدِيَ لِلْمَسِيحِيِّينَ سَبِيلَ الْاِيْمَانِ فَلَمْ يَتِمَّكَنَ الْاَمِنْ اَنْ
يَجْعَلَ لَمْ مَلْجَأًا فِي دَائِرَةِ حَكْمِهِ . وَاسْتَأْثَرَتْ رُجْمَةُ الْمَوْلَى ٢٢٧ رَاضِيًا عَنْهُ لَمَّا جَدَّ فِي شَابِلَةِ الْبَرْ
وَالْتَفَتِي عَنَّا الْإِزَارَ لَابْشُوبِهِ وَزَرْ وَلَا شَيْنَ وَلَكِنَّهُ قَبْلَ اَنْ اَغْنَالَهُ الْمُنُونِ شَطْرَ الْمَلِكَةِ ثَلَاثَةَ
أَجْزَاءَ بَيْنَ اَوْلَادِهِ قُسْطَنْطِينَ وَقُسْطَنْطَانِسَ وَقُسْطَنْطَانْتَ فَلَمْ تَطُلْ مَتَهُ أَحْكَامُهُمْ حَتَّى ذَكَتْ
بَيْنَهُمْ نِيرَانُ الْمَكَاشِخَةِ وَالْفَنَنِ فَاِنْ قَبَسَةِ الْحَرْبُ أَضْرَمَتْ بَيْنَ قُسْطَنْطِينَ وَآخِيهِ قُسْطَنْطَانْتَ
لَا نَهْمًا اخْتَلَفَا عَلَى بَعْضِ تَخْوِمٍ فِي مَمْلَكَتَيْهَا ٢٤٠ فَدَارَتْ حَيْثُ نَزَّ عَلَى قُسْطَنْطِينَ الدَّائِرَةُ وَقَتْلُ
فِي تِلْكَ الْحَرْبِ الْهَائِلَةِ . وَكَأَنَّ قُسْطَنْطَانْتَ كَانَ يَكَاشِخُ أَخَاهُ قُسْطَنْطِينَ وَيَتَنَبَّأُ لَهُ مَا أَوْصَلَهُ
إِلَيْهِ كَذَلِكَ كَانَ يَكَاشِفُ أَخَاهُ قُسْطَنْطَانِسَ بِالْبَغْضَاءِ فَانَّهُ لَمَّا رَأَاهُ يَلُمُّ بِإِيْمَانِ نَيْفِيَّةٍ وَبِبَادِي
الْمُهَافَتِينَ عَلَيْهِ بِالْأَضْطِهَادِ وَالْإِرْهَابِ بَرَزَ مُحَامِيًا وَعَلَى بَعَالِهِ وَعَبْدًا وَآغْنِيَالًا مَعَ ذَلِكَ
فَاِنْ الْقُدَيْسِ اثْنَا سُبُوسَ بَطْرِيْرُكَ الْإِسْكَدَرِيَّةِ وَالْحَاجِي عَنْ إِيْمَانِ نَيْفِيَّةٍ كَانَ قَدْ ضَاقَ
ذُرْعًا لِكَثْرَةِ تَجَشُّدِ الْمَشَاقِ الْوَيْلَةِ فَجَعَلَتْ الْبَيْعَةَ مِنْ ذَلِكَ عَجَبًا عَجَابًا . وَطَرَدَهُ قُسْطَنْطَانْتَ
مِنْ كُرْسِيِّ الْبَطْرِيْرِيَّةِ مَهَانًا مَمْنَعًا . لَكِنَّمَا الْبَابَا جُولْيُوسُ الْاَوَّلُ أَمَرَ بِهِ اَنْ يَعُودَ إِلَى
مَقَرِّ تَطْيِينًا لِلْقَانُونِ فَصَدَّقَ عَلَى الْأَمْرِ قُسْطَنْطَانْتَ فَاتَّخَذَ الْبَطْرِيْرُكَ إِلَى اِبْرَشِيْنُو رَاجِعًا
وَأَمَّا ذَلِكَ الْمَلِكُ الصَّالِحُ فَلَمْ يَحْيَ عَلَى الْأَرْضِ زَمَانًا طَوِيلًا بَلْ اسْتَعَزَّ بِهِ اللَّهُ بِأَنْ يَقْتُلَهُ
مَآغْنَانِسُ الْجَائِرُ غَدْرًا ٢٥٠ فَلَمَّا عَلِمَ قُسْطَنْطَانِسُ بِذَلِكَ أَثَّرَ عَلَى ابْنِ يَقْتُلَهُ بِأَنْ يَثَارَ أَخَاهُ
فَنَازَلَهُ وَضَيَّقَ عَلَيْهِ كَثِيرًا فَاتَّخَذَ مَآغْنَانِسُ اَنْ يَتَخَرَّ ٢٥٢ وَلَمَّا عَلِمَ الْإِسْتَفْ
فَالْأَنْسِيُوسُ الْآرْيُوسِي اَنْ عَسَكَرَ مَآغْنَانِسُ الْخَائِلَ سَيَتَشَعَثُونَ مَبْدُودِينَ اسْتِنَادًا عَلَى مَا
عَلِمَ مِنْ بَعْضِ أَخْدَانِهِ الْخُلَصِيْنَ أَقْبَلَ عَلَى الْمَلِكِ وَآخَبَهُ ذَلِكَ مَدْعِيًا أَنَّهُ اسْتَوْحَى إِلَهُهُ
مُسْتَصْرِخًا فَوَحَى إِلَيْهِ أَنَّهُ يَأْتِي قُسْطَنْطَانِسَ بِالْفَتْحِ الْمَيْمَنِ وَفَرَجٍ مِنْ عِنْدِهِ قَرِيبٍ . فَذَعَنَ
لَهُ الْمَلِكُ غَيْرَ عَالِمٍ أَنَّهُ أَفْلَكُ مَصَانِعَ وَوِطَاطُهُ عَلَى تِلْكَ النُّبُوَّةِ الْمَائِنَةِ وَتَدْبِيرِ أَذْذَاكَ
بَدِينَ الْآرْيُوسِيْنَ وَاهْبَطَ الْإِسَاقُفَّةُ الْكَاثُولِيْكِيْنَ عَنْ مَنَاصِيهِمْ وَصَوَّبَ سِهَامَ غَيْظِهِ وَخَنُوْ
عَلَى الْبَيْعَةِ . وَأَمَّا الْبَابَا لِيْبَارْيُوسُ فَقَدْ أَوْهَنَ تَبَرُّمُهُ وَقَنَاطِلُهُ ثَبَاتُهُ ٢٥٧ وَقَدْ كَانَ
أَوْزِيُوسُ الشَّيْخِ عَضْدًا لِلْبَيْعَةِ فَبَرَّحَتْ بِهِ الْعَذَابَاتُ الْمَوْبِقَةُ فَأَرْغَمَ عَلَى اَنْ يَكُونَ جَاحِدًا
وَأَمَّا مَجْمَعُ رِيْمْنِيَّةٍ فَبَعْدَ اَنْ كَانَ قُوِي الْعَزْمِ أَذْعَنَ بِالْخُدَيْعَةِ وَالْجُورِ ٢٥٩ وَلَمْ يَكُنْ فِي
ذَلِكَ الْحَبْنِ شَيْءٌ يَدُورُ عَلَى مَحْوَرِ الْقَانُونِ بَلْ كَانَ الْقَانُونُ مَا يَرْثِيهِ الْمَلِكُ وَمَا يَرْغَبُ
فِيهِ . وَأَمَّا الْآرْيُوسِيُونَ الَّذِينَ كَانُوا نَائِمِينَ فِي تَلْعَاتِ الضَّلَالَةِ وَيَجْعَلُونَ كُلَّ شَيْءٍ طَوِيعَ

اهوائهم واغراضهم فلم يكونوا في ما ابتدوا به متوافقين بل كانوا كل يوم يغيرون قاعدة ايمانهم بتباعدة اخرى تصبو اليها نفوسهم لكنهما ايمان نيقية لبث مستمرا قسرا عن المنسدين وجاهد في شتيلا القديسان اثاناسيوس وابلازيوس اسقف بواتيه ففازا ودوخ صينهما كل الامصار والافطار

واشتهر قنسطنس عاكفا على تعزيز شؤون الاربوسيين ونايذا وراء ظهره شؤون المملكة . ولذلك كانت تنكس اعلام قاداته بمنازلة الفرس في الخفاء متباينة . وزحف الالمانيون والفرنسيس على غاليليا واندفقوا عليها من كل جانب فدفعهم يوليانيوس اخذ انسياء الملك وذادهم عن المملكة ومن ثم ظهر عليهم متصرا ٢٥٧-٢٥٨-٢٥٩ وهب الملك من سبات غفائه واخذ يبع السرمانيين ويخطفني نحو الفرس ٢٦٠ وهناك عثا يوليانيوس واستكبر عليه نائرا ومات قنسطنس ٢٦١ وحكم يوليانيوس غير حاد على الرعية لكنه علق فيما بعد يعني المسيحيين وبقي عليهم عبء الاضطهاد وثابر على تعزيز الشقاق ومنع ابناء المسيح ركوب متن المناصب ومطالعة العلوم ولقد طالما تسنن باعمال البيعة رجاء ان يطعن بها بسلاحها وكان لا يغالي في العذابات ولا يعنت المؤمنين الا يخرج خارجة عن دائرة الدين واطال المسيحيون من الرضوخ له . واما السوء الذي كان يتماقت على الحصول عليه فقد اصبح وسيلة لهلاكه ٢٦٢ . ولما وُج بلادالفرس واخذ يجول فيها دون تبصر في ما يحدث به من الملمات والكوارث قضى عليه بان يصبح قتيلا فخلته يوفيانوس وكان رجلا عزيز الجانب مسيحا فسرّح طائر بصره في احوال المملكة المتغابرة فرأها في حالة الياس والاضطراب فابرم صلحا مع الفرس الجاهة الضرورة اليه

وبعد ان انشبت به اظفار المنيّة نهض والتنيانوس وتقلد قيادة الجيش وسعر حينئذ نار الحرب على العدو ٢٦٦-٢٦٧-٢٦٨-٢٧٠ الخ واستصحب معه طول مدتها ابنه غراشيانوس وهو باقع السن رجاء ان تحكّمه التمارب وتحكّمه ورعى النظام الجندي وقوي على البربر فذلهم وبقي على ثغور المملكة معاقل منيعة محصنة . وناضل في الغرب عن ايمان نيقية بيد ان اخاه والنس الحريف له في الولا قد انتهك حرمة الدين في الشرق ولما عسر عليه ان يحناز القديسين باسيليوس وغريغوريوس التريتي اوان يلجأ اليه قط من ان يظفر بلاشاة دين نيقية وقد اضاف بعض الاربوسيين الى قاعدة

دينهم بدعاً خرافية تبعث على الضلالة والعمور فان كاهناً منهم يقال له امريوس قال له
 الاباء القديسون ابتداءً وتشيعاً فانه لم يفرق الاستغنية عن الكهنوتية وفي بيوتهم ان
 الصلوات والقرابين التي تضحي عن انفس الموتى ليست الا كالحباء المشور لا تعود عليهم
 بادنى جداء ومنفعة وان الامساك عن المطعوم ان هو الا عبودية للشريعة واس على
 المرء من جناح او حرج ان لم يصم بل ذلك منوط باختياره . واستمر حياً الى ان
 ابرز الى الوجود القديس ايفانوس كتابه في الابتداغ والخرطقات الذي رفض به تعاليم
 امريوس كل الرفض . واما القديس مرتينوس فقد اصطنع استغناء على مدينة تور
 وضاع شذاء قداسه وعجائبه في العالم باسره طول حياته وبعد موته . واما الملك
 والتبتيانوس فتوفاه الله برحمته (سنة ٢٧٥) باثر تلاوته خطبة عتيقة نلم باعداء الدولة
 فخنة الذي كان يهيل سواه من المنشوفين اليه عاد عليه بالأس والتماسة وخلصه
 غراسيانوس الذي لم يلبث ان رأى اخاه الاصغر والتبتيانوس الثاني متدرجاً الى صهوة
 الملك فقرت بذلك عينه ولم يوغر عليه صدره حسداً وبغياً مع ان ذلك المارشع الى تلك
 السكة الباذخة لم يكن له من العمر سوى تسع سنوات وقد كانت والدته بوسيتها الذائنة
 عن الاربوسيين تقوم بسياسة الدولة اثناء صغره . وفي ذلك الان قد كانت نظراً حوادث
 تبعث على الدهشة والعجب فان الغلط (كذا يسمي القوتيون) ثاروا على الملك والس
 او فالانس ٢٧٧ وبعد ان كان الملك يرهق الثرس ويعنتهم عدل عن ذلك وعكف
 على تصغير نفوس الغلط المستكبرين وتذليلهم وانبرى غراسيانوس الى مضمار القتال قائماً
 بناصره بعد ان اوقع بالالمانيين واسمهم تبرجاً وارهباً . بيد ان والس طمع ان يجال للنصر
 مفرداً ٢٧٨ فاسرع الكرة على العدو فتبل قرب اذنته وحرقة الغلط الظافرون في القرية
 التي تخذها مؤثلاً وملاذاً . ولما عاركت الحادثات غراسيانوس وناوشته النوايب كل وقته
 الم كثيرًا فاشرك في ملكته ثيودوسيوس الكبير فانا ط بهدته الشرق ٢٧٩ فكسر حينئذ
 الغلط وقمع البربر واسمهم كريباً والبياعاً . واما الامر الذي رآه ثيودوسيوس ان لا بد له
 منه ارفاقه المراطفة المكذوبين الذين حجدوا الوهية الروح القدس فنبط اقدامهم عن
 السعي في طريق الغرة والضلال وحكم اذ ذاك مجمع النسطنطينية انهم منسدون ٢٨١ ولم
 يكن ذاك المجمع ملتماً الا من ابنا الكنيسة الشرقية واما رضوان الغربيين عنه وقبول
 البابا دماسيوس به جملاً مجملاً ثانياً عاماً

وسمّا كان ثيودوسيوس قابضاً على عتبان الدولة وبثود النصر تخفّفت فوق هامته
 كان الملك غراسيانوس الذي كان يضاف إليه بالنقي والبسالة يغادره جنوده الذين كانوا
 مؤلفين من الأجانب . فاندفع اليه مكسيوس العاتي وقتله وكان بإسلاً إلى النفس
 صدوقاً ٢٨٢ فاكّأبت عليه البيعة والدولة كلّ الأكتئاب لكونه مختنض الجناح وباذخ
 المهمة في مبارزة الأبطال وأما مكسيوس فقد حكم في بلاد غالباً يعنو ويطنى ولاحت
 عليه سات الرضوان عما دخل في جوزه ٢٨٧ - ٢٨٠٦ واصدرت الامبراطورة جوستينيا
 باسم ولدها لانتينانوس المغبون في حياته أوامراً لها المسارعة لاسعاد الأريوسيين والقيام
 بنصرهم ولم يكن اسقف ميلان القديس امبروسيوس يفاوضها إلا بالتعاليم الحقّة
 والصلوات وطول الأناة وبهذه الذريعة تذرّع لان بقي للبيعة البيع التي كان في عزم
 المبتدعين ان يستولوا عليها واحتاز الملك الشاب اليها . وفي ذاك الحين كان مكسيوس
 الجائر على أهبة تاجيع الحرب ولم تعثر الملكة جوستينيا على احد تستوثق لنسبها منه سوى
 القديس الاسقف الذي كانت تعامله معاملة العصاة المتمردين . فبعثت به الى الظالم فقبالة
 بما يؤول لعدم النجاح ولذلك أركن فالنتينانوس الى الفرار مع امه وفتح مكسيوس رومية
 وأوسع فيها طرائق الغواية وعبادة الاصنام قصد ان يرضي مجلس الندوة الذي كان
 أكثر اعضائه من الوثنيين ٢٨٨ وبعد ان تبرأ سرير الغرب وفكر ان ذلك غنيمة باردة
 ساوره ثيودوسيوس بضافره الفرنسيين وظهر عليه في بنونية وضيق عليه في أكيلة محاصراً
 واتخذ اليه انصاره المتخيشون وقتلوه .

ولما أصبح متسلطاً على الدولتين اناط دولة الغرب بهمة فالنتينانوس فلم يرعها
 زماناً مديداً لانه غالى أولاً في رفع مقام القائد الافرنسي اريوغاست ثم اسفله الى وهاد
 الخيبة فانه كان بطلاً دعيماً شهياً مقدماً وأنه كان لا يتقاعد عن الجهد في تسنية شئون
 الجيش فاهبطه عن منصبه . وبناء عليه وثب على فالنتينانوس وهراق دمه وإقام في متابعته
 ايجانيوس الذي لم يكن له من المآثر سوى الخطابة ٢٩٢ وقد طرأت هذه الفعلة الذميمة
 في غالباً بالقرب من مدينة فينّا فبكى عليه القديس امبروسيوس كثيراً لانه طلب اليه
 قبل اغتياله ان يعتمد بيك غير انه لم يأس من ارتياح نفسه عند ربه فان ثيودوسيوس
 فاز بالنصر على ايجانيوس باعجوبة بينة لدى الابصار وطمس الالهة الكذبة التي جدّد
 عبادتها فعند ذلك ألقي القيص على ايجانيوس . ولكنة حتى الشعب منه قد موه قرباناً

عن نفوسهم وكادوا بذلك انصاره المتمردين ٢٩٤ وإما اريوغاست الجبار فلما رأى
 التأثيرين بطأ طئون للملك الظافر ويرضخون شق عليه الامر وأثر الانتحار على ان يرضخ
 لاجكامه فرح ثيودوسيوس في الارض واستأثر بالولاء واصبح اعجوبة في العالم كله فانه
 عزز دعائم الدين الحديث وثبط اقدام المخزفين وصدا الوثنيين عن ان يقدموا محرقات
 وقربانا وشدد العزائم والهلم والجأ الدولة على ان تعيش بالافتصاد واعترف بجرائمه
 الكبرى وناب الى الله نادماً ٢٩٠ واصاخ للقدس ابروسيوس معلم البيعة الشهر الذي
 ونبه على وصمة وجب فيه في العيب واستمر مظفراً طول حكمه ولم يكن يضم قبسة الحرب
 الا متي الجيء الى ذلك فاستظل شعبة تحت لمائه في رغد العيش وغضارة النعم ومات
 سعيداً نذهب ذكرى امانته في اقاصي الارضين وتداول الالسنه مائتاً وانتصاراته
 الفائقة ٢٩٥

وفي عصر اي سنة ٢٨٧-٢٨٦ جد كاهن كان مزوياً في مغارة بيت لحم يقال
 به ابرونيوس في ان يفسر الكتب المقدسة ولذلك عكف على مطالعة التواريخ الدينية
 والديوية التي من وسعها توضع الكتاب المقدس وتخذ النسخة العبرانية سنداً له فالف
 ترجمة الكتاب المقدس المعروفة لدى البيعة باسم الفولفات

وبعد ان كانت الدولة الرومانية في عهد ثيودوسيوس قوية العزم عزيزة المثال
 اهوت في عهد ولديه الى دركات الضعة والخصول فان اركاديون وهنوريوس زاحفها
 واذاها فاستولى الاول منها على الشرق والثاني على الغرب وكان كلاهما يحمل اعباءهما
 وزيراها ويسعدانها بالراي والتدبير ومع ذلك فلم يحركا سكوت السلطة الا لما رب
 نفسية . وإما روفينوس واوسنزيوس فقد كانا نديي اركادوس بالتواتر فاتخذوا الشره
 ديدناً لها فهلكا معاً ولم تستم الاحوال بعد موتها في عهد هذا الملك الواهن العزم
 فان امرأته اودوكسيا اغرته بان يضطهد القديس يوحنا فم الذهب بطريرك القسطنطينية
 وسناء الشرق ٤٠٤-٤٠٣ فانحاز البابا اينوسنتيوس والفريريون الى ذلك الحبر
 العظيم وعلقوا ياخذون بيده ويعززون على مناصرة الصعاب ويضافرونه على ثيوفيلوس
 بطريرك الاسكندرية الذي كان وسيلة لانتشار جور الملكة واعسافها . وماد الغرب
 اضطراباً لكثرة ازدهام البرابرة ٤٠٦ الخ فان رجالاً وثباً من نسل الوثنيين يقال له
 رداغيز حمل على ايطاليا . والاندلسيون الذين هم قتل غوثية . واربوسية توثقوا جزءاً كبيراً

من غالبا وامندوا في اسبانيا وارغم الارنك ملك (الفيزيقوسيين الاربوسيين هونوريوس
على ان يغادر له تلك الاقاليم الرحبة التي كان الاندلسيون قد تولوا عليها . واما ستيليكون
الذي كان قد ستم من عظم البربر فقد كان آونة بناكرهم فيظهر عليهم ويصانعهم وآونة
بوائهم ثم يكاشعهم باغلا والبغضاء وقد كان يعمل كل شيء ضحية لماربه الخاصة ومع ذلك
فلم يكن ينفك يري المملكة قصد ان تكون خلسة لحوله وسلطانه وفي ذاك الحين استأثر
الله بالملك اركادوس ٤٠٨ وقبل موته اقام ابنه ثيودوسيوس عند ابزديجردوس ملك الفرس
وكل اليه امر ثقيفه وهو في سن ثمانية سنوات ولم ير نائي ذلك الا لظن ان الشرق يند
عن ان يكون فيه اناس لم الاهلية لتثقيفه مع ان يملكاريا شقيقة هذا الوليد البض كانت
فيها الاهلية لان تقوم باعباء ثقيفه فعكنت عليه اذ ذاك واسبلت عليه سجايف الصيانة
والرعاية واجمعت عليه سيول البر والقي . واما حكمومة هونوريوس فقد ناوشها الدثار لان
هذا الملك احجف بوزيره ستيليكون فاهرق دمه . واضاق ذرعاً عن ان يرى له وزيرا يلقى
لمنابته ولذلك اشرف ملكه على الاضمحلال فان هلاك ذلك الوزير الممازرا الجأ
قسطيطين الى ان يثور منرداً على الملك فترع من يد غالبا واسبانيا ٤٠٩ وحمل
الاربك ملك الفوزيقوت على رومية مجنوده ففتحها واستاق منها الاسلاب ٤١٠ واما
اتواف فقد كان عنلاً جائراً يفوق الاربك حقاً وغيظاً ولذلك اعاد على رومية الذهب
والسلب واستاق منها الغنائم ولم يكن يفكر الا ان يمحو من البسيطة الاسم الروماني لكما
ذلك لم يكن قدراً مندوراً فان بلاسيديا شقيقة الملك هونوريوس زفت اليه فنه
المملكة التي اصبحت لديه اسيرة علفت حيثد تكدر في ان تدمت اخلاقه السجية
وتسترضيه على الرومانيين ٤١٤ فابرم الفوتيون الصلح مع الرومانيين وامتنوا وثاق الإخاء
٤١٢ وقطنوا بلاد اسبانيا ٤١٥ برعون لم في بلاد غالبا الاقاليم الدانية لجمال التيرانه
من الميكائد والمكاره . وقد تم كل ذلك بحكمة ملكهم ثاليا ودرايته وايدت حيثد اسبانيا
ثابتة الندم ولم تطراً على ايمانها شائبة الزيفان والخلل في عهد هؤلاء الولاة الاربوسيين
وفي ذاك الحين زحف شعب من جرمانية يقال لهم البرغونيون على الانحاء التي
تداني نهر الرين وتبطنوا فيها تبوءاً بالحوال والمصال واخذوا من ثمة يتدون رويداً
رويداً في البلدان التي لم تزل تثلب باسمهم واما الافرنسيس فلم تاخذهم سنة الغفلة عن
مصالحهم واغراضهم الدانية ولذلك حملوا على نفوسهم ان يفتحوا بلاد غالبا فاقاموا مزمون

بن مركومير عليهم ملكاً ٤٢٠ ونهضت حيثش في عهد فرنسا التي هي اقدم الممالك
واخطرها

وتوفي الله في ذاك الحين هونوريوس القيس ٤٢٢ دون عتب غير متبصر في
حالة المملكة واقام ثيودوسيوس ذا قرابته قائلينانوس الثالث ابن بلاسيديا ملكاً ٤٢٤
وكل امر الى والدته ريثما كان صغيراً ولقبها بملكة .

وفي ذاك الحين محمد سليستويوس وبلاجوس ٤١٢ المخطئة الاصلية والنعمة التي
بها يصبر المرء مسيحياً فشرع مجامع افريقية بما مكرها فاصدر عليها القضاء مبرماً ٤١٦
فصدق على ذلك المحكم البابوات القديسون اينوسنسوس ٤١٧ وزوزيموس وسليستينوس
واذاعوه في اقطار البسيطة وامصارها اما القديس اغوستينوس فقد صرب على
دينك الكافرين سرادق الدحوض والبطلان وانار البيعة بتعاليمه الفائقة واسعده تلميذه
القديس بروسبر على اصحاب نصف البلاجيين الذين غلبوا ابتداء التبرئة والايمان لثوة
الارادة الاختيارية وحدها

ولا يخفى ان ذاك العصر قد كان يشوه وجه الدولة ويعود عليها بالوبال والتفكك
يبدانه ولو ساد فيه الابتداع وكثر الضلال والعثور فقد كان فيه الدين المسيحي مترفعاً
الى درجات الجدم مترها عن شوائب العنث والفساد فان الرزايا والمخطوب المدهمة لم
نقوا عليه ولم تصبه منها مله وقد كانت البيعة تعثر بلافنتها العظام وتزيد بهم كالأوباء
عليه ضحكت كل ما نشأ من الابتداع والشيع وبعد ان كثر الاضطهاد اظهر العلي فخر
شهادته فان التواريخ طراً والمؤلفات قد وعت العجائب الفائقة التي كان الله عز وجل
يهبطها على الارض باستصراخهم وقبورهم المكرمة

واما فيجيلانس ٤٠٦ الذي طالما تصدى لتلك العنائد السائرة فاحبط القديس
ايرونيموس سعيه ولبس عليه المسالك فاعنسف عن ثمة اعماله ولبث اذ ذاك الدين
المسيحي يثبت كياناً ويمتد في كل صقع وناد .

واما الدولة الغربية فقد كانت موشكة ان تزول لان الاعداء كانوا يندفعون
اليها ويصادمونها كل الصدام وقادتها كانت تلعب بهم نشوة الحسد فان يونيناسيوس
والي افريقية مكر به اماسيوس وخدعه لدى بلاسيديا فاشتبهت في امره ٤٢٧ فغدت
ذلك استدعى اليه ذلك الوالي جنسريك الاندلسيين من اسبانيا بعد ان كان الوثنيون

قد طاردوه منها وندم من ثم على ذلك الاستنجاد ولات ساعة مندم . فان الاندلسيين
 حملوا لى ذلك على افرقية ونزعوها من الدولة الرومانية فنجشت حينئذ البيعة
 المشاق وعثت بها ابدى الاربوسيين العناية واشهد نفر عظيم من ابناءها ٤٢٩ ونشأ من
 ذلك بدعنان سيثان فان نسطوربوس بطريرك القسطنطينية ذهب الى تجزئة اقنوم
 المسيح . وبعد ان مر على ذلك عشرون عاماً ذهب افثيوس (ويسى اوطينا واوطاخى)
 رئيس احد الاديرة الى مزاج الطبيعتين فانبرى القديس كبرلوس بطريرك الاسكندرية
 الى نسطوربوس وفند رأيه واصدر عليه الحكم البابا شلستينوس ٤٣٠ فنفاذ ذاك جميع
 افسس وهو الثالث العام قضاء البابا المنه عنه واهبط نسطوربوس عن كرسيه مهاوئبت
 امر البابا شلستينوس الذي دعاه اساقفة الجميع في تحديد بابا ونقرر عد ذلك ان مريم
 العذراء هي والدة الله . وذاعت تعاليم القديس كبرلوس في اقاصي الارض وبعد ان
 ابدى الملك ثيودسيوس في بادىء الامر قليلاً من التردد في ما ارتاه الجميع دان له صاغراً
 وابتعد نسطوربوس . واما اوطينا الذي لم يتمكن من مدافعة هذا الابتداع الا بسقوطه في
 في طرف اخر ٤٤٨ فلم ترفضه البيعة باقل عزم من الاول وقضى البابا الاول عليه
 واذاغ ضده رسالة تلقاها العالم كله بالكرمة وحسن القبول . وقد حرم الجميع الخلكيدوني
 وهو الرابع العام ٤٥١ اوطينا ودوستوروس بطريرك الاسكندرية الدائد عنه وكان
 للبابا في هذا الجميع الرياسة اعتباراً لسمو تعليمه وسلطة كرسيه وبثت الجميع اليه برسالة
 يوخذ منها انه كان بواسطة وكلائه متراساً على الجميع كالرأس على اعضائه وحضر الملك
 مرشيانوس نفسه الى الجميع افتدأ بما فعل قسطنطين الملك وقابل قضاء الجميع
 بالرضوان وكال الوقار

وقبل ذاك الحين بقليل من الزمن كانت بولشاريا جعلت مرشيانوس ملكاً
 بتزوجها به لانها بعد ان اغتالت المنون اخاها انصرفت اليها مرتبة الملك لانه مات
 دون عقب فبنأ على ذلك انيطت السلطة بيد مرشيانوس وتبدت به دائرة الولاة .
 وقد نقر ان فضائله بعثته على تلك المأثرة السامية وفي غضون ذيك الجميع من ذهب
 بين الناس صيت توادوريطوس اسقف قورش ولو لم يكتب ما كتبه ضد القديس
 كبرلوس لكانت تعاليمه مترمة عن المعائب الا ان ذلك لم يكن صادراً منه عن سوء
 مأرب بل كان عن طيب سريرة واستمر اسقفاً كاثوليكياً

وأما بلاد غاليا فاخذت تهودي للفرنسيس رضوخاً وكان اهاسيوس قد باري
 فرمون وكلوريون الملقب المنسدل الشعر يقصد ان بدافع عن غاليا لكن مبروتي كان
 اكبر حظاً بنواله رابة الفوز في وشك ذلك الحين حيث كان الانكليز (شعوب سكسونية)
 ينوون برطانيا العظمى ودعوها باسمهم وشيدوا مالك حجة
 وفي الوقت نفسه كان الهونيون (شعوب من جهات بالوس هونيد اي بحراروف)
 يعذون في الارض ويخفون بكثرة جيوهم الراحة . وقد كان في مقدمتهم ملكهم اتيلا
 الرابع . واهاسيوس الذي استظمر عليه في بلاد غاليا عسر عليه صك عن دثار بلاد
 ايطاليا ٤٥٢ فارعب القلوب بشدة حنق وغيظه فولى كتيرون من امامه وتغيروا جزر
 الادرياتيک ملجاً وثملاً وتشيدت حينئذ مدينة البندقية في وسط المياه وفاق القديس
 البابا لاون قوة على اهاسيوس والجنود الرومانية والجماع هذا الملك العاتي الوثني على ان
 يهودي له المحرمة والمكرمة وبذلك بعدت عن رومية غائلة الدمار ولكن لم تطل عليها
 فسحة الارتياح فان فالتيبايوس ملكها طوح بنفسه الى الفساد واصبحت امارة بالسوء فانه
 راود امرأة مكسيوس عن نفسها وهتك عرضها فشعر بذلك مكسيوس فحنق اشد
 الحنق وطعن ذلك في صدره واخذ من ثم يدايه ويواربه الى ان حمل هذا الملك الاجنح
 على ان يميت اهاسيوس وغادر الدولة الرومية تندب مجها . ٤٥٤ . واما مكسيوس الذي
 كان علة هذا القتل فانار اصحابه ان باخذوا بدمه فقتلوا الملك ومن ثم صعد مكسيوس
 على صهوة الملك وارغم الملكة اودوكسيا ابنة ثيودوسيوس الشاب على ان تكون له زوجة
 فعند ذلك ترامت على جنسريك مستنصرة رجاء ان تخلص من يديه فاصبحت حينئذ
 رومية فريسة لاجلاف البربر ذوي الخشونة . فتصدى له القديس لاون وصك عن ان
 يزيل كل شيء بالسيف والنار واقسم الشعب على مكسيوس ومزقه كل ممزق فكانت
 هذه النعلة وحدها سلواناً لم على ما طراً من الملمات والكوارث
 وقد كان الغرب يمد اضطراباً ولطالما كان كتيرون من الملوك يعذرون فوق
 كراسيهم ثم يسقطون ونال ما بينهم مجوريان الشهرة السامية ٤٥٧ . واما افيثوس فلم يكن
 له ان يحفظ صيته ويخلص من الملك الابان يتوشح بطيلسان الاسقفية ٤٥٦ ولبت
 بلاد غاليا ثمن من باهظ الاحمال التي عاناها مبروتي وشيلدريك ابنه .
 وقامت الرعية على شلدريك بتأليب القلوب واتحاد الكلمة والراي وطردته منها

٤٥٨ وجد احد ظرائره المزدلفين اليه في السبي بانثائه الى الملك قعاد واوشك الهلاك
ان يباغته لكثرة فساد ٤٦٤ - ٤٦٥ واستمر رعبه ورهبة في قلوب اعدائه وامتدت
فتوحاته حتى واسط غاليا

وكانت الدولة الشرقية في عهد لاون التراسياني خليفة مارسيانوس في كل طائفة
وسلام ٤٧٥ - ٤٧٤ واخذت نيران الثورة التي اضرمها بازيليسك ولم يصل منها اليه
٤٧٦ - ٤٧٥ الا قليل من الفلق والاعتراج . واما الدولة الغربية فقد اكتشفها المحن
والرزايا فاصبحت دارة طامسة فان اوغسطس الملقب باوغسطيس ابن اوريستوس
كان اخر الملوك الرومانيين . فبعد ان امتطى غارب الملك بوجينر من الحين نزعه
المملكة اودواكرس ملك الهرويلين . وهؤلاء الشعوب كانوا متحالين فافدوا من انحاء بحر البوان
توكسان بيد انهم لم يستمروا حاكمين زمانا طويلا .

ومن الامور اليبينة ان الملك زنون تلقنت الاذان عنه انباء لم تكن تسمع بها من قبل
فانه استحال الى ان يكون اول الملوك الذين ينهمكون في حل مشاكل الايمان وفي غضون
ما كان المبتدعون النصف الايوخيون يناصبون مجمع خلقيدونية ويقاونه ابرز ضد
المجمع المنوه عنه براءة دعاها هنوتيك ٤٨٢ اي براءة الاتحاد التي بانف منها الكاثوليكيون
فابرم عليها البابا فيلكس الثالث قضاء ٤٨٣ وقد كان ثيودوريك ملك القوت
الشرقيين الذريعة الكبرى لطرد الهرويلين من رومية وشيد هذا الملك مملكة ايطاليا
٤٩٠ وان يكن اريوسيا فقد غادر للدين الكاثوليكي فسحة كافية من الحرية . واما
الملك اناستاسيوس فكان يهتك حرمة الدين في الشرق ٤٩٢ فانه قنأ اثر زنون
منها فتأ على ان يكون للمبتدعين عضدا وسندا ٤٩٣ فعند ذلك نفرت عنه القلوب
واخذ الشعوب يكتمون له بالعداوة واعسف جدا عن طريق استرضائهم لا يجدو
نفعا ما زحزحه عنهم من اقبال الخراج . واما ايطاليا فقد كانت صاغرة لولاه الملك
ثيودوريك وقد كان ادواكر في مدينة رافين يكابد الم الحصار فدان اليه وولاه
عاقدا معه عهد لم يرع ثيودوريك المشار اليه ذمامها وافضى الامر بالهرويلين الى ان
يخلوا له كل البلاد وفضلا عن انه كان متبوعا ايطاليا فقد كان مسئوليا على البروفنس
طرا . وفي عصر ٤٩٤ كان القديس مبارك مترويا في احدي مناويز ايطاليا منذ نعومة
اظفاره معتزلا عن العالم أمل ان يجتذ النضيلة له ديدنا . وبعد ان استمر بعضا من

قواعد الكمال الرهباني اتخف بها رهبان الغرب فتلقوها بالتكرمة والحرمة مثلاً كان
 الرهبان الشرقيون يودون الكرامة لقوانين القديس باسيليوس
 وأما الرومانيون فقد نازلم كلوفيس بن شيلدريك فظهر عليهم وانتزع بلاد غاليا
 برمتها من أيديهم وعارك أيضاً الألمانين في توليكا فنكس أعلامهم ظافراً ٤٦٦-٤٦٥
 وأوجب على نفسه أن يتدين بدين المسيح إذ كانت تحضه على ذلك زوجته كلوتيلدة . أما
 كلوتيلدة فكانت من سرة ملوك بورغونيا وكان ألقاباً يوسيين وهي كاثوليكية سامية المهنة
 غيرة جداً نجو مذهبها وعلم القديس قاهمت كلوفيس الدين المسيحي وعمد في مدينة ريمس
 أسقفها القديس ريجي مع كل الأفرنسيين الذين كانوا يفتنونه وقد نفرد في إبعاد الدين
 الكاثوليكي بين ملوك الأرض طراً فانصف خلفاءه بمسيحيين وبعد أن قتل الأريك ملك
 النيزيقوت في معركة هائلة ٥٠٧ ضم إلى مملكته تولوزا والأكيتان وأما انتصار القوت
 الشرقيين ٥٠٨ فكان له مانعاً عن أن يتطوَّح في الاستيلاء إلى جبال البيرانية . ومحت
 أعماله في غاية ملكه كل ما ناله من السوود والجد في بدء حكمه ٥١٠ واجتازاً بنوه
 الملك من بعده واستمروا يتشاحنون ويتباغضون وهبطت من السماء صاعقة منقضة على
 الملك انستاسيوس فأودت به إلى الهلاك ٥١٨

وأقام مجلس القديس ملكاً على سرير الملك يقال جوستينوس مع علم المبالاة بما فيه
 من سفالة النشأة والجد لأنه كان ذا الميعة ثاقبة كاثوليكية ملتصقة بنار القنوى والعفاف فرسخ
 هذا الملك ومريوسه لأوامر البابا القديس هورميسداس واستمرت البيعة الشرقية رافلة
 ببرد الطائفة والارتياح وبدأ في عصر يوهسيوس الشهير بتعاليمه الحقّة وجودة أخلاقه
 وبدأ أيضاً حموه سيماك وتقلد كلاهما مهات ذات شان . أما الملك ثيودوريك فقد غرّ
 عليها صدره جسداً فاعلمها بأنهما توثقا بما يعود على ملكه بالحنية والخسران فامانها
 بغيّاً واعسافاً . وبعد أن فعل تلك النعلة الذريعة جاش باله ندماً على جريرته ولما
 أدنيت منه جفنة فيها مأكولة خيل له الوهم أن فيها راس سيماك ففحق من ذلك فوادع
 وكانت عفاه بالموت عقيب ذلك ٥٢٦ وأما التوتيون فلما رأوا ابنته أمالازونة قائمة
 بصيانة وليدها أنالريك ومتمهكة في شان تنقيته رجاء أن يترشح لركوب التخت بعد جن
 منعوها عن ذلك أشد المنع فأرغمت على أن تغادره فيجول بين أتباعه وقد رآته مراراً
 معرضاً للنائبات وهي غير قد يفر على الأخذ بيده

وبعد ان مرّ من ذلك الحين حول عثمت برائن المنية بيوستينوس الملك ٥٢٧
بعد ان اشرك معه في ملكه حنيد بوسنيانوس الذي اشتهر طول ولائه باعمال
تريبونيانوس المسترعى الدواميس الرومانية وبحروب بلنزارماخصي نرسيس ولهمري ان
ذبيك الفاندين الماهرين قد ارفقا النرس وقبعا بم بالحول والبسالة ٥٢٨-٥٤٢ ونكسا
اعلام الفطاط الشرقيين ٥٢٦-٥٣٩-٥٤٠-٥٥٢ والبندالة ٥٢٤ واعاد لسيدها افرقية
وايطاليا ورومية . واما الملك فلما رآها بخطوان خطوات السعد ولما النصر معفود
بايديها دب في قوادح الجسد عليها وعاق يدهما بما يعود بالحنية وانخطاط
الشان غير قائم بناصرها

وكانت مملكة فرنسا في ذلك الآن تنمو وتتعزز يوماً بعد يوم وفتح بعد حرب
طويلة ولد الكوفيس شلديبرت وكلوثير مملكة نورغونيا ٥٢٢ وفي الوقت عينه اغراها
الطمع بان يتتلا اولاد اخيها كلودومير الاحداث ويقسما ملكهم بينها وبعد ذلك
بقليل من الحين اضرم بلنزار الحرب على الفطاط الشرقيين فاستخيم عند ذلك
الفرنسيين وقبضوا على املاكهم في غالبا وانتزعوها منهم غنيمة باردة وكانت فرنسا
وقتئذ تمتد كثيراً وراء نهر الرين وقد كانت املاكها مجتزئة بسبب اقتسامات امراءها
الى مالك شتي اهلها نوستريا (اي فرنسا الغربية) واسترازايا (اي فرنسا الشرقية) ولذلك
شق عليها ان تكون راضية لاصولجان واحد. وفي السنة التي اعاد نرسيس مدينة رومية
لام بيوستينانوس في القسطنطينية لجمع الخامس العام الذي اثبت احكام الجامع القابرة
وقضى على بعض تأليف موافقة لمذهب نسطوريوس كانت تلقب بثلاثة الفصول
بسبب انها لثلاثة مؤلفين كانوا ماتوا قبل ذلك بزمان شاسع ولم تزل مقالاتهم
موضوعاً للجدال فشجبت تأليف نوادوروس اسقف المصيصة ورسالة اييبيا اسقف
الرها ومن تأليف ناودوريطوس ما كتبه ضد القديس كيرلس واما التأليف
التي قام باعيانها اوريجانوس ولم تزل تخيم على الشرق منذ جيل بسرادق
الاضطراب اهلكت ونبذت جانباً. وبعد ان كان ذلك المجمع غير محمود
البداية نال حسن العاقبة وحازت اعالة لدى الكرسي الرسولي ارفع مكانة
من القبول ٥٥٥ . واما نرسيس الذي ملص ايطاليا من ابدى الفطاط فبعد ان

مضى على ذلك الجمع حولان برزالي الفرنسيس بوائهم ويدفهم عنها قصد رعايتها من
 شر الغائلة وحينئذ ظهر على بوسالن قائد جيوش افرنسة الشرقية ومع كل ذلك فلم
 تلبث ايطاليا زماناً طويلاً في أكف الامبراطورين وشاد البوين مملكة لمبردية ٥٦٨
 واخذ مدبولان سنة ٥٦٩ وبافي ٤٧٢ وكان ذلك في عهد بوسنينوس الثاني حينئذ
 بوسنينانوس بعد موت نرسيس . وقد كانت رومية ورافنة تكادان لانتيجوان من حباله
 فان الرومانيين قد كانوا يتجشمون المشاق والمجور من المبردين ورومية لاناخر لما
 من قبل ملوكها الذين ارهقهم الافاريون التتر والشراسة والعرب ولاسيما
 الفرس كل الارهاق واوسعهم تبرجاً واعنائاً في الشرق كله ٥٧٤ . اما الملك
 بوسنينوس الثاني فقد كان يستبد برأيه زهواً وصلناً فزحف عليه الفرس وملكهم
 كسرى مجنوده واستمر يذله ويسلبه خير ما يملك حتى اودى به الى ان يصح
 معنوها . واخذت حينئذ امراته صوفيا تدبر المملكة . واصبح ذلك الملك في حالة
 كبرى من السوء والعتار اياماً عديدة وبعد ان صحا من غشيان جنونه عرف
 لدن احتضاره خبث ما كربه ومصانعيه ومن ثم امسى عرضة لخالب المنون ٥٧٨-٦٧٩
 وخلفه طيباريوس الثاني ففاضل اعداء الدولة وقمعهم وارحب للرعية فسج الفرج
 وكشف عنهم ما تائف منه النفوس وآسى واحسن كثيراً ٥٨٠ واقام موريس
 الكبادوكي على الجيش قائداً فكان سميحاً مستتباً يعنوله النصر صاغراً
 فمات من ذلك كسرى الجبار كمداً وقهراً ٥٨٢-٥٨٣ فاسفر حينئذ طيباريوس عن
 مبسم المسرة والارتياح وجازى موريس بان اورثه عند موته السدة الملوكية وزف اليه
 ابنته قسطنطينة ٥٨٢-٥٨٣

وفي ذلك الحين كانت فردغونة الطاعة امرأة شيلبيرك الاول تذكي نيران
 الحرب بين ملوك الافرنسيس فاستعرت بسببها جذوة القتال في مملكة فرنسا . وفي
 غضون ما كانت ايطاليا يتناهبان النازلات الكبرى شي كثير ويشند في رومية الوباء
 الهائل اقيم القديس غريغوريوس الكبير على الكرسي الرسولي رغماً على ارادته ٥٩٠ فعلى
 هذا البابا يجأ الى ربه بالدعاء ليفتقد عباده بازالة ذلك الداء العيا فاستجاب اسطراراً
 ومن عليهم بقبول الدعاء وقد كان يوجب الملوك ويوعز الى الرعية ان يؤدوا لم كامل
 الرضوخ وابرز لا فريقيا سلقاً وعزها وثبت في الايمان الغلط الغربيين الذين في اسبابها

خفوا عن المذهب الاربوسي ولكم ريكارد الكاثوليكي الذي ارعوى عن غيه وغرته
ورنع في حجر الكنيسة . وانذر انكلترا بالايمان القويم ودمت عوائد الافرنسيس واسى
شان ملوكهم الكاثوليكين فوق كل ملوك البسيطة وكظم غيظ اللومبردين وانفذ رومية
وابطاليا اللاتين لم يتمكن ملوك انستطنطينية من القيام بناصرها ودفع عن بطاركة
انستطنطينية الخيلاء والازدهاء وانار البيعة كلها بسناء تعليمه وساس الشرق والغرب بعزمه
وانضاعه وترك من بعده للعالم انوزجا يتسنى به في سياسة الكنيسة

وليس في تاريخ البيعة امر يبعث على المسرة اكثر من السرور بدخول القديس
اوغسطينس الراهب في مملكة كونا اي انكلترا دوو اربعون من اخوانه الذين كانوا
يقدمون عليها ناشرين امامهم الصليب ومثال السيد يسوع المسيح ملك الملوك وكانوا
كافة ينجأرون بالطلبات المحافلة لربهم كي يسعدهم على ارتداد الشعب الانكليزي الى
حجر الايمان ٥٩٧ وان القديس غريغوريوس الذي حضهم على ذلك وبعثهم على تلك
المأثرة العظي لم يكن يألو جهداً عن ان يرشدهم برسائلك الرسولية الحقة وجعل القديس
اوغسطينس يعتبر وتأخذه الرعدة من العجائب التي كانت تلوح من ادن الله على يده
وقد الجأت برتا الاميرة الافرنسية بعلم ابدلبارت ان يعتنق الدين المسيحي واجمع
الملوك الافرنسيون والملكة بريوت على ان يقوموا بناصر تلك الرسالة الجديدة
واشتركت اساقفة فرنسا في ذلك العمل المبرور . وهم الذين كرسوا القديس
اوغسطينوس اسقفاً بامر من البابا والاعانة الجديدة التي امد بها القديس غريغوريوس
ذلك الاسقف الجديد انت بشار ترفعت الى اسي الالهية ٦٠١ واخذت البيعة في
انكلترا نشأ كل النشأة ٦٠٤ ولما تيقن الملك موريس خلوص الخبر الاعظم القديس
وصفاء سريته اذعن لنصائح المؤثرة واقتبل منه الثناء اللائق بكل ملك مسيحي واصبح
المبتدعون لا يحسرون ان يبدوا في عصره كلاماً ومع ذلك كلوا فانه ارتكب جريمة كبرى
وهي ان نفراً عظيماً من الرومانيين اسرهم البربر فاقوا منهمين ولم يقدروا اجداً منهم بفلق من
النفقة ٦٠٠-٦٠١ لكثرة تدم فيما بعد على ذلك كثيراً واستغاث من العلي ان يعاقبه
في الحيرة الدنيا اخلت من ان يعاقبه في الموقف العظيم فتمض فوق المتمردين وذبح
امام مقلبه كل آل بيته ٦٠٢ ومن ثم نحره . ومع ذلك لم يتفوه لدى تلك الملة الرائعة

الأبنة من مزامير داود وهي هذه عادل أنت يارب واحكامك مستقيمة (١) وعند ذلك نسلق فوقا الى العرش الملوكي بهذا العمل المكروه وعلى يمينه في ان يستعمل الشعب اليه بتادية المكركة للكرسي الرسولي ٦٠٦ وبنشيت حقوقه ولكن الحكم عليه كان ابرم ٦١٠ لان هرقل اقامه الجنود في افرقيا ملكا قزحف عليه يحمده فشرع حينئذ فوقا ان النساد يلم بشأن الملوك اكثر من الظلم لانه كان قد اغتصب قبلا امرأة فوتان فسلمه زوجها الى هرقل فاماته قتلا . وجري بعد ذلك في افرنسة حادث دموي بهيل جدا فان الملكة برينوت قيد بها الى الملك كلوتير الثاني فاربق دمها على الارض لتروج مضامع هذا الملك ٦١٢-٦١٤ واضمح حامل الذكر حتى ان فضائه التي كان يثني عليها القديس غريغوريوس استمرت عرضة للتنديد والتفديد الى ايامنا هذه واما الدولة الرومانية فقد كانت وقتئذ مشرفة على الدثار فان كسرى الثاني ملك الفرس احرب الحرب على فوقا محتجاً انه يثار موريس واخذ يثخن فتوحاته الى زمان هرقل الذي دارت عليه الدائرة ٦١٠-٦٢١ وانتزع الكفرة خشية الصليب ٦١٤ لكن هرقل لم يلبث ان ظهر على العدو خمس مرار متوالية ٢٢-٢٣-٢٤-٢٥-٢٦ وولج الروم بلاد الفرس ٦٢٧ وقتل كسرى من يد ابنه وبعد ذلك استرجع الظافرون عود الصليب ٦٢٨ وفي عرض ما كانت الفرس تذوق عذات الهون وتخطم شوكتها ظهر مذهب الاسلام واعترف العرب نبوة محمد فهاجر مكة في تلك الايام سنة ٦٢٢ واخذ المسلمون من ذلك حساب الهجرة الذي يتعارفون به الى الان وفي مدة تسع سنوات استولى على بلاد العرب عنوة او اخياراً وبذلك اسس دولة الخلفاء .

وكانت حينئذ ارطنة المونوتوليبيين فهؤلاء كانوا يعترفون بوجود طبيعتين في المسيح والامر الغريب انهم لم يعترفوا الا بمشيئة واحدة فيه وفي مذهبهم ان الناسوت ليس بوسعه ان يشاء امران ليس في المسيح الا ارادة الكلمة وان كان اولئك المشيعون يسرون مقام بدعهم تحت الالفاظ المروعة بالالتباس والخطالة الى ان البعض منهم لرغبتهم الكاذبة في السلم عرضوا عليهم ان لا يتكلموا عن مشيئة او مشيئين واقدموا على البابا انوريبوس الاول بالخطالة والمصانعة واغروه

بان يداخل معهم بمداواة خطرة ٦٢٢ وارضى بالصمت الذي نتج منه ان الهن ان والمح
 قد زهنا ، وشرع الملك هرقل بعد ذلك بتليل من الزمن ينض ذلك المشكل العظيم
 بسلطته الملوكية وبما عليه اصدر من لدنه اشعاراً يقال له الاكثاري اليان يعي ما ينج
 اليه المونوتوليونيون واما الخداع الذي تمهك فيه المراطفة المبتدعون فقد ارتفع عنه الغشاء
 وبدا بينا ليدى العيان فان البابا يوحنا الرابع حكم على الاكثاز وباده من لدنه بالحرم
 واخذ من ثم قسطنطانت خفيد هرقل بدافع عن اشعار جده باشعار اصدرة دعاه تيب
 ٦٤٨ فتصدى لذلك المشروع البابا ثيودوروس والكريسي الرسولي ولا م البابا مرتينوس
 الاول مجعاً في لاطران وعند ذلك باده التيب وروساً المونوتوليونين بجرم جسيم ٦٤٩
 واما القديس مكسيموس الذي اشهر في التقوى وتعليمه في الشرق كافة فقد نفي عن
 البلاط الماوكي لما خافه من شائبة الابتداع الحديث واخذ من ثم يجاهر الملوك في التنبيد
 والتهريب لانهم اجترأوا على الايمان بان يفضوا عليه . وكابد بعد ذلك المشاق الجسدية
 غيرة على الدين الكاثوليكي ٦٥٠ واما البابا فقد واصل الملوك عذابه بنقله من
 منفى الى آخر وعاملوه بالاساءة والاذلال معاملة البربر ذوي الخشونة والعجاجة . فاستأثرت
 به راحة الله في غضون اعنائه وتعذيبه ومع ذلك كله فلم يتغضب ولا يتقاعد عن اتمام
 ما تنبأه اليه مرتبة ٦٥٤ وفي ذلك الحين كانت بيعة الانكيز الحديثة تعزز اركانها
 ويرعى مقامها البابا بونيفاسوس الخامس وهونوريوس واخذت من ثم تشهر في العالم كله
 وكثرت فيها العجائب والنضائل مثلما كانت تكثر في ايام الرسل . ورغل ملوكها باردة
 النضائل والمآثر الحميدة فان ادوين الملك اهتدى هو وشعبه الى حجر الكيسة وادى به
 ايمانه الى التذثر بدثار الغيبة والنصر على اعدائه . وعلق حينئذ ينصر من يدانون ملكه
 ٦٦٧ وكان الملك اوزوالد تريجان المنذرين بالانجيل ٦٢٤ وقد تقرر انه ملك عظيم
 الصولة نالت فوجاته ارفع مكانة من الشهرة ومع ذلك فقد كان يوهنر عليها اسم مسيحي
 وتنصر المرسيون بجهد اوزوين ملك نورمبرلند ٦٣٥ ومن يدانهم وقفنا اخلافهم آثارهم
 وكانت اعمالهم الماثورة تجاوز الحد

واما الشرق فقد كان وقتئذ على جرف هار فان الملوك كانوا ثمة بينهم كون في
 الجدل الديني ويستبضعون تجارة الابتداع وبينما كانت تلك شؤنهم كان العرب يشنون
 الاغارة على المملكة ويسولون على تخومها ويتجهون سوريا وفلسطين ٦٣٥-٦٣٤ وادت

ثم المدينة المقدسة الخضوع وفتحت لم بلاد الفرس ابوابها بسبب الشقاق فيها واخذوا
 هذه المملكة العظيمة غنيمة باردة ٦٢٢-٦٢٦ ونظروا الى افريقيا فانتزعوها وجعلوها
 اقلية من مملكتهم ٦٤٧ وطاطات لم جزيرة قبرس رضوخا ٦٤٨ وفي برمة لا تبلغ
 ثلاثين سنة ضحا كل تلك الفتوحات الى فتوحات محمد

واما ايطاليا التي كانت تخرج كوموس الذلة والبومى غير مرتو اليها بعيون
 الاسعاد فقد كانت تن تحت اثال ولاة اللومبرد واخذ الملك قنسطانت يجاهد في ان
 ييادهم بالمقات . فحبط سعيه وخامن الفشل وعول عند ذلك على ان يتلف كلما لم يكن
 يستطيع على رعايته وكان هذا الملك اشد قسوة من اللومبردين ولم يلج رومية الا
 رجاء ان يسلب كنوزها ٦٦٢ ولم بطور عن التشنيع في الكنائس كتحا . ونهب صقلية
 وسردنيا فاصبح مردولا من الجميع يأنف منه كل ذي ذوق سليم فاشهر على قتله
 اصحابه ٦٦٨ وفي عهد ابنه قسطنطين بوغونات (اي لحوي) فتح العرب سيليسيا ولسيا
 ٦٧١ ولم تنج القسطنطينية من الفتوح الا باعجوبة ٦٧٢ . واما البلغار بون فهم نخل
 هاجروا الى مصب الفولغا وقد تولوا في بلاد التراس على قسم . يقال له ميزيا دعي من ثم
 بيلغاريا ٦٧٨ واما بيعة الانكليز فكان بنشأ منها بيع جديدة فان القديس ولتريد اسقف
 يورك المنفي من كرسية اغزى الفريسيين بان يتنصروا

واخذت البيع كلها تسطع وتزهو بالانوار التي انبثقت اليها من مجمع قسطنطينية
 السادس العام ٦٨٠ حيث البابا القديس اغاثون كان قابضا فيه على زمام الرئاسة
 بواسطة وكلائه العظام . واما في التعليم الكاثوليكي برسالة بليغة . واصدر المجمع المحرم على
 استنق ذاع فساد تعليمه وعلى بطريك الاسكندرية واربعة من بطاركة القسطنطينية .
 وقصارى التول على كل رؤساء المونوتوليتيين ومع ذلك لم يغف بالعدل عن البابا
 هونوريوس الذي كان قد واطام . وفي اثناء التمام المجمع مات البابا اغاثون وعند ذلك
 ثبت البابا القديس لاون الثاني احكام المجمع وصدق على كل ما حرم . واما قسطنطين
 بوغونات الذي تسن باعمال قسطنطين الكبير ومرسيانوس فدخل المجمع على مثالها
 ولما رآه المجمع انه ادى الخضوع مثلها لقبه بملك كاثوليكي محب للصلح مصلح للدين .
 وخلفه ابنه جوستينيانوس الثاني وهو يافع ٦٨٥ فكان الدين في عهد هذا الخلف بترعرع
 بالنضارة والازدهاء في ناحية الشمال . فان القديس كيليانوس الذي بعث به البابا كونون

الى بلاد فرنكونيا ليكون هنالك نذيراً بيشارة الانجيل اتم ما هو مندوب اليه ٦٨٦ وفي عهد البابا سرجيوس أم شدوال احد ملوك الانكليز رومية ليعترف بعلاقته بالبيعة الرومانية من حيث دخل الايمان المسيحي جزيرته . واعتمد على يد البابا واستأثرت به رافة الله حينئذ حسب مقياسه ٦٨٩

واصبح في ذلك الحين آل كلوفيس هابطين الى مهاوي الذلة مدحورين واخذت الاحكام الملوكية نعط الخطاطا يستحق الرثاء . ولما كان كثير من هؤلاء الملوك برقون النحت الملوكي وهم قصر سنا فلم يكونوا يعكفون الا على التناعد عما من شأنه الفلاح والنجاح فكان ذلك مندوحة لان يربوا بالترف والرغد ولا يخرجون عنها بعد بلوغهم وكانوا منعسين في عباب الثواني والكسل لانهم كانوا ملوكاً لنظراً لا معنى يكون رعاية الملك لامراء يقال لهم بابر واخصهم يبين مر يستال الذي كان جل الحكم يناط بهدته ٦٩٣ فانه اسي آل بيتو الى ارفع الآمال ونما الايمان في بلاد قريزيا التي ضمتها فرنسا الى فتوحاتها بواسطة سلطانه وموت فيبير الشهيد . وان القديس سوبارت والقديس ويلبرود ورسلون سواجا اوسعوا خطا الانجيل في الاقاليم المجاورة ٦٩٥ وفي ذاك الحين انتهى ملك كون بوستنيانوس قاصراً وكان لاونس استظهر على العرب وقمعهم ونوطدت اركان الدولة الرومانية في المشرق ٦٩٤ ولكن قبض على هذا القائد الجريء عدواناً وحل وثاقه دون تبصر في العاقبة . فهدع انف سيده (ولذلك ائيب بوستنيانوس بالاخرم) وطرده ٦٩٥-٦٩٦ فنجثم هذا الخائن الوقح نفس العذاب من قبل طباريوس المدعو اسيبار الذي لم اقل ايامه من بعد ذلك على الارض

فاعيد بوستنيانوس الى ملكه ٧٠٢-٧٠٥ ونكر جميل اخوانه الخاضعين واخذ ينغم من اعدائهم الكاشحين فبداله اعداء الداء خلاصهم جرعه كاس المنيه ٧١١ ولما استوى خليفته فيليكوس على صهوة الملك بعث تصوريه الى رومية فلم تحز قبولا لانه كان ينجح الى المونوتوليبيين وبعان عداوته للجميع السادس العام فغير من ثم في القسطنطينية انطاسيوس الثاني ملكاً للكاتوليكيين وسلمت عينا فيليكوس ٧١٣ وفي ذاك الحين فتحت رذائل الملك رودريك ابواب اسبانيا للغاربة وكانوا يدعون بسراكة افريقيا

فانه ارتكب الفحشاء باينة اليكونت يوليانوس فاستغاث هذا بالسراكية ليستم عن
الامانة التي الت بايته فزحف المغاربة الي اسبانيا بقبالي حجة وغارب الجيشان فقتل
رودريك ورصفت اسبانيا وانقضت دولة الفطط وتوالت الاجن والرزايا على البيعة.
في اسبانيا غير ان المسلمين لم يصادوا الايمان الكاثوليكي بل بقي سلماً كما كان في
عهد الاربوسيين واطلقوا الذوبه بداعة بدع اعنة الحربة في الدين وان تواليت بعد
ذلك الحروب في القرون التالية . واما الملك انسطاسيوس فلم يبق امداً طويلاً فان
الجيش اجبروا ثيودوسيوس الثالث على تقلد السلطنة وشجوه بطيلسان الارجوان
٧١٥-٧١٦ وبعد ان استوى على اريكة الملك آل به الامير الى ان يحرب
الغبياء فظهر على انسطاسيوس واغراه بان يتروي في اجناديرة المتعبدين . واما
المغاربة الذين لخبوا فتوحاتهم في اسبانيا فقد عولوا ثمة على ان يدوخوا باقي الامصار
فاجنازت عساكرهم ما وراء جبال اليرانه لكن ذلك لم يستمر لان كرلوس مرثال
الافرنسي استظهر عليهم فتهنروا . وهذا وان يكن تغياً فانه خلف اباء يبين
هرينثال واستقر على سرير الخلافة بعده . وكان ابوه اخنص لسرانه اوسترازيا
اي افرنسة الشرقية لتكون لم امارة مطلقة والولاية على نوستريا اي افرنسة الغربية قياماً
بجني كونه اميراً في البلاط فكرلوس ضم المليكين باقديامه

واما احوال الشرق فكانت وقتئذ في ازفة عظي فالت الحاكم هنالك
لاون الايسوري لم يخضع لثيودوسيوس فلنأز حينئذ الملك دون كره عن
الملك الذي لم يقبله الا بالاكراه واتجأ الى افسوس ولم يهتم الا في العظيمة الحقبة
وفي عهد لاون استظهر على السراكية مراراً كثيرة وأرغوا على ان يحصوا
عن التسطينية ويرفعوا عنها الحصار ٧١٨ واما في اسبانيا فيللاجيوس تسلى
على جبال استوريا ٧١٩ هو ومن بقي معه من الفطط وبعد ان انتصر
على العرب نصراً مبيناً انشأ مملكة حديثة كانت معدة لطردهم من اسبانيا
وكرلوس مرثال لم ترعه بسالة قائدهم عبد الرحيم وكثرة جيوشهم فظهر عليهم في موقعة طور
الشهيرة ٧٢٢-٧٢٥ حيث قتل كثيرون واخصهم عبد الرحيم القائد الباسل وقتت

تلك البصرة نصرة اخرى ثبطلت اقدام المغاربة واسرع الكفة وواصل سلطة الفرنسيس الى جبال اليراني . ومن ذاك الحين اخذ الفوليون بيافون الافرنسيس بالنفوس المستغرة راضخين وبمد الجميع اعنائهم لكارلوس مارتال واما هذا السري البسول فاصبح ذا سطوة في الصلح والحرب وشوكة مظللة في الملكة فانه تولى الحكم باسم كثيرين من الملوك فند ولى من ولى ونزع من نزع منهم دون ان يتطال الى ان يتلقب بذلك اللقب الرفيع فان الافرنسيس الذين كانت صدورهم واغرة من الحسد اغروه بان يداهمهم ويصانعهم وكان الدين في المانيا في ذلك الان تزيد نشأته ٧٢٣ ودين الكاهن القديس بونيفاسيوس اولئك الشعوب بدين النصرانية واقام عليهم اسقفا من بعث به اليهم البابا غريغوريوس الثاني واما الدولة الرومانية فكانت اذ ذاك مترعة كوموس السكينة والسلام عبران لاون بادبها بالرزايا والناثاب حنفا متواليه فانه طوح بنفسه الى ان يوقع بابنونات المسيح وقديسه معتبرا انهم انما ثايل صنية ٧٢٦ ولما ضاق ذرعاً عن ان يحجاز اليه القديس جرمانوس بطريرك القسطنطينية استاثر بقوة وسلطانه . وبعد ان برزت الاوامر من مجلس الندوة تعد صورة يسوع كانت مركوزة فوق باب كنيسة القسطنطينية الكبير وحطها تحطياً ومنذ ذاك اخذ المجائرون يحطمون الصور وينسدون وان الثايل التي اركرها الملوك والاساقفة والمؤمنون في المحال المقدسة العامة منذ كانت البيعة في غصارة النعيم والرفاهية اصحمت كالمها المنشور . واما الشعب فلما رأوا ذلك اصبحوا في بهوش واضطراب واخذوا ثايل الملك وكسروها فاستكبر ذلك وايقن انه اهانة لحقت به فونه الشعب قائلين ان الاهانة التي يدعي بانها الملت به فانه هو نفسه يقاذع بها يسوع المسيح واوليائه الاطهار وانهم ياخذون من استكباره تحطيم تماثيله دليلاً على ان اهانة الرسم اهانة للعين . واما في بلاد ايطاليا فند اتسع الحرق جداً لان الشعوب لما رأوا ان الملك جنف عن سراط الحق واستبضع تجارة الكفر والطغيان اصرروا على ان لا يودوا له جزية وتسند بذلك لويتيران ملك اللومبرديين رجاء ان يقبض على مدينة رافين مركز الاكررك اي الولاة فان الولاة الذين كان بيعت بهم الملوك الى ايطاليا كانوا بيعثونهم على ذلك واقام البابا غريغوريوس الثاني الحجة على تحطيم الصور وفي الوقت نفسه كان يباوي اعداء الملكة ويناكهم ويحض الرعية على الهدنة والسلام وتادية الرضوخ المستعجب للدولة واما الملك فانه ابرم صلحاً مع اللومبرديين ٧٣٠

ورأيتهم باليهود والأجاء وتنفذ الأوامر المملوكة بالانتفاع بالصور والتأويل جانراً عاتياً .
فاجابه بوحنا الدمشقي المشهور انه لا يطاطب لسوى أوامر البيعة في المشاكل الدينية
وان امره ليس له عين رعاية الا النية جانباً . فجنح الملك من ذلك جداً واخذ يبالغ في
الاعتبات والاذلال واعزل البطريرك جرمانوس عن كرسيه ونفاه الى حيث استأثرت به
رحمة ربه وهو في سن تسعين عاماً ٧٢٢ - ٧٢٩ ولم يمض على ذلك الحين قليل من
الزمن ٧٤٠ الا عاد اللومبرديون يهرجون ويمرجون واخذوا يحشرون الرومانيين المشاق
فاستعير البابا غريغوريوس الثاني كارلوس مارلوس فلبى الاستصراخ جاهداً ودراً عن
الرومانيين الخطوب المدققة . واما مملكة اسبانيا الجديدة التي كانت تدعى وقتئذ مملكة
اوفياد فكان ظفر الفونس صهر بلاج يسرعان في نشاتها ويزيدان في شباهها وقد تلقب
هذا الملك بكنائليكي اقتداء بريكارد الذي كان يزعم انه من نسله واستعز الله في ذلك
الان بلاون الملك ٧٤١ تاركاً المملكة في اضطراب والبيعة مفتوحة للنوازل

وقبض على زمام الملك ارطاباز والي ارمينيا بدلاً من قسطنطين كبرونيم بن لاون
وراعى حرمة الصور واصدر الامر يارجاعها وبعد ان عثمت النية بكارلوس مارتال شرع
لويثيراند يوعده رومية ثانية بالامر الهائل واصبحت حينئذ اكرركات رافيت (ولاية)
مشرفة على الدثار العظيم ولم ينفذ ايطاليا من فتكات العدو الا لاداة الا رضاعة القديس
زكريا البابا وفرط حصافته ٧٤٢ واما قسطنطين فكان في الشرق في حالة البؤس
والشدّة ومع ذلك فلم يكن يفكر الا في ان يكون مستعزاً على سرير الولاية فيناضل
ارطاباز ظافراً عليه وفتح القسطنطينية واكثر فيها من المبرحات المدققة والثانيات الموقعة
٧٤٣ وقد كان لكارلوس مارتال ولدان يقال لاحدهما كارلومان وللآخر بيان وكلاهما
خلها اباهما بعد ان اغتاله الردي . اما كارلومان فقد انتف الحيرة الدنيا وغادر العزة
الملوكية وترف العيش وتبتل لله معتزلاً عن الناس الى بعض الاديرة طلباً للعبادة ٧٤٧
فلن ذلك استأثر اخوه بيان بالسلطنة السامية ورعى منصبه بحسن سلفته وجودة
تدبيره وعوّل على ان يركب التيجان السلطاني . ولما كان في ذاك الحين الملك شيلدريك
من سفالة الملوك المتعسبين في لجنة الثواني والتراخي وكان خلل الرأي معنوهاً جنحت الى
بيان افكار الافرنسيين ٧٥٢ وتخبروا له السوداء الرفيع وزيادة على ذلك فلنهم كانوا
وقتئذ قد انتفوا من الملوك المتعاضدين والقوا آل كارلوس مارتال الذين نشأ منهم افراده

تغزبهم الاسرة فلم يكونوا اذ ذاك يتممكون الا بما خلطوا لشيلديريك وبناء على ما
 اوعز اليهم البابا زكريا تخيلوا انهم امسوا رافيلت باردية الحرية وانهم عتقوا ما خلطوا
 للملكم بعبارة انه هو ومظلوفوه بدوا معتزلين عن حقوقهم في السلطان منذ مئة من الاعوام
 اذ غادروا الشوكة منوطة بهمة من تدرج الى منصب ميرديالي (اي امير البلاط)
 وعلى ذلك اغروا بيان بان بسنوي على اريكة الملك وجعلوا اللقب الملوكي موثوقا
 بوثاق السلطة

ورأى البابا اسطفانوس الثالث في ذلك الملك الجديد غيرة على الكرسي الرسولي
 مثما في كارلوس مارتاس ضد اللومبردين ولقد كان قبلاً يستصرخ ملك الروم فذهب
 استصراخه ادراج الرياح فاستنجد بالافرنسيس فهش به ملكهم وقابلة بالتودة مبرزاً
 لديو المكرمة والحرمة وازدلف اليه واراد ان يمسح بيده ملكاً ويتوج به ٧٥٤

وفي ذلك الحين اجناز الملك بيان جبال الالب وانهمض رومية واكرركات زافين
 من وهاد الخمول وارغم استولف ملك اللومبردين على ان يوائفه ويرم معه صلحاً مراعيماً
 فيه جانب العدل والانصاف وعلى ملك الروم يذكور بان الحرب على الايقونات
 فلام في القسطنطينية مجعماً عظماً رجاء ان يوطد آراءه على الاسناد الكنائسية فلم
 يشهد حسب العادة ذلك الجمع وكلاء الكرسي الرسولي ولا اساقفة الكراسي البطريركية
 او وكلاؤهم ومع ذلك فلم يكنف الجمع بان يقضي بأن الاحترام المودى للايقونات
 تذكاراً لاعيانها هو عبادة وثنية بل قضى بان فن الرسم والتصوير هو من الامور التي
 يأنف منها الطبع وبجها الذوق وذلك اعتقاد الاعراب الذين يقولون ان الملك
 لاون لما حطم الايقونات كان معتقداً رايهم فذلك هتان ونوبة لانه لم يجاهر قط
 بالعدوان ضد الذخائر ولم يقض بجمع قبرونيموس بعدم تادية الحرمة لها وحرّم كل من
 كان يجحد الاستشفاق الى مريم البتول والقديسين . واما الكاثوليكيون الذين كانوا
 يثنون تحت باهظ النايق ولاضطهاد لابرارهم التكرمة للايقونات فكانوا يجاهدون امام
 الملك انهم يوشرون الموت تحت اثال النوايب الويلة على ازورارهم عن تادية الاكرام
 ليسوع المسيح في مثالي وفي ذلك الحين نكث استولف العمود التي أبرمت بشأن الصلح
 فحنق على ذلك بيان ودوخ جبال الالب مرة اخرى واصبحت الكنيسة الرومانية قريبة
 الفلتين لانها رأت من ذلك الملك الصالح مالم تنه قبل من غيره . فانه منحها كل

المدن التي انتزعها من اللومبردين فجنس قبرونيوس أن يعيذها إليه فقباله بيان بالهزم
والسخرية إذ لم يكن بوسع من قبل أن يكون ذائدا عنها وحاميا لذارها . ومنذ ذاك
الحين تناسى الرومانيون سلطة ملوك الروم الذين أصبح الجميع يصوبون عليهم سهام
الملت في التفتيد بجنونهم لوهم عزائمهم ويكرهونهم لجنونهم عن الحجمة القوية وغدا بيان
يذود عن الشعب الروماني والبيعة الرومانية ومن ثم توارث الذود من بعده سرائه وكل
ملوك الافرنسيس وبعد ان استعز به الله صعد على ذروة الملك ابنه كارلوس العظيم
فتسنى بما كان يفعل ابوه فتأبر على الذود عن الرومانيين والبيعة ببسالة فائقة وتقوى
خارقة ولما فتح ديدبه ملك اللومبردين مدائن شتى واوعد ايطاليا برفتها بالامر المكروه
استغاث اليابا ادرينوس بكارلوس العظيم فلبى الدعوة مسرعا واجتاز جبال الالب
٧٧٢ فاتحا فخضع كل شيء لبايحه واحضر ديدبه لديه اسيرا ٧٧٤ وانقضت ملكه
اللومبردين اعداء رومية والمنصات الرسولية واستوى على ايطاليا ملكا . وتلقب من ثم
بملك فرنسا واللومبردين وفي الوقت عينه كان يمارس السلطة في رومية لانه كان
ملقباً بباتريس (اي محام عن الشعب) وثبت كل ما من نوايه على الكرسي الرسولي
وكان ملوك الروم يفاسون المشاق بدفاعهم البلغارين ويخازون ضد كارلوس العظيم الى
اللومباردين الذين انتزعت منهم امالاكنهم قائمين بناصرهم فيتنكسون . ومع ذلك فقد
استمر الايام بالاقنونات واضطهادهم فان لاون الرابع ابن قبرونيوس تراه اولاً انه
كاظم غيظه لئلا يجره الحقد بقيت مطبونة في فؤاده فانشى الى غرته وشرته واخذ
يهتك حرمة الصور وأما انه يستوي على صهوة العرش فكان بذلك سهمه طائشاً لان
ظائر الموت انقض عليه فذهب بروحه عاجلاً ٧٨٠ وخلفه ابنه قسطنطين وهو في العام
العاشر من عمره وتولى الامر والنهي تحت وكالة امه ابرانيا وحيدته اخذت الشؤون
تغير والمنكرات تنسلخ فان بولس بطريرك القسطنطينية اعلن قبل انقضاء اجاله ان
نصده بالاقنونات واقتراه عليهم لم يكونا عن طيبة خاطر منه ولكي يكفر عن نفسه
دخل احد الادبغ متعبداً ٧٨٤ واخذ من ثم براسل الملكة ويرثي لها تعاسة كيسة
القسطنطينية المنفرزة عن اربعة الكراسي البطريركية واوعز اليها ان التمام مجمع عام
يكون دواء لمزاوله ذلك الداء ، واما خليته ناريز فقد قرر ان المشكل لم يخل نظاماً
لان القضاء به كان بامر بارز من الملك وان الجميع الملتشم وقتئذ كان قد لومض ضد

القوانين . مع ان الجامع الدينية لما حق الاولوية في الاحكام الدينية . وعلى الملك ان يكون
 عضداً للاحكام البيعة ليس مبرزاً للحكم . وبناءً على ذلك لم يرص بان يكون بطريركاً في
 القسطنطينية الا بشرط ان يصير التام مجمع عام . فبدأ ذلك المجمع في القسطنطينية
 وانتهى في نيقة ٧٨٧ وبعث البابا اليه بوكلاء من لدنه اقاموا التكبر على مجمع محطى
 الايقونات ورشقوه بسهام التنديد والتفديد واعتبروا ذوبه اناساً يفاذعون المسيحيين ويهيمونهم
 بنادية العبادة للاوثان كما يهيمهم الشرافقة وتقرر ان الايقونات تودى لمن التكرمة
 تذكراً ومحنة لاعيانهم . واليك صور العبادات التي تقرر في المجمع هي : عبادة
 معزوة . او عبادة او اسلام اكرامي مقابل للعبادة المطلقة والعبادة اللاطرية او الرضوخ
 التام الذي اخنص المجمع به الله وحده . فضلاً عن ان وكلاء الكرسي الرسولي و بطريرك
 القسطنطينية حضروا المجمع فقد حضر جميع البطارقة الذين كانوا وقتئذ تحت حكم
 غير المؤمنين وقد رفض البعض من اعضاء المجمع ان يعترفوا بوكلائهم . ومن الامور التي
 لا يشد عليه تكبر ان الكرسي برمتها قبلت احكام المجمع ولم يبد أنها ناقضته بل جاز
 قبولاً لدى البيعة كلها . واما الافرنسيس فلما راوا عابدين الاوثان او المرتدين الى الايمان
 حديثاً يكتنفونهم ضربوا القبول المجمع اخماساً في اسداس زماناً طويلاً حذراً من ان
 تبيح افكارهم ولا سيما لانهم كانوا ملتبكين باهمام كثرة عبادة ولم يبرزوا الاكرام الا لصورة
 الصليب التي كانت تباين جداً الصور التي كان الوثنيون يتخلونها منعبية من الالهية .
 ومع ذلك كله فلبثوا يحفظون على الايقونات باكرام و يضعونها في محال مكرمة وثما
 مصرين على ان يمتلوا محطى الصور ولم يأت من ذلك الاختلاف شقاق ولا خصام .
 وبعد ان مضت على ذلك مدة من الزمن تيقن الافرنسيس ان اباء مجمع نيقة لا يحضون
 للصور الا على عبادة مثل التي كانوا هم انفسهم يودونها للذخائر والانجيل والصليب
 مع رعاية المناسبة . وادى المسيحيون برمتهم الاحترام لذلك المجمع ودعي المجمع السابع العام .
 وبناءً على ذلك قد تهيأنا الجامع السبعة العمومية التي حازت التكرمة والاحترام في الشرق
 والغرب سواء كان في الكنيسة اليونانية او اللاتينية وكان ملوك الروم يلبسون هذه
 الجامع العظمى بسلطانهم المطلق على الاساقفة او على رؤسائهم الذين كانوا حينئذ
 رعايا الدولة الرومانية . ويحبون من يلودهم وكانت المراكيب العامة تقدم بامر من
 الملوك وكانت الجامع تلثم في الشرق حيث كان مقرهم ويبعثون مجنود الى هنالك اعينادياً

الرعاية النظام جزماً . واما الاساقفة الذين كانوا يلتزمون ثمة على ذاك المنوال فكانوا
 باتون متفدين بسلطة الروح القدس وتقاليد البيعة ومن يوم نشأة البيعة كان ثلاثة
 كراسٍ مترتبة على سواها وهي كرسي رومية وكرسي الاسكندرية وكرسي انطاكية . وارتأى
 مجمع نيقيّة ان تكون اسقفية المدينة المقدسة من هذه المرتبة أمّا المجمعان الثاني والرابع
 فقد اتفقا ككرسي القسطنطينية الى هذه الدرجة ورغبا في ان يكون له المرتبة الثانية وعلى
 ذلك تاتي خمسة من الكراسي لفت فيما بعد ببطريركية ونالت الكرسي في المجمع
 مقامات فكانت حينئذ المرتبة الاولى منوطة بكرسي رومية ورتب مجمع نيقيّة سائر الكراسي
 بالنسبة اليه كلاً حسب مراتبه وكان ايضاً جاثلة لم سيادة على الاقاليم وكانوا يتقدمون
 على الاساقفة وطفقوا من ثم بلبسهم رؤساء اساقفة وكانت سلطتهم لا تبرح مرعية قبل
 ذلك وفي اثناء التمام المجمع كان الملتزمون يتصفحون الكتب المقدسة ويثلون فقرات من
 اقوال الآباء الاقدمين الذين شاهدوا التقليدات التي كانت مغزى الكتاب وكانوا
 يفكرون ان المعنى الحقيقي كان كلاماً استعالياً في الاعصار الغابرة ولم يكن حينئذ احد
 يخال انه معنى بتعبيره على خلاف ذلك وكانت سهام المحرم مصوبة على كل من لم يكن
 لذلك المجمع راضحاً وانهم كانوا اولاً يهتمون في اثبات ما ينوط بالاعتقاد ومن ثم يهتمون
 في امر التدابير الكنائسية وقد كانوا يضبطون كل ذلك تحت قوانين وقواعد معتقدين
 ان الايمان لن تمسه شوائب التغيير . ولقد كانوا يجزمون على ان الاقنن في الازمنة السالفة
 من الامور التي لا مندوحة عنها وان تكن التهذيبات جانحة الى تغيير بعضها وفاقاً
 لاختلاف الزمان والمكان . ومع ذلك كله فان البابوات لم يحضروا تلك المجمع العامة
 انفسهم بل اناطوا ذلك بغيره وكلائهم لكنهم قرروا ما يتعلق بشان تعاليمهم بكل صراحة
 وايضاح ولم يكن اذ ذاك في الكنيسة الا اعتقاد فط

وقد اذعن الملك قسطنطين والملكة ابران والدته في بادىء الامر لوامر المجمع
 السابع بكل رضوخ واعتبار ٧٨٧ غير ان سلوكها في امر اخر لم يكن على هذا المنوال
 وذلك لأن والدته اقترنت بعريس ليس لها في فؤاده منزلة من الغرام فطوح بنفسه الى
 مهاوي الهوى وطفق يهر العاهرات فاسقاً . ولما شمت نفسه من الانبياد الاعى الى
 والدته التي تعنيه بشدة تهنسها راي ان ابعادها عن الامور السياسية من الضروب اللازمة
 ومع ذلك فقد استمرت تنداولها ورغماً عنه وفي ذاك الحين كان الغيف الفونس متبواً

اسبانيا ٧٩٢ وقد استأهل تلك الصفة بعيشته المستمرة في العنافة وكان ذريعة لان
يرفع عن اسبانيا عار الجزيرة التي كان اهلها يادونها المغاربة وفي عبارة عن مائة بنت
كان عمه مورنت منعهن لم لكما الفونس البابا استنكر ذلك جداً وانبرى
الى مضار القتال واجج نار الحرب عاجم . فقتل قائدهم مغاك وسبعين الفا
من جنودهم

واخذ قسطنطين بحرب الحرب على البلغار بن املاً بالفوز والغنيمة فسقط سهم املا
دون مرامه لكنه حطم شوكة والدتوا بريناً تحطياً ليستعز على سرير الملك مفرداً فحبط
مسعاه كل الحبوط لانه لم يكن املاً لرعاية الملك وحن فطابق مريم امراته واقترن بحاربتها
ثيودوث ٧٩٥ فانفت من ذلك والدته كل الافة وثارت عليه بانظارها كل الثورة فاتي
من ذلك عبور الجميع ٧٩٦ واهلكت بحملها قسطنطين وامالت اليها الشعوب طراً
لانزالها مقادير الخراج ونظا هرت بالبر والتقوى فنجفت اليها الاكليروس والرهبان
وقصارى الامراتها اصيبت وجدها قابضة على زمام الامر

واما الرومانيون فقد تخمروا تلك الحكومة وجنوا الى كرلوس الكبير الذي كان
يعني السكسونيين ويبيع السراكية ويلاشي البدع ويذود عن البابوات ويدب بالدين
المسيحي الام الضالة ويقوم بناصر العلوم والتهديات الكناسية وبلغ مجامع شهرة فينبثق
فيها سناه علمه وكانت آثار عدله وقواه تدوخ لفرنسا واطاليا فقط بل اسبانيا وانكلترا
وجرمانيا وما جاورها من البلدان

العصر الثاني عشر

في كرلوس الكبير او تشييد الامبراطورية الجديدة

تخبر الرومانيون هذا الذائد العظيم عن رومية واطاليا او بالاحرى عن الكنيسة
والنصرانية امبراطوراً ولقد كان انتخابه الى العرش فجأة دون ان يكون له مستظراً
وذلك سنة ٨٠٠ من ميلاد السيد المسيح وتوجه لاون الثالث الذي بمث الرومانيين
على ان يشقوا ذلك النسور العظيم . ولذلك اصبح كرلوس موطداً هذه الامبراطورية
الجديدة وعظمة الكرسي الرسولي الزمنية

فيا سيدي هاك مارفته لدى جلالك من الاعصار وهو اثنا عشر عصراً وعينها
 في هذا الموجز وابنت لك كل ما هو مهم من حوادثها . ويمكن لك من الآن فصاعداً
 ان تسق دون نصب حسب النظام الزمني كل حوادث التاريخ القديم وان تركز كل
 منها في مفره . ولم يذهب عني ان ابنت لديك في موجزي هذا التقسيم المشهور لدى
 المؤرخين وهو تقسيم مئة العالم الى سبعة اجيال وان . بداءة كل جيل ليست الا بمثابة
 عصر لنا وان رايبت اني ادخلت في ذلك بعض اجيال اخرى فليس ذلك مني الا
 لتمتاز الاشياء عن بعضها وياوح لذلك نظام الازمنة عارياً من التهويش والالتباس وان
 رايبتني اناجيك بسلسل الازمنة فلانخالن ان من مازي ان اغريك بمخبط كل التواريخ
 بالضبط والدقة او ان اوقفك على خصام المؤرخين الذي يحدث غالباً بين قليل من
 الحوول . واما الحسبان التاريخي الذي ينفر في كل هذه الفصول ويستغربها فهو بلا شبهة
 جليل الفائدة يدانه ليس ما بهم فيه مثل جلالك لانه لا يزيد على سناء عقل ملك
 عظيم نوراً ثاقباً ولذلك لم ترني انفر في استقراء الازمنة واخي قد انتفيت من الحسبان
 المستعمل ما هو داني من الحق غير ضامن اثباته

فليت شعري هل يقضى علينا بان ننو من حسبان السنين منذ التكوين الى ابراهيم
 الحسبان السبعيني الذي يشعر بدمية العالم او بالنسخة العبرانية التي نشعر بتأخيرها عن
 ذلك اجيالاً مدبدة . فان اسندنا استقراء على النسخة العبرانية بدا بذلك فضل عظيم .
 ومع هذا فان ذلك ليس له في ذاته اهمية كبرى لان الكنيسة التي قتت القديس
 ابرونيوس في حساب النسخة العبرانية في المواقف ابي النسخة العامة ادرجت الحسبان
 السبعيني في السكسار وليس من ذلك للتاريخ اهمية ان زادت اجيال فارغة او نقصت ان
 لم يكن فيها حوادث مهمة ينقلها المؤرخ الى تاليفه . والا يكفي ان تكون الازمنة التي نقصت
 الحوادث الخطيرة في حالتها رامة وان التقسيم يكون موطداً على ركن قوم مقرر وان
 حدث احياناً اختلاف على بعض حوول متعلقة بهن الازمنة فذلك ليس من شأن
 يبيش الافتقار فلوانقضى بنا الامر مثلاً ان نجعل تشييد رومية او ميلاد المسيح في قديم
 من السنين او في متأخر منها فذلك لا ينجم منه مضرة في تسلسل التاريخ او في انعام مقاصد
 الرب وانكسا مندوبون ان نحذر الشطط في الحسبان الذي يتأتى منه ايهام في الامور
 نابذين عما مابقي للعلماء بتقديره موضوعاً يخجلون عليه بحشم وجدلم

وليس من داني ان اهوش ذاكرتك بحسبان الاولين باد وان كان اليونانيون الذين يستعملونه يرونه ضرورياً لتحديد الازمنة لكما يكفيك ان تعرف بما هو قائم يو لكي تفهم من البحث فيه اذ آل بك الامر الى البحث . فيكشفك اذا ان نتهك في الحسبان التاريخي الذي ابرزته لديك لانه بسيط ومنداول وهذه التواريخ في من العالم الى رومية ومن رومية الى السيد المسيح ومن السيد المسيح الى ما يأتي من الزمان . وان المارب الحق من هذا الموجز ليس لوضح لدى جلالته تسلسل الازمنة وان يكن ذلك ضرورياً جداً لمطالعة التواريخ ولابراز تعلقاتها والتي قد اشعرتك ياسيدي ان اخض موضوعي هو ان اوضح لديك بذريعة تسلسل الازمنة تسلسل شؤون شعب الله وشؤون الممالك العظمى . وان هذين الشأين يتفقان في المسير في دور الاجيال العظيمة وما ذلك الا لان لها محوراً مفرداً في سيرها وليس بوسعنا ان نتوصل الى ذلك الا بان نفصلها عن بعضها ونعتبر ما يليق بكل منهما

الجزء الثاني

* في تسلسل الامور الدينية *

الفصل الاول

* في التكوين والازمنة الابتدائية *

ان الدين وتسلسل شعب الله المتشقق هما من اهم المواضع التي تعرض على الانسان . فبالا ريب انه يرتاح الى ان يذكر حال شعب الله المتباينة في عهد الناموس والطبيعي وفي ايام الاباء وفي عهد موسى وعهد السنة المكتوبة وعهد النبي داود والانبياء ومنذ انشاء سبي بابل الى يسوع المسيح ثم في عهد المسيح اي في عهد سنة النعمة والانجيل وفي الأعصار التي كان يرى فيها يسوع وفي الاجيال التي اتى فيها ان ايام ان كانت عبادة الله محصورة في شعب واحد وفي الاجيال التي دوخت فيها العبادة

الارضين توفيقاً لما نوه الانبياء الاقدمون ثم في الاجيال التي كان فيها الانسان في حالة
 الوهن والخشونة اذ كان منفرداً الى ان ثبت على رعاية الشريعة ليستأمل ثواباً وعقاباً
 زمينين وفي الاجيال التي غدا فيها المومنون خارجين من حنادس التي الى سناء المهدى
 ولم يأتوا على نفوسهم الا ان يكونوا عائشين في حجر الايمان معتمدين بالخبرات الازلية
 متجشمين المشاق قدر ما يجلدون امل ان يتمتعوا بها ومن الامور التي تليق بالله ويمكن
 للانسان تخيلها ان الله تعالت قدرته لم يكن يرى بدءاً في بادىء الامر من ان يتقبله شعباً
 يكون سمة بادية لعنايته فاصطفى اذ ذاك شعباً اناط سعادته وشفاء بهته طهره وتطواه
 وتدل حاله على حكمة من يتولاه وعدله . فذلك ما تمهك فاطر الارض فيه من ذي قبل
 وما ابداه في الامة اليهودية ولم يتم ذلك الا بعد ان ابرز بعلامات بينة ان هذه الحقيقة
 لا تحول وانته وحد يقود كل حوادث هذه الحياة العتيقة ولقد كان قد آن الزمن ان
 يرفع الانسان الى افكار سامية وهي بعث ابنه يسوع المسيح الى الارض ليصرح عن اسرار
 الحياة المستقبلة لشعب حديث كان قد جمعه من شعوب العالم . فما عليك الا ان
 تستقري . تارخ الشعبين وترى ان المسيح كيف كان موضوع الاتحاد بين الطرفين فانه
 كان سلواناً لابناء الله ومنتهى آمالهم سواء كان مأناه منتظراً ام اتي .

وما يدل على ان الدين متساو او بالاحرى هو عينه من بدء العالمين ان الشعب
 كان يعترف باله واحد خلق الجنس البشري ويمتد واحد له هو يسوع ويتبين لديك
 ان الدين الذي تستمسك بعروقه اقدم شيء بين البشر وان اجدادك لم يبذلوا دون
 سبب سمو مجدهم لنا ضلوا في سبيله

فبالله من شهادة عظمى على حقيقة هذا الدين فان التارخ الديني لا يأتينا ببناء
 عن الازمنة الغابرة الا مشوه بالخزبلات والاحاديث الملتفة بيد ان الكتاب كل
 الكتاب ياتينا بالنبي اليقين عن تسلسل الشعوب المتفرقة ويوعز اليها عن المحدث الحق
 وهو الله عز جلاله البارى كل مبروء ويمكننا من معرفة تكوين العالم ولا سيما تكوين الانسان
 ومن معرفة سعادته الاولى وعلة شفاعته ووهو وفساد العالم والطوفان وابتداء الصنائع والام
 واجترآ الارض وانتشار بني الناس . وحوادث اخرى مهمة جداً لا يبرز لدينا التارخ
 الديني عنها نبأ غير خال من التهويش والاضطراب بل يبعثنا على ان نبحث عن
 مصادرنا الحقة في توارخ اخرى فان كان قدم الدين بهبة اهمية خطيرة فان تسلسله

المستطرد استمراراً دون تغيير في كل الاعصار رغمًا عن الناس بدل على ان يد الله سند قوم له وفي لم تنزل نغم بناصر

ولا ريب في ان الدين موطد على تلك الاركان القوية منذ بدء العالم ولا تقوى عليه عبادة الاوثان ولا المجد الذي كان بكنسته من كل الانحاء ولا الجائرون الذي كانوا يرشقونه بمهام المانت والاضطهاد ولا الكفرة الذين اجهدوا نفوسهم في ان يزيلوه ولا العاتون الذين لم يكونوا عليه بمؤمنين ولا اخصاء الذين دنسوه باثامهم وجرائمهم ولا طول الزمان الذي هو التدبير على ازالة الامور البشرية وهو رب العجائب . فكل ذلك لم يتمكن من ازالته او فسادِه وان شحذنا الفكر في التصورات التي يجنبها لدينا هذا الدين الذي نحترم قدمه نظراً لموضوعه اي الكائن الاول ونوقن انه يفوق كل ما يتصوره اولو الافكار ونحزم انه منبعث من لدن العلي وان الله الذي عبد العبرانيون والمسيحيون يحل عن ان تضاهيه الالهة الآفكة المتخلفة من عدم الكمال ومن النساد التي كان يؤدي لها العبادة في سائر الارض . لان الهنا مفرد لانهاية له ومفرد في الكمال ويده المعاقبة على الجرائم والسيئات وينيب اولي الفضائل لانه وحده عيب الفداسة ويفوق العلة الاولى وانه المحرك الاول الذي كان يعرفه الفلاسفة ولا يعبدونه وقد ذهب بعض الى خلاف ذلك وهو انه مثل لنا الهما اوجد مادة سرمدية تقوم بذاتها مثله صنعها كالصانع الخفير المنتشر بصنيعه من المادة وكيفياتها التي لم يصنعها دون ان يدرك ان كانت المادة قائمة بذاتها لا يمكن لها ان تترصد كمالها من الخارج وان يكن الله غير متناه وكاملاً لم يتعسر عليه صنع ما شاء لنفسه ولا رادته الفاتنة سواً وقدرة فان موسى اله ابائنا كتب عجائبه بانه نظم العالم بل صنعه بكماله من مادته وصورته وانه قبل ان ابرز الوجود من العدم لم يكن سواه فنقرر لنا انه صانع كل شيء بكماله ولا فرق في ذلك ان كان قد صنع كل شيء بمحكمته او انه صعه بدون تعسف فانه لم ينجح في ابراز كل ما صنع الا الى الصريح بكلمة واحدة وهي ارادته

اما الاننا فيما اتنا عكفنا على استقراء تاريخ التكوين فنقول ان موسى انبأنا ان هذا الفاطر التدبير الذي لم يكنه صنع المبروات شيئاً شاء ان يصنعها مراراً متعاقبة في ستة ايام ليشعرنا انه لم يصنعها كرهاً او بجد عبياء كما وهم بعض الفلاسفة . ان الشمس تشرق فتلقي على الارض اشعتها فجأة دون ان تلتصق ذاتها لكنا الله جل جلاله الذي يفعل كل شيء

بالرصانة والحزم والحرية المطلقة يستعمل قوته حسب ما يشاء ومن دار ما يشاء وكذا انه لما صنع العالم بمحكمته ايدى انه خلقه دون تعب لا يحول دون صنيعه مانع ولما خلقه في مراره متواليه ايدى انه سلطان المادة وعمله ومشروعه وان لافاعته لصنيعه الا ارادته المستتمة بذاتها يلوح لنا من نفس عليا ان كل شيء لا يشاء الا به وان الثلاثة الذين خالوا ان الارض التي بخارها الماء وتضافرهما حرارة الشمس يدت بذاتها واثبت بواسطة غضايرها النبات والحجران زاعجا عن سراط الحق وركبا من الشطط والعثر .

وقد ابان لنا الكتاب المقدس ان العناصر لو لم يهبها الله قوة النشأة يصبغة امره لكاتب عقيمة فلو لم يكن الله الذي اعاد المادة اننا قد كَوْن النبات والحجران بارادته الكمية النادرة ولو لم يفيض لها البذور اللازمة لتكثر في الاجيال طرا لما وجنا في الارض والماء والخواء .

فيا لعمرى ان من يرى النبات ينمو بحرارة الشمس ويولد نباتا تاخذ الرية في مكنه مع ان الكتاب المقدس يعلن لنا ان الارض كانت ملتحقة بالكلا وصوف النبات قبل ان تنشأ الشمس فذلك يبعث على الاعتقاد بان الله منفرد بايداع كل شيء من العدم الى الوجدان .

وقد شاء ذلك الصانع الجليل ان يدع النور قبل ان يحميه في الشمس والكواكب لانه اراد ان يشعرنا ان الثيرين اللذين ادبت لها العبادة لم تكن لها في ذاتها مادة شئمة وساطعة بتركبان منها ولا شكل عجب حصرا فيما بعد في .

ثم ان نيا التكوين الذي نقله موسى الينا يزحرج لنا الغشاء عن سر الثلاثة المحنة وذلك ان في الله وحد الانماء والندرة المطانة وانه وحد لسعيد وحكيم وكفي الندرة وكفوة لتسبه يفعل اختياريا كما انه يفعل دون احتياج وان المادة لا تنجبه الى الصنيع ولا تبدي لدبه النبا كما بل يصنع بها بطلقي ارادته لانه هو الذي منحها بارادته جوهر الوجود

وبما انه منول عليها بنعمها ويصنعها ويدبرها ويحركها دون عناء وصعوبة ولا شيء الا بتعلق به وان كانت الاشياء متعلقة ببعضها كتنفيع النبات ونموه المتوقف على حرارة الشمس فما ذلك الا لان هذا الاله الباري الخليفة اراد ان يوثق بعضها ببعض فتبدون حكمته بهذا التسلسل الغريب

وان ما نخبرنا عنه الكتاب المقدس بشأن تكوين العالم ليس امرا مذكورا بالنسبة

الى ما يبيننا عنه بشأن تكوين الانسان . فان الله فطر كل شيء بامر وسلطانه قائلاً
 فليكن النور فكان النور ولكن جلدني وسط المياه ولتلقم المياه الى عمل واحد وليبد
 اليس ولكن نيرات عظيمة تفصل بين النهار والليل وتنفذ المياه خشاشاً واسماكاً وتخرج
 الارض حيوانات بحسب اصنافها بيد الله لما وصل الى برء الانسان غير متنجس نظفه فان موسى
 انبأنا انه قال حينئذ فلنصنع الانسان على صورتنا ومثالنا ولا ريب ان هذا الكلام
 يبين ما نفوه به قبلاً . فان كلمة الانف يدل على السلطة المطلقة وينجم منه ان ما خلق
 قبل ان فطر الانسان لم يسعد عليه احد لكنه استرق كلمة عند خلقه للانسان فكانه
 استشار نفسه بشأن ذلك الصنيع ليشعرنا بان ما هو مزعج على برئه يفوق كل ما برأه الى
 ذاك الحين اهية واستغنائاً . فقله لنصنع الانسان يدل على ان الله كان بناجي نفسه ومن
 يصنع مثله ويناجي الذي خلق الانسان على صورته ويناجي من هو هو ومن نشأ كل
 شيء به وهو الذي قال في انجيله ان كل ما يصنعه الاب يصنعه الابن ايضاً (١) وفي
 غضون ما كان يتكلم مع الابن كان بناجي الروح القدس السامي المقدرة المساوي لها في
 الجوهر والازلية

ولم يعلم من الكتاب المقدس ان احداً تكلم عن نفسه بصيغة الجمع سوى الله تعالت
 قدرته حيث يقول . لنصنع . وانه جل جلاله لم ينهج على ذلك النمط سوى مرتين في
 الكتاب المقدس او ثلاث ولم يبد ذلك التعبير منه الا لدى مباشرته برؤ الانسان
 واذا ما غير الله متنجس كلامه بنمط من تصرفه فذلك ليس دليلاً على انه يتغير في ذاته
 بل يود ان يشعرنا انه عازم على ان يبرز في الاشياء نظاماً مختلفاً بحسب آرائه السرمدية
 وبناء على ذلك فان الانسان المترفع فوق سائر المبروات التي انبأنا عنها موسى
 التكليم برز الى الوجود بامر يبعث على الدهشة والحيرة . فان الثالث طفق ببدو لما
 كوّنت الخلائق الناطقة التي قواها العقلية هي صورة غير كاملة للافعال الازلية ومن ذلك
 يتبين ان الله مختصاًب في ذاته

اما الاستشارة التي احتفل بها الله فتدل على ان البرية التي عنى برءاً متفردة في
 ان تبرز افعالاً باختيار وعقل ولا ريب في ان ما خلقه عنا الانسان بذهل القول

عديمة السلطنة على الخلائق الجسدية فعكف الشيطان الخناس على تلك الوسيلة وخادع
ابونا فاهبطها من العزة الى الغرة فسخ له العلي بان يلج جوف الثعبان لان الثعبان
حري بان يثمل خبت تلك الروح الشريرة ولم يكن وسيلة لان يشعر منها ابونا لان
الحيون طرا بدا امام مقلتي آدم في بادى الامر قصد ان يعين لها اسماء لكل
حسب نوعه ولتودي الرضوخ لذلك الملك العظيم الذي مازة ربة بالرفعة عنها واقامة
عليها سيدا ولذلك لم تكن الرعة تستولي على فواده لانه طالما كان على تلك الحال
لم يمكن لحيوان ان يباده بادن مضره

اما الان فلا يذهب عنا ان نعرف ما ناجاه به الشيطان الخنول وما اتاه به من
الخبث والرياء . ولما كانت الانثى منطرة على الضعة والوهن اخذ يناجي حواء وكان في
اثناء مكالمته اياها يكالم بعلمها قائلاً لكليهما علام صدقك الله من ان تلتهما هاتي الثمن الناضرة
فان كان برأ كما ناطقين فليس من العدل ان تخفى عليكما من علل الكائنات خافية
واني لاوقن ان هذه الثمرة لا يخامرهما سم زعاق وليست نفسا كما ترهقان لدن اكلمها فالتهمها
تجمل لديكما الغوامض فشدًا عليه في بادى الامر تكبراً ثم طعنا في كبد الرضوخ سهام
الريبة فاعاد عليهما الحديث قائلاً كلا الثمرة تزيلا نطق العبودية ونسخ لكما جدد
الحرية وتسميا الهة تستأثران السودد والسعادة ونسح عليكما ميازيب المحصافة والحكمة .
وتعلمنا الخير والشر ابي لا يتوارى عنكما من الامور شي فبذلك يطنق العقل بقاوم
وامر الخالق ويدوس القوانين فرنت حواء الى الثمرة واستطابتها وجذبته اليها الشهوة
النفسية . ولما كانت عالمة ان الله قد احرز في الانسان النفس والحمد فكرت ان يكون
قد اناط بالنبات قوى خارقة واحرز في المحسوسات هبات عقلية فاخذت من ذلك
الثمر واكلت وقدمت من ذلك لبعلمها فاصبح عرضة لكل خطر جسيم فان التمزج
والملاطفة بضعفان التجربة ولهذا اذعن للآرب الطاغى فعمي عليه امر واستولت عليه
الكبرياء والصلف والملة الباطنية فكل ذلك بعثه على ما فعل ولم يكن الا لينقاد
لمرضاة شهوته وشره نصارة الثمر فانقلب عبداً للحواس بعد ان كان سيداً

فعند ذلك انقلب لديه المناظر واصبحت الارض غير بهجة عنده كما كان براها
اولاً اذ لم يكن يتللف منها شيئاً الا بعد مقاساة العناء والمتاعب ولم يعد يرى السماء
صافية نافية . واما نوع الحيوان طراً الذي كان علة ارتياحه ونزهته فقد بدا لديه هائلاً

مرعباً وبعد ان كان صنع العلي كل شيء لامت وسعادته احواله لتعبته والتبرج به
 واصبح ذلك الرجل يطرح نفسه تحت اوقار العذاب بعد ان كان كل شيء
 يوده فثارت حواسه ثورة ابطلت فكره وارته في نفسه اشياء تبعث على النجس . واستحالت
 هيئة الاولى التي برأه بها ربه الى هيئة حملته على ان يجهد النفس باخفافها واصبح متغصاً
 في غمر التريب والحياء وكان يود لو يكون متوارياً مستوراً وشنت عليه رومية خالقه جداً
 لان الله ذا المحول والطول الذي برأه على مثاله ومثله حواس تسعد عقله وبدا امامه
 هيئة محسوسة امسي الانسان لا يطبق مرآه ولا الدنو منه بل كان يتمنى ان يتبطن فيه
 وهاد المناور رجاء ان يباين وجهه من كان موضوع سعادته وجذله واخذ من ثم ضبيرة
 يونية قبل ان نجاه العلي واتى بعذر قضى عليه بالخزي والعار واصبح هدفاً لسهام
 الردى . ونزع منه اساء الهلاك واصبح موت نفسه الامارة رمزاً الى موت جسده الواهن
 وبناء عليه فقد قضى علينا بقضائه فان الله الذي كان في عزمه ان يثيب كل اخلاقه فقد
 عاقبهم بحريته بعد غنوه وعصيانه ورشقنا طراً من بعد بسهام الانتقام ولذلك اصبحت
 ولادتنا مبنية من اصلها على الفساد . وليس من شأننا الان ان نبحث عن عدل الاله
 بقضائه على النظرة الانسانية بل لا يجوز دون عبادتنا احكامه حائل ولعمري هل يمكن
 لنا ان نعتبر البشر كافة مرذولين كايينا آدم فذلك لا يتبعه عن معرفته احد بل انهم سقطوا
 من عليين سقوطاً ابدياً وحرمووا الجنة حيث كانت لذائنا

اما نظام العدل الانساني فيترتب عليه اسعادنا على ادراك كنه العدل الالهي
 وما ذلك الا لانه رمز الى غيراته تعمس عليه ابانة عمق هذه الدركات . ومن المقرر
 لدينا ان العدل الالهي ورحمته لا يقاسان بالعدل الانساني ورحمته بل لكل عواقب
 اكثر سعة وتخصيصاً

وفي اثناء اعنات الله عباده واساعهم ارباباً ووعيداً يثني اعطافهم الى موضوع
 آخر اعزلدهم وهو رجاء في النجاة اعدده البارئ لمبرؤيته منذ سقوطهم فان الله ابان
 لامنا حواء في انسياب العباب المزور المضاهي لخداع الروح الختول اخلاق عدونا المنقوتة
 وما أعد له من كبير العقاب ولذلك اصبغ الثعبان مرشوقاً بنبال الثلي والبغضاء اكثر
 من اصناف الحيوان اجمع والشيطان ملعوناً اكثر من الخلائق قاطبة وكما ان الثعبان
 يستمر مناسباً على بطنه فيستمر الشيطان اسفل بعد هبوطه من صهوات العلاء وقبل في

الكتاب المقدس ان الثعبان يقات تراباً وليس ذلك الا رمزاً الى الافكار الدنسة التي
يعتينا عليها الشيطان ولا ريب في انه نفسه لا يفكر الا بأشياء دنسة لان افكاره كلها اثم
وجرائم . وان البغضاء بين الشيطان والنوع الانساني نشعرنا باننا نكون عليه ظافرين
بزرع مبارك بان يدوس راسه اعني يفتح كبرياه ويلاشي مصاله عن وجه البسيطة
وما ذلك الزرع المبارك الا يسوع المسيح ابن مريم البكر ومن المعلوم ان خطيئة آدم
الاصلية المحقت بنسله اجمع الا يسوع المسيح لانه ولد انساناً بنوع الهي وهو انه لم يجبل به من
الانسان بل من الروح القدس وبناء عليه فانه بواسطة الزرع الالهي او بواسطة المرأة
التي حل في احشائها حسب تعبير هذه الالة المتباينة يخف الهلاك الانساني وينزع
السلطان من الشيطان مالك العالم لكونه ليس له شيء في يسوع المسيح (١) اما
الجنس البشري فقبل ان ين الله عليه بذلك النادي العظيم فقد انبأه الاخبار المستطيل
انه مفتقر الى المضافة والاعانة . فترتب عليه امر نجائهم وفسدت طباع الانسان وعالي
في الرذائل والقبائح وامتلات الارض آثاماً وجرائم . فعند ذلك فكر الله في ان ينقذ
منه بامر يتخذ ذكر بين البشر كافة فاجرى عليه ميازيب الطوفان عرماً فذهب
صيت ذلك ما بين نوع الانسان قاطبة ولم يزل الى الان تلحج بذكره الامم وما بعث الله
عليه من الاثام . فلا يخالف الانسان اذ ذاك ان العالم يسير من تلقاء نفسه وان كل ما
كان يبقى على ما كان بل ان الله الذي برأ كل شيء والذي لا يكون كل شيء الا قائماً
بأمره ازمع على ان يفرق نوع الحيوان والانسان وان في نفسه ان يلاشي احسن جزء
من صناعته .

ولم يكن محتاجاً الا الى قدرته بان يزيل ما صنعه بينت شفة لكنه رأى ان من
اجل شأنه ان يستخدم خلقاته ذريعة لانتقامه فدعا المياه تنهم من الارض المغشاة
بالذنوب . بيد انه رأى ما بين اولئك رجالاً صدوقاً يستحق النجاة فان الله قبل ان رماه من
طوفان الماء كان قد رعاه بنعمته من طوفان الخطيئة ورعى عائلته اجمع لتعمر الارض ثانية
حيث انها امست ان تكون خاوية وانه بواسطة هذا الرجل الصدوق حفظ الله نوع الحيوان
لكي يعرف الانسان انها صنعت لاجله رجاء ان يستخدمها تحيداً للرب خالفه . ولقد صنع

شيئاً اعظم من ذلك وهو انه اسف جداً على اجراء عدله الصارم بعقابه للانسان الاثم بان لا يبعث اليه مرة اخرى بطوفان غامر وايرم معه ومع سائر الطيور والبهائم (١) عهداً تدل عليه قوس نصيبها في الرقيع فوق الارض وما ذلك الا ليشعر بان عنايته تمتد فوق كل ذي حياة. فبدت تلك القوس مشكلة الالوان تخبرها ان تكون في غمام رقيق يحمل ندى لطيفاً غير متغير ان تكون في غمام لبد يحمل مطراً سمحاً . وذلك دليل على ان الامطار التي تسيل من ميازيب الغمام لا ينشأ منها فيما بعد طوفان جارف . ومنذ ذاك الحين اخذت القوس تبدو في المشاهد السماوية كأنها زينة العرش الالهي حاملة آثار رحمته الصميدة . ومن ثم عاد العالم الى نشأته الاولى وبرزت الارض من غمر المياه ومع ذلك فقد بقي الانتقام لله على ابن الطبيعة اثاراً ليست بزائلة فان الطبيعة كانت منذ البدء الى الطوفان شديدة قوية لكنها الارض بعد ان امأهت عليها السماء وظلال مكث المياه عليها ذهبت عنها الغضارة وفسدت ماويتها وتناقلت الالهواء الرطابة وكثر الفساد واخذت احوال الناس تنقلص فان الاعمار الانسانية كانت في ذلك الحين تصل الى الف حول . فاعتراها من ثم التناقض رويداً رويداً من لدن العلي وزايلت الاكلاء والنار تلك القوى الاصلية وافقضى ان يقات الانسان بعد ذلك من لجان الحيوان وبناء على ذلك اخذت الآثار الاولى تصبح عافية الرسيم رويداً رويداً وقد كان ذلك التغيير الطبيعي دليلاً يبعث الانسان على ان يشعر بان الله تغير عليه بالغبط والانتقام اذ تعاظمت آثامه وجرائمه . ولقد جاء في تاريخ شعب الله ان حياة بني الانسان لم تكن في الابتداء غير مأثرة لدى الشعوب بل ان تنالدهم القديمة قد ابنت لها في بطن التاريخ ذكراً خالداً وكان الموت الذي يباهه النطرح الانسانية يستلثمهم الى ما يلم بهم من الانتقام السريع ولما كانوا يستمرون كل يوم متسكعين في مهام الآثام آل الامر ان تعينهم العذابات المبرحة . ولا ريب في ان تغيير انبيائهم للثاني كان يشعرهم بانهم اصبحوا في حالة يومية فان قوام امست واهنة جداً الى كبر في الوقت نفسه على الهامة واهراق الدماء . وقبل الطوفان كان الغذاء الذي يغتذيه الانسان كآثار حياتهم الساذجة واخلاقم الرضية غار الارضين تساقط لديهم من تلقاء ذاتها . اما الان فلا يطيب لنا الغذاء الا بان نهرق الدماء قسراً

عما باخذنا لذلك من الهول والدهش وان الوسائط التي تقوم بها قصد تغشية خوان
الطعام تكاد لاتكفي ان توري عما الجثث التي ارقنا دما في سبل اقتياتنا وما ذلك الا
جزء ما يلزم بنا من الكوارث فان الحبة التي تقلصت بعد ان كانت مدينة بادمتها
المظالم والجور بالنقص فان الانسان بعد ان كان في بادي الامر يوفى حبة الحيوان
فقد اغرته العادة بان يسفك دماء ابن طيته وان ما اوصاه به الله ان لا ياكل لحم
الحيوان بدمه وان لا يريق دماء اولاد جبلته ذهب ادراج الرياح ولم يتم الانسان بحج
رعايته ولم يوحه الله بذلك الا ليبيني له من اخلاقه الاولى اثر ارضيا . ومع ذلك فان
القتل زاد وفشا وان يكن قاتل حرج صدره على اخيه مايل قبل الطوفان فاجرى
دمه على الارض صيبا ولاملك من اخلاف قاتل هو ثاني من اجترأ على ان يريق مثله
الدماء ويمكن لنا ان نفترض ان غيرها قد افنت اثرها السيئ فان الحرب كانت وقشعر
في عدم محبت لا ينهافت على احراها العالمون . فشأ بعد الطوفان فقط جبابرة يعثون
في البلاد ويغرقون الدساكر يدعون فاتحين ثم ولاء اغرام الهيام بنحو السودد والجد بان
يناصبوا الابرار ويبعدوا منهم عددا كبيرا فشأ من اخلاف حام الخزى من ابيه (١)
رجل ملعون يقال له نمروذ سؤلت له النفس الامارة على ان يشيد له مملكة فقالوا من
ذاك الحين في الثمرات واخذت المطامع النسبة تلعب بالحيوة البشرية لا تشهم عن
المناسد شكيمة فطنوا بتقاتلون ويتساورون بغيا وعدا واصبح من اعز الننون واساما
ان يتفانوا ويحعلوا هياكل الاجسام عظما رميا . وبعد ان مضى على الطوفان نحو من
ماية سنة سخط الله على بني الانسان وضربهم ببلية كبرى هي بلية الألسن ولوليت اللثة
التي عليها آدم لاولاده وتداولتها السنة الاقدمين عامة بعد ان نشعت اولاد نوح وهاموا
على وجوههم في شوارع الارض لكانت وثاقا متينا ترتبط به الالنة الاجتماعية يد انها قد
اعتراما الاضحلال وعشت بها ايدي الملاشاة لدن اقامة البرج في بابل ولا فرق في
ذلك ان كان اولاد ادم الجاحضون لم يتفانوا بمواعيد الرب التي يعنى منها ان الطوفان
لن يغمرهم مرة اخرى فاخذوا بينون لم لجأ شائحا بلودون به وقت النازلة محصنين
وانهم قصدوا ان يخلدوا لم ذكرا بيناته قبل ان تلعب بهم ايدي سبائ مشغنين

وذلك ما يدل عليه ستر التكوين فاحبط العلي^ه سعيهم بان صدقهم عن تشييد ذلك البرج الباذخ آملين ان تنطح شرفته روق الغمام فاقوع بينهم الشقاق والاضطراب ضارباً بينهم وبين لغتهم السجاف الاولى المستور فتناست عندهم ومن ثم اخذوا يجتثون الى امر وقبائل واخذت تنوع بينهم اللغات ودل على الوسوسة التي تعنى من البلية برج بابل الدال على الاضطراب وليس ذلك الا كاتنقام خالد من القطرة الانسانية على ان الكبرياء هي مصدر الانقسام والبلية بين البشر. فذلك ما كان بدء العالم كما يستفاد من تاريخ موسى فكان ذلك الابداء في بادى الامر سعيداً ثم تشوه بالمشاق والكوارث المحارقة. فان استلقتنا الانظار الى كيفية برئه بالنظر الى بارئه التدبير نراه عجيباً عربياً وهذا البدء يستمر كما نعلمه عند التبصر فيه معتبرين ان الجنس البشري لا يزال في قبضة الخالق الذي انشأه من العدم المحض بمجرد كلمته ورعاه بصلاحه وسامه بحكمته وعاقبه بقسطاس عدله وانفذه برحمته وهو لم يزل راضخاً لسلطانه. وليس العالم كما زعم بعض الفلاسفة انه مؤلف من كتل تلاقت ببعضها على سبيل الاتفاق وليس كما زعم بعض من هم احصف منهم وهو ان المادة كانت منذ الازل فتلفتها خالق الكون فاصبح حينئذ امركان المكون لا يتعلق بالخالق نظراً لجوهر الوجود او نظراً للحال الاولى لكنه قيد لما نواميس ليس بوسعها ان يناقضا.

لكن موسى والاباء الاقدمين الذين روى لنا عنهم النبأ الاكيد يشون لنا بذلك آراءً سديدة وفي ان الاله الذي يستلقتنا اليه التكليم قابض على سلطان اخر عظيم وفي وسعه ان يبرم ويزيل مثلما يشاء ويقبض للطبيعة نواميس يقوضها متى اراد. ولما نساء اكثر بني الانسان اراد ان يبدولديهم فاخذ من ثم ييدي الاعاجيب المرهبة فالجأ الطبيعة الى ان تزايل نواميسها الثابتة ولدن ذلك طفق يبين انه هو السلطان المطلق الذي يبدل وحده ان يحفظ وثاق النظام في العالم.

ولا ريب في ان بني الانسان نسوا خالقهم لان ثبات ذلك النظام العظيم لم يكن ضاحكاً الا ليقنعهم انه خالد من تلقاء ذاته وذلك ما حملهم على ان يعبدوا العالم طراً او النجوم والعناصر او كل الاجرام التي يتألف منها. فلما اراد الله ان في بعض ظروف مهمة تنقض ذلك النظام ابدى جودة عظمى فلم يكونوا اذ ذاك يعجبون او يندعشون من ذاك النظام لانهم كانوا قد اتقوه بل انه كان يبعثهم على ان ينوهوا لكثرة غرهم وعمه

بصائرهم ان الابدية والاستقلال خارجان عن الله
وتاريخ شعب الله المثبت بتسلسله وبصلاح اولئك الذين كتبوه او باستقامة اولئك
الذين رعوهم من الغائلة باعنائهم عظيم بذكر تلك العجائب صريحاً ويبيدي لنا سلطان
الخالق المطلق على كل مخلوقاته سواء كان قد اخضعها لنواميس الطبيعة او يوجهها لان
تكون مهابة للروض لنواميس غيرها اذا آل الامر ان ينذر عباده النائمون في الضلالة
بأعمال غريبة

فذلك هو الاله الذي ببشنا عنه موسى وهو الاله الفرد الصمد الذي يحق ان يعبد
عبداً من قبل موسى الآباء وهو الاله ابراهيم واسحق ويعقوب فشاء ابونا ابراهيم ان يقدم له ابنه
الوحيد قرباناً وكان ملكيصادق المرموز به الى المسيح كاهناً له وقدم له نوح لدن خروجه
من السفينة معرقات واعترف به هايل الصدوق اذ قدم له اعز شيء لديه وخلف الله
على آدم بعد هايل بشيت واظهر آدم عينه لنبوه انه اخرجه من بين يديه وان هو وحده
الذي يرفع عن عوانتي ذريته ائثال المشاق المبرحة
فيا لله من فلسفة عظمى تبعثنا على ان نقف على علة وجودنا وباله من تقليد عظيم
يرعى لنا ذكر هذه الصنائع العجيبة وباله من شعب ذي بر وقداسته هو شعب الله الذي
يتسلسل تسلسلاً غير منفصل من بدء العالم الى ايماننا هذه ويحفظ دائماً هذا التقليد وهذه
الفلسفة المقدسة

الفصل الثاني

في الكلام عن ابراهيم والآباء

سيدى . لا يخفى عليك ان شعب الله كان في عهد هذا الاب الصديق في رعاية
نظامية ولذلك لا يندبني ان اضرب عن التبيان عنه لديك فاقول . ان ابراهيم ولد
سنة الثلاثمائة والخمسين بعد الطوفان حين كانت حيوة بني الانسان مديكة وان كانت
وقته قد تقلصت فان نوح استعز به الله في مفرقة من لثة ابراهيم وكان ابنه سام في رقب
حياته فنقض ابراهيم معه في لثة الحيوة اعواماً كثيرة
فيا سيدى ان حانت منك الثفانة البصيرة الى ذلك العالم الحديث الذي كان

وفتنة كانه مبل بقاء الطوفان تر عجيبة. ولا سيما لما كان بنو الانسان القريبين بهذا
 المقدار من براءة الامور لا يفتنرون الى معرفه وحده الله وما يفرض عليهم من القيام
 بخدمته ليعرفوا التفاليد التي حفظت منذ آدم ونوح الى ذاك الوقت الذي هو
 وشيك من الاصل جداً. فضلاً عن ذلك فقد كان ذلك التقليد من الامور التي
 لا يقم عليها العقل كثيراً بنوع ان تلك الحقيقة البينة لم تكن على شرف التناسي بين البشر
 وليت حال الدين على ذلك المتوال الى عهد ابراهيم اذ لم يكن بنو الانسان مفتقرين
 الى معرفة الرب الا بان تدلم على ذلك عقولهم وذاكرتهم بيد ان العقل كان ضعيفاً يعرفه
 فساد واختلال. وكلما كان البشر يتفادون عن الاشياء الاولى كانت تتوسوس
 تصوراتهم التي تلقوها من آباؤهم فحق الاولاد متبردين وتزق عنهم شعار الاداب وابوا
 ان يذعنوا لكلام اجدادهم المعمرين اعواماً ولكنها مغالاهم بعد كل هذه الاجيال في
 تلك الاخلاق الخسنة اوشكوا ان لا يعرفوه. واصبح الجنس البشري منحطاً عن المدارك
 العقلية يخط في مهامه الخسنة والعجيبة وازمع على ان لا يعبد الا ما تستقر عليه حاسة
 البصر ولذلك فثبت عبادة الاوثان في اقاصي الارض

واما الروح الشريف الذي اطفى الانسان الاول فكان يجني ثمره خداعه ويشاهد
 غوائل كلامه لما قال لادم وحوا انكما تصبران من الالهة ومن حين تقوه بذاك الحديث
 معها فكر في نفسه انه سيدب التهويش والاضطراب في فواد الانسان ويجعله يمزج
 تصوره بالله بتصوره لمخلوقاته عازماً على ان يجتري اسمه القدوس الذي هو محصور في
 عزته الالهية فركب بذلك متن الفلاح وليت البشر اللعانيون الدمويون يتصورون في
 الله تصوراً مبهماً وهذا التصور ثبت بقوة الخاصة. بيد انه لما امتزج بالتصورات
 المتأينة من المشاعر عكف البشر على ان يعبدوا كل ما فيه قدرة وقوة ولذلك اصبحت
 الشمس والنجوم التي تظهر قوتها عن بعد والنار والعناصر التي منافعها عامة من الامور
 الاولى التي تحقق لها العبادة العامة من البشر كافة ثم الملوك العظام والجبابرة الفاتحون الذين
 كانوا اصحاب جرأة وصولة. ثم الذين اخترعوا اشياء مهمة للطائفة البشرية امسوا من
 الذين اديت لهم الكرامة الالهية وعوقب البشر بخضوعهم لحواسهم وامست تلك الحواس
 فيصل حق في كل الامور ولم يمكن للعقل ان يصدها عن صنع الالهة التي اديت عبادتها
 في جميع الارض

فلکم بدا الانسان حیثنر فاصباً عن وضع نظامه الاول ولکن اصیبت فی صورة الله فاسدة . فلیت شعری هل من العدل ان یقال ان الله برأه فی تلك الامیال البیئة الی کانیت علی وشک الازدیاد یوماً بعد یوم وذلك المیل الغریب قد حمله علی ان ینتاض عن عبادة موله الطبیعی عبادة کل ما تراه مثلناه فهل ذلك لا یدل ینوح جلی علی ان بدا غریبة لعبت بعقل الانسان فافسد کل ما صنع الرب حتی لم یبق لذلك الا آثار قليلة فعمه الانسان بصيرة وناه فی لیل الضلالة مغرورفاً فی عبادة الاوثان ولم یکن فی ذلك الوقت شیء یصدفه عن ذلك فما الشرفشا وكاد ینجم علی قاطبة البسیطة . ولما فکر المیهن المتعال انه ان لم ینعت الیه بدواء شاف یمتد فی الارض طراً وتختی عن عقول البشر معرفة الله دعا عبده ابراهیم وقبض له ولعلیت عبادته وامره ان یحافظ علی الاعتقاد القدیم فی تکریم العالم وفی العنایة الخاصة الی یسوس بها الرب الامور البشریة . وذهب صیته فی اقاصی الشرق ولم یکن العبرانیون وخدم یمتدونه ابا لهم بل الادومیون ایضاً وقد کانوا یتفاخرون بانهم من اخلافه . وقد عرف اسمعیل عند العرب ان اصلهم واسمیرت الخنثانة عندهم دلیلاً علی اصلهم ولم یكونوا یمننون فی الیوم الثامن من میلاد الطفل حسب عادة الیهود بل فی السنة الثالثة عشرة استناداً علی ما علمناه من الکتاب المقدس عن اسمعیل ایهیم ولیثت هذه العادة محفوظة عند الحمیدیین . وشعوب اخرى عریة یتذکرون ابراهیم وامراته قطورة وهؤلاء هم الشعوب الذین یعزوم الکتاب المقدس الی هذه النسل وكان ذلك الاب کلدانی المتمد ونبغ هؤلاء الشعوب فی معرفة الارصاد الفلکیة وکانوا یثنون بان ابراهیم له الباع الاطول فی فن التنجیم وقد زعم المؤرخون السوریون انه استولى علی العرش ملکاً فی دمشق وانه اتی من انحاء بابل ویتثنون انه غادر مملکة دمشق لیسکن بلاد کنعان الی دعیت فیما بعد یهودیة . لکنما الاجدر بک یاسیدی ان تثق بما ینقله عنه تاریخ شعب الله وقد اسلمنا ان ابراهیم کان عائشاً عیشة الاقدمین قبل ان اجتزا العالم الی مالک وقد کانیت له السطوة علی اهلوا الذین کان عائشاً معهم عیشة رعائیة مشهورة بالسذاجة والبر وکان مریاً یملک من الموائی والعبدان والفضة شیئاً کثیراً ولكن لم یملک شیئاً من الاقالیم وفسج الارض . ومع هذا وان کان فی مملکة غریبة فقد کان محترماً ومسنناً بالو عائشاً عیشة الملوک وما ذلك الا لان بد الله کانیت تقوم بناصر وتقرّب الیه المکرمة من

ناظره نظراً لما كان عليه من طيب السريعة ونزاهة النفس وكان يوافي الملوك الذين
يرومون اخاه فشاخ من ثمائه كان ملكاً . وقد أحجج الحرب مراراً قسراً عن سذاجة عيشته
وجنوحه الى الصلح ولم يجرب الحرب احياناً الا ليدافع عن المظلومين الذين كانوا يواخونه
فاخذ بثأرهم ظافراً ظفراً عجيماً ووهبهم اموالهم التي انتزعها من اعدائهم ولم يبق في يده
منها الا العشر الذي قرّبه الله وقسماً جازي به الذين جاهدوا معه في ساحة القتال ومع
هذا كله فلم تحزل يده هدايا الملوك قبولاً ولم يتألك ان يرى احداً يزعم انه جعل ابراهيم
غنياً ولم يشأ ان يكون مديوناً لغير الله الذي كان يقوم بناصره ولذلك كان يحفظ له في
صدره ايماناً حياً ويؤدي له رضوخاً تاماً . وما يدل على امانته انه نزع من ارض ابيه
ليأتي مهاجراً الى الارض التي اعدّها له الرب ودعاه اليها ولما رآه اهلاً لان يبرم معه
عهداً عند معاهدة موثوقة بشروط واعلن له انه سيكون الهه واله اخلافه اي يستمر
فانما بناصرهم وهم يعبدونه الهام مفرداً فاطر السموات والارض ووعده بارض هي ارض
كنعان لتكون مركزاً للذين وموطناً سرمدياً له ولاخلافه طراً . ولم يكن لابراهيم في
باديء الامر اولاد لان امراته سارة كانت عاقراً فنسم الله بسرمدية وجوهر ذاته انه بمن
عليه من امراته العاقرة بذرية تنكاثر كنجوم السماء ورمال البحر . واهم ما يذكر هو ان
كل الشعوب الذين كانوا جانحين عن طريق الحق يعبدون الاوثان او عزاليه عنهم
انهم سيتباركون به وينسلوا اي يزددون الى معرفة الله التي لا بركة الا بها . فلذلك اصبح
ابراهيم اباً لكل المؤمنين واختار الله ذريته لتكون مصدراً تنبعث منها البركة المزمعة ان تمتد
في اقاصي الارض وهذا الوعد يحوي مجيء المسيح الذي تنبأ عنه اباؤنا بانه يكون مزموماً ان
يأتي من نسله وان يكون منتذاً من لجنة الآثام كل عابدي الاوثان وسائر شعوب الارض
ولهذا اصبح هذا الزرع المبارك الذي وعدت به حواء زرع ابراهيم وابيه . فهذا هو ركن
الميعاد وعماده والشروط التي ابرمها الله مع ابراهيم . وانتبل نعمة هذا الميعاد في
الحنانة التي يتج منها ان هذا الاب الصالح بناط هو وعائلته بالله . ولما اخذ الرب يبارك
ذرية ابراهيم لم يكن له اولاد وغادره الله بدون بنين من الاعوام كثيراً . ومن ثم ولد له ولد
دعاه اسماعيل وكان موهلاً لان يكون اباً لشعوب عظيمة غير الشعب المصطفى الذي
وعد به العلي اباه ابراهيم . بل ان هذا الشعب يخرج منه ومن امراته سارة التي كانت
عاقراً . وبعد ان تقادمت على ولادة اسماعيل ثلاث عشرة سنة ولد لابراهيم ولد دعاه

اسحق اي الضحك او ابن المشاة وابن الحجرات والمواعيد وتبين من ولادته ان اولاد الله
الاحياء يلدون بالنعمة

ولما ترعرع اسحق وزادت نشأته ورجا ابوه ان يري منه اولاداً امتحن الله مصداق
ايمان ابراهيم فامر ان يسرع به الى ذروة جبل عينه له كي يذبحه ثم تقدمه للرب . فرجع
ابراهيم للامر وفاد ابنه الذي وعده به العلي ابن المسح وشعباً كثيرة تنشأ منه ولما رفع
الجارية فوق نخع واصبح الوليد علي وشك الزهوق ناداه العلي من العلاء ان ارفع اليك
عنه عتقاً حينئذ رضوخ الولد وايه . ولم يعنها بعد ذلك بشغل الامتحان واصبحا كرمز
الي يسوع المسيح بتقدمه ذبيحة لله وقد ذابت نفسها مرة صليبه واستحق ان يصير من
اجياده ولما راي الله ان ابراهيم ثابت الامة انجز له كل مواعيد وبارك عائلته وبها كل
ام الارض ولا ريب في ان الله واطب على الدفاع عن اسحق بن ابراهيم وعن حقيق
يعقوب وكلاهما تسبنا باعمال ابراهيم وتخذاهم فوزجاً لها واستمسكا بالاعتقاد القديم والعيشة
الرعائية ونظام العالم القديم وهوان كل ابا عائلة كان يناط بعهده سياسة عائلته . ولم يكن
القلب الذي كان ينشأ بين البشر ذريعة لتغيير الاثار القديمة في الدين وسلوك ابراهيم
واولاده .

وبناء عليه اعاد الرب لاسحاق ويعقوب المواعيد التي وعد بها ابراهيم وزيادة على
ان شاء اولاً ان يدعى باله ابراهيم فقد رغب في ان يلقب ايضاً باله اسحق ويعقوب
فعلى هؤلاء الثلاثة ينطبقون بلاد كنعان تحت رعاية الرب ولكنهم كانوا في تلك
الارض غرباء محاييج لا يملكون من اجزائها شيئاً . ولما نظور يعقوب جوعاً هاجر الى
ارض مصر فمنا هنالك نسله واصبحوا كما قال الرب جيشاً كبيراً . ومع ذلك ولو ان
الشعب الذي ادخله الرب في ميعاده اقتضى ان ينمو نسله وتنتفي البركة النسل فلم
يتقاع هذا الاله العظيم عن ان يتغير البعض منهم مخلصاً ايام بعهده . وبيان ذلك هو انه
بعد ان اصطفى ابراهيم من بين الامم تخير من اولاده اسحاق ومن توامي اسحق يعقوب الذي
دعاه فيما بعد اسرائيل .

ولقد فضل يعقوب على عيسو بالبركة الرسمية التي نالها من اسحق ومن المقررات
هذه البركة التي حازها يعقوب في بادى الامر اختلاصاً قد كانت بعناية صمدية لان هذا
العمل الرمزي كان قد تأهب يسر الى منذ كان الاخوان مستقرين في احشاء رفنا

لأنها كانت وقتئذٍ تنزع بتراعٍ عظيمٍ في بطنها فصرعت لله طالبةً من لدنه ايضاح ذلك
فاجابها ان في احشائك شعبين اكبرها يهودي للاصغر رضوخاً . وقد تمت هذه النبوة بان
ترك عيسو لشقيقه حقوق البكورية وصدق له على ذلك بيمين ولما باركه انتحى اناط
بمهدته هذه الحقوق التي من الرب نفسه عليه بها . اما تفضيل الاسرائيليين اولاد يعقوب
على الادوميين اولاد عيسو فقد تثبت بهذا العمل الذي يدل ايضاً على تفضيل الوثنيين
المدغوبين حديثاً للميعاد يسوع المسيح على الشعب القديم

ولقد كان ليعقوب اثنا عشر ابناً اصبحوا اثني عشر أباً اصل الاثني عشر سبطاً ولقد
كانوا برمتهم موهبين للدخول في العهد . واما يهوذا فقد اصطفى من بين اخوته قصد
ان يكون أباً للملك الشعب المصطفى وأباً للمسيح الذي وعده آباءه ومن الامور المفررة
ان عشرة اسباط قد غالوا في الثروات والمجد فصلوا عن شعب الله . وان ذرية ابراهيم لم
تستمر راعية البركة القديمة اي الديانة وارض كنعان والرجا الوطيد في مأتى المسيح الا
ان سبط يهوذا وحده تلقب باسمه جميع الاسرائيليين فدعوا يهوداً واصبحت البلاد التي
يقطنونها يقال لها يهودية وبناءً على ذلك فقد كان الانتخاب الالهي يبدو دائماً عيبه في
ذلك الشعب الجسداني الذي كان مزماً ان يستمر بواسطة التناسل الاعنيادي . فلما
كان يعقوب على وشك الموت واولاد يكتنفونه طالين البركة منه رأى بالروح سر ذلك
الانتخاب فابان له الرب حالة الاثني عشر سبطاً كيف تكون بعد ان يقطنون ارض
الميعاد فوضحها بكلام موجز يتضمن اسراراً لا تحصى .

فلما اخذ يئاجي اخوة يهوذا الى بفصاحه نشك العقول وتخبر الالباب وتبين انه
خارج عن ذاته ولما انتقل بالحديث الى يهوذا ترفع الى مثابة اعلى فقال . يهوذا اياك
يمجد اخوتك . يدك على قذل اعدائك يسجد لك بنو ابيك يهوذا شيل اسد . من
فريسة صعدت يا بني جثم وريض كاسد وكبوة فمن ذا ينجمه . لا يزول صولجان
(اي السلطة) من يهوذا ومشرع من صلبه حتى ياتي شيلو وتطيعه الشعوب . وقد
روي في نسخة من الكتاب ليست اقدم من النسخة التي اخذنا عنها انه قال كلاماً زيادة
عما ذكرنا وهو حتى ياتي من حفظ كل شيء لاجل . وسائر النبوة منوطة بالخال التي
ينظمها سبط يهوذا في الاراضي المندسة واما الكلام الاخير الذي اوردناه فلا يدل في
كل الوجه الا على الذي ياتي من لدن العلي خادماً لارادته ومفسرها ومخيراً لمواعيده

ومنها للشعب الجديد وهو يسوع المسيح اي مسح من الله .

واما يعقوب فلم يتكلم عنه بصراحة ووضح الالهوذا لان المسيح موهل لان بلد منه ولم يكن ايعازه الى يهوذا وحده بل الى كل الامم التي انحازت اسباطها الى سطو بعد ان لعبت بهم ايدي التفريق . وكل الالفاظ النبوية في غاية الصراحة والوضوح وليس فيها اللفظة صولجان فانما على اصطلاح لغتنا علامة للملك فقط وعلى اصطلاح اللغة المقدسة تدل على السلطة والسلطان والنضاء وقد توجد هذه الاستعارة في كل سفر من الكتاب المقدس وقد بدت في ابانة وجلاء في نبوة يعقوب وكانت ما رب هذا الاب الصدوق ان يقول ان في ايام المسيح كل سلطة تزول في بيت يهوذا وذلك دليل على ان تصير مملكة برمتها قاعاً صفصفاً .

وبيناً لذلك ان مآتي المسيح ينشر اليه مجادئين عظيمين وهما ان مملكة يهوذا والشعب اليهودي بندثران اندثاراً كبيراً وان مملكة كبرى تتألف من كل الشعوب ترشح لنضاء المسيح وهو يكون ملكاً عليهم ومنتى اوطارهم وآمالهم . اما شعب يهوذا فلم يعثر عليه في الكتاب المقدس الا في صيغة الافراد اكونو شعب الله واذا عثرت باسدي على تلك اللفظة في بعض المحال مجبوعة اي الشعوب فالذين معتادون على قراء هذا الكتاب المقدس يفهمونها غير الشعب اليهودي وهؤلاء الشعوب نراهم موعودين بالمسيح حسب نبوة يعقوب . وهذه النبوة العظيمة تتضمن باوجز الفاظ كل تاريخ شعب يهوذا او تاريخ المسيح الذي وعده وتدل على كل تسلسل شعب الله ولم تنزل عاقبة ذلك في حيز الوجود . وبناء عليه فليس من المنفذي ان اهمك لديك في ايضاحها لانك تحصل عليها دون نصب وكد وليس عليك الا ان تلاحظ تاريخ شعب الله وتفهم معنى هذه النبوة اذ يتضح لديك جلياً بما تنبئك عنه الحوادث

الفصل الثالث

في موسى والشريعة المكتوبة ودخول شعب الله الى ارض الميعاد

بعد ان مات يعقوب مكث شعب الله في مصر الى حين ارسالية موسى اي نحو امان مائتي سنة وعلى هذا مضي نحو اربع مائة وثلاثين سنة قبل ان من الله على شعبه بالارض

التي وعدهم بها . وقد وُدَّ أن يعود مختاربه على الثقة بكلامه ويخففوا أن لا بدَّ من ثمة ذلك في الوقت المعين من حكمته السرمديّة

وكانت آثام الأمور بين الذين اراد ان يهيم اراضيهم وغنائمهم غير كاملة . وذلك كما اوعز عنها لابرهم اذ كان منتظراً ان يتقم منهم دون شفقة ورحمة بايدي شعبه المختار وقد آل الامر ان يفسح لهذا الشعب الزمن لكي يتكاثروا وينعموا الارض المهيأة لهم ويحملوا فيها عبوة ويفرضوا فيها قاطنيها الذين لعنهم الرب

وقد اراد ان يجيشوا في مصر ائثال الاسترقاق وما ذلك الا لكي يحبوا منقذهم عند نوال الحرية بنجاتهم بمعجزات غريبة وتجمع قلوبهم على محبة الله ويبشرون رحمته الى الابد فمن في ما رب العلي وقد اندرنا بها ليحضنا على ان نخافه ونعبده ونودّه ونستظنّ بالامانة والصبر .

ولما جاء الوقت سمع جوار اولاده واستنصر اخيم فاعز الى موسى ان اذهب الى مصر وملص اولادي من وثاق العبودية .

فبدا الله امام هذا الرجل العظيم بطريقة لم يبدُ بها لغبره من قبله فظلمه بنوع يدلُّ من جهة على العظمة والجلال ومن اخرى على السلوان والامال . واوعز اليه انه هو الذي هو وان كل ماسواه ليس سوى شبح وقال له انا هو الكائن (اي ان الوجود والكمال يختصان به تعالى وحده) وتخذ اسماً جديداً يدلُّ على الحيوة والوجود كانه لما مصدر . وهذا الاسم العظيم المرهب السري لا يمكن ان يشترك به واراد ان تكون عبادته متينة به . وليس من ماري ان ازيدك علماً برزايا مصر وقسوة قلب فرعون وعبور البحر الاحمر والغمام والبوق الماتف والرعدة الهائلة التي تراءت لشعب الله على ذروة جبل سينا حيث كتب الله على لوحين من حجارة بيده وصايا الدين والالفة الاجتماعية الاساسية ونص ما تبقى على موسى بصوت جهوري . ورغبة في ان تكون هذه السنة مرعية تماماً امر الرب موسى ان يولف جمعية ذات حرمة تنضوي على سبعين مشيراً وتدعى مجلس ندوة لشعب الله او مجلس شورى الامة المستقر فبدا الله جهراً وامر ان تنشر سته بحضوره وذلك باظهار عزته وقدرته بنوع عجيب . ولم يكن الرب قد ابرز الى ذاك المحين شيئاً خطأ ليكون للبشر دستوراً بل ان اخلاف ابراهيم كان مفروضاً عليهم ان يجتنبوا محنّين بذلك اشعاراً باليعاد الذي امنن عقد الرب مع هذه الامم المصطفاة . وكانت هذه العلامة

نعتهم على ان ينفروا عن سائر الامم الذين يوردون للالهة الكذب رضوخاً وعبادةً.
 وفضلاً عن ذلك فانهم كانوا لا ينامون عن ان يحرسوا على حرمة المعاد لانهم كانوا
 يزدكرون ما وعد به الرب آباءهم وكانوا يعتقدون انهم مندوبون ان يستمروا شعباً يعبد
 اله ابراهيم واسحق ويعقوب كأن الله اصبح منسياً. فانقضى ان يعرف باضافته الى اسماء الذين
 كانوا يعبدونه اذ كان عنهم لائذاً ومهامياً

ولم يكن من مشيتهم ان يسيط بخواطر بني الانسان اسرار الدين والمعاد فقد حان
 الزمان الذي فيه ان يوقف امتداد الاصنام التي امتدت بين الجنس البشري
 وكانت تكاد تلاشي ما تبقي من النور الطبيعي

ولارب ان الضلالة في ايام ابراهيم كانت خافضة اليهود وبعد ان استأثرت بوحمة
 ربهم بدا الناس يعرفون الله في فلسطين ومصر فان ملكي صادق ملك سيلم استمر يمارس
 الكهانة لله الذي فطر السماء والارض (١). وابالملك جبرار وخليفته المسي باسمه
 كانا يجتحيان الله ويجلفان باسمه الندوس ويعتبان من معظم قوته. وكان فرعون ملك
 مصر تاخت الرعدة من وعيد الله الرهيب. اما في عصر موسى فقد تماهت تلك الامة على
 على الفساد واصبح الله العلي في مصر منسياً غير معروفه انه اله الشعوب طرأ بل انه اله
 العبرانيين وكان الناس هنالك يعبدون كل شيء حتى نوع الحيوان وخيشاش الارض.
 وكل ما ترى نواظركم على الارض كانوا يدعون الهاً فغداً والحالة هذه العالم الذي فطر الله من
 العدم البحث هيكلان للآوثان فعلى النوع الانساني في فباقي البطل والاعتساف حتى اصبح
 يوردي العبادة لما تبعته عليه الشمس الامارة من الفبايح والمنكرات ولا غرو من ذلك
 فان الانسان كان يخال ان كل قوة لا يحصى منها ولا مناص لا بد من ان تكون الهاً
 فلذلك راي ان قوة شهوة التي تبعته على الطيش عبداً وقسراً تزيله كل المزاولة فتخذها
 الهاً له لانها تجذبه الى الفحشاء وهو عار من شكينة تنبئ عن مهاوي ذاك الضلال. فاقام
 هياكل شتى وامسى للفبايح التي تائف منها النفوس الالية دخل في مقدمة الذرايين

ومع هذا كله فقد دخلت النسوة في الدين فانه بعد ان اجرم اضطرب باله فظن
 ان الله العلي من الداعدائ ففكر انه لا يمكن له ان يسترضيه بذبايح اعتيادية فاجترأ بفتح

الفكر ان يسفك دم ابناء نوعه ويقرنه بدم البهايم ذبيحة . ولما استولت عليه الخواف فاعمت
 بصيرته توصل الاباء الى ان يقدموا ولدانهم محرقات للالهة بدلاً من الخمر فشاع ذلك
 في عهد موسى وكان جزاء من اجرام الامور بين الذين وكل الله امر اعنائهم الى الاسرائيليين .
 بيد ان هذه المنكرات لم يكن الاموريون يركبونها وحدهم بل ان بني الانسان طراً كانوا
 يقدمون للالهة بعضهم ذبائح ولم يخلُ صفع من فسيح الارض الا بدت فيه تلك الالهة
 التي اوجب بعضها للنوع الانساني ان يقدم لها الفرائين البشرية . وتوغل الانسان في
 الخشونة والجهالة حتى انه توصل الى ان يعبد كل ما تصنع يدها وفكره يصنع في الغائيل
 روحاً الهية . واصلته الغياوة الى ان ينسى ان الله هو الذي صنعه متوهماً انه قادر ان يصنع
 الله . ولو لم يكن الاخبار ابدى لنا ان الضلال مرسوخ في سجة الانسان وغير قابل
 للتعليم لشد عليه نكير . وبناء عليه فلا شيء يصدرنا عن الحكم بان النوع الانساني يستاهل
 الخزي فان اول الخفايا التي يدل عليها الكون والتي ليس لتلقا تأثيرها مضاهاة امست
 قاصية عن ناظره كثير . وان التقليد الذي لبث مستظهر كان على وشك الاضمحلال
 واستكنت في ميثاق خرافات حجة مفعنة من الكفر والبله . ولما راي الله ان قد حان الان
 اذ اذهان البشر لم تكن تعي الحقيقة ارتأى ان يجعلها مرعية كتابة وامل ان ينهذب شعبه
 بالفضائل بواسطة نواويس كثيرة خاصة عكف على ان ينصها خطأ . ودعا بموسى لهذا
 العمل فجمع هذا الرجل البر تاريخ الاجيال الماضية اي تاريخ آدم ونوح وابراهيم واسحق
 ويعقوب ويوسف او بالاحرى انه جمع تاريخ الرب وصنعه العجيبة . ولم يجوز الامر
 ليبحث بعيداً عن تقاليد اجداده السابقين لانه ولد بعد موت يعقوب بنحو من مائة سنة
 وان مشايخ عصره امكن لهم ان يكونوا سنوات حجة مع ذلك الاب الصدوق . وقد كان
 ذكر يوسف حياً وان العجائب التي كان الرب قد صنعها عن يد وزير ملوك مصر
 العظيم كانت لا تزال اذ ذاك وان حبة ثلاثة اواربعة انفار كانت متصلة بنوح
 الذي شاهد اولاد آدم فكان اذ ذاك يشهد بداءة الاشياء وبناء عليه كانت تقاليد
 النوع الانساني القديمة وتقاليد عائلة ابراهيم سهلة الائتلاف لان ذكرها كانت وقشدة لا تزال
 حية ولا غرو ان رايانا احبائنا موسى يتكلم في سفر التكوين عن كل ما حدث آنفاً في
 الاجيال الغابرة مثلاً يتكلم عن اشياء مستمرة كانت مفررة اذ تبنى منها آثار مهمة لدى
 الامم المجاورة وفي ارض كنعان

ولما كان ابراهيم واحق ويعنوب قد قضوا تلك الارض اقام كل منهم فيها اثاراً تدل على كل ما حدث لهم وقد استمرت الى عصر موسى المنازل التي فيها والآبار التي احضروها في تلك المنازل لتستفي منها عيالهم ومواشيهم . وقد عرفت الاطواد الرواح التي تراسي لم الله عليها فقد موله ثمة معرفات والحجارة التي اقاموها او كرسوها لتكون اثاراً تذكرها الاجيال التالية والاجداث التي كانت تحوي رفاتهم التديسية . وكانت ذكرى اولئك الافراد باقية في تلك البلدان والاصناع الشرقية حيث ام كثيرة لم تنس انما من اخلاقهم . ولما دخل الشعب العبراني في ارض الميعاد فشت بينهم ذكرى اجدادهم وكانت المدائن والاطواد الرواح والصحور الصماء نوعاً من الهم عن اولئك الاشخاص المشهورين وتذكرهم بالرويا العجيبة التي اثبت الله بها امانتهم التديسية الحقة ولا غرو ان كل من علم بالاثار التديسية ولو جزئياً يفهم حالاً ان البشر الطاعين كانت لهم الرغبة في ان يقيموا اثاراً كذلك يستبقونها الى ما سياتي وهم عليها محافظون . وقد كان خلناوهم بضرون على كل ما كان ذريعة لذلك البناء وتلك مزايا كان من شأنها ان تجعل التاريخ ثابتاً . وبعد ان مضت على ذلك اعوام همكوا في هتل الحجارة ونحها وصنعوا بها تماثيل بعد ان كان من قبلهم يقيمون اعمدة ضخمة بحجارة خشن . ولما ادلة قاطعة على حفظ تواريخ الازمنة الخالية خطأ في القبيلة التي حفظت فيها معرفة الله لان البشر لم يهملوا ذلك ابداً ومن المفرانهم كانوا يعلمون اولادهم اناشيد في الاحتفالات والاجتماعات كانت توريد الاعمال المشهورة التي حدثت في الازمنة السالفة ومن ثم تولد الفريض وتغير فيما بعد على اساليب مختلفة . واما اسلوبه الاول فلم يزل الى الان محفوظاً في النصائد والنشائد المستعملة عند الاقدمين لمدح الالهوية والابطال وفي ايامنا هذه عند الامم التي لا تعرف اصول الكتابة

ولا ينكر ان تلك الاناشيد بليغة المعاني جداً ذات انناس سامية طبيعية النشوق جذيرة بان تمثل الطبيعة بحاسنها . فضلاً عن ذلك فانها متعمنة اوزاناً شتى تتوسع بها معانيها وتطرب بها السامع وتشد العنول وتحرر الالباب وتنهافت على حفظها الذائرة . واكثر من استعمال تلك الاناشيد وبهك فيها شعب الله فموسى اشار الى جم منها وكان يذكر من انواعها المصراع الاول وكان الشعب يعرف الباقي ونظم هو نفسه على ذلك النمط انشودتين احدهما تتضمن عبر الاسرائيليين البحر الاحمر وغرق البعض من

اعداء الرب في لجة البحر واضطراب البعض من كثرة الروح والخشبة والاخرى تتضمن
 نيكتة للاسرائيليين على نكرانهم جيل الله والايماز الى خبراته ومعظم معجزاته. واقفى اثر
 ابناء الاجيال التالية لان الله وما برأ من العجائب كانا موضوعاً لكل تشيد وقد كان الله
 يوحى بها الى اولادها الاطهار وقصارى الامران كل شعر يشك العقول ويدله القلوب قد
 كان يتغنى به شعب الله

وتغنى يعقوب بتلك الاناشيد النبوية منضمة كل ما ازعم ان يحدث لبنو وقد كان
 كل سبط يحفظ بسهولة ما يناط به ويتعلم ان يسبح الرب العظيم ببنيواته. والصادق
 في تنبيها.

وكل ذلك وسائل استخدما الرب ليحفظ الى وقت موسى ذكر الشعوب الآتية.
 وان موسى الذي عرف كل ذلك رفعه الروح القدس فوق كل شيء والهبة ان يكتب
 صنائع الرب بالتدقيق والضبط وبساطة تبعث على الامانة والعجب من اعمال الله نفسه.
 وقد اضاف للاشياء القديمة التي كانت تحوي نشأة ابتداء شعب الله على ما كتبه من
 التنايلد القديمة المعجزات التي صنعها الله في شأن خلاص شعبه ولم يكن موسى يقيم على
 مصداق كلامه دليلاً سوى ما رآه ابصاره لانه لم يكن ياتهم بنيا بعيد عن مداركهم ولم
 ياتهم بما يحدث في الكهوف العميقة ولم يكلمهم ابهاً بل كان كلامه مبنياً على الصراحة والوضوح
 خيفة ان يبعثهم على الريبة فيرثوه بحجر الظن ويكذبوه. فشيد نوايس الاسرائيليين وحكم على
 العجائب التي شاهدها عياناً وهذه العجائب قائمة بتغيير الطبيعة فوراً على انماظر متغايرة
 قصد تخباتهم وعقاب اعدائهم فانشطت البحر قسمين وانشقت الارض وانزل الله لهم من
 السماء ماءً واجرى لهم من فواد الصخرة الماء قراحاً بان ضربها موسى بعصاه واقام
 لهم في الاوج علامة تنوهم من تسارهم وصنع لهم معجزات اخرى استمرت اربعين عاماً. ولم
 يكن في ذلك المحين الاسرائيليون يفوقون غيرهم في جودة العقل ولم يكونوا اذكي من
 الشعوب الذين تغلبت عليهم مشاعرهم وما امكن لهم ان يقرأوا بوجود الله غير منظور بل
 كانوا يضاؤون سوام في الخشونة والهيبة ان لم نقل اكثر من غيرهم جلالة اما هذا الاله
 غير المنظور فكان لايزال يبدو لهم محوساً بمعجزات مستمرة وكان موسى يجهد دائماً في ان
 يجعل في عقولهم من ذلك تأثيراً ومن كثر ذلك اخذ بافكارهم كل ما خذ واصبح له عندهم
 عظيم وقع فاشعر باله بسط يصنع كل شيء بكلمته وادرك اخيراً ان هذا الاله ليس

سوى عقل وروح وفهم : ولما اخذت عبادة الاصنام التي زادت جداً منذ عهد
ابراهيم تغشى وجه البسيطة اصبح نسل هذا الاب البار برثاً وحيده من ذاك الدنس
وشهد له بذلك اعداؤه . واما الشعوب الذين لم ينسوا تماماً الحقيقة والتقاليد فكانوا
يعتقون قائلين . انه لم يبصر اثماً في يعقوب ولم ير اصرأ في اسرائيل انه لا عيافة في
يعقوب ولا عرافة في اسرائيل الرب الهه معه ومتان الملك فيه

ولما رأى موسى انه لا مندوحة له من ان يرسخ في عنونهم وحنه الله وتخصيص العبادة
به جل شانه كان يكرر على مسامعهم قائلاً ان هذا الاله الحي يصطفي له في ارض الميعاد
محللاً مفرداً حيث تتم فيه الاحتفالات وتقدم له فيه الحرفات والفرايين والعبادات العامة
وبينما كانت الشعب يهيم على وجهه في النياقي والتفان صنع موسى ثابوت العهد وجعله
قابلاً للانتقال من محل الى آخر وقد كان لديه بنو اسرائيل يقدمون الفرائين لله الذي
فطر السموات والارض وقد تعطف عليهم بان يحوب معهم النياقي وينودهم في التفان
والمناور

وعلى هذا المبدأ والاساس كانت السنة موطنة ولا بدع فانما لسنة عادلة ذات نفع
منفعة من الحكمة والبساطة والبلاغة ولقد كانت وثاقاً يمين ربط الالفة بين البشر ويجعل
الانسان يزود الى ربه . وزاد موسى على تلك السنن قوانين تجري بموجبها الاحتفالات
الدينية المقدسة واعياداً مشهورة توزع الى المهجرات التي كانت ذريعة لنجاة شعب اسرائيل
وايقن لم مراراً حجة انهم مزعمون ان ينجحوا في اشغالهم ان ليثوا مستمسكين بعزوة السنة والأ
فجعل عليهم من العقاب اشد ولا ت حين مناص . هذا ما قاله الشارع واقتضى ان يكون
هذا الامر مفترراً لديه من قبل الرب ليحمله ركناً لستو . وانفج من الحوادث جلياً ان
موسى لم يتكلم عن نفسه واما القوانين التي القاها الى بني اسرائيل وان كانت تبدو في
ايماننا غير مفيدة فقد كانت قبلاً ضرورية جداً لانها كانت تؤثر شعب الله على سائر
الشعوب . وكانت كحاجز يمنع شعب الله عن عبادة الاوثان وان لا يطوحو بنفوسهم
كباقى الشعوب

وقد تخبر سبطاً واحداً من الاثني عشر سبطاً وانا ط بهدته الفرائين والاعشار وكل
ما يختص بالاشياء المقدسة وما ذلك الا ليحفظ الدين وكل تقاليد شعب الله . وانيط
لاوي واخلافه بالله تكريماً له كعشر الشعب وتخبر من سبط لاوي هرون ليكون

كاهناً عظيماً ونوارث الكهانة من بعد اخلافه وبناء عليه أصبحت المنابر مرعية كل
الرعاية واصبح للسنة ذائدون ومن ثم اخذت الكهنة تتعاقب استمراراً منذ عهد هرون
الكاهن الاول . ومن الامور التي تزيد تلك السنة جلالاً انها كانت تهتد طريقاً للشرعية
افضل منها غير محملة من الاحتفالات مثلها لكنها مخصصة بالنضيلة اكثر منها . واما موسى
فلما يعزز الشعب ويجهلهم يتأسسون على انتظار تلك السنة اثبت لهم ما في النبي العظيم
الذي يأتي من نسل ابراهيم واسحاق ويعقوب وقال لهم يقيم لكم الرب الهكم نبياً من بينكم
من اخوتكم مثلي لئلا تسمعون . فهذا النبي الذي يضاهي موسى المشرع مثله لا يمكن ان
يكون سوى المسيح الذي تعليمه يصلح العالم اصلاحاً عظيماً

ومحرم المسيح وحده شعباً جديداً ويقول له ايضاً فرضت عليكم سنة جديدة وقال
ايضاً من يجني يحفظ وصتي وقد تكلم في موضع آخر بأكثر صراحة حيث قال . قد
قبل للتدماة لانتقلوا وانا اقول لكم الشيخ . وسائر القول على هذا النمط فهذا هو
النبي الذي يضاهي موسى ويشيد شرعية جديدة وعن مائة تنبأ منذراً وقائلاً له
تسمعون . وثمة لذلك ان الله لما بعث بابن الى الارض نادى من العلماء هذا هو ابني
الحبيب الذي يوهررت له اسمعوا . واليه تنسوا قد رمز موسى بارقم النحاسي اقامه لدى
الاسرائيليين في النفر . لان لدغة الارقم النديم الذي نمت في الجنس البشري سمّاً مدقماً
يبرأ منها من يرنو الى المسيح . اي يبرأ بقتله كما ابان عن ذلك هو ذاته ولنا في ذلك
افحة نظر وهو لما اذا انخص هنا بالذكر الا الارقم النحاسي مع ان في سنة موسى وكل
الذبايح والخبر الاعظم الذي نصبه باحتفالات سرية وادخاله اياه الى قدس الاقداس
وكل طقوس الدين اليهودي بالندسة التي فيها كل شيء يظهر بالدم ويرتب عليها نحر الحمل
في عيد الفصح تذكاراً للخلاص الشعب ادلة كبرى على ان المسيح مزعم ان ينفذ شعبة
بإهراق دمه الالهي . وقد كان مضموناً على اليهود الى ان اتى المسيح ان يقرئوا في كل مجامع
الشعب اسفار موسى وبناء على ذلك ترى اليهود في كل ظرف وان لا يستندون الا على
موسى وكان ان مدينة رومية كانت تخرم شرائع روميلوس وشرائع نيبا والاثنى عشر لوقا
واثنى عشر لوقا على شرائع سولون ولاسيما يمتنعون بتعبير قوانين ليكورك كذلك كان الشعب العبراني
يستند دائماً على شرائع موسى . وفي اليقين ان هذا المشرع قد نظم الشريعة نظاماً محكمًا ولم
تس الحاجة فيما بعد الى ان يطرأ عليها ادنى تغيير وبناء عليه لم يكن مجموع الشرائع

العبرانية مؤلفاً من قوانين مختلفة في اوقات وظروف متباينة بل ان موسى الموحى اليه من الروح القدس قد فكر في بادي الامر في كل شيء ولم تر في هذه الشريعة اوامر من داود او من سليمان او من يوشافاط وحزقيا . وقد كانوا طرّاً ينهاثون على العدل بل ان الملوك الاخيار كان مجنوناً عليهم ان يستمسكوا بشريعة موسى ويكتفوا بان يحلوا خلفاءهم على حفظها وقد كانت من الامور المنكرة ان يزداد عليها او ينقص منها شيء وكانت الشريعة ما لاندحة عنه في كل آن فانها كانت من الضروريات التي يفتقر اليها نظام الاعياد والمحرفات والاحتفالات بل الاشغال العامة والخاصة والاحكام والمعامدات والزيجة والورثة والجنازة ونوع اللباس وقصارى الكلام كل ما يباط بالاخلاق والمعادات . ولم يكن سوى كتاب الشريعة يعلم منه المطالعون فن الآداب ففتح اذ ذاك على كل ان يتصفح وينتفع به اثناء الليل واطراف النهار فيقتبس منه آيات يشخصها دائماً امامه وكانت هذه الشرائع يعلم بها الصبية الاحداث الفراءة . وقاعة التربية هي الغنم على الآباء طرّاً ان يعلموا بنهم الشريعة المقدسة ويجهدوا في ان يرتقوها في عقولهم وينسروهم على ان يسعوا بموجبها حتى اذا راهقوا وبلغوا من الاعمار اشدّها اصعبوا حكماً . وبناء على ذلك كانت معرفتها من الامور اللازمة وفضلاً عن ان مداولها كانت مستمرة فكانت تقرأ كل اثناء اسبعة اعوام مرة في عام الغفران والراحة قراءة عامة في عيد المظال امام الشعب الذي كان يجتمع مدة ثمانية ايام . والى موسى على تابوت العهد النسخة الاصلية وخشية من ان تمسها ايدي المفسدين اولى القوابة ومحرفوها فكانوا وقتئذ ينقلون نسخاً مكررة عنا النسخ التي تداولها ايادي الاحداث وكان الكهنة واللاويون ينقرون فيها ويصلحونها اذا وقع فيها خلل ومن ثم يدعونها عندهم محفوظة لتكون نسخاً اصلية يعول عليها ويكون مأب الامر اليها .

ولما تنبأ ان هذا الشعب يانهم ان يكون لهم فيه ملوك كسائر الامم حتم موسى على من يبنوئون سرير الملك بموجب نص في ثنية الاشتراع على ان ينقلوا من ايدي الكهنة نسخة من النسخ المصححة بكل اعتناء لينقلوها بايديهم ويقرأوها طول ايام حياتهم وهذه النسخ قد كانت جديرة بالاعتبار لدى الشعب وكانوا يعتبرونها كأنها صادرة راساً من يد موسى في الصحة والكمال مثلاً املاها الله عليه ووجد نسخة مصححة منها في هيكل الرب في عهد يوشيا ومن المحتمل ان تكون النسخة الاصلية نفسها التي وضعها موسى في تابوت

العهد فكانت تلك ذريعة لان يذرع بالامانة والظاهر ويحمل شعبه على ان يتوبوا الى الله
فما فعلت ايديهم من السيئات. ولقد كانت النتائج التي نجمت من قراءة تلك الشريعة
لانعد ولا نحصى وبامجاز القول ان ذلك الكتاب مذكر بالكمال. لانه يحوي تاريخ
شعب الله ويستلثته الى اصول دينه ونظامه وعاداته وحكمه وكل ما ترتب عليه حياته
وما يؤهل الى اجتماع البشر واتحادهم ويتطوي على الامثال السيئة والحسنه وعلى جزاء من
فعل الخير وعقاب من صنع الشر.

وبواسطة هذا النظام العجيب وصل ذلك الشعب الذي غلص من وثاق الاسترقاق الى البلاد التي اعدت له بكل ترتيب بعد ان حبس في بطن الفئران ربعين عاماً. فقادته موسى الى مدخل البلاد ولما شعر ان ميثقة حانت دعا يشوع وسلكه القيادة وقبل ان اغتالك المنيّة نظم تنبيهاً أطول وأعمق مما كان مطلعه : انصتي ايها الارض والسموات فانكلم وتلصق الارض لاقوال في . ومجرد اسكانه الطبيعة كان ينجي شعبه بقوة لا مزيد عليها . ولما رأى حسبان اثمهم وجرائر اجلي له عن كل المنكرات ثم ارأى ان الكلام البشري لا يناسب ذلك الموضوع فغير منهج كلامه والتفظ بما قاله الرب واخذ اذ ذاك يتكلم كلاماً سامياً فلم يندر الشعب هل كان الله ينجي اليه بالخوف والاضطراب او بالمودة والايمان فامر الرب وموسى بالشعب ان يعملوا ذاك الشئ على ظهر قلوبهم فتعلموه ثم استعزت بذلك الرجل الصدوق رحمة ربه مسروراً ولم يضرب لشعبه عن امره يعود عليهم بالنفع العيم لذكروا مبرات الله واحسانه ووصاياه . وغادر ولدانه بين شعبه دون ان يخصهم بمنفعة خاصة فاعتجب من ذلك شعبه وكل الامم ولم يحز مشرع ما حازه موسى من الشهرة والمنفعة بين البشر وقد افتخر كل الانبياء الذين خلفوه في قديم العهد والذين كتبوا بالوحي ان يكونوا بذهبه متمذهين .

وقد كان يؤخذ من مناجاته انه اروعي عريق باحسن الصفات التي لم ينلها احد من المؤلفين سواء وقد كان تاليفه عربيا من التعقيدات بل كان ذا بساطة يقارنها علو النفس والنصاحة المخارقة وفي اليقين ان من قرأ تاليف مومخ لاعمال الله يعلم ان المؤلف يتكلم عن الله عز شأنه واما من قرأ تاليف موسى لا يظن ان ما يقرأه صادر من غير فم الله.

ومن تضح سقرا يوب بعته ما اودع فيه من سوء الفكر ودقة المعنى على الجزم بانه

من انشاء موسى . وخشية من ان العبرانيين تاخذهم نشوة الكبرياء لدن ظنهم ان رحمة
 الله لم تحل الا عليهم اخذ موسى بناجهم بان الله له مختارون حتى في نسل عيسو ولم يكن
 من امكانه ان ينث بينهم تعلقا افيد لهم من صبر ابوب وحرته الذي اناط الله
 امر بهمة الشيطان الختول ليضيق عليه ويعذبه بكل انواع المبرحات الموقفة . فاصبح
 عربا من رزقه واولاده وكل ساوى على بساط الارض ثم اصابه الله بتفريح جسمه وامتن
 باطنيا بالتجديف والفتنوط ومع ذلك فلم يحيف عن طريق الايمان . فتبين من ثم ان
 النفس الطاهرة ذات الامانة تقوم نعمة الله بناصرها وقت التجربة وتضافرها قسرا عن
 الافكار الخبيثة التي يبادها بها العدو الخناس فانها تستمر في حيز الامانة وتصدق الى
 ذرى التأمل عالمة بان ما يتراكم عليها من النوائب والنازلات دليل على ضعة الانسان
 ووهو وعلى حكمة الله غير المتناهية . فذلك ما تقتبسه من سفر ابوب . ولرعاية هيئة عصرية
 كانت امانة هذا الرجل الصدوق ذريعة لان تتراكم عليه الخبرات الزمنية . واما
 شعب الله فقد هب من سنة الغفلة وفته ماهية فضيلة العذاب وشرع يذوق لذة النعمة
 المزمعة ان تعلق ذات يوم بالصليب . بيد ان موسى قد ذاق تلك اللذة لما اثر تجشم
 المشاق وما تكبد هو وشعبه من النائبات السود على ملذة البلاط الملوكي في مصر
 وغضارة نعيمه . ومن ثم علق الله يذيقه ما يهب لیسوع المسيح من العار ولاسيما
 لما اركن الى الفراري في مناهة اربعين عاما . وكرع كاس مصائب المسيح لما اصطفاه الله
 لينفذ شعبه والحي ان يحمل ثمردهم المستمر لما كان معرضا للخطا وعلم ما يصرف في
 شان امر نجاة اولاد الرب وابدى عن بعد ما سترتب عليه امر الخلاص الاعظم وقت مجي
 مخلص العالم . فلم نقر مثلنا موسى بروية ارض الميعاد عن قرب بل انه راها عن بعد
 من اعلى ذروة الجبل . ولم يشق عليه ان يكتب انه غير مستحق الدخول الى ارض الميعاد
 لعدم امانته فاستحق عذابا عظيما وان كانت خطيئته صغيرة . فاصبح عذابه دليلا على ان
 الله ذوغيرة عادلة صارمة على الذين يحنفون عن منهج طريقه ولاسيما على الذين تقسروا
 النعمة على ان يسلكوا باكثر كمال من غيرهم في الامانة . وتبين لنا ايضا من صف موسى
 عن الدخول الى الارض المقدسة سر اعظم من هذا وهو انه مع كل معجزاته التي
 صنعها لم يمكن له ان يقود اولاد الله الا الى مقربة من ارضهم . فذاك دليل على ان لم يكن
 بالناموس كمال لشي بل لا يمكن له ان يقودنا الى تيمم المواعيد بل جعلنا نحياها عن

بعد أو بعبارة أخرى الله يقودنا الى قرب باب ميراثنا لان يسوع الذي يكون باسمه
ورفعة منامو نائباً عن مخلص العالم احق منه في كل شيء وهذا الرجل الذي كان
احط من موسى في كل امر كان يتعالى عليه بشرف اسمه وهو الذي انبط بهدته ادخال
الشعب الى الارض المقدسة . وبظهوره المبين جزرت مياه الاردن الى الورا واستطعت
اسوار اريحا من تلقاء ذاتها وانحسرت الشمس في كبد السماء وامكث الله اولاده في ارض
كمان طارداً منها شعوباً كثيرة منطوية على الرذائل والمفاسد ولم شعبه ان يكاشعهم
بالغضاض وجعل عدوانهم لم امراً طبعياً حرصاً عليهم من ان يكتسبوا عاداتهم السيئة
ولقد اوسعهم اعنائاً واحمل عليهم شعبه فخافوه خوفاً عظيماً وبعد ان اخرجوا
من تلك الاصناف غلبت منهم فرقة الى افريقية حيث كشف فيما بعد على آثارهم
وظهور يسوع في تاريخ قديم . وبعد ان وطّن يسوع الاسرائيليين بظفره المبين في اكثر
الاراضي المقدسة اخذ يشاطرهم اجزاءها هو والبعازار الكاهن وروساء الاسباط وفاقاً
لسنة موسى فنال سبط يهوذا من ذلك القسم الاكبر لانه فاق منذ عهد موسى غيره
بالعدد والبأس ورفعة المقام . ثم استأثرت رحمة الله بيسوع وواصل الشعب الاسرائيلي
فتوح ارض الميعاد وقد شاعت العزة الالهية ان يكون سبط يهوذا في مقدمة الاسباط
اجمع فالملت ان في عزها ان تسلم الارض اليه

ولا ريب ان هذا السبط قد قمع الكنعانيين وظفر بهم واستولى على اورشليم التي
اهبت لان تكون المدينة المقدسة وحاضرة الملك وقد كانت تدعى من قبل سيلم وكانت
ملكيبصادق ملكها في عهد ابرام . وان ملكيبصادق يعني منه ملك العدل ويدعى ايضاً
ملك السلم لان سيلم معناه السلم وقد قرّر بذلك ابرام واعتبره كالكاهن العظيم كأن
اورشليم اهبت لان تكون المدينة المقدسة وحاضرة الدين فانبطت في بادئ الامر
بعملة اولاد بنيامين . ولما كانوا على جانب من الضعف وقلة العدد لم يمكن لهم ان يطردوا
منها الياوزبين قاطنوها الاقدمين ولذلك آل بهم الامر ان يخاطبوا . وقد كانت اميال
شعب الرب في عهد النضاة متباينة في الخير والشر . وبعد ان مات الشيوخ الذين
شاهدوا معجزات الرب اصبح ذكر تلك المصائب يكاد يكون نسباً منسياً وحنج شعب الله
الى عبادة الاوثان . وقد كان الله يعاقب من يرتكب ذلك المنكر عناباً صارماً وينوم
بناصر كل من برعوي عن غرته .

وبياء على ذلك ديب الايمان بعناية الله ويصدق مواعيد موسى ووعده في قلوب
 الصالحين يوماً بعد يوم لكما الرب كان يري له لم انزجاً عظيماً . وطلب الشعب ان
 يكون لهم ملك فاقام الرب لهم شاول الذي رذله بسبب آثامه ثم ازمع على ان يقيم له
 سلالة ملوكة يخرج منها المسيح فتخبر ان يكون ذلك من سبط يهوذا فاصطفى منه راعياً
 يقال له داود . وهو اصغر اولاد يسى ولم يكن ابوه واخوته بعالمين باهليته وبما سترشح له
 واما الرب فعلم طيب سريره وحسن طوبته فكرسه ملكاً بيد صموئيل في بيت لم
 منبت شعبته

الفصل الرابع

في الكلام عن داود وسليمان والملوك والانبياء

في ذاك الحين نخذ شعب الله له هيئة جديدة وثبت الملك في سيرة داود فنشأ في
 بادىء الامر ملكان من تلك الاسنة ليسا على اتفاق بالسليقة لكنهما كانا مجلبة لكل
 دهشة وجحرف فان داود كان يود احداث الحرب والتفوجات فظهر بياسه على اعلام
 شعب الله والتي رهبة اسلحته في كل الشرق وسليمان كان على جانب من الرصانة والحكمة
 وذهب صيته بذلك داخل مملكته وخارجها فانال شعبه غضارة الترف والسعادة
 لكثرة تهاوته على الامن والسلام . بيد ان تسلسل الامور الدينية تستلقت انظارنا الى
 هذين الملكين ونحضرنا على ان نسرّح طائر النظر في حياتهما فنقول : ان داود تبقّى في اول
 الامر تحت اليهودية وكان قادراً ظافراً ثم رضع ليشوكته كل الاسرائيليين فترع من
 الياوزيين قلعة صهيون التي كانت لاورشليم حصناً منيعاً ولما استولى عليها بجولة وطوله
 جعلها حسب امر الله مركزاً للاحكام والدين وشاد بيته على قمة طودها واقام حوله
 منازل حجة دعاها مدينة داود واقام بواب ابن اخيه باقي المدينة واصبحت اورشليم ذات
 هيئة جديدة وتبطل اولاد يهوذا بسائر اليلاد وخالفهم اولاد بنيامين القليلوا العدد

امّا تابوت العهد الذي اقامه موسى وكان الرب مستوياً فيه على الكارويم وكان
 فيه اوحا الوصية في غاية الرعاية والحفظ فلم يكن له محل ينابط به . فنقله داود باحتفال
 الى جبل صهيون الذي فقعه باعانة الرب العظيم القدرة وما ذلك الا ليحكم ثمة عز وجل

ويكون لإنذاراً عن داود وأورشليم والملك . وإما المظلة التي كان الشعب يهتفون فيها لله
 العبادة في البرية فقد كانت لا تزال في غياوروت حيث كانت تقدم الذبائح لله على
 المذبح الذي شاده موسى وكان ذلك باقياً إلى أن يشاد هيكل ليركز فيه المذبح
 والتابوت ويتم ثمة عبادة الرب . ولما ظهر داود على أعبائه وقمعهم وامتدت فتوحاته إلى
 نهر الفرات ظافراً داراً في خلك أن يصرف جلّ عيائنه في أن يعزز العبادة الإلهية فعين
 محل إقامة الهيكل بأمر الله على ذروة الجبل حيث إبراهيم عول على نحر ابنه الوحيد
 فصدقه عن ذلك ملاك الرب

فإقامه ذلك الهيكل رسماً واحرز فيه كل ما جلّ وغلا من المواد وأعدّ له كل
 ما سلب من الملوك والشعوب المدحورين ولما كان فاتحاً سفاكاً للدماء صده الله عن
 بنائه فانابط أمر تشييده سليمان حليف السكينة والسلام فبناهُ إذ ذاك على رسم
 المظلة وصنع مذبح الحرقاب ومذبح البخور ومنارة الذهب ومائدة الخبز المقرب لله وأدوات
 الهيكل بأسرها مثل التي صنعها موسى في النصار . ولم يصف عليها موسى إلا العظمة والعناء .
 وإما التابوت الذي قام بأعبائه رجل الله الحكيم فوضعه سليمان حيث قدس الأقداس
 وذلك في محلّ لا سبيل إلى الوصول إليه وما ذلك إلا دليل على عظمة الرب التي
 لا يقرب إليها أحد وعلى السماء التي كانت محجورة عن بني الإنسان إلى أن يهبط منها المسيح
 فيفتح أبوابها المغلقة بسفك دمه الطاهر . وبدا الله مجيلاً وجبروته يوم تكريس الهيكل
 وتغيير تلك الثغابة مقراً لاسم ومتمدي لعبادته وأوجب عليهم أن لا يذبحوا خارج
 أورشليم . ودلّ على وحدة الله ووحدة هيكله وأصبحت أورشليم المدينة المقدسة وصورة البيعة
 لأن الرب كان في عزيمه إذ ذاك أن يستوي في هيكله الحق وأصبحت صورة السماء أيضاً
 لأننا ننال السعادة بإبراز مجد الله

وبعد أن شاد سليمان الله هيكله أقام صرحاً ملوكياً فكانت بناء عظيماً يليق بذلك
 الملك العظيم وبني بيتاً للزينة دعاه غاية لبنان . وإما القصر الملوكي فكان زينة أخرى
 لأورشليم وكل تلك البناءات قد كانت ذات غرف شاهقة ودهاليز فائقة ومأش فسيحة
 وأروقة عظيمة وأقام عرشاً سلطانياً وسيدة رفيعة يستوي عليها عند إبراز القضاء ولم
 يستخدم لكل ما شاد سوى خشب الصندل . وقد كان كل ذلك مرشوقاً بالبضار
 والحجارة الكريمة

وقد طالما اندهش القاضي والداني من عظمة ملوك اسرائيل . وان ما تبقى من الابنية التي بناها ذلك الملك العظيم لم تكن اقل عظمة من تلك . وكل ذلك كمدائن كبرى وحواريت الاسلحة وكان عنده من اكرم الخيول المطهية واحسن العجلات وابسل الظهراء . واصبحت اورشليم من اغنى مدائن المشرق لسعة تجارتها وما ساد اهلوها على غيرهم في سلك البهار وما تفرّرفيها من السكينة وما ترتب من النظام وكانت المملكة باسرها في غضارة وخصب . وكان كل ذلك كمنال للجد السماوي وقد تأتى من المحروب التي اذكي نيرانها داود الحصول على النعمة التي تستلزم مشقة عظيمة وابان حكم سليمان كم هذه الراحة من ملذة . وفضلاً عن ذلك فان سمو هذين الملكين وارتفاع شان عائلتيهما تأتى باخبار خاص فراق ذلك لدى داود فابرز في سبيله نشيداً قائلاً : ان الله قد خص الملوك في بيت يهوذا وفي بيت يهوذا اخنص بيت ابي . ومن بين اولاد ابي حسن لديه ان يتخبرني ملكاً على كل شعب اسرائيل ومن بين اولادي (لان الله من علي بالاولاد كثيرين) تخبر سليمان ليحس على عرش سيدة ويحكم على اسرائيل

ولقد كان هذا الانتخاب له غاية اسمى من التي تبدوا لآن المسيح الذي وعد به الرب ابراهيم ليكون ابناً له كان موهباً لان يكون ابناً لداود وسائر ملوك اسرائيل . واما وعد الله لداود بقوله ان ملكة لن يزول الى الابد فكان تلميهاً على المسيح وملكه الازلي وان سليمان الذي اصطفى لان يكون خلفاً عنه كان رمزاً الى ما تى ابن الله ولذلك قال الرب اني ساكون له ابا ويكون لي ابناً . وبناء عليه برزت اسرار المسيح في عهد داود والملوك اولاده بنبوات عظيمة وفاقت الشمس بهاء وسطوعاً

فراة داود عن بعد ونشده في مزاميره ببلاغة فائقة وفصاحة خارقة . وقد طالما خالج فكره ان ينشد مجد سليمان ابنه . ثم اخطف بالروح ورأى من هواقصى من سليمان الذي يفوقه بالجد والحكمة فتراسى له المسيح انه مستور على العرش يفوق الشمس والقمر ثباتاً وبصر بالامم المتفوعة مصروعة تحت اخمصيه ومباركة به في الوقت نفسه وفاقاً لما وعد به ابراهيم

ثم زاه بسمو متعالياً في بهاء النداسة من الجوف قبل الفجر له ندى ولادته من ابيه وهو كاهن الى الابد ليس له من خليفة ولا يخلف احداً بل وسم كاهناً بنوع غريب لاهل رتبة هرون بل على رتبة ملكبصادق (رتبة جديدة غير معروفة لدى شريعة موسى) وراه

جالساً عن يمين الابن ناظرًا من اعلى السماء الى اعدائه المدحورين فاصبح مند هشاً من ذلك المشهد العظيم ومتعجباً من مجد ابنه فدعاه سيده . ورأى الله الذي معه الله ليسلطة على كل البسيطة بالبر والاستقامة وشاهده بالروح فسمعه يقول هذه الفتن التي القاها على ابنه وهي انت ابني وانا اليوم ولدتك وازدادت الى ذلك وعد مملكة ابدية تمتد على كل الامم ومملكته تمتد الى اقاصي الارض ولما اذا رنجبت الامم بالباطل . وباطلاً ائتمروا الملوك والعظماء على الرب فالساكن في السموات يضحك . والسيد يستهزئ بهم . ويشيد قسراً عن ابنوفهم ملك مسيحه فالتقى الله عليهم عبء حكم ابنه قال لهم الامر ان يصحبوا اول من يطأ طيبي للمسيح صاغراً بعد ان راموا ان يبنذوا عن عوائقهم نيرة . وان يكن قد تنبأ عن المسيح مراراً جثة في الكتاب بتصورات عظيمة فان الرب لم يخف عن داود ما سيجي ثمة احشائو المباركة من العار لان هذا التعليم كان لشعب الله ضرورياً وان يكن ذلك الشعب لايزال ضعيفاً متفتراً لمجايع جسدية فلم يكن من المنقضي ان يغادر الصعود الانساني معتبراً كسعادته الاخيرة ومكافآت المفردة ولذلك كان الرب يوعز عن بعده بالمسيح المنتظر الذي هو انفوج الكمال وموضوع لرغبته كانه غارق في عباب الاشجان والافجاع وبدا الصليب لداود كعرش حقيقي له فانه رأى يديه ورجليه مثقوبة بالمسامير وعظامه كانت تعدو ثيابه معرضة للاقتسام وعلى لباسه طراً الاقتراع . وسفي خلاً ومرارة واعداً به مجتهدون حوله غيظاً وهم يفترسون سروراً باهراق دمهم رأى ذلك النبي في الوقت نفسه نتائج ذله الماثورة . وذلك ان كل شعوب الارض تذكروا الههم الذي كانوا قد نسوه منذ اجيال عديدة . وان اول من اتى مواعيد المسيح الفتراء ثم اعينهم الاغنياء والاشراف وجاؤوا اليهم يعبدونه ويباركونه وكان هو متصدراً في الكنيسة العظيمة والكثيرة العدد ادي في جمعية الامم المرتدين الى الايمان وانذر فيها جميع اخوته باسم الرب وحفائنه العظيمة واما داود الذي نظرت مقلناه كل ذلك فتعربان ملك ابنه ليس في ذا العالم ولم يكن بذلك متعجباً لانه يعلم ان هذا العالم حليف الزوال . ولقد كان يعلم ذلك الملك الذي استقر بكل تواضع على العرش انه ليس من الخبترات التي ينهي اليها كل امل الانسان .

واما سائر الانبياء فلم يفهم داود بروية اسرار المسيح ولم يكن شيء من العظمة والافتخار الا او عزوه الانبياء عن ملكهم ففهم من كان يرى بيت لحم احترمدن يهوذا مشرفة

بان ولد فيها وأنه تصعد الى اسي من ذلك ورأى مخارجه منذ القديم منذ ايام الازل من حجر
ايه ومنهم من كان يرى بنوية امه قائلًا هذا عمانوئيل (اي هذا الآله الذي معنا)
يخرج من حجر يتول هذا الولد العجيب الذي يدعوه الله . ومنهم من كان يراه داخلًا الى
الهيكل ومنهم من كان يراه مجده في قبره حيث ظهر على الموت وفي اثناء انذارهم بمجراته
لم يضربوا صخرة عما لحقه من العار لانهم رأوه مباعًا وعلما من قبل قدر الدرهم التي بيع
فيها بانها ثلاثون من الفضة وعرفوا استعالمها وفي عرض ما كانوا يرونه عظيمًا ومرفع
المقام كانوا يرونه محضًا وغير معروف بين بني الانسان وأنه اصبح اعجوبة للبشر بذله
وعظمته وكانوا يدعونه احقر البشر ورجل الآلام الحامل كل الخطايا المبدي الرحمة
غير المعروف المشوه بسبب قروحه وهذا كان بشني جروحاته وأنه عومل معاملة
ذني الجرائر وقاده الاشرار الى العذاب وسلم نفسه كالنخلة البريئة بكل سكية وارتياح للموت .
وذرية كبرى مأهبة لان ثلث منه هذه الذرية وانزل الله على شعبه انتقامًا لعدم
ايمانهم . ولكي نتم النبوة افضى بهم الامر الى ان حسبوا السنين الى مجيئه وذلك امرين
لا يندكر الا من كان خامد البصيرة والبصر

وليس الانبياء قد نظروا المسيح فقط بل انهم كانوا رمزًا اليه والى اسراره ولا سيما رمز
الصليب لان اكثرهم قد تجسّموا مشاق الاضطهاد للعدل ومثلوا لنا بعداياتهم البروا الحفينة
الذين اضطهدوا في المسيح . فلقد كان اليا واليشاع مدقًا للاضطهاد المستمر ولكم كان
اشعبا هزما وتخربة للشعب والملوك الذين قتلوه حسب تقليد اليهود المتواصل ورجعوا
زكريا بن بوياداع بالحجارة وكان حرقيا غارقا في لجة الحزن وارميا في مشاق متواترة
يكل اللسان عن نبياتها . وقد طرح دانيال مرتين في جب الاسود وكل اولئك كانوا
هدقًا لكل اضطهاد موبق ويظهر لنا جميعهم بانفوزجهم ان الشعب القديم وان يكن
مستلزمًا بالعموم ان يعضد بالبركة الجسدية بسبب ضعفه فان اقوياء اسرائيل اولي الثنى
والبر كانوا يفتنون خبز الشجون ويحرمون سابقا الكاس المعتة لابن الله رجاء النجاة . وعندما
ما كان اقنوم المسيح مقدسًا كانت تلك الكاس مرة . ولقد رأى الانبياء بوضوح بين
البركة التي اهبها الرب على الوثنيين بواسطة المسيح فاندروا بها من قبل بكلام ترفع الى
اعلى البلاغة فان اصل يسي وداود فد بدا لاشعبا النبي كانه راية معظاة من الله للشعوب
واياه ترحي الامم . واما رجل الاوجاع الذي اصيبت قروحاته غلة شتائنا فقد اضطهد

ليغسل الوثنيين بنضجة في دمه والمعودة ولا يجترى الملوك ان يبدوا امامه حديثاً ورثة
مقتلة من لم تسمع به اذناه وحي اليه من لم يكونوا يعرفونه فهو الشاهد الذي ناله الشعب
والقائد والمعلم الذي بعث به الى الوثنيين. وقد انحاز في عهد شعب مجهول الى شعب
الرب وهرع اليه الوثنيون من جميع الانحاء ولا ريب انه صديق صهيون الذي كان نوره
يتلألأ في الآفاق وهو المنفذ صهيون الذي يضيء كالكبراس وسوف يراه الامم وجميع
الملوك سوف يعرفون ذلك الرجل الشهير في نبوءات صهيون

فها قد صرح به بزيادة ابضاح واكثر بيان واخص صفات. وهوانه قد دعي
بالرجل العريق في الكياسة المصطفى بنوع خاص من لدن الله الذي سر به وقد بعث
به ليعضي للإمام وتستأني سنته الجزر التي تدعوها الامم العبرانية اوروبا والامصار الفاصية
لا ينف ولا يسمع له صوت خارجاً لانه لطيف ودبث الاخلاق لا يستحق الأباة المرصوفة
ولا يزيل دخان الكتان ولا يضيق على بني الغبراء المحرمين بل صوته الرخيم يدعوهم
اليهم ويك الكريمة تاخذ بايديهم. سوف يفتح عيون العميان فيبصرون ويخلص من زوايا السجين
مسيحون ولا يكون له من السلطنة اقل من الرفاة. ومن اعرق صفاته ان يفرن الرحمة بالقوة
ولذلك يدوخ صوته الرقيق اقصى العالم ويجعل الارض واجنة مائنة دون ان ياخذ
ساكنها تمرد ولا يكون مأثوماً منه اوزاحاً وهذا الذي كان في اليهودية يكون معروفاً
لا يقتصر ان يكون ركناً للاتحاد بين الله وبني الانسان بل يكون نوراً لجميع الامم ايضاً
ولا يكون في زمان ملكه العجيب الاثوريون والمصريون والاسرائيليون الا شعباً واحداً
للب رب ونصيح كل الامم شعباً اسرائيلياً مقدساً ولا تكون اورشليم مدينة خاصة بل نموذج
الفة جديدة حيث ياتم فيها كل الامم من اوروبا وافريقيا واسيا. ويدوخ تلك الامصار
الرسال الذين يتختمهم الرب بعلاماته ليكتشفوا عن مجده لجميع الامم ويصبح المصطفون
الذين كانوا يدعون باسم اسرائيل يدعون منذ ذاك الآن باسم آخر حيث تم المواعيد
باتتخاب ابدى السعادة وان الكهنة واللاويين الذي كانوا الى ذاك الآن من نسل
هارون يخرجون من ثم من بين الامم. وتجل محل الذبائح القديمة ذبيحة اخرى اكثر
منها قبولاً وطهارةً وحيث يعرف لماذا كان داود يشهد كاهناً من مرتبة جديدة وسوف
ينزل الصديق من السماء كالطل وتنبت الارض المخلص الذي يبيت معه العدل لان
السماء والارض تغندان معاً مشتركين بولادته. ذلك الذي يكون سائواً ارضياً وتبدو

طرق أخرى للفضيلة في العالم بأمثاله وتعليمه وترسخ العبة التي نهبط من لدنه عز وجل في القلوب ويتغير كل شيء لدى مجيئه وقد آلى الله على نفسه ان تودي له السجود كل ركبة ويقسم به كل لسان ويعترف بنوته

فهاك قصاً من العجائب التي ابداهها الرب للانبياء في عهد اولاد داود ولداود نفسه قبل غيره فكتبوا جميعهم تاريخ ابن الله قبل ما ناه بانه مزعج ان يصبر ابن ابراهيم وداود . وبناء على ذلك تتسلسل الامور طراً بالمقاصد الالهية بكل دقة ونظام لان ذلك المسيح الذي قد بدا عن بعد كانه ابن لابراهيم قد بدا عن قرب كانه ابن داود وان الملك معد له وان معرفة الله التي ذاعت في كل العالم اصبحت كأنها دليل قاطع على ما ناه وقد تقرر ارتداد الامم الى الايمان الحق والبركة المزمعة ان تحل على كل شعوب الارض التي وعد بها منذ زمان مد يد ابراهيم واسحق ويعقوب . وقد كان كل شعب الرب على وشك ذاك الانتظام ومع ذلك فلم يفتأ الرب يقوده بنمط غريب فتعاهد مع داود معاهدة جديدة ووعد بان يذود عنه وعن كل الملوك خلفائه ان استروا يسعون حسب القوانين التي منحهم اياها بواسطة موسى والافيررحهم بالعقاب الاليم . وعلى ذلك ان داود تغافل عن تلك الوصايا فكان اول من تجشم مشاق العتاب ولما تاب عن خطيئته مكفراً عنها رضي الله عنه وانتقله بالنعم والخيبرات فاصبح انموذجاً يتسنى به لكثرة صلاحه ولذلك توارث الملك في بيته وطالما افتنى سليمان اثره بالبر والتقوى فكان سعيداً . بيد انه ضل عن طريق هدايته شيئاً ومع ذلك فقد عنا الله عنه لحبه لداود عبده لكنه نوعه بقصاص سوف يوقعه على ابنه وعليه قد ابان للآباء حسب حكمته السرية انه بقي لأولادهم ثواباً او عقاباً يتكفل بهما المستقبل وما ذلك الا ليطلعهم مستمربين على الرضوخ لوامره بشأن مهامهم العائلية وتنفيذاً لهذه الاوامر اسلم رجعهم ذاته لكثيرين ذوي غرة فتناقصت مملكته بانحياز عشرة الاسباط عنه وفي غضون انفصال تلك الاسباط المتتقي عن الله وملئهم كان اولاد يهوذا ذوي الامانة بالله وبفضيه داود مستمسين بعروة العهد وبامانة ابراهيم وواخاهم على ذلك اللاويون وسبط بنيامين فلبثت مملكة شعب الله موطنة بذلك الاتحاد باسم مملكة يهوذا واستمرت سنة موسى مرعية بكل ما لها من القوة .

وكان الله لا يزال يذكر عهده مع ابراهيم واسحق ويعقوب قسراً عن العبادة الوثنية والفساد العظيم الذي كان بين عشرة الاسباط المنفصلين ولذلك لم يتلاش ذكر

سنته بين اولئك المتمردين فاستمر يدعومهم الى ان يتوبوا بمججزات كثيرة وبانذارات متواصلة كان يبعث بها اليهم بلسان ابنائه الابرار . ولما تصدلت قلوبهم وتنادوا في الآثام والجرائر انف من الرفق بهم ولذلك طردهم من ارض الميعاد قاطعاً عنهم الرجاء بالآباب اليها .

واما تاريخ طويا الذي كان في ذلك الحين نفسه وفي ابتداء اسر الاسرائيليين فيبين لنا منه سلوك ابناء الله الذين بقوا بين الاسباط المنفصلين لان ذلك الرجل الصدوق قد انجس عن تادية الرضوخ للاوثان طالما كان بين الاسباط قبل السبي وقصارى الامرانة كان يرعى السنة حق الرعاية لانه كان يجاهر بعبادة الله في هيكله في اورشليم دون ان يجمع به الاقتداء الذريع او يردعه عن ذلك ذعرا وخوف . ولما كان اسيراً في نينوا ومستهدفاً لسهام الاضطهاد لم يبرح ثابتاً في الذئ والبر هو وعائلته . ويتضح من المجازاة التي نالها هو وابنه في تلك الارض ان الله كان له وسائل خفية قدراً عن الاسر والاضطهاد بان يظهر لعابديه البركة المنة لمن يرعى السنة لكنه كان يرفع افكارهم الى العلماء بواسطة المشاق التي كانت تمنهم وكان بنو اسرائيل يعرفون بواسطة انذار طويا وارشاده ان يد الرب التي كانت تعاقبهم بضرب العصا ومع ذلك فقد استمر معظمهم على العتو والعناد واما بنو يهوذا فلم ينجح بهم مثال اسرائيل ولم يرفعوا عن غرورهم فلبثوا بهم ممثلين فواصل الله انذارهم بواسطة انبيائه الذين كان يبعث بهم بالواتر ليسهروا في الليل ويستيقظوا في الصباح كما يقول هو نفسه وما ذلك الا دليل على اهتمامه الابوي . ولما غالوا في المجد انفس منهم وتحرك عليهم غضبه وتوعدهم بان يعاملهم كما عامل اخوتهم المتمردين .

الفصل الخامس

في حياة الانبياء ووظائفهم واحكام الرب المعانة بالنبوات

ليس في تاريخ شعب الله ما هو اهم من وظائف الانبياء فان اناساً كثيرين كانوا متباعدين عن البشر يعيشون ومرتدين بالبسة خاصة وكانوا في منازلهم يعيشون معيشة جمهورية تحت ادارة رئيس يقيمهم الرب عليهم . ولقد كانت عيشتهم في الناقة والنشف

رمزاً الى العيشة التي يندرج بها في عهد الانجيل . وكانت الرب يترامى لم ينوع خاص
ويظهر امام الشعب ذلك الوحي العجيب ولم يكن يغالي به الا حينما كان الفساد يتكاثر وقد
بدا وتشتد ان عبادة الاوثان كانت مزمنة على ان ثلاثي سنة الله وكان الانبياء يذيعون
في تلك الاوقات النعيمة انذار الله شفاهاً وكتابة رجاء ان يقوموا بناصر الحق المبين
وقد كانت الابدي تداول تاليفهم ويستيقظها الشعوب كذاكار مستمر للاجيال الآتية
وكان يغاز اليهم كل من كان يستمر وانما بالله .

وقد نرى في اسرائيل حيث استمرت عبادة الاوثان ان كل من كان ينجح الى
الايان كان يحتفل بنهار السبت وايام الاعياد الموصى اليها في سنة موسى . وقد طالما كان
يخص الانبياء الصديقين على الثبات في ميعاد الرب وتحمل جرم غفيرة منهم عقاب
الموت الزورم وتسبب كثير من الناس باعمالهم المبرورة في ايام الملك منسى ايام البوس
والشدة . وهريق دمائهم في سبيل الله ويتبين من ذلك ان الحقيقة لم تلبث قليلاً دون
شهادة .

ويجزم من ذلك ان الالفه كانت سائقة بين شعب الله لان رباط الاتحاد بين
الانبياء كان متيناً وكانت فيالتي من المؤمنين يشنون معهم علانية في الاتحاد بشرعية
الرب والهيمنة الابرار الذين ثبتوا في ما غادره لهم سلفاً وهم منزهرون . وفي عهد
الملوك الكفرة كاحاز ومنسى لم يتشك اسعيا وانبياء آخريين من الفاء الخيانة التي
كانت تثبت الميعاد وفيها كل رعاية السنة كما يقول بولس الرسول . ولم تنتسخ رعاية
السبت والاعياد وان يكن احاز قد قفل باب الهيكل ووقف الذبائح حيناً من الدهر
ظلماً وعدواناً فلم يكن ذلك مانعاً من ان يسبح الله اوليائه ويمجرون باسمه فان المخالف
جل شأنه لم يشأ ان تنتسخ الصلوة من بين شعبه . ولما عزم هامان على ان يحو مبرات
الرب ويغير مواعيد ويزيل نسايجهم لم يخف على احد ما صنع الله به قصد ان يصد عا
يشاء وعلت قوة الله وصمت لما ازمع اتيموخوس على ان يقوض ركن الهيكل والدين وانذر
الانبياء احاز ومنسى كثيراً ليقوموا بناصر الحق والدين ويدعوا العبادة سالمة وقد كتبت
كلمات الانبياء الذين كانوا يناجونهم باسم الرب اله اسرائيل في تاريخ ملوك اسرائيل
كما بنوه عنه الكتاب المقدس واما منسى فقد تلبث قلبه وقاب بسبب انذارهم واصبح
ارشاد الانبياء ذريعة لان يحفظ للشريعة من المؤمنين عدداً كبيراً . وان حرب الصالحين

كان لم يزل قوياً حتى ان الاحكام كانت تصدران الملوك الكفرة الذي تبادهم غائلة الموت ليس من الحق ان يرسلوا في تربة داود سلفه الصالحين وان يكن قد كتب ان احاز قد دفن في مدينة داود فيؤخذ من الكتاب المقدس انه لم يرسل في تربة ملوك اسرائيل . ولم يخرج منى عن نطاق ذلك الحكم ولو اصبحت من بعد جحش نائبا ولم يكن ذلك الا لبقى له اثر مستمر يبعث على الرعدة والارهاب من سلوكه ولكي لا يدور في خلد احد ان الذين كانوا متحدين بالعبادة علانية مع الانبياء لم يكن بينهم خلفاء شرعيون للكهنة قال حزقيال صريحاً : اما الكهنة واللاويون بنوا صادوق الذين رعو سنن مقدسي اذ ضل بنو اسرائيل عني فهم يزدلون اليّ ليجدوني . ويقفوا قدامي ليقربوا لي الشتم والدم قال الرب .

ومع ذلك فان عبادة الاوثان التي كانت وسيلة لان تطمس اسرائيل كانت مراراً حجة تجذب اليها في مملكة يهوذا الملوك واكثر الشعب قسراً عن الانبياء المؤمنين والكهنة الصديقين والشعب المتحد معهم في حفظ الشريعة . وان يكن الملوك غادروا اله ابائهم نسباً منسباً فحببهم الله اكراماً لعبد داود لانه كان دائماً يرزوا اليه . ولما كان الملوك بنو داود يتسنون باعمال ابائهم كان الله ينجيهم لم بالعجائب العظيمة قصد نجاتهم الا انهم كانوا يشعرون بقوة يده التي كانت تثقل عليهم لما كانوا ينجسون في الفساد والغواية . وكان ملوك مصر وسوريا واسيا ملوك اثور وبابل كغضب حنف . ولما فشا الكفر اقام الرب في الشرق ملكاً جباراً مرهباً يقال له نبوقولصر وولاه على بابل فكان اشر الفاتحين . وكان يخيف الله به الملوك عن بعد كانه نعمة عليهم في عزيم ان يوسعهم ارهاقاً وتعنتاً فعلق يسى والدعريسى امامه فانقض في بادى الامر على اورشليم ففتحها ونقل من سكانها جزءاً الى بابل . ومع ذلك فلم يرعو من استغفرهم المقام في بلادهم ولا من جيء بهم وقد طالما جد ارميا النبي وحزقيال في سبيل ارجاعهم عن غرتهم فلم يرجعوا بل اتروا عليها الانبياء الكذبة الذين غالوا في ان يداهنوهم ويصانعوهم بالخدعة فائتني من ثم ذروا انتقام الى بلاد يهوذا وعنى اهل اورشليم بالمبرحات الموبقة وصوب عليها سهام غضبه فانلف منها جناباً كبيراً ولما تعاطمت الجرائر وتماذى قاطنوها في الخيلاء والضفاف وجه عنايته الى اطلاقها فجعلها قاعاً صفصفاً

ولم يبق الله عن ادمار هينكل قدسه . ولا ريب في ان بني اسرائيل لو استمروا

ثابنين في عبادة الله لكان ذلك الهيكل الذي موزنة العالم ابدياً لا يمحوه كرور الايام .
فنجح الله عنه فاذا كى الاثوريون فيه النار فاحرقوه . واما قول اليهود ان هيكل الله هيكل
الله هيكل الله هو عندنا فقد ذهب ادراج الرياح زاعمين ان ذلك الهيكل في وسع ان
يتنذم وحده فناء ذواليد التوبة ان يدم على ان نجاه المرء ليست موقوفة على بناء
الحجارة بل على قلوب انتطوت على الصبر والامانة

ولذلك عرض هيكل اورشليم لان يصح بياباً وكوزة للسلب واصبحت كل
ادواته الثمينة التي وقفها اليه الملوك الصديون فريسة لمطامع ذلك الملك المجود . الا ان
سنوط شعب الله ازمع ان يكون مثلاً لكل الارض وانذاراً لانا نرى في هذا الملك العتي
الظافر صفات كل الناحين الذين كانوا عصياً لضغب الله فكان جلّ جلاله يتخذ مآلة
لتنفيذ احكامه العادلة ثم يتنذ احكامه فيهم لان نبوقولصر الذي قد استلام بنوة الهية واصبح
ظاهراً ظهوراً فائزاً عاقب جميع اعداء شعب الله وبيان ذلك انه زحف على الادوميين
والعمونيين والموابيين وسلب ملوك سوريا املاكهم واضحت مصر التي التت على عوانق
اليهود نير الاسترقاق هدفاً لسهام هذا الملك الجبار فانه انتقم بالجزية يد ان باءه لم يكن
اقل مضرة على يهوذا فان الشعوب لم ينتهزوا الحين الذي اوسعهم به الرب رجاء الابواب
اليه فوهي فيها كل ما كان قائماً وقوض نبوقولصر قضيب غضب الرب ركن كل شيء
وقد اصبح هو نفسه على جرف سوف بنهار . واما الرب الذي قد اتخذ ذلك الملك آلة
يعاقب بها شعبه واعداً ترك قصاصه لم يترك التوبة

الفصل السادس

في قضاء الرب على نبوقولصر والملوك خلفائه وكل دولة الاثوريين

ان الرب لم يخف على شعبه ما كان مزعماً ان يحل في ذلك الملك الذي كان
يعتهم ويضيق عليهم وفي دولة الكلدانيين التي اتخذهم اسرى وخيفة ان يصحبوا جانحين
الى مجده الكافرين وسوء دهم اخذ الانبياء يندرونهم بان ملك الاشرار قريب الزوال
فان اشعباء الذي شاهد ما انصل اليه نبوقولصر من العز والمنعة والجبروت تنبأ بانه
سيهبط مدحوراً وتصبح مملكته طامسة دارة وذلك قبل ان يبرز الى عالم الوجود وقد

كانت بابل خربة جداً لما نبأ هذا النبي عما سنصل اليه من الباس والشوكة . وبعد ذلك بقليل من الحين رأى ما ألم بها من الدثار وعلى ذلك كانت التقلبات التي نشأ في المدائن والممالك التي طالما اهنت شعب الله أو تغتم من خسائره تكتب في تلك النبوءات التي كانت لا يمضي عليها قليل من الحين إلا تم وإن اليهود الذين عوقبوا بكل صرامة شاهدوا سقوط السامرة وأدوم وغزة وإسكالون ودمشق والمدائن العنوبة والموازية العدوتين اللدائين وحاضرات الممالك العظام كصور ملكة الجرجوتانيس ومغبس . وتاب التي كان لها مائة بوابة سقطت مع غنا سينوستريس وبنوا نفمها مركز ملوك انور الضاهدين وبابل ذات الخيلاء والكبر الظاهرة على غيرها المثيرة بما اغتمت . وكل ذلك ثم قبل اليهود اوفي اثناهم اوبعدهم بقليل كما كتب في سفر الانبياء .

وبلا ريب ان اورشليم سقطت في ذاك الحين نفسه لكثرة ما تحملت من الجرائر والمنكرات بيد ان الله لم يدعها فاصمةً جبل الرجاء فان اشعياء الذي نبأ عن سقوطها رأى نهوضها الجيد وانه عينه اوعز قبل ميلاد فورس بما يتي عام الى ان ينفذها وإن ارميا النبي الذي لا يشك في مموت نبواته وعد الشعب بالاياب السنة السبعين بعد السبي وما ذلك الا ليبيدي لم ما سيعنورهم من الهلاك عذاباً على نكرانهم للجبل وفي اثناء السبي كان الشعب مرعياً الحزمة بسبب انبيائه الذين كانوا يندرون الامم والملوك بما سيطر عليهم من الموبقات .

ونوقولصر الذي كانت تودى له العبادة خر لدانيال خاشعاً لأن الدهش اخذه اذ شعر بالاسرار الالهية التي كان دانيال ينشرها لديه . واعلم بما سيقضى عليه فكان انفاذه عقيب ذلك دليلاً على مصداق ما قال . فان ذلك الملك الظافر كان يجنفل في بابل التي جعلها اعظم المدن وامنعها قوة واجمع مدينة اشرفت عليها الشمس فوقف له الرب هنالك في المرصاد لينكس اعلام عظمته فكان في حكمه سعيداً لانتم مجسده قرحة طالما كان مترساً على جنوده وفي كل ايام فتوحاته وكان مشرفاً على السقوط في بيته تطبيقاً لنبوءة حزقيال ولكثرة ما كان متعادياً في الكبر والصلف تعالى فوق العالم الانساني . ففجأة الله اذ ذاك بالضربات الويلة وذهب بعقله وطرح به بين البهايم الا انه لما جاء الحين المتاح الذي اوعز اليه به دانيال رجع الى عقله وتاب الى رب السماء الذي جعله يشعر بقوته بيد ان خلفائه لم يتسمنوا باعماله فتغيرت حيث

الشعوب في بابل وأزف الوقت الذي حدده الأنبياء بنهوض يهوذا فبدا قورش مترسداً
 على الماديين والفرس ورشح كل شيء له فازدلف رويداً رويداً وزاحف الكلدانيين
 لأنه توقف في تسبارة كثيراً وفشا نبأ مآناه كما تنبأ أشعياء ومن ثم زحف على بابل . فهذه
 المدينة التي طالما نوءدها الأنبياء مراراً حجة لتوغلها في عباب الكبرياء والعظمة غير ثابتة
 عراها الظافر الجريء وهي لا تندعر منه ولا ترتعب . فانما كانت تشامخ بهامتها لكثرة
 ما كان لها من الغنى والثروة وبذوخ أسوارها وعظم جيوشها وسعة نطاق حكمها الذي كان
 يكتنف بلاداً بأسرها كما روى القدماء وذخرها العظيمة . وبعد أن أحوصرت زمناً مديداً
 لم ترهب أدنى غائلة بل كانت تهزأ بأعدائها غير مبالية بما كان يحفر قورش حولها من
 الخنادق والأخاديد ولم يكن يهتم أهلها داخل أبوابها إلا في المادب والملاذات وقام
 ملكها بلشصر حفيد نبو قولصر الذي كان يضاهيه بالكبرياء لابل البسالة ودعا ظهره
 المفرين وصنع لهم احتفالاً عظيماً . وحدث في ذلك الاحتفال فساد ما عليه من مزيد .
 لأنه أتى بالآواني القدسية المنتزعة من هيكل اورشليم ودنسها مازجاً الأرجاس بالتبرج فحنق
 الله حينئذ منه وهبطت من العلاء يد سماوية وكتبت على ظاهر المتزل المعد للوليمة كلاماً
 يبعث على الأرهاب والذعر فارقته دانيال الذي كان قد تنبأ عن سقوط جن السكيب
 عن معناه : قائلاً أن صاعقة ستم يه وتنبأ لأوامر الرب فتح قورش له في بابل باباً . وإما نهر
 الفرات الذي كان قد حوله قورش عن مجراه بواسطة خنادق احفرها له منذ أيام
 مديته فقد اكتشف له مجراه المنسج وعبر الملك في ذلك الجري غير المنتظر وعليه أصبحت
 بابل ذات الكبر فريسة للماديين والفرس وقورش كما قال الأنبياء . ولدن ذلك
 اندثرت معها مملكة الكلدانيين التي ادمرت من الممالك مقداراً كبيراً وهكذا
 تحطمت مطرقة جميع الأرض كما يقول ارمياء النبي وسحق الرب عصاً ضرب به كل الأمم
 حسب قول أشعياء . ورأى الشعوب الذين كانوا يعانون انتقال ملوك الكلدانيين أنهم
 يعانون مثلاً كانوا يعانون . وقالوا لبابل أصبحت قرحى مثلنا فضاھيتنا ولقد طالما كنت
 تقولين في قلبك اصعد الى السماء فأكون نظير العلي وذلك ما قد انذريه أشعياء النبي
 قائلاً سقطت سقطت بابل الكبري وتخطمت اهتها وتسحمت اصنامها وانكسر باعال
 وأهلها نابو العظيم الذي كان ملوكها العظام يشفون منه الفاجهم فان الفرس اعداءهم كانوا
 يعبدون الشمس ولم يكونوا يقنطون من الاصنام أو الملوك الذين اقاموهم آلهة عليهم . وإما

سقوط بابل فقد طابق ما تنبأ عليه الانبياء فان مياهها نضبت كما قال
ارميا للجبها الظاهر عليها واخذت بها سنة النور والغلة وهي غريفة بحار المملكات كما قال الي
وقبضت عليها ايدي اعدائها كأن احبولة طُرحت عليها فاصبحت قنينةً وهي غير
شاعرة . فغدا كل سكانها هدمًا لنصال السهام وفريسة لعرار الحسام . فان الماديين
الظافرين لا يطلبون كما قال اشعيا نصارًا ولا لجيئًا بل الانتقام وحده ويجهدون في ان
يشفوا غليل غمرهم بان يهلكوا شعبًا ظالمًا حملة تكبره على ان يكون عدوًا لبني الانساب
قاطبة . وكان السعاة ياتون متوافدين على الملك يشنون لدهو ان المدينة قبضت عليها
ايدي الاعداء وتنبأ ارميا عن ذلك ومجيئه الذين كان يثق بهم وكانوا يعدونها بملك
ايدي ولم يمكن لهم ان ينقذوها من ايدي الظافرين وذلك ما تنبأ عنه اشعيا وارميا معًا
ولم ينج في هذه المذبحة الهائلة من حسام الظاهر الا اليهود وحدهم لانهم كانوا يعرفون
ذلك انفاً وقورش الذي امسى قابضاً بنورته على كل الشرق شعران في هذا الشعب
المدحور مراراً امراً الهياً ففرت عينه لما سمع بالنبوءات التي اعلنت سلباً بابتصاره وذعن
ان ملكه هبة من رب السماء الذي يعبد اليهود . فاعزاول عامر من حكمه الى ان
ينفض الهيكل ويشفي الشعب الاسرائيلي .

الفصل السابع

في اختلاف احكام الرب بقضائه الصارم على بابل

وحكمه الرحيم على اورشليم

من ذا الذي لا ياخذ العجب والدهشة من الحكمة الالهية البادية بنوع صريح
على اليهود والكلدانيين واورشليم وبابل . فشاء ذو العزة ان يعاقب هاتين المدينتين
كنتينهما عقاباً شديداً فانذر بذلك بزم انبيائه الاطهار حذران يدور في خلده البعض ان
ذلك العقاب ليس منه تعالى . فكان اذ ذاك لاورشليم وبابل سقوط رائع حسبما فاهمت
به الانبياء من قبل . واما الرب فقد اذاع سر ذلك العقاب فاثقل الكلدانيين بالمبرحات
وعاقب اليهود الذين هم بنوه رافقاً راحماً فسقط تكبر الكلدانيين الى الخفيض
دون رجاء النهوض وما ذلك الا لان الخبلاء قد اخذت بهم كل مأخذ فاصبحت

ففيهم من الصنات الغربية وملكة في دولة بابل فقد قال النبي ارميا ان ذا
الكبر بهوى الى اسفل مدحوراً وليس من احد يقوم بناصر وقد قال اشعيا النبي ان
بابل الشديدة الختروانة التي هي مثابة عظمة الكلدانيين ستصبح طامسة دارة مثلها
اصبحت صدم وعمورة . ويقادرها الرب آيسة قنوطة . بيد ان ذلك العقاب الصارم
لم يوقعه على اليهود بل انه قاصمهم كما يقاص الاب بنيه المتبردين امل ان ينجحوا عن غرتهم
مزدلفين اليه رضوخاً فيتناسى ما فعلوا ان تابوا اليه نادمين ويسذل سبباف السبر على
زلاتهم . قال الرب لا تنزع يا عبدي يعقوب فاني انا معك واني ايد جميع الامم . واما
انت فلا ايدك بل اودبك بالحكم ولا اغفر لك كأنك ذكي . وعلى هذا قد اخذت
بابل من الكلدانيين اخناً موءبداً . واسلمت لشعب آخر ونهضت اورشليم بعد ان
كانت دائنة بنوع عجيب . وآب اليها بنوما من كل اصناع العالم .

الفصل الثامن

في اياب الشعب تحت قيادة زرو بابل وعزرا ونحميا

ان من اعاد بني اسرائيل من السي زرو بابل من سبط يهوذا ومن نسل الملوك
فانثى بنو يهوذا اجواقاً وافعموا الارضين . بيد ان عشرة الاسباط تشعثوا وتبددوا ما بين
الامم الا الذين هم موسومون باسم يهوذا فانهم انما زلوا تحت رايته وآلوا الى ارض اباؤهم .
وشادوا في ذاك الحين المذبح واقاموا الهيكل ورفعوا اسوار اورشليم
وكبت الفرس الذين اصبحوا ذائدين عن شعب الرب حسد الامم المجاورة وعاد
الكاهن العظيم الى مهام امره والكهنة الذين امكن لهم ان يبنوا تسلسلهم بواسطة السبلات
العامية . وكل من لم يبين ذلك اصبح مرفوضاً وعزرا نفسه الذي كان كاهناً ومعلماً في
السنة والحاكم نحميا اصحياكل الفساد الذي طرأ منذ السي وحمل الشعب على ان
يرعى الناموس بكل دقة ونظام . وكان الشعوب يصيبون العبرات معها على كل الزلات
التي سببت لهم ذلك العقاب الاليم . واذعنوا ان موسى تنبأ عن كل ذلك وكانوا جميعهم
يطالعون في الكتاب كل ما كان عبد الرب يتوعدهم به وكانوا يشاهدون تنبؤ
وكانت نوة النبي ارميا والاياب الذي وعدوا به بعد سبعين سنة من الاسر يدعشاهم

ويعزّيانهم فاخذوا اذ ذاك برضخون لاحكام الرب ويزدلفون اليه ويعيشون بالامن والسلام.

الفصل التاسع

في ان الرب الذي كان على وشك ابطال النبوات اذاع نور حقه
اكثر من الأنف

ان الرب الذي يصنع كل شيء في حينه قد استنجان الوقت لان يلقي الوسائط المخارقة العادة اي النبوات بين شعبه . لانه رآه نبع في الرشد ولم يكن باقياً في ذاك الحين الى ماتي المسيح الاخمسة عام . وانا ط الله بهمة ابنه ذي الجلال ان يسكت الانبياء في كل ذاك الآن ليقبى شعبه منتظراً من هو مزعم ان يكون منتقداً لتلك النبوات وفي اواخر الاوقات التي عزم فيها الرب على ان يلقي النبوات لاح في فكره ان ينشر كل نور حقائقه ويكشف كل اسرار حكمته الالهية فابان بنوع صريح اسرار الاوقات الاتية .

فان دانيال رأى في اثناء السبي ولاسيما نحو اواخر ذاك الحين اربعة الممالك التي ازمع الاسرائيليون ان يعيشوا تحت رايها مراراً مختلفة بهيئات متباينة . ولا غرو انه نبي قد ذاعت في تلك الارحاء حكمته وثقواه ورعت الملوك له المحرمة وقد تحن بعضهم سنداً يعول عليه في امور الدولة لفرط حصافته وحكمته التي دارت ذكراها على الالسة وكشف عما كان مطوباً بشأن تلك الدول لانه كان مزعماً ان يرى دولة ملك من ملوك اليونان ظاعنة كالسبل الآتي وهي دولة الاسكندر وعند سقوطها تقوم دولة اضعف منها وياخذ بها الشقاق والانقسام فتفتي هذه الدولة هي دولة خلفائه الذين بنوه النبي عن اربعة منهم وهم انتيباطور وشلاكوس وبتولماوس واثيغونوس . ومن الامور المقررة في التاريخ انهم كانوا ذوي جراءة وبأس يفوقون بذلك سواهم . وتوارث شوكتهم خلفاؤهم وقد اوعز ايضاً الى ما اجمعا من المحروب وما اوغرت صدورهم من الحسد والى انحادهم المبني على الرياء والخائلة ويشير عن جور ملوك سوريا ومطامعهم وكبرياهم وصفاتهم الذميمة التي قد امتاز بها اثيوخوس ايفان الذي كاشع لشعب الله بالنبي والبغضاء وجار عليهم . وقد

او عز دانيال الى قصر حكمه وما يلم به من العتاب السريع على جورهِ . وفي اواخر تلك
الازمنة تنوطد احكام ابن الانسان وتبرز كأنها ناشئة من بين تلك الممالك ويعرف
بذلك الاسم يسوع المسيح وتدعى مملكته ملك قديسي العلي ويودي كل الشعوب لها
رضوخاً عظيماً وانها لدولة تنهافت على السكينة والسلم وقد وعدنا الله بان تكون ازلية
وان شوكتها لا تحول الى دولة أخرى سواها .

ان الله اوحى الى دانيال عن مآتي ابن الانسان اي المسيح المنتظر وعن كيفية نعمة
العمل المندوب به اي انقاذ الجنس البشري . لانه بينما كان منهمكاً في سبي شعبي في بابل
وفي السبعين سنة التي حصر بها الله مئة السبي وفي جواره الى ربه بالدعاء لينج له نجاة
اخوته رفعه الى افكار اسى منها لانه رأى من السنين عدداً سوى ذلك ونجاة أمم
فقد رأى بدلاً من السبعين سنة التي تنبأ عنها ارميا سبعين اسبوعاً منذ الامر الصادر من
ارتحششتنا ذي اليد الطولى سنة العشرين من ملكو لاجل قيام اورشليم فانه يقول حيثنذر
بنوع صريح في انتها السبعين عاماً ان الخطيئة تحي وتلاشى الائم ويسود العدل الابدي
وتم النبوة ويصح قدوس القديسين وان المسيح سوف يبدو وكفائد الشعب بعد تسعة
وستين اسبوعاً بعد تسعة وستين اسبوعاً (لان النبي كرّر ذلك) وعند ذلك يقتل جوراً
وعداً وأنا ونحتم قتله لثم النبوة ويوعز النبي الى اسبوع خاص وهو آخر اسبوع السبعين
الذي يقتل فيه المسيح حيث تثبت العهد وفي وسط ذلك الاسبوع تلغى الذبيحة والتفريب
ولا جناح في ان ذلك يكون بسبب موت المسيح لان ذلك التغيير ينشأ عقيب موته
ولم يبق بعد موت المسيح والقاء الذبيحة الا الرجس والياب فحيثنذر ترى خراب المدينة
والقدس وان الشعب والفائد المقدم بيدها ويكون في الهيكل رجس ويستمر اخر دثار
الشعب الذي تجدد مخلصه الى الانقضاء

فاذا اريد بهن الاسابيع اسابيع سنوية حسب مقتضى الكتاب المقدس نتج من
ذلك اربعائة وتسعين سنة وقادنا ذلك منذ السنة العشرين من الملك ارتحششتنا الى
الاسبوع الاخير المنعم من الاسرار حيث تالم فيه المسيح والتي بهوته ذبائح السنة وائم كل
الرموز . فالعلماء ياتون بحسبان متباين ليطابقوا ذلك الوقت تماماً اما الحسبان الذي
رفعته اليك فهو خال من الارتباك ولا يشوش تسلسل ملوك الفرس بل يجعل له وضوحاً
بيناً وليس من العجب ان يكون في تاريخ هؤلاء الملوك قليل من الارتباك الا ان السنين

القليلة التي يقع عليها النزاع لا تكون مشكلاً لها بالنسبة الى تعداد اربعماية وتسعين سنة
 فعلاّم نطيل البحث عن هذه المسئلة فان وجد مواع في هذه الامور فقد كانت العلي ازالها
 بحكم لا يناقض فان الحادث الين يحملنا على ان لانعاً بتقدير المؤرخين طراً فان دثار
 اليهود الذي ولي موت السيد المسيح بين لمن كان اعى البصيرة نعيم النبوة . ولم يبق
 علي الان الا ان احمك على ان تسرح طائر النظر في احد الظروف فان دانيال ياتينا
 بسر اخر وهو ان نبوة يعقوب كانت قد انبأنا ان مملكة يهوذا سوف تزول لدن
 ما في المسيح يد انه لم يوعز الينا ان موته يكون ذريعة لانقضاء هذه المملكة بل الرب قد
 كشف هذا السر المهم لدانيال النبي لما ابان له ان انقضاء اليهود سوف يكون نتيجة موت
 المسيح وحمد هيايه . فادر لحاظك باسيدي الى هذا القول فان تسلسل الامور سوف بينه
 لديك على احسن منوال .

الفصل العاشر

في نبوات زكريا وحجاي

انك قد عثرت على كل ما ابان الرب لدانيال قبل انتصار قورش وترميم الهيكل .
 وفي غضون ترميمه اقام الله حجاي وزكريا النبيين ثم بعث فوراً بملاخي الزمّع ان يكون
 خاتمة انبياء العهد القديم فكم من الامور التي رآها زكريا النبي . فقد تبين ان كتاب احكام
 الرب كان كأنه مفتوح امامه وانه كان يقرأ كل تاريخ شعب الله منذ سبائو . فقد انجلي
 لديه تسلسل اضطهاد ملوك سوريا والحروب التي اذكوها على يهوذا لانه كان فتوح
 اورشليم ونهبها يتضحان لديه . ترى بصيرته خراباً هائلاً وبليلة عظيمة وشعب الله موليّاً في
 البرية آيساً جزوعاً عائشاً بين الموت والحياة . وقبل ان اضحل بزغ امامه نور جديد
 وهوان الاعداء الكاثخين تشعشعوا منهزمين مقموعين ونقضت الاركان الصنية في كل
 الاراضي القدسية وآب الامن والسلام والغضارة الى المدينة والبلاد واصبح الهيكل مرعي
 الحرمة في كل الشرق . ومن الظروف التي تستلفت الانتظار اليها ان زكريا اوحى اليه من
 العلاء ان يهوذا نفسه يحارب اورشليم اي ان بني اورشليم سوف يسلمونها وان كثيرين من
 اليهود هم من زمة اعدائها . وكان يرى احياناً في بيت يهوذا تواتر حوادث سعيه لانه

يقول عن لسان الرب انا اقوى بيت يهوذا واني اذلل الممالك التي اضطهدتني واعاقب
 الممالك المجاورة التي لا تفك تضطهدي . فقد اردت بعضها وانجاز الى شعب الرب . ولقد
 كان يرى ان الشعب غائص في لجة انعام الله . ومن جملة انعامات الله انه كان ينجيهم
 بانتصار الملك الفير الطاهر السليقة والقلب المنفذ الذي يدخل اورشليم راكبا اناثا
 وبعد ان انبأهم عن سعادتهم على نبئهم عن تسلسل المصائب وهوانه راي ان
 النار انهمت الهكل وساد في البلاد والعاصمة الدثار والتل والجور وما اليه الملك من
 العنف والعدوان اما الرب فيفرق بشعبه المنبوذ جانباً ويصيح له راعياً ويعصه يدي ثم
 تخدّم المحروب الاهلية وتحول الحال والى ذلك بوعز بدلائل فردية ويكون بدء ذلك
 المحن لدن سقوط ثلاثة رعاة اي ثلاثة ملوك حسب قول الكتاب فيسقطون في شهر
 واحد وقول النبي في ذلك بين ذرو وضوح اذ يقول قطعت ثلاثة رعاة اي ثلاثة ملوك
 في شهر واحد ونضابت نفسي بهم اي بشعب لان امواتهم قد اخلنت بي ولم يشبتوا في
 سنتي وقد قلت لم اني لا ادعي راعياً اي لا اكون لكم قائداً بل اغادركم وشأنكم بجماع بجنكم ولا
 اعبا بما يلزمكم من الشقاق ولا انهمك في ان ادرأ عنكم التوائب المعة لكم وعلى هذا
 فليت من يموت وليتصرم ما يتصرم وينهم كل من الباقين لحان خدي والى ذلك يكون
 مآل اليهود الذين نسيم الرب عدلاً . وقصارى القول ان السقوط قد تم بعد فناء
 هؤلاء الملوك الثلاثة وان ما هو مزعج ان يأتي سوف يدي لنا ان نقيم هذه النبوة لم يكن
 قليل الوضوح .

وفي اثناء هذه المصائب العديدة التي تنبأ عنها زكريا جلياً يتبين لنا بلية اشد من
 كل تلك النوازل وهي انه بعد ان سار الشقاق بين اولئك الشعوب وآل بهم الامر الى
 السقوط باعوا الرب العظيم بثلاثين من الفضة . وقد توصل النبي الى ان راي بروياه
 حقل الخزفي الذي صرفت في سبيله واصبح من بعد ذلك بلبلة عظيمة بين الشعب
 ففست قلوبهم ومخطمت شوكتهم .

فيا سيدي ان لساني لي عن تبيان نبوة زكريا العجيبة التي راي بها الراعي مضروباً
 والضئبان مبددة والشعب يرنو الى ربه الذي طعنه ولقد راي دموعاً نسخ عليه تفوق
 دموع التكلي على وحدها وحزننا عليه شجياً اقوى من الحزن على الملك يوشيا وقد راي
 امراً اعظم من كل ذلك وهوان الرب بعث بالرب الى اورشليم ليدعوا الامم لكي يذصقوا

بشعبه ويفطن هو بينهم .

أما ما قاله حجاجي بشأن ذلك فقد كان عربياً عن كل أطراء ومغرغاً في قالب الغرائب لان الشيوخ لما كان بيني الهيكل الثاني كانوا يسجون العبرات حزناً والنباءاً مقابلين سوءد البناء الاول بالبناء الثاني الذي هو نتيجة الفاقة والفقرا ما النبي الذي كان اسمى معرفة منهم فقد كان ينذرهم بمجد الهيكل الثاني ويوشع على الاول وبين لم انه يقام من يتظر الامم وهو المسيح الموعود به منذ الفين سنة ومنذ ابداء العالم ليكون منتقداً للامم وهو الذي سيبدو في الهيكل الاخير لان الرب يهب فيه السلام وكل الارض تشهد بما في منخلصها ولا يبقى لما ناه الا قليل من الحين وان الازمنة المهيأة لمجيئه قد اصبحت من آخر الازمنة .

الفصل الحادي عشر

في نبوة ملاخيا آخر الانبياء وتتميم الهيكل الثاني.

لما ناهز نجاز الهيكل اخذ الشعوب بدمون الذبائح يدان اليهود ذوي الحسة والدناية هم كوا في مقدمة قرايين ذات عيب وارتفع اعتبار ملاخيا الذي كان بونهم على ذلك فانه لما كان يرى قرايين اليهود ذات الرجس كان يرى قرباناً ذا طهر عربياً من الدنس موهباً لان يقرب لله ولا يكون ذلك في هيكل اورشليم فقط بل في فسيح من الارض من مشرق الشمس الى مغربها ليس من اليهود بل من ساير الامم الذين يصبح اسم الرب بينهم عظاماً كما يقول النبي

ويرى ايضاً مثل حجاجي بمجد الهيكل الاخير والمسيح الذي تحمل فيه ركابته خطيراً الا انه كان يرى في الوقت ذاته ان ذاك المسيح هو الله نفسه الذي كرس له ذاك الهيكل لانه يقول عن لسان الرب هئذا ابعث بلاكلي ليسهل الطريق امام وجي ولدن ذلك ياتي الى هيكله الرب الذي انتم تطلبون وملاك الميثاق الذي انتم تنبغون .

يبعث بلاك وهئذا الملاك المبعوث ذو السوءد الدامي ولي الهيكل والمبعوث هو الله بلج هيكله كما بلج موثاة الخاص وهو المبعوث الذي يطلبه كل الشعب الذي ياتي ليضع ميثاقاً جديداً ولذلك دعي ملاك الميثاق او العهد .

وإذا تخم أن يبدو هذا الآلة المبعوث من قبل الرب في الهيكل الأخير فإن مبعوثاً
آخر يسبغ ويهد له الطريق . ومن ذلك يتضح أن المسيح يسبغ البشير وقد أوعز الله عن
صفات ذاك البشير إلى النبي ملاخي وأنه يكون كاليا المشهور بالطهر والقداسة ورقة العيش
والسلطان والغبرة .

وعلى هذا أن النبي الأخير من الشعب القديم قد أبان كل صفات النبي الأول المزمع
أن يأتي بعن وهو اليا الجديد بشير المخلص الذي سيبدو . ولم يكن شعب الله يستأني إلى
ذاك الحين نبياً بل كان يقتصر على سنة موسى .

ولذلك اتم ملاخي نبوته بهذه الكلمات اذكروا سنة موسى عبيدي التي اوصيته
بها في حوريب إلى جميع اسرائيل هنذا ابعث اليكم باليا النبي ويعطف قلوب الاباء على
البنين ويرد قلوب البنين إلى اباؤهم . ويظهر للبنين ما كان يستنظره الاباء . وضم الرب
إلى شريعة موسى الانبياء الذين تكلموا حسب منظومتها وتاريخ شعب الله الذي الله الانبياء
اذ كانت مواعيد الناموس وتهدياته مفررة بمجداث ظاهرة . ولقد كانت كل ذلك
مكتوباً بعناية كبيرة ومنصوصاً حسب ترتيب الازمنة وهذا ما غادره الرب لتعليم شعبه
لما أتى الانبياء

الفصل الثاني عشر

في زمن الهيكل الثاني وثمره العقابات والنبوات الأخيرة
والغاء عبادة الاصنام وطرد الانبياء الكذبة

ان هذا التعليم قد سبب تغييراً عظيماً في اخلاق الاسرائيليين ولم يكونوا بمنتهى
إلى الروميا ولا الانذارات الصريحة ولا للمعجزات الغريبة التي كان الرب يستعملها في
شان انقاذهم بل ان الأدلة التي بانته لديهم كانت كفواً لهم في ذلك . وان قلة امانتهم قد
لاشتمها المحوادث التي تمت لديهم وانارت بصائرهم فاشتوا راضحين ومن ثم ضعفت ايمانهم
إلى عبادة الاوثان التي كانوا يتهاقنون عليها بنوع غريب . وذلك لانهم لم ينجوا بحجدهم
إله اباؤهم غمراً وكانوا يذكرون دائماً نبؤ قولصر وما تنبى لهم عن الخراب ومع ذلك
فقد نشأ الخراب في وقت ادنى مما كانوا يخالون . ولقد كانوا يعجبون من رجوعهم في الوقت

الحدود قسراً عن كل الأمور البادية وبسبب من عين لم يهردهم . ولم تكن ابصارهم ترف على الهيكل الا يخبروا يشعرون بما سبب خراب الهيكل الاول وما من شأنه قيام هذا وبناء عليه كانوا يثبتون في سبيل الامانة بكنيتهم التي كانت الاحوال طراً تشهد لما .

ولم يبق بينهم انبياء كذبة لانهم جنحوا عنهم وانفوا من عبادة الاصنام . وبيان ذلك ان زكريا قد نبأ ان هذين الامرين يحدثان لم وهاك ما قاله حزقيال في ذاك الشأن : في ذلك اليوم يقول رب المجنود اهلك اسماء الاوثان من الارض ولن تذكر الى ما بعد واتزع من الارض الانبياء الكذبة والروح النجس وان نبأ احد الى ما بعد يقول له ابيؤ وامه اللذان ولداه لانجي من اجل انك انت تكلمت بالكذب باسم الرب ويمكن لك ان ترى في النبوة نفسها ان ما بقي من القول ليس باقل قوة من هذا . وثبت هذه النبوة بوضوح وجلاء فان الانبياء الكذبة تواروا في عهد الهيكل الاخير ونكص الشعب عما صانعوا ودامنوا وانفوا من ان يسمعو لم كلاماً وعكفوا على ان يطالعوا موطنات انبياء الرب الصادقين ولم يكونوا وقتئذ يحتاجين الى ايضاح ما كانوا يسمعون من النبوة لان الحوادث كانت ثم كل يوم تصبح دليلاً على مصداق ما كان الانبياء يثبتون .

الفصل الثالث عشر

في السلام بين الشعب وفي من نبأ عنه

لارب في ان الانبياء طراً وعدوا الشعب بسلام . عيم ولم نزل نطالع بكل ارتياح وميرة ما اوعز اليه اشعياء وحزقيال بشأن الان السعيد المزمع ان ياتي غنيب سباء بابل . فان ما كان خراباً اصبح مرموماً واقامت المدائن والديساكر زاهية وكثرت الشعوب وتنكست اعلام الاعداء الكاشحين واخصبت الارضون واميدت الغضارة والترف في المدائن وسادت فيها السكينة واصبحت مرتعاً للسنن والسلام ووعدا الله شعبه بسكينة مستمرة دائمة فقبضوا على ناصيتها في ابان حكم الفرس وكانت اوامر الملك قورش مرمم الدولة تقرر لليهود راحة طول ايام الحكم . وقد كانت العيون تحدق بهم في عهد كل من

يدعى احشوروش وبرهيون ما نبيا لم من الاذلال والثاويق . فتعطف الله عليهم وراهم
 اذ كانوا يستعبرون واحال قلب الملك حالاً عنهم ونم لم من عدوم هامن . وبعد ان
 مر ذلك الحادث سريعاً ذهبت عنهم الروعة واصبحوا دون رهبة وليسوا يخزنون . وكان
 الانبياء يندونهم بان يؤدوا الرضوخ للملوك الذين يتولون امرهم بالله فانقادوا الى ذلك
 صاغرين . وبناء على ذلك كان الملوك لا يعاملونهم بالنسوة والغلظة بل كانوا يرفقون
 بهم وياخذون بايديهم ولا يجهلونهم من الجزية ما يهظم فارتاحوا الى ذلك وعاشوا في
 رقة العيش حسب نوايسهم . وكان اذ ذاك السلطان الكهنوتي بينهم مرعي الحزمة فكان
 الحكمة العظام يقيدون امواتهم ولا يفادونها بنحج بهم وكان المجلس الشوروي الذي اقامه
 موسى برعي ماله من السلطان وكانوا يحرون بينهم السلطة في الحبة والمات دون
 ان يتدخل احد في اشغالهم وذاك ما كان الملوك يامرونهم به . ولم يغير دثار دولة
 الفرس شيئاً من احوالهم فان الاسكندر لم يهتك حرمة هيكلهم بل اعجب من نبواتهم وزاد
 في اكرامهم الا انهم ارفقوا قليلاً في عهد خلفائه الاولين . فان بتولماس بن لاغوس
 باغت اورشليم وقاد الى مصر مائة الف من الاسرى بيد انه توقف قوفاً عن ان يكون
 لهم مكاشفاً بالبغضاء او بالاحرى لم يبغضهم قط بل عزم على ان يخرجهم عن تاذية
 الخضوع للملوك سوريا والحق يقال انه لما اخضعهم اتاح لهم بحقوق سكان
 الاسكندرية عاصمة مملكته او بالاحرى صدق على الحقوق التي كان الاسكندر مؤسس
 هذه المدينة قدمن بها عليهم ولما سبر اعمالهم وراهم ممن تفرّدوا بخلوص النية والامانة
 ادخلهم في سلك عسكرهم واناط بعهدتهم المراكز المهمة . فان كان اللاغيدون قد رعو
 لهم مقاماً فان السلاسيديون عاملوهم احسن معاملة فان سلاكوس نيكاتور رئيس هذه
 العائلة اقامهم في انطاكية وادخلهم حبيبة انتيوخوس الاله في كل مدائن اسيا الصغرى
 فانتشروا في البلدان اليونانية عائشين حسب نوايسهم ومتنعين بكل ما لسكان تلك
 الارحاء من الحقوق مثلما كانوا في الاسكندرية وانطاكية . وفي ذاك الحين امر بتولماس
 فيلادلفوس ملك مصر بشريعتهم ان تترجم الى اللغة اليونانية فعرف الامم اذ ذاك
 دين اليهود وجدت بالملوك والشعوب الهمة ان يسبروا الهبات والصلوات النيسة الى
 هيكل اورشليم واصبح اليهود راتعين في بحبوحة الامن والسكينة تحت لواء ملوك سوريا
 وتنعوا براحة لم يمتنعوا بمثلها في عهد ملوكهم

الفصل الرابع عشر

في ابطال الصلح واعادة تقريره وانقسام الشعب المقدس
واضطهاد انتيوخوس

ان الشعب المقدس لو لم يسد بينهم الشقاق لما كان السلم فيهم مهوشاً ولقد مضت عليهم من الاعوام ثلثماية وهم راعون في حلبة الارتياح الذي تنبأ عنه الانبياء يوم دخل فيهم الطمع والحسد واشكوا ان يهلكهم . فان بعض عظمائهم الاعيان خانوهم رجاء ان يداخلوا الملوك لينالوا منهم حظوة لانهم شاؤا ان ينالوا الشهرة اليونانية وآثروا الجبد الباطل على الجبد الحقيقي الذي كانوا يقتبسونه وهم بين اهلهم اذ كانوا يحافظون على سنن اجدادهم . فعكفوا على اللهو والتصوف كسائر الامم . وكانت هذه الامور المحدثه تبعث الشعب على الدهشة وانهول . وبدت في طي ذلك الزهو عبادة الاوثان كأنها قرّة في عيون كثير من اليهود . فضلاً عن ذلك فانهم لم يكونوا متحمدي الكلمة والرأي في انتخاب الكهنوت العظيم الذي كان في اسي مكانة في الشعب . وكان ذوو المطامع النفسية يزددون من ملوك سوريا أمل ان يترشعوا الى ذاك المنصب السنيع وكانت هذه الوظيفة المقدسة جزاء لاولئك المصانعين الا ان الشقاق بين بعض افرادهم اتاهم بمصائب ودواه جسيمة داهمتهم والمدينة المقدسة . وحدث حينئذ ما قد اوعزنا اليه وتنبأ عنه ذكرنا النبي . وهوان يهوذا نفسه بقاوي اورشليم فسلم المدينة سكانها وهمس انتيوخوس ملك سوريا ان يبهد ذاك الشعب المنقسم رجاء ان يغتم غناه . وبدا حينئذ هذا الملك مطابقاً لكل ما قاله عنه دانيال النبي : اي طامع خسيس مصانع جائر وقع كافر معتوه يشخ بانفه ان كان منصوراً ويانف من نفسه ان كان مدحوراً . فوچ اورشليم مستعداً لان يصنع ما يشاء . وكان يعزّز آماله على انقسام اليهود لا على قوة جنوده وفاقاً لما تنبأ عنه دانيال وغالى في النسوة اذ دخل المدينة وبعثت كبرياؤه وعظمة نفسه على ان يرتكب فواحش تنفر منها النفوس . وابدى كلاماً يلّم بشأن العلي كما تنبأ النبي ايضاً . فتتبعاً للنبوات الصادقات ونقمة ما اقترف الشعب من الجرائم المتكررات اتاح الله له قوة ضد المحرقات الدائمة ودنس الهيكل الذي

احترمة من قبل الملوك اسلافه وسلب منه اموالاً افعمت خزينة الخاوية . وامر باليهود
 ان يعبدوا الالهة التي كان اليونانيون يعبدونها مذعماً انه يساوي عوائد شعبه . مع ان
 ذلك كان ليشفي اولام مطامعه ولا سيما انه كان يود لو يعبدون المشتري اولاميان
 الذي اقام تمثاله في الهيكل نفسه . ولما كان يفوق نبوقولصر بالكفر والاعساف نهك
 في ان يلقي الاعياد والسنة الموسومة والدبائح والذين ويبعد الشعب برمه الا ان الانبياء
 قيدوه بشكيتهم خيفة الجهنوخ . فان متبياً نصت الى له واخرز كل الاختار وصنع ابنه
 يهوذا المكابي هو وقيل من الناس افعالاً عجيبة وظهر هيكل الرب ثلاث سنوات ونصف
 سنة بعد ان تدنس وهذا كله تنبأ عنه النبي دانيال ثم على مجارب الادوميين والام
 الذين اجتمعوا مع انتيوخوس . وبعد ان استولى على امتع حصونهم ومعاقلهم انشئ ظافراً
 صغير النفس كما تنبأ اشعيا . ومشتداً اناشيد بالرب الذي التي يدين اعداء شعبه
 وهو مضرع بك ما هم . ولم ينشأ ظاهراً على اعدائه قسراً عن الجنود العظيمة التي كان
 يقوم بامرها قادة انتيوخوس . ولم يكن دانيال يعين لهذا الملك الكافر الا ست سنوات
 ليضطهد شعب الرب . وشعر في الوقت المعين سابقاً في مذبة باعمال يهوذا الجريئة
 وبادته الشجون والاتراح فأت كما قال عنه النبي تعيشا وليس بيد انسان بعد ان
 اعترف باله اسرائيل اعترافاً لم يحرك من بعد ذلك تنعماً . وليس من الامور ان
 ارفع اليك النبا عن الحروب التي قام باعبائها خلتاؤه ضد اليهود وعن موت يهوذا
 مخاضهم او عن فوز اخويه يونانان وسمعان اللذين تعاقبا في الكهنة واقاما بقية الناس
 مجد شعب الرب واعاداه الى ما كان سابقاً . فلم يجمع هؤلاء الافراد ان ملوك سوريا
 وكل الشعوب المجاورة قد تالبت قلوبهم عليهم عدواناً . ومن الامور التي كانت تبعثهم
 على الاسف والنبور انهم كانوا يرون مراراً حجة بني يهوذا يندحجون في شكهم ضد
 وظلمهم اورشليم وقد كان ذاك الامر الى ذلك الحين غريباً الا ان النبوة عنه كانت قد
 صدرت في ما مضى . وكانوا في غصون تلك التوائب يكون امورهم الى الله فلم ينفقوا
 ولم تنههم تلك التوازل بل استمروا اشداء اقوياء واستمر الشعب تحت لوائهم سعيداً
 مغبوطاً وتخلص من وثاق عبودية الامم في عهد سميان الخير والنحاز اليه خاضعاً له ولبيده
 بارادة ملوك سوريا ورضاهم

وان ورقة الوثيقة التي بمنضاها نزل شعب الرب لسمعان واخلاق السلطة العامة

والحقوق الملوكية كانت على جانب عظيم من الاعتبار وهي تحوي مانه: وهو ان
سمعان وذرية يتنعان بالسلطة الى ان ياتي النبي الحقيقي الامين .

ولما كان معتاداً منذ كيانه على القضاء الالهي وشاعراً بان السلطة منوطة ببيت
داود منذ اقامه الله على العرش ملكاً وانها سترد اليه عند جئته المسيح وان يكن ذلك
بنوع رمزي واسى من كانوا ينتظرون جعلوا للكنوت اجلاً مسمى يقبضون على السلطة
في غضون غاشين تحت الوهم منتظرين ذلك المسيح الذين وعدوا بمآتاه من قديم
الزمان . وبناء عليه نهضت مملكة يهوذا المستقلة وتخيرت لها ملكاً يتولى زمامها . فان
ذرية يعقوب استمرت مالكة على سبط يهوذا ومن انحاز اليه وملكت باستقلال وسكينة
في الارض التي عينت لها .

وزها اذ ذاك الدين اليهودي ذاتاً ونال من لدن الله دلائل جديدة فان
اورشليم التي كانت انبيوخوس سيداتيس يحاضرها مضيقاً عليها نجت من ذاك الحصار
نجاة تبعث على الحيرة والدهشة لان ذلك الملك لما رأى الشعب عاكفين على تادية
فروض دينهم غير عابئين بما ألم بهم من العسروشة الجوع تحركت الشفقة في قلبه ومنهم
هدة تسمر سبعة ايام في قضاء اسبوع المظال القدسية . ولم يكتم بان بنفس الكرب
عنهم بل كان يبعث اليهم ذبائح يربونها في الهيكل غير عابئين بانها تكون موهنة يسدون
بها سغهم في تلك الآزنة الشديدة . ويؤخذ من نص العلماء المؤرخين ان اليهود كانوا
يحتفلون السنة السابعة وهو انهم يدعون الارض في اثنا عشر غير مزدرة رجاء ان تنال
بذلك راحة وذلك طبق ما نصه موسى وكان اليهود في اكبر فاقة الى كل شيء وملك
سوريا في وسعوان يبيد ظراً دفعة واحدة . لانه كان يتردى له انهم اعداء له الداء
فأراد الله ان ياخذ بايدي شعبه ويتقدم من تلك الورطة الشديدة فانزل في قلب الملك
الرحمة عليهم غير باعث بل انكسروا ليقبلوا اهداهم كالسابق والجماء الى ان يعجب من
الاسرائيليين الذي لم تصدمهم الاخطار الويلة والنوائب الجسيمة عن حفظ قوانين دينهم
الشديدة ولذلك من عليهم بالحيرة والسلام . وكان الانبياء قد تنبوا ان الرب اقلع عن
ان يستمر منقاداً شعبه بالمجرات كالايام السالفة بل يستخدم لذلك حكمة الالهية الرحومة
ومع ذلك فلم تكن هن الوسيلة اقل مقولة من تلك وسوف تبدو بنوع حسي مع نواتر
الايام وبواسطة منقول هذا التدبير الالهي اخذ يوحنا هيركان الذي اشتهر بالجمرة

والاقدام لدى عساكر اتيوخوس يستولي على وطنه عقيب موت ذلك الملك .
وفي عهد اوسع اليهود نطاق فتوحاتهم فانهم افتتحو السامرة وفاقاً لما تنبأ عنه
حزقيال وارميا وقمعوا الادوميين والفلسطينيين والعوميين اعداءهم النكاشين ودينهم
بدنهم تطيقاً لنبوذة زكريا . وقسراً عن بغضاء الشعوب المجاورين وحسد هم شيدوا لهم
مملكة جديدة في مملكة المكاين فانصلت الى اكبر درجة من السعة خلا الطول الذي
حازته في ايام داود وسليمان وكان ذلك تحت لواء كهنتهم الذين اصبحوا في ذاك
الحين ملوكهم

وهاك الهيئة التي مكث بها شعب الرب في عرض تلك التقلبات وقد كان نارة
مرضواً تحت صدمات العفاب ونارة متجلداً تحت اوقار النوائب وانه يجهر بالشهادة
للحكمة الالهية والعناية الصمدية التي تعامل العالم معاملة متباينة كلاً حسب ما يستحق

الفصل الخامس عشر

في انتظار المسيح وما يستند عليه وتاهب ملكه وعود الامم

ان الشعب لم يبرح في آية حالة كانت بوطد آماله على ماتي المسيح اذ كان مرتقباً
انعاماً جديدة تفوق عظمة على كل ما نال الى ذاك الحين ولم يكن احد
يعتقد ان الايمان بالمسيح وبمجزائه الذي لم يبرح بين اليهود الى الان قد انتقل اليهم من
ابائهم وانبيائهم وذلك من ابتداء الامة لان الله لم يبعث اليهم بنبوءات جديدة ولا بنبوءات
جديدة مدة تسلسل تلك الاعوام المديدة اذ كانوا هم نفوسهم يذعنون بان لا يقوم بينهم
نبي بقصد الحكمة الالهية ومع ذلك كانت امانتهم بما في المسيح اقوى منها في الايام السالفة
وكانت الامانة شديدة فيها لما شادوا الهيكل الاخبار حتى انه لم يكن من المتفني ان
يكون انبياء يثبتوا الشعب وكانوا يثابرون على الامانة بالنبوءات القديمة التي شاهدوا
مفرها مراراً حجة بكل دقة ونظام . وان ما كان لم يتم بعد منها لم يكونوا منذ ذاك
الحين يرتابون في تميمه ولم يعانون ان يثقلوا بان الرب الصادق بكل شيء يتم كل
ما يناط بالمسيح في حبه ابي اعظم موا عيك وعمار غيرها
ومن اليقين ان كل تاريخهم وما كان يطرأ عليهم يوماً فيوماً لم يونا الا بيانا للنبوءات

التي اتاحها لم الروح القدس . ولا يحملنا على العجب ان نراهم اثنوا الى اراضهم غريب
سبايهم ونالوا بعد ذلك برذاً وسلاماً مدة ثلاث مائة سنة وان هيكلهم كان مكرماً
وديانهم مرعية المحرمة في الشرق او ان كوروس الطابانية تعكرت بانثناقم او ان ملك
سوريا الجبار بذل اقصى الجهد في ان يهلكهم فائراً حبة من الحين بذلك معاقباً على
جرمتهم او ان دين اليهود وكل شعب الرب زهوا زهاء غربياً ومملكة يهوذا امتدت في
اخر الزمان بنتوحات عظيمة . فكل ذلك قد شاهدناه مكتوباً في النبوات . ولا ريب
في ان كل شيء كان مقررًا حتى الزمان المزمع ان يسود فيه الاضطهاد والحال التي
تأجج فيها موافد القتال والارض التي يصير فتوحها

انتي اوعزت اليك بالاجمال عن هذه النبوات والاسهاب في شأن ذلك يقتضي له
خطبة سابعة الذبول . فحسبك ما قد رايت منها فتتق بوجود هذه النبوات التي هي ركن
عقائدنا وعماده وكلما غالى الانسان بها متجبراً اكتشف منها على حقائق فان نبوات
شعب الرب تمت صريحاً في اثناء تلك الاوقات ومن ثم لما كان بعض الوثنيين او بالاحرى
عدوا الكتب المقدسة بورفيروس وجوليانيوس الجاحد قد ارادوا ان يتنبؤوا تحتوا
نبوات اليهود وتسننوا بها

ويمكن لي ان اثبت لديك ان كان شعب الله لم يكن له انبياء مدة خمماية سنة ان
حالة ذاك الحين كانت باسرها نبوية لان افعال الرب كانت جارية والطرق مهيأة
رويداً رويداً لتقيم النبوات القديمة

وان اثناء الشعب من سباء بابل لم يكن الا رمزاً الى حرية اعظم وجزيلة الجداء
اكثر من تلك وهي التي اتاحها المسيح للبشر الذين هم اسرى الخطيئة واخذ الشعب
الذي كان قد تشعث في محال مختلفة في اسيا العليا واسيا الصغرى ومصر والبلدان
واليونانية بذبح اسم الله ومجد اله اسرائيل بين الامم . وترجمت الكتب المقدسة المزمعة ان
تصير نور العالم الى اشهر اللغات وثقرت قديمهم . وفي غضون ما كان الهيكل مكرماً
والكتب المقدسة مذاة لدى الامم كان الرب يبتأياهم ويجعل لذلك عن بعد اسباباً
وكل ما كان يحدث بين اليونان كان نوطمة لمعرفة الحقيقة فان فلاسفتهم ابانوا
ان العالم كان يتولى امره اله يباين الالهة التي كانوا هم ورعاع الشعب يعبدونها وان
مورخهم يثبتون في مؤلفاتهم ان هذه الفلسفة السامية نشأت في المشرق وفي الحال التي

تسعت بها اليهود . فمن اية جهة تأتي هذا الحق شرعت الحقيقة المهمة المثبوتة بين الامم توفظ الجنس البشري وان تصدى لها او كانت منبوذة من اولئك الذين كانوا يعلمونها الا ان انتشارها سوف يكون منه براهين قاطعة للذين يحال الى عهدهم انقاذ الجنس البشري من مهاوي جهله

الفصل السادس عشر

في غباوة الوثنيين الكليّة قبل مآني المسيح

لما كان جنوب الامم الى الدين الحق موقوفاً على المسيح وهو العمة الخاصة لماثاه كان الضلال والكفر يسودان على البسيطة . لان الامم الاكثر نوراً كالسكديانيين والمصريين والفينيقيين واليونانيين والرومانيين كانوا اجهل القوم واغياهم في الامور الدينية وذلك دليل على ان الانسان لا يمكن له ان يتدرج الى مدارج هذه الامور الا بتعينة خاصة وحكمة علوية فمن لا يأنف من ان يكشف عن احتلالات الالهة العظيمة واسرارها الدنسة . فان عشقهم وقسوتهم وحسدكم وكل رذائلهم كانت موضوع احتلالاتهم وطفوسهم وذبايحهم وانا شيدهم التي كان الناس يتناشدونها في هياكلهم والايقونات التي كانوا يركونها فيها وعلى ذلك كانوا يتعبدون للثم زاعمين انه من المتنصبات التي تبذل في سبيل رضى الالهة . وقد منع اعظم الفلاسفة المغالاة في شرب الخمر الا يوم عبد الاله باخوس اكراماً له وقد ندد فيلسوف آخر في الايقونات الرجسة طراً الا ايقونات الالهة فانه جرم بانها تحتاج الى ان تنكرم بتلك النجاسة . فمن يقرأ ما يقتضي صنيعه اكراماً للزهراء والمعاهر المكسرة بحار من ذلك جداً ولم يصدّق اليونانيين عن الاعتصام بتلك الاسرار الفبيحة حكمة او آداب

ولما كانوا يفعلون في ورطة خاصة او عامة كانوا يندرون للزهراء نساء عوامهم ينجلوا من ان يعتقدوا بان نجاتهم موقوفة على صلواتهم المقدمة لتلك الالهة وبعد ان ظهروا على الملك وقمعوا جنوده الكثيرة اقاموا في هياكلهم ايقونة تمثل دعاءهم وزياحاتهم ورقشوا عليها الفاظاً فاه بها للشاعر سيسمونيذ الشهير وهاك مغزاهما ان هؤلاء العاهرات جأرن بالدعاء للالهة الزهراء فانفذت اليونانيين اكراماً لهم . فان كان الحب لا مندوحة من

التبعده فمن طريق اولى كان من المنتضى ان تفرغ تلك العبادة للعب المباح لكم
 ذلك كان بعكس الامر فان مولود نفسه الشهير الذي لم يكن يظن به ان يقترب فطاعة
 كبيرة شاد في اثينا هيكل الزهراء العاهرة او معبد العشق الفاحش . وكانت بلاد اليونان
 بأسرها مفعمة هيكل مكرسة لهذه الالهة ولم يكن في كل تلك البلاد هيكل لازباط المودة
 بين الزوجين . ومع ذلك كانوا ينفون من الزنا في الذكران والاناث وكنوا يعتبرون
 ان الزينة من الامور المقدسة بينهم يبدانه لما كانوا يهتمون في الدين كانوا يرون ان روحا
 اخرى تستولي عليهم وان النور الطبيعي يغادرهم . ولم يكن الرومانيون ينظرون الى الامور
 الدينية بعين الرصانة والحزم فانهم كانوا يكرسون لآكرام الالهة دنس المراسم ومشاهد
 الفاعرين بالقواضب الدموية وقصارى الكلام كل ما كانوا يقتربون من المفاسد
 ودواعي الخشونة . ولست بعالم ان كانت العبادة والسخریات التي كانوا يخاضونها
 بالدين انت بكيك مضرع مع انها كانت ذريعة للآفة منه . فليت شعري هل امكن لهم ان
 يثابروا على الاحترام والوقار المروضين للامور الالهية في خلال السفاهة التي كانوا يبثونها
 بالاحاديث المروية في كل العبادات فلا ريب في ان كل العبادة الجمهورية لم
 تكن الآمنة بالاسم الالهي وحقارة للامور الالهية وانتضى اذ ذاك ان يكون قوة منقضة
 للاسم الالهي تبعث بني الانسان على ان يردلوا صفاته القدسية ويستقدموها باشياء دنسة
 وينبطون لها مواضع ليس للاستيهال فيها مثابة . وقد قررنا لاسنة فيما بعد ان وجود
 اله عدا التي يعبدها رعاة الشعب من الامور التي لا مناص منها ولكنهم لم يكن يوسعهم
 ان يجهروا بذلك عيانا فان سوفراط اوعز الى ان كلاً لابد له من ان يبيع دين وطنه
 وتلين افلاطون الذي كان يشاهد مراراً بلاد اليونان وكل اقاصي الارض مفعمة من
 العبادات الاعسافية الباعثة على العثور والريبة جعل دعامة جمهوريتهم ان لا يسوغ لاحد ان
 يغير شيئاً من القواعد الدينية وان هجس احد بتغيير شيء منها فلا يكون عمله الا من داعيات
 الجنون . فهو لا الفلاسفة الذين اتوا باقوال سامية في الطبيعة الالهية لم يكن لهم جرأة على
 مقاومة الضلالة العامة وقد ابسوا من ان يفوزوا عليها ولما اتهم سوفراط بانه يتجسس الآلة
 اخذ يدافع عن نفسه كما يدافع عن جريئة كبرى اقترفها واذ كان افلاطون يتكلم عن
 الاله الذي فطر المبروات قال انه من الامور التي يعنى وجودها وايضا امام
 الشعب امر منكر . وآلى على نفسه انه لا يتكلم عنه الا بطريق الاحاجي والمعيات خفية ان

تصبح هذه الحقيقة العظيمة عرضة للهز والسخرية
 فياللداهية الدجاء أن النوع الانساني قد هورالى مهاوي الخبول ولم يمكن له اذ
 ذلك ان بفعل الاله الحقيقي وان اثبتنا العظمى المعتبرة بين المدائن سيدتهم
 بالنظر لما استغرقت بالتمدن والآداب والمعارف كانت تشد التكبر على من
 يتكلمون بالروحانيات وتبي اليهم المحجود الالهي وبناء عليه قضت على سوفراط بزهوق
 الروح .

فلو كان بعض الفلاسفة اجترئوا على ان يذيعوا ان الفائل ليست الهة كما كانت
 العامة تخال ذلك لكانوا قد أرغوا فيما بعد ان يكذبوا نفوسهم ولكان قد جزم مجلس
 (الارهباج) اي مجلس الشيوخ بنفيهم وعوملوا معاملة الجاحدين وكانت الضلالة سائدة
 في اقطار كل البسيطة . وقد كان الحق اذ ذاك زهوقا ولم يكن للاله الحق من معبد ولا
 عبادة الا في اورشليم ولما كان الوثنيون يقدمون له القرابين لم يكونوا يعتبرونه كاله اسرائيل
 بل كسائر الالهة . وبلاد اليهودية وحدها كانت تشعر بتفرده في الالهية وتعلم حتى العلم
 ان اجتزاء العبادة بينه وبين الالهة من شأنه ان يزيلها عنه .

الفصل السابع عشر

في الفساد والاعتقادات الباطلة عند اليهود

وتعليم الرئيسين الكاذب

ان اليهود الذين كانوا يعرفون الرب وهم مستودع الدين الحق شرعوا في اواخر
 الحين ان ينسوا اله اباؤهم وان يمزجوا بعبادتهم اياه اعتقادات باطلة لاتليق بشانه تعالى
 طالما كان النوع الانساني يضعف لديه الحق كلما نالت عليه الاحقاب والاحيان .
 فقد نشأت في عهد المكابيين منذ زمان بونانان شيعة الرئيسين فقالوا في بادى الامر
 شهرة عظيمة لسبب تعاليمهم الصادقة ورعايتهم السنة اكمل رعاية وسلاسة مسعاهم وحفظهم
 للقوانين وعيشتهم بالاتحاد والالة ومدافعتهم عن الثواب والعقاب الآخرين . فلذلك
 كان الناس يحقنون بهم الآمال وبودون لهم الكرامة الاكية بيد ان المطامع النسبية
 دبّت في رؤوسهم واغرنتهم نفوسهم الامارة بان يتولوا زمام الشعب فأنتج لهم ذلك ورفعوا

على الأمة لواء السلطة واصبحوا حاكمين بالامور الدينية وتعاليمها واحالوا رويداً رويداً
 القواعد الدينية الى اعتقادات باطلة لا تنفذ الا صوامعهم وسلطنهم التي زعموا ان يكلوا بها
 الضمير ولذلك اوشك روح الناموس الحقيقي ان يزول . واشتر من ذلك كبرياؤهم
 وثقتهم بنفوسهم وادعائهم وقد آل بهم ذلك الادعاء الى ان يعزوا لنفوسهم الهيات
 الالهية . واما اليهود المعتادون على تلك الانعام المستنيرون منذ اجيال مديونية بعرفته
 تعالى فتذهب عن اذهانهم ان الجودة الالهية فرقهم وحدها مجاناً عن ساير الامم فشرعوا
 يعتبرون نعمة كانوا دين متعتم لم . وبما انهم شعب مبارك منذ التي سنة ومصطفى منه
 تعالى فكروا في نفوسهم انهم وحدهم يستاعلون معرفة الرب وخالوا انهم من جنس اخريين
 الاناس الذين كانوا يرونهم عارين عن تلك المعرفة . وبناء على ذلك كانوا ينظرون
 الى الامم بالحقارة والافتة ولما كانوا من نسل ابراهيم بالجد كانوا يتوهمون انهم مترفعون فوق كل
 النوع الانساني ولذلك كانت تتصاعد الى رؤوسهم خوة الكبرياء ويفكرون انهم قد يسون
 حسب الطبيعة لا حسب النعمة ولم يستمر هذا الضلال بينهم انما الرئيسيون ادخلوا ثمة
 تلك الاعتقادات في اواخر الايام اذ كانوا يطلبون الجدد بسبب علمهم ورعايتهم المدققة
 لطبوس الشريعة . ولما كانوا لا يفكرون الا بان يكونوا ممتازين عن البشر كافة ضاعفوا
 كثيراً اعمالهم الظاهرة وابانوا لدى الناس ان افكارهم تقاليد حقيقيّة مع انها مناقضة لشريعة
 الرب كل المناقضة

الفصل الثامن عشر

ذيل لما مر من فساد اليهود ودلائل سقوطهم
 وفقاً لما تنبأ عنه زكريا النبي

ان هذه الافكار وان لم تكن بموجب امر عام كمناعة في جمعية اليهود الا انها كانت
 تنزع تدريجاً بين الشعب الذي خفق اضطراباً وبليلة وثراً . وبدت اخيراً الانقسامات
 التي هي داعية سقوطهم كما قال الانبياء بسبب الشقاق الذي حدث بين المكابيين . وقد
 كان حينئذ المسيح قريب الماتى لابقى له من ذاك الحين الا نحو من ستين عاماً وذلك
 لدن تناضل على الكهنوت التي كانت السلطة الملوكية متعلقة بها . هيركان وترازو وطل

ولدا الاسكندر جنبي . فهاك الوقت العيس الذي يقرر فيه التاريخ العلة الاولى لدفار اليهود
 فدعا الاخوان بومبيوس ليتضي بينهما فاقضها للدولة الرومانية ونزع الملك حينئذ
 عن الملك اتيوخوس اخر ملوك سوريا المنسوب بالاسيوي وان سقوط هؤلاء الملوك الثلاثة
 معاً دفعة واحدة هو ابتداء السقوط المنه عنه بالناظر صريحة في نبوءات زكريا النبي .
 ومن البين والمنظر في التاريخ ان تغيير احوال سوريا واليهودية قد نجح بنسطة بومبيوس
 بعد ان انهى حرب متردات وكان اذ ذاك متاهباً للرجوع الى رومية فرتب احوال
 الشرق على تلك الصورة وابان النبي ما هو زمع ان يتم لدن خراب اليهود وهو ان احد
 الاخوان اللذين ركباً تحت الملك عيسى اسيراً ينفذه بومبيوس هاشاً طرباً بما نال من
 الظهور عليه والآخر وهو هيركان الواهن يتربع عنه بومبيوس التاج الملوكي ويسلبه من
 ملكه قسماً عظيماً ولم يبق له من السلطة الا الصورة مع انه كان على وشك قفدانها ولدى
 ذلك اصبح اليهود يرضعون للرومانيين ويهودون لهم خراجاً فكان دنار مملكة سوريا
 باعاً على خراب مملكتهم لان تلك المملكة المجاورة لمملكتهم اصبحت اقلية من الدولة
 الرومانية . وذلك ما ضاعف شوكة الرومانيين ولم يبق حينئذ لم يحبس الا بان يتذلوا
 لما راضحين ولهذا شرع ولاية سوريا بينهمكون في مداخلات متواصلة في اليهودية وغدا
 الرومانيون متبوئين البلاد واضعوا بالتواتر قوة حكومتها باوجه متباينة . وبواسطتهم انتقل
 الولاية في يهوذا من ابدي المكابيين الى هيرودوس القريب الادوي ولما كان هذا الملك
 منطوياً على الجور ومدهناً مصانعاً باعقاده بدبب اليهود غير كل مبادئ الحكم
 القديمة ولم يكن هؤلاء اليهود احراراً في اعمالهم في ذاك الوقت مثلما كانوا في عهد
 الفرس والسلاسيديين ولم يكونوا مهذبين الا بان يعيشوا بالامنية والطمانية لكن حبط
 بذلك مسعاهم فان هيرودوس الذي قد اتى على عوانتهم نبر الاسترقاق هوش كل
 شيء ثمة وغير حسب هوى نفسه الخلافة الكهنوتية واوهن سلطتها بل جعلها دون نظام
 وقيد . واضعف ايضاً المجلس الشوروي فاصبح من المتعسر عليه ان يبرم امراً . فامست اذ
 ذاك السلطة العامة في يد هيرودوس والرومانيين الذين كان هذا الملك في بادئ
 الامر من الراضحين لولا انهم وبناء عليه زعزع اركان حكم مملكة اليهود .
 واما الفريسيين والشعب الذي لم يكن يصيخ الا لاسحاساتهم كابدا من ذلك
 عرق الثرية وليثوا بمعانون الشور مبرحين تحت اقبال عبودية الامم تعاملهم بالحقارة

وتكأنهم بالعداوة والبغضاء . ولذلك رغبوا في ان لا يكون المسيح الذي سيأتيهم الا فاتحاً
 يوقع الرهبة في قلوب السلاطنة التي تعينهم تحت اوقار العبودية الباطنة وبناء عليه
 ذهب عن بصائرهم ما تنبأت عنه الانبياء مما سيلم به من العار ولم تكن تترقب ابصارهم
 وتترصد للسمع اذانهم الا النبوءات التي تنذرهم بالانتصار المين وان يكن ذلك الانتصار
 الذي اندرت بمآتاه الانبياء مبايناً لما كانوا يرغبون فيه .

الفصل التاسع عشر

في الكلام عن المسيح وتعليمه

لما تنكست اعلام الدين وتشوهت احوال اليهود في اواخر حكم هيرودوس اذ كان
 الرئيسون يدنسون الشريعة بالمعائب بعث الله بالمسيح الى الارض ليعيد الحكم لبيت
 داود ويجعله اسي ما كانوا يخالون منذراً بالتعليم الذي ازمع الرب ان يعلمه للبشر
 فذلك الولد العجيب هو الذي دعاه اشعياء الرب القديرواب الجبل الاتي ورب
 السلام فقد ولد من بكر عذراء في بيت لحم حيث ذهب ليفر نسله فحبلت به من الروح
 القدس واصبح منذ ولادته قدوساً . وكان عيب ولادتنا موكولاً بموهبة اليه وحكاً ودعي
 مختصاً لانه ازمع على خلاصنا من وثاق الخطيئة وعند ولادته بدا على النور نجيم في المشرق
 رمزاً الى النور المزمع ان يبدي الامم فتوافد اذ ذاك اليه الوثنيون مرتدين وبعد ان مر
 على ذلك حين من الزمان ذهب ذاك الرب المتظر الى هيكله المقدس حيث رآه
 سمعان انه مجد اسرائيل ونور الامم الضالة . ولما آن وقت الانذار بالانجيل دعا يوحنا المزمع
 ان يهيء له الطريق كل الخطاة الى التوبة وجار بصوته في البرية التي كان يقضي
 حياته فيها منذ نعومة اظفاره في التشف والدعة والبر وعرف الشعب الذي لم يكن يسمع
 منذ خمسمائة سنة صوت نبي انه ايليا الجديد وكان مستعداً ان يتخذة مخلضاً لما ظهر له من
 قداسه العجيبة . اما هو فكان يوعز اليه بن لم يكن هو اهل لان يحل سير حذاءه ومن ثم اخذ
 المسيح بنذر بانجيله وينشر الاسرار التي كان يراها وهو في حجابيه منذ الازل وقد اقام
 اركان بيعته بدعوة الاثني عشر صياداً وجعل بطرس راعي ضرائه ومازله عن غيره بنوع
 صريح . وذلك ان الانجيليين طرأ لم يحفظوا لاعداد الرسل رتبة مفررة لما كانوا ياتون

بحسبانهم^١ لانهم يذكرون دائماً بطرس في مقدمتهم كأنه رئيسهم .
ودوخ المسيح اليهودية وافاض عليها جريل انعامه فانه كان مهتماً بمرض المرضى
رافقاً بالخطاة مبيناً انه هو الطبيب الحق وكان يسبح لم بان يزدلفوا اليه وذلك كان
دليلاً للبشر على انه قابض على السلطة والرحمة معاً فائثاً بذلك كل من ظعن قبالة
ولقد كان بنذر باسرار عالية ويثبتها بمعجزات عظيمة وكان يسن فضائل سامية وكان
يهب في غصون ذلك نوراً ثاقباً ومثلاً عظيماً ونعمة علوية وبهذا بدا ممثلاً نعمة وحساً ومن
امتلائوا نحن كلنا اخذنا .

وكل ما بدا منه استمر منطقاً على بعضه سواء كان على حياته او تعليمه وعجابه . لان
الحقيقة ذاتها كانت تبدو في كل ما هو له . وكل ما صنع يدل على انه سيد النوع الانساني
ومثال النكال .

وهو وحده قد عاش بين البشر مستطيعاً ان يقول امام الجميع دون ان يكذبه احد :
من منكم يمكن له ان يتوبني على خطيئة ويقول ايضاً : انا نور العالم والذي ارسلني هو معي
ولم يدعني وحدي لاني افعل ما يرضيه كل حين .

واما اعاجيبه فهي من مرتبة خاصة وذات صفات حديثة لانها ليست سمات في
السماء كما كان اليهود يطلبون بل كانت في بني الانسان رجاء ان يشفوا من علامتهم
ولا ريب في ان تلك الاعاجيب قد كانت رافة أكثر منها قوة دون ان تبعث كثيراً على
الدشنة بل كانت تلين القلوب . ثم كان يتمها بسلطانه لان الامراض كانت تخضع والشيطان
له فكان العبيان اذا تكلم يبصرون والموتى يخرجون من ارواسهم والخطايا تغفر للخطاين
فكانت مبادي تلك الاعاجيب منه وهو مصدر فعلها وقد كانت قوة تخرج منه
وتشفي الجميع ولهذا لم يفعل احد اعاجيب عظيمة كهذه ولا عديدة نظيرها ولذلك كان
يعد ان تلاميذه سوف يصنعون باسمه معجزات اعظم منها لان القوة التي فيه كانت
عظيمة جداً .

فمن لا يعجب من ضعة تعليمه السامي فهو لسان للاطفال وخبر
للاشداء ويلوح انه ممثلي من اسرار الرب الا انه لا يبدو انه مندهش من ذلك كسائر
البشر الذين يترامى لم الرب . فانه يتكلم بذلك طبيعياً كأنه ولد هذه الاسرار وفي هذا
المجد . لا وزن لما وينطق به بوزن ليمتكن ونحن النوع الانساني من احتماله

وان يكن قد بعث به الى جميع البشر فلم يتمك في بادىء الامر الا في ضئيل
اسرائيل الضالة لانه ارسل اليها بنوع خاص. لكنه اعد الطريق لآبائهم
والرئيسين فان امرأة سامرية عرفت ان هو المسيح الذي كان شعبها ينتظر مثلما كان
ينتظر اليهود. وتعلمت منه اسرار العبادة الجديدة التي لم تعد تناط بمكانة واحدة وترعت
منه امرأة كنعانية وثنية شفاء ابنها وان يكن قد اظهر انه يرفضها واقر في محال متباينة
ان الوثنيين مثل اولاد ابراهيم. ويتكلم عن تعليمه كانه مزع ان ينذر في كل البسيطة
حيث يتناول ثم يصح مقبولا ولم يكن الناس الى ذلك الان نظروا له مثيلاً. وكان تلاميذه
يعجبون من ذلك ولم يكن يخفي عنهم ما سيكابدون من المشاق والمكابد. وكان يوعز
اليهم عما سيبادهم من الاضطهاد والجور والمخادعات والاعمال الكاذبة والاخوة الكذبة
والنزاع الداخلي والخارجي واما المزمع ان يختبر بكل المشاق وايمان لم ان سوف
يصير في اخر الزمان ضعف كثير في الايمان وتقل المحبة بين الرسل وتلبث الكهنة
والحق في عرض تلك المخاطر غير مترعزعين

فهاك نظاماً للاحوال جديداً فلا بوعز اولاد الله بمكافاة جسدية فان المسيح
ايمان لم حياة مستقبلية وبنا هو يثبت اقدامهم على ذلك الانتظار يعلم ان ينصلوا عن
الاشياء الحسية واصبح الصليب والثأسي مبراهم على الارض وايمان لم ان يقتضي ان ينفصلوا
باب السماء عنوة وقد داس هو اولاً الطريق التي اوعز الى بني الانسان عنها. ولقد
كان ينذر محتات بسيطة تدمش اصحاب الغواية والمتكبرين وكان يغشي تكبر الفريسيين
ومداهناتهم الخفية ويبين ما يحرف الشريعة علماءهم بتفاسيرهم وفي غضون توبيه ايام
كان براعي حرمة وظائفهم وحرمة كرمي موسى الذي كانوا يتبوثونه وكان يتردد الى
المبكل ويحمل الناس على ان يجرمونه وكان يبعث الى الكهنة بالبرص الذين شفاهم.
وبهذا كان يعلم البشر كيف يقتضي ان يصلحوا العيوب دون ان يلجوا بالسلطة المتنامة
من الرب وكان يبين ايضاً ان جمعية اليهود ما برحت قسراً عن فساد اعضائها. الا انها
قد كانت على وشك دنارها لان الكهنة والفريسيين كانوا يثيرون على المسيح شعب
اليهود الذي كان دينه قد تحول الى اعتقادات باطلة. ولهذا لم يكن يحمل الخالص
الذي كان يدعو الى عبادة حقيقية بل صعبة. وبناء عليه اصبح اصلح البشر وافضلهم
بل معدن القداسة والجودة موضوع الحسد والبغضة. ولم ينفر منهم ولم يتقاعد عن ان

يصنع الخبر لابنائه وطوبى مع ذلك لم يقابل إلا بنكران الجميل . وكان يتنبأ عما سيبادهم
من العقاب اسبقاً جداً وانذر بدثار اورشليم قريباً وتنبأ ايضاً على ان اليهود اعداء الحق
الذي اتى لينذرهم به سوف يلقون بنفوسهم الى الضلالة ويسمون العوبة بين ايدي الانبياء
الكذبة . وفي ذاك الوقت كان حسد الفريسيين والكهنة له يقوده الى عذاب العار
وحينئذ غادره تلاميذه وسلمه احدهم وحينئذ ثلاث مرار ريسم الذي كان يتظاهره اكثر
غيرة عليه من غيره . وشكوه الى المجلس الشورى وليث يجتزم سلطان الكهنة الى نهاية
الامر واجاب رئيس الكهنة الذي كان موكولاً باستنطاقه شرعياً بنوع خاص : **إلا ان**
الان الذي تكون فيه فئة اليهود مردولة كان قد آن ولذلك قضى رئيس المجلس ولقيف
الاعضاء على يسوع بالموت لانه كان يقول انه ابن الله . وعند ذلك اسلموه لبيلاطس
البنطي والى الروماني اما بيلاطس فابتن ببراءته ومع ذلك فقد خالف ضميره سياسة
مراعاة المصلح فعمم على ذلك البر بالموت ففتح منه ان اكبر جريمة اقترفها اليهود سببت
اكبر رضوخ ادي في العالم فان المسيح المالك حياته وكل شيء اسلم نفسه للاشرا
وقدم فدى عن البشر ذبيحة واذ كان على الصليب وجه نظاره الى النبوءات ليرى ما
كان باقياً عليه ان يتم فاته وصرخ قائلاً قد كمل كل شيء . وبعد ان فاه بتلك الكلمة
تغير كل شيء في العالم فان الشريعة بطلت والرموز البها عبرت والذبايح ابدلت بمن
هو اسي وافضل منها . وبعد كل ذلك مات المسيح متواهاً وهائلاً بصوت زعزع عناصر
الطبيعة واعتجب الخفير الذي كان بحرسه غاية العجب ونادى بجهير الصوت قائلاً انه
ابن الله حقاً . واتشى كل الذين عاينوا ذلك المشهد العظيم آسفين وهم يقرعون صدورهم
وبلاً وثبوراً ونمض في اليوم الثالث من عقال الموت وظهر لتلاميذه الذين كانوا قد غادروه
غير موقنين بقيامته فنظروهم وناجوهم ولمسوه فوثقوا به وظهر مراراً في محال كثيرة رغبة
في ان يكون الايمان بقيامته ثابتاً . فكان كل من تلاميذه يراه آتية وحكاً وآتية بينهم وظهر
مرة امام اكثر من خمسمائة رجل وهم مجتمعون معاً وبحقق الرسول الذي كتب ذلك عنه
ان الذين راوه كانوا احياء لما كتب ما كتب عنه . وقد وهب تلاميذه بعد قيامته وقتاً
كافياً ليوطدوا ايمانهم به وبعد ان اتضح لديهم بكل ما راوه اذ لم يعد بهم ما يخامروهم من
الريب امرهم ان يذهبوا في الارض ويشهدوا بما راوه منه وما سمعوا ولمسهم اياه بعد
قيامه وحزناً من ان تكون امانتهم به غير وطنية الجاهل الى ان يزكوا شهادتهم بدمهم وعلى

ذلك كان انذارهم به متيناً وركن امانتهم من الحادثات المقررة ومصداقاً عليها من جميع الذين شاهدوه وصدقهم مقررّاً بأكبرية يمكن تصورها وفي عنايتهم ونفس مومهم في سبيل الحق . فهاك التعليم المقرر الذي اعطيه الرسل وعلى ذلك اخذ الاثنا عشر قنصاً برثوث العالم الى حجر الايمان الحق وهم يرونهم يناقضون الشرائع التي يفرضونها عليهم والخفائض التي كانوا يندرونهم بها كل المناقضة . وامرهم الرب ان يتدنوا بالارشاد من اورشليم ومن ثم يمتدون في كل اقاصي الارض ليعلموا كل البشر ويعدهم باسم الاب والابن والروح القدس . ووعدهم يسوع بان يكون معهم كل اليام الى انتهاء الاجيال وقرر هذا الكلام السلطان الكائني وبعد ذلك صعد الى السماء امامهم .

فما عيكم سوف ثم والنبوءات سيكون لها مغزى وامر بعد قيامه ان نعمل الامم على معرفة الله ورسم احتمالاً جديداً ليدد هذا الشعب الحديث ووثق المومنون بان هذا الاله الحق الذي هو اله اسرائيل الاله الواحد غير المنقسم وهو من يكرس في المعمودية هو آب وابن وروح قدس معاً .
وبهذا قد اوقفنا على عمق الذي لا يحد ولا يدرك وعلى عظمة وحدته الفائقة الوصف وعلى سعة طبعه غير المتناهي المخصب في الداخل اكثر من في الخارج الفادران يكون بثلاثة اقسام متساوية غير متجزئة .

لكن ذلك انضمت الاسرار التي كانت مكنونة مخفية في العهد القديم وصرنا اذ ذاك ننهم سرّ ذاك الكلام وهو فلنصنع الانسان على صورتنا ومثالنا .
وان الثالوث المنوع عنه في تكوين الانسان ظهر بنوع صريح وقت فداثو . والان امكن لنا ان نفهم ما هي هذه الحكمة التي حبل بها قبل كل زمان في حجر الرب وفاقاً لما قال سليمان وفي موضوع حبها وبها رتب كل اعماله وامكن لنا ايضاً ان نعرف من هو الذي رآه داود مولوداً قبل انبلاج الصبح لان العهد الجديد يعلمنا انه هو الكلمة اي كلمة الرب الباطنة وفكره الازلي الذي هو دائماً في حجره والذي به صار كل شيء وبذلك امكن لنا ايضاً ان نجيب عن المسألة السرية المذكورة في سفر الامثال وهي : قل لي ما اسم الرب وما اسم ابنه ان كنت تعرف ذلك
فاننا صرنا نعرف ان اسم الرب السري الخفي هو اسم الاب اي بهذا المعنى العميق

وهو انه قد ولد منذ الازل ابناً مساوياً له وان اسم الابن هو اسم الكلمة وهي الكلمة التي ولدها منذ الابد بالنظر لنفسه وهي ترجمة حق الكامل وصورته وابنه الوحيد وضياء مجده وصورة جوهره

ونعرف ايضا مع الاب والابن الروح القدس الذي هو الحب المتبادل بينها واتحادها بالازلية وذلك هو الروح الذي يوحى الى الانبياء ويكون مستقراً عليهم ليكشف لهم اسرار المستقبل ومقاصد الرب وذلك هو الروح الذي كتب عنه : ان الرب الاله ارسلني وروحه هو الذي يمتاز عن الرب وهو الرب نفسه لانه يبعث الانبياء ويكشف لهم الاشياء المستقبلية وذلك هو الروح الذي ينجي الانبياء ويناجيهم وهو متحد مع الاب والابن ومشارك معهما في تقديس الانسان الجديد .

وبناء عليه فان الاب والابن والروح القدس اي الاله الواحد في ثلاثة اقسام قد ظهر لآبائنا بنوع خفي وبدا في العهد الجديد بنوع واضح واذا تقرر اننا عرفنا ذاك السر السامي ودهشنا من علوه غير المدرك فلا يؤول بنا الامر الا ان نقشي وجوهنا حياء من الرب مثل الصاروفيم التي شاهدها شعباء النبي ونعبد معها هذا الاله المثلث الئداسة .

اما اسرار الطبيعة الالهية العجيبة فقد كان نشرها لدينا منوطاً بعمق الابن الوحيد الذي قام باعبائها دون ان يبارج حجرا به مع ان موسى والانبياء لم ينوهوا عنها بتلخيص الاشارة

فكان يناط به وحده ان يفهمنا لماذا وعد بالمسيح كإنسان مزيج ان ينفذ جميع الشعوب وروى لنا عنه انه اله واحد فرد . وانه يتصور فيه ما يتصور في الخالق نفسه وكان يصنع هكذا وهو يعلمنا . اي انه كان قبل ان كان ابراهيم وان كان ابناً له . وانه هبط من السماء وهو لم يزل فيها وانه ابن الله العلي وابن الانسان معاً وهو عمانوئيل الحق اي الرب معنا وبوجيز العبادة ان الكلمة التي تجسدت في اقنوم وجمعت فيو طبيعتان البشرية والالهية رجاء ان يصلح كل شيء بنفسه .

فتبين لدينا السران الاعظمان وهما سر التالوث وسر التجسد الا ان الذي ابانها جعلنا نرى صورتهما فينا لتكون دائماً حاضرة امامنا ونعرف شرف طبيعتنا . ومن اليقين اننا لو قضينا على حواسنا بالصمت وانعطفنا راجعين الى نفوسنا اي الى ما هو منا

حيث يسمع صوت الحق لرأينا صورة الثالث الذي نؤدي له العبادة . لان التفكير الذي نشعر به يتولد من روحنا فهو كابين لعقلنا وذلك ما يجعلنا بنوع ما نعرف كيف ابن الله يتولد ازلًا في عقل الاب السامي . ولذلك يدعى ابن الله العلي كلمة وتنهم اذ ذاك انه يلد في حجر ابيه ولادة تبين ولادة الاجساد . بل نتولد مثلما نتولد في عقلنا الكلمة الباطنية التي نشعر بها لما نتأمل في الحق .

الا ان خصب عقلنا لا ينتهي بهذا الفكر الداخلي وبهذا التصور وصورة الحقيقة التي تتكون فيها . واما نحن فاننا نود الملكة الباطنة والروح الذي يتولد منها ونشعر ادى حيننا اياها اننا لا نفضل حب نفوسنا وعقولنا عليها وانه لنا شيء من كليهما وهو ممزجها ومختل معهما وليس معها الا حبة واحدة . وبناء على ذلك اقول ان الحب الازلي يتولد في الرب بمقدار ما تكون مناسبة بين الله والانسان وانه ينبثق من الاب الذي يشكر والابن الذي هو فكره ليكون معه ومع فكره بطبيعة واحدة متساويًا بالعز والكمال . وقصارى القول ان الله كلي الكمال وكلمته التي هي صورته الحقيقية الازلية . ليست باقل كمالًا منه وحيه المتجس من منبع الجوده غير المتناهية والذي هو كل الجوده لم ينقصه الكمال غير المتناهي واذ لم يكن فينا تصور في الله الا الكمال انتفى الامر تخمًا ان يكون كل من الثلاثة على حدته الما ولما كان الثلاثة ليسوا سوى طبع واحد انتفى الامر ايضا ان نجزم بانهم الله واحد فقط

فيقتضي اذا ان لا تصور في الثالث الاقدس شيئًا غير متناه او منفصلًا منها كانت هذه المساواة غير مدركة . فاذا اصغنا لانذار العقل فلا بد له من ان ياتينا بشيء من ذاك ودليل ذلك ان نفوسنا كائنة وبما انه قد تقرر انما تعرف ماهيتها فعرقتها تحقق كيانها واذا كلت بوجودها وعرفتها كما يستاهلان من المحبة فذلك الحب يساويها كليهما . وكذلك ثلاثة الاشياء فانها عديمة الانفصال بل الواحد منها متصل بالآخر . وبما اننا تنهم وجودنا الذي نحب ونود كياننا وفهمنا . فمن ادرك نفسه لا يتكرر ذلك . واذ تقرر ان احد الثلاثة لا يؤثر على غيره من سائرهما قلنا ان الثلاثة باسرها لا يمكن ان تؤثر على احد افرادها لان كلاً منها يتضمن كلها . وفي الثلاثة تقوم سعادة الجوهر العاقل ومجده وجلالة . وبناء على ذلك يكون كاملاً غير منفصل مفرداً في جوهره متساوياً في كل الوجه بنوع غير متناه وهو الثالث الذي نعرفه .

والذي تكررنا له بالمعجودية . واما نحن صورة الثالث فاننا بعبارته اخرى صورة
 التمجيد لان نفسنا التي هي صيغة روحانية وغير فانية لما جسم فان يتحد معها وباتحادها
 معاً يتج المجمع المعبر عنه بالانسان المركب من روح وجسد معاً من فان وغير
 فان من مدرك وغير مدرك . فمن الصفات تليق بمجموعها بالنظر لكل من هذين
 الجزئين . وبناء عليه قد اتحدت الكلمة الالهية التي تعضد قوتها كل شيء بنوع خاص
 او بالاحرى اتحدت نفسها اتحاداً كاملاً بيسوع المسيح ابن مريم ولذلك هو الله وانسان
 معاً مولود منذ الازل ومولود في الآن وهو لا يتنا حياً في حجرايه وقد مات على عود
 الصليب في سبيل خلاصنا الا ان الاستعارة والتشبيه المتخذة من الاشياء البشرية
 لا تكون في ما يدخل فيه الرب الا غير كاملة لان نفسنا لم تكن قبل جسدنا . واذ
 تنفصل عنه ينتصها شيء واما الكلمة الكاملة في ذاتها منذ الازل فلم تتحد بطبيعتها الا
 لتشرق والنفس المستقر في الجسم تحدث فيه تغيرات مختلفة وتؤثر فيه فتباثر هي منه
 ايضاً . لان الجسم اذا كان يتحرك بامر النفس وحسب ارادتها اضطربت وحزنت
 وتحركت بانواع مختلفة بغير او بكدر حسب استعداد الجسم . وبناء عليه فكما ان النفس
 ترفع الجسم اليها باستيلائها عليه فتبهط تحته بما تنكبه منه واما في المسيح فالكلمة مترسة
 على الكل وكل شيء في بدنها ونحت سلطتها وهكذا يكون الانسان مرتفعاً والكلمة
 لا تبهط ولا بنوع من الانواع بل هي غير متغيرة وغير متنوعة تسود في كل شيء وفي
 كل محل على الطبع المتحد معها . ومن ذلك يتج ان الناسوت في المسيح اصبح راضحاً
 مطلقاً لارادة الكلمة التي رفعت اليها ولهذا لم تكن افكاره او حركاته الا افكاراً وحركات
 الهية اي ان كل ما يفكر به وكل ما يريد ويقل وما يكتفه في باطنه وما يظهره في
 الخارج آت من الكلمة ومنفاد من الكلمة واهل للكلمة اي لائق للعقل نفسه وللحكمة
 نفسها وللحن نفسه ولذلك كل ما هو في المسيح هو نور وسلوكه دستور وعجائبه تعليم وكلامه
 روح وحيوة

وليس يمكن لاحد ان يدرك هذه الحقائق السامية ولا ان يرى في ذاته صورة الاشياء
 الالهية العجيبة التي استمسك بعراها او غسطينوس وغيره من الاباء بل ان الحواس
 منسلطة علينا ولا يمكننا التخيل الطارئ على افكارنا من ان نقف امام ذلك النور الساطع .
 واننا لا ندرك نفوسنا ونجهل الكنوز المكنونة في ملح طبائعنا ولا يتدران يرنو اليها الا

العيون ذوات المياه الثاقب واذ تمكّن من الوقوف على كنه ذلك السر ونسدل
الغشاء عن ركن اعتقادنا بكنيتنا ذلك لان يرفعنا فوق كل شيء وجنئذ لا يمكن
لشيء من الامور الفانية ان يجاذبنا اليه .

ولذلك قد دعانا المسيح الى مجد غير فان وهذا هو ثمة اعتقادنا في الاسرار . اذ
يعدنا الاله المتأنس والحنيفة والحكمة المتجسدة التي نجعلنا نعتقد باشياء عظيمة بروية
الله الساطعة والطوباوية كان ذلك جزءاً معداً لاماتنا وكلها بالاستناد على شهادته
تعالى وحده . وبناء على ذلك غدت ارسالية المسيح مفضلة على ارسالية موسى باسمه ليس له
من نهاية لان موسى قد ارسل ليوظف بمجازاة زمنية اناساً ذوي شهوات نفسية رعاة لانهم
كانوا قد اصبغوا اجساداً ولحماً واقنضى ان تغذهم بالحواس ويرسخ في عقولهم بذلك الوساطة
معرفة الرب وبعضه للاصنام التي كان ينجح اليها النوع الانساني جنوحاً غريباً . وعلى
ذلك كانت ارسالية موسى متوقفة ولقد انبط بالمسيح ان يرسخ في عقل الانسان افكاراً
سامية ويعلمه نزاهة نفسه وانها عديمة الموت وان سعادتها ازالة

وفي غضون غرة بني الانسان اي في غضون الاوقات التي مرت قبل ما تى
المسيح كان كل ما نعرفه النفس عن شرفها وعدم ميتوتها يبعثها على الخطا لان عبادة
الموتى كان ركناً لعبادة الاوثان فكان اكثر البشر يقدمون ذبائح لنفوس موتاهم
وتلك العنابة القديمة تبين لنا حقاً قدمية الاعتقاد بعدم ميتوتة النفس وتدلنا على ان
ذلك يعد من تقاليد الجنس البشري الابتدائية لان الانسان الذي يفسد كل شيء
قد افسد تلك التقاليد كل النساد لانه قد آل به الامر الى ان يتدم ذبائح للموتى
ووصل البشر الى انهم كانوا يضعون اناساً لذلك لانهم كانوا يقتلون عبيدهم ونساءهم رجاء
ان يوهوا لهم الخدمة في ذلك العالم . وكان القوليون يفعلون ذلك كثيراً . واقضى
آثارهم شعوب كثيرون . وان الهنود الذين بنوا المولنوت الوثنيون عن انهم كانوا
يدافعون عن عدم ميتوتة النفس هم اول من ادخل الى الارض القتل المرذول بحجة
الدين ولطالما كان الهنود يتحمرون لكي يحصلوا باقرب ان على السعادة الابدية ولم
يزالوا عاكفين على ذلك التي العظيم

ومن ذلك ينتج ان تعليم الحق ان كان مبايناً عما وضعه الرب يكون على شافة
المخاطر . ومن الخطر على الانسان ان يمكن من معرفة ما هيته قبل معرفة ربه تماماً .

ولما كان أكثر التلاسفة لم يعرفوا الرب ما أمكن لهم ان يثقلوا بان النفس غير مائنة
الآن يخالوها خزانة من الالهية . او الهة او موجوداً أزلياً غير مخلوق غير متغير لا بدء
له ولا نهاية . ولقد كانوا يعتقدون بنقص النفوس فتتحد من السماء الى الارض وتصعد
من الارض الى السماء وتنقل نفس الانسان الى الحيوان ونفس الحيوان الى الانسان
ويتدرج المرء من السعادة الى الشقاء ومن الشقاء الى السعادة دون ان يكون لذلك
التغير حدثاً او نظام مقرر فيا لها من ظلمة كان فيها العدل والحكمة والجودة الالهية في
اثناء هذه الغواية ولذلك كان من الختم على الانسان ان يعرف الله وقواعد حكمته قبل
ان يعرف النفس وعدم ميوتيتها .

ولهذا ينبغي ان شريعة موسى لم تكن تهيب الانسان الاً بعض الماهم بجوهر النفس
وسعادتها . ولقد علمنا ان النفس قد تكونت في بادى الامر بقوة الرب كسائر المخلوقات
الا انها قد تكونت بصفات خاصة اى صنعت على صورة الرب وبثغته وذلك
لتعرف بهن ينابط جوهرها وتوفى انها ليست من جوهر الاجسام ولم تتكون باجتماعها .
بيد ان نتائج هذا التعليم وعجائب الحياة العنيدة لم تتوضح حينئذ تماماً بل بقي ذلك
لوقت المسيح ليبدو بنور ساطع امام الجميع . فنشر الرب بعضاً من تلك الحقائق في
العهد القديم لان سليمان قال ويعود التراب على الارض ما كان وتعود الروح الى
الله الذي منحها اياها . وعاش الآباء والانبياء في هذا الامل وقال النبي دانيال سوف باقى
حين من الدهر حيث كثير من يرقدون في تراب الارض يستيقظون بعضهم الى
الحياة الابدية وبعضهم الى العار لينظروا دائماً . وفي الوقت نفسه الذي اكتشفت له
هذه الامور امره ان يكتب الكلام ويختم الكتاب الى الاجل المسى لكي يبين لنا ان كشف
الحقيقة بكاملها يخص غير آن وجيل . وان يكن لليهود في الكتب المقدسة بعض
موايد في السعادة الازلية وانهم كانوا يتناجون بالحقائق في ابان المسيح لانها كانت
مزمنة ان تبدوا اكثر من الماضي كما يتبين ذلك من اسفار الحكمة والمساكين فان تلك
الحقيقة لم تكن قاعة عامة ومقررة عند اليهود حتى ان الزنادقة لم يكونوا يعترفون
بها ومع ذلك كانوا يتقبلونها في جمعية اليهود وفي درجة التكهنات ايضاً واما هذا
الاعتقاد فهو من صفات الشعب الجديد بان يكون للايمان وللدن ركن هو الحياة
المستقبلية وذلك من ثمار ما في المسيح

ولذلك لم يكتفِ ان يقول لنا ان الحياة السعيدة في الازلية منوطة ببني الرب بل انه قال لنا بماذا تقوم هذه الحياة لان الحياة السعيدة هي ان نكون معه في مجد الله ابيه او هي ان نرى مجده في ججرائه من ابتداء العالم وان المسيح يكون فينا كما يكون في اعضاءه وان حب الآب الازلي نحو الابن يمتد الينا ويغيرنا بالانعام نفسها وقصارى الكلام ان الحياة السعيدة هي ان نعرف الاله الواحد الحقيقي والمسيح الذي ارسله الآب ان نعرفه المعرفة الجلية وهي الرؤية الساطعة المعبر عنها بوجه يناوح وجهاً دون حجاب اي ان الرؤية التي تكون فينا صورة الرب وتكملها حسب قول القديس يوحنا فجعلنا نكون شبهه لاننا سنراه على ما هو عليه

وبغضب هذه الرؤية حب لا مزيد عليه وفرح عظيم وانتصار غير محدود وبترغم المنشدون قائلين هلوليا وامين في اورشليم السماوية وبذلك تراح كل الانراح ونتم الشهوات ولا يبقى الا مدح الرب وجودته الالهية . فضلاً عن ذلك الثواب الجديد فتضي ان يبرز المسيح أفكاراً جديدة بشأن الفضيلة واعمالاً اكمل من الاعمال السالفة واطهر منها . ولذلك كانت المحبة غاية الدين وروح الفضيلة ومخلص الناموس الا اننا يمكننا ان نقول لغاية يسوع المسيح ان كمال هذه الفضيلة ومناعبها لم تكن معروفة تماماً بل ان يسوع المسيح قد علمنا ان نكتفي بالله وحده وحننا على محبة الله رجاء ان يشيد بذلك ملك المحبة وتبين كل واجباتها ولو افضت بنا الى ان نبغض نفوسنا ونستمر على مقاومة الفساد الطارئ على قلوبنا . ولقد فرض علينا ايضاً محبة القريب وحننا على ان نجعل ذلك فاشياً في جميع الناس دون ان نستثنى من ذلك مضطهدينا وفرض علينا ايضاً ردع شهواتنا الحسية كانتا تقطع بذلك اعضاءنا الخاصة اي اخص ما يتعلق بالقلب وفرض علينا الرضوخ لاي امر الرب حتى اننا نهش الى ما يرسله لنا من النوائب . وفرض علينا الضعة فحب العار اكراماً لمجد الله ونعتقد انه لا يوجد اهانة تنكسنا امام الناس الا يكون لنا اهانة احط منها امام الرب بواسطة خطايانا . وبواسطة ركن المحبة تكمل جميع مراتب الحياة البشرية ولهذا قد آتت الزيجة الى هيئتها الاصلية ولم يعد حب القريبين متجزئاً وان هذه الجمعية المقدسة لاترول الا عند زوال الحياة . ولا يرى الاولاد اهمانهم بيدلن بخالات لم وبدت العيشة النبوية كافتداه في حياة الملائكة الذين لا يموتون الا بالله وبحبه الطاهر . وشعر الرومساء انهم خادمون مرثوسيم ومكرسون

أَمْضَاءَ مصالحهم وعرف المَرْثُوسُونَ إِمْرَ الرَّبِّ بِالسُّلْطَةِ الشَّرْعِيَّةِ وَلَوْ غَالُوا فِي اسْتِعْمَالِ
سُلْطَانِهَا وَذَلِكَ مَا لَطَفَ مَشْفَعَةُ الْخُضُوعِ تَحْتَ سُلْطَةِ رُؤَسَاءِ جَائِرِينَ . وَلَمْ نَعُدِ الطَّاعَةَ
نَشَقُّ عَلَى الْمَسِيحِيِّ الْخَفِيِّ .

وَقَدْ ضَمَّ الْمَسِيحُ هَذِهِ النُّوَابِينَ مَشُورَاتٍ لِلْكَالِ السَّامِيِّ وَهِيَ رَفْضُ الْمِلْذَاتِ وَقَضَاءُ
الْحَيَاةِ فِي جَسْمٍ كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ جَسْمًا . وَغَادِرَ كُلِّ شَيْءٍ وَوَهَبَ الْمَسَاكِينَ كُلَّ شَيْءٍ رَجَاءً أَنْ
لَا يَمْلِكَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ وَيَعِيشَ بِسَبْرِ مِنَ الشَّيْءِ كَانَ مَعِيشَتُهُ مِنَ الْعَدَمِ الْجَمْتِ وَذَلِكَ
السَّبْرُ يَنْقُضِي انْتِظَارَهُ مِنَ الْعَنَابَةِ الْإِلَهِيَّةِ .

إِلَّا أَنْ اخْتَصَّ شَرِيعَةً لِلْإِنْجِيلِ هُوَ حَمْلُ الصَّلِيبِ لِأَنَّ الصَّلِيبَ هُوَ امْتِحَانُ الْإِيمَانِ
الْحَقِّ وَرُكْنُ الرَّجَاءِ الْخَفِيِّ وَتَنْقِيةُ الْحُبِّ الْكَامِلَةِ وَقَضَائِي الْكَلَامِ هُوَ طَرِيقُ السَّمَاءِ . فَتَدَّ
مَاتَ الْمَسِيحُ عَلَى صَلِيبٍ عَاقِي حِمْلَةٍ طَوِيلَ أَيَّامِهِ وَبِرَغْبٍ فِي أَنْ يَتَّبِعَهُ الْإِنْسَانُ حَتَّى الصَّلِيبِ
وَلَا يَنَالُ أَحَدٌ الْحَيَاةَ الْإِلَهِيَّةَ إِلَّا بِهَذَا الشَّرْطِ . وَأَوَّلُ مَنْ اخْتَصَّ بِعِدَةِ الرَّاحَةِ الْمُسْتَقْبَلَةِ
رَفِيفَةً الَّذِي كَانَ مَعَهُ عَلَى الصَّلِيبِ فَقَالَ لَهُ أَنْتَ تَكُونُ مَعِيَ الْيَوْمَ حَقًّا فِي الْفَرْدُوسِ وَإِذَا
ارْتَفَعَ عَلَى الصَّلِيبِ انْشَقَّ حِجَابُ الْمَيْكَلِ مِنَ أَعْلَى إِلَى أَسْفَلٍ وَانْفَتَحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ
بَدَخَلَهَا الْقُدَيْسُونَ . وَبَعْدَ أَنْ رَأَى عَنْ صَلِيبِهِ وَخُرُوجِهِ مِنْ رَسْمِهِ بَدَا لِلتَّلَامِيذِ مَجْئًا
وظَاهِرًا عَلَى الْمَوْتِ وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ لَا يَتَّبِعُونَ تَحْتَ الْمَجْدِ لَا بِالصَّلِيبِ وَأَنَّهُمْ لَا يَجِدُونَ
طَرِيقًا سِوَاهُ . وَبِنَاءً عَلَى ذَلِكَ مَثَلٌ فِي شَخْصِهِ صُورَةُ الْفَضِيلَةِ الثَّامَةِ الَّتِي لَا تَمْلِكُ عَلَى
الْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا تَنْتَظِرُ مِنْهَا شَيْئًا وَلَمْ يَحْسَنَ بَنُو الْإِنْسَانِ جَزَاءَهَا إِلَّا بِالضَّهْدِ الذَّمِيمِ مَعَ أَنَّهَا
لَا تَنْفَتِحُ تَوْسَعُهُمْ خَيْرًا فَكَانَتْ أَعْمَالُهَا مِنْ دَاعِيَاتِ عِقَابِهَا . فَتَدَّ مَاتَ يَسُوعُ لَا يَرَى مَنَةً فِي
الَّذِينَ اغْرَقَهُمْ فِي لُجَةِ سَجِيلِهِ وَأَفْضَالِهِ وَلَا أَمَانَةً فِي اخْتِدَائِهِ وَخِلَاتِهِ وَلَا عَدَالَةً فِي الَّذِينَ قَضَوْا
عَلَيْهِ وَلَمْ تَنْفَكْ بَرَاتُهُ الَّتِي انْقَضَتْ أَمَامَ الْجَمِيعِ . وَبِذَلِكَ أَبَوْهُ الَّذِي يُوَامِلُهُ كُلَّ مَلَاذٍ وَأَسْلَمَ
الصَّدِيقَ لِأَعْدَائِهِ وَمَاتَ مَتْرُوكًا مِنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ . بَيِّنٌ أَنَّهُ قَدْ انْقَضَى أَنْ يَصْرَحَ لِلرَّجُلِ
الصَّالِحِ أَنَّهُ لَا يَنْتَفِرُ لَدَى تَحْدِيقِ الْمَشَاقِّ وَالْخَاطِرِ إِلَيْهِ إِلَى سُلُوفِ الْإِنْسَانِيَّةِ أَوْ أَدَلَّةِ حَسْمَةِ
مِنْ قَبِيلِ الْعَنَابَةِ الْإِلَهِيَّةِ بَلْ يَكْفِيهِ أَنْ يَحِبَّ اللَّهَ وَيَتَّقِيَهُ مَوْقِفًا أَنَّهُ يَنْفَكُّ بِدُونِ أَنْ
يَبْدِيَ لَهُ أَدْنَى سِمَةٍ إِلَّا أَنَّهُ قَدْ خَصَّهُ بِسَعَادَةٍ أَبَدِيَّةٍ وَقَدْ تَرَاعَفَلِ النَّاسُ فِي الْجَمْتِ عَنْ
الْفَضِيلَةِ فَرَأَى أَنْ أَعْظَمَ الْأَشْرَارِ مِنْ يُمْكِنُ لَهُ أَنْ يُوَارِيَ خَبِيثَةً عَنِ النَّاسِ وَيَتَصَانَعُ أَمَامَهُمْ
بِالصَّلَاحِ فَيُفْتَنُونَ بِأَنَّهُ صَالِحٌ وَيَتَّبِعُهُمُ الْفَضِيلَةُ عَلَى أَنْ يَرْعَوْا حَرَمَتَهُ فَيَنْجِمُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ

صاحب الفضيلة العظمى المحنة من بحسب النوع الانساني وبشيء له الشر والتلى ولا يبقى له شهادة على برارته الا ضيمره وانه يعرض لكل مله واهانه وينفي به الامر الى ان يعلو على الصليب ولانانيه فضيله باعانة يسيرة ابي تخلصه من العذاب الالم . أفلا يظهر من ذلك ان الله وحى بهذا التصور الى احد الثلاثة ليكون في ابيه ويتبين منه ان الصديق له مجد وراحة وسعادة غير التي بناها على الارض فان وضع هذه المحنة وبيان كمالها بنوع عظيم الوضوح وخطر الحيرة لمن اعظم الاعمال التي في وسع الانسان صنيها والحال ان الله قد رأى هذا العمل عظيماً فخصه بالمسيح ابنه المستطاري الانسان الذي جعله اقنوماً واحداً في ابنه الوحيد

وعلى كل حال . فليس امر أعظم من الفضيلة يمكن ان يخص بالله نزل من السماء الى الارض . واي شيء كان من ارادة هذا الاب ان يبرمه أكثر من ان يظهر على الارض الفضيلة كاملة والسعادة الازلية حيث المصائب العظيمة تنودها اليه

فلو اعتبرنا كل ما هو سام وخاص بسر الصليب لعسر على عقول البشر فاطبة ادراكه اذ يتبين لنا ظهور فضائل بالصليب لا يقدر على تمثيلها الا الانسان الاله وليس بممكن لاحد سواه ان يكون بمثابة الذبائح القديمة وبلغها ويستبدلها بذبيحة ذات عظمة واقترار لانهاية لها . وقد تأتى منذ ذاك الحين ان لا يتقدم لله الا هو نفسه فهاك العمل الديني الذي قام بعينه المسيح على الصليب وهل كان يمكن للاب الازلي ان يجد بين الملائكة او بين البشر خضوعاً يوازي خضوع ابنه المحبوب لديه لما اسدى حياته له طوعاً ودون كره في سبيل مسرته اذ رأى ان لا يوجد احد يتمكن من نزعها منه قسراً عنه . وان لسانى لفاصر عن تبيان اتحاد ارادته التامة بارادة الله وعن حبه الذي كان يقرنه بالله الذي قد اصفح به العالم . وقد استغرق بذلك الاتحاد غير المدرك كامل الجنس البشري واصح الماء والارض والنفس بشهوة عظيمة في بحر ذاك الدم حيث الة صبغة ينبغي ان يصطبغ بها مع كل اصحابه واخرج من قروحاته نار محبة الله على الارض المزمنة ان تحرق الارض طراً وهاك ما يقصر عن ادراكه عقل كل انما هو العدل الذي انما هذا الانسان الذي سح ان العالم ينفي عليه ليقبى العالم مقضياً عليه موبداً . بسبب هذا الحكم العظيم . فقد انت دبنة العالم فيطرح رئيس هذا العالم خارجاً كما حكم على ذلك بسوع نفسه . وان الحليم الذي تولى على العالم اربع ان يفقد السلطة لانه لما

عكف على اضطهاد البري الجاهل الامر الى ان يعنى الخطاة من اسرهم واما صك النضا
الذي كان يعلن اننا مسجون للشيطان فاخذ يسوع المسيح واقامه معه على الصليب ليعوه
بدمه ، فبكى الحميم على ذلك بكاءً مرّاً واصبح الصليب مركزاً لاتصار مخلصنا يقفوه
الاعداء وهم يرتعدون خوفاً ورهبةً . ويدولنا من ذلك ظن اعظم من ذلك وهو ان
العدل الالهى قد اصبح مغلوباً وان الائم الذي كان من اهل ان يتقدم له ضحية قد
تملص من بين يديه لانه وجد له عن ذلك كفيلاً قادراً ان يودي عنه ثمناً غير منتهى
وجعل المسيح في حوزته كل الاخبار الذين قد ادم بنفس لانهم اعضاءه وبجسده والاب
نفسه لم ينجح اليهم الا لكونه رئيسهم ولهذا قد اوصل اليهم حبه غير المنتهي نحو ابنه بواسطته
لان الابن طلب منه ذاك الحب اذ لا يود ان يندفع عن البشر الذين سرام بدمه . ولهذا
كان يقول يا ابتاه اني اريد ان يكونوا معي وسوف يمتلئون من روحي ويتمتعون بمجدي
ويجلسون معي على منصتي . وبعد هذه الحسنى التفضلي لم تمالك ان تهتف بسرور
مظهرين عاطفات الممنونة مشاركت احد الفلاسفة الشهيد بقوله يا ابنها العجيبة يا ابنا
الانقلاب غير المدرك ويا حيل الحكمة الالهية الغريبة كيف يعاقب واحد مفرد
والكثيرون يخلصون ان الرب يقاص ابنه البار لينقذ البشر الخطاة ويصفع عن البشر
الائمين مجبةً بابنه البري . لان المسيح اذ كنا بعد ضعفاء مات في الاوان عن
المنافقين ولا يكاد احد يموت عن صالح . وان الذي احبنا ونحن مجرمون متضجاً عنا
لا يمكن له ان يرفضنا بعد ان اصلحنا وبررنا بدمه .

وقد نلنا اموراً كثيرة بالمسيح وهي النعمة والقداسة والحياة والمجد والسعادة واصبح
ملكوت ابن الله ميراثنا ولم يبق شيء لا يفوقنا بشرط ان لا نخطئ نفوسنا .
وفي غضون ان كان المسيح نعم شموانا ويفوق آمالنا كان يتم عمل الرب الذي
بوشريه في ايام الانبياء وشريعة موسى

فكان الرب وقتئذ يندوهم باخبارات حسية لانه كان يدي عطشته بمواعيده
الزمنية وجودته اذ كان يغمر اولاده بالاحسان الذي يداري حواسهم وقدرته بانفاذه
ايام من ابدي اعدائهم وصدقهم لما قادم الى الارض الموعود بها ابائهم وعدله بشوايه او
عنايه للذين كان يبعث بها اليهم علائق جراً على ما كانوا يعملون . وكل هذه
الاعاجيب كانت تعد الطرق للحقائق التي كان المسيح مزعماً ان يقوم بها . وذلك اذا

كان الرب صالحاً كثيراً فمنا نطلبه بالحواس فكم بالأحرى كثيراً بهبنا بالروح
المصنوعة على صورته ومثاله . وإن كان هذا المنذار روعاً وحسناً نحو أولاده فهل يحصي
حبه وإحسانه في بضع من السنين التي يدور عليها محور حياتنا . ألا يهب محبباً من
السعادة الأخيلاً وأرضاً مخصصة بالحبوب والزيوت . ليس من محل آخر يفيض فيه
عليهم خبراته الحقيقية .

أجل يوجد لأرب محبب آخر مهيباً قد أتى يسوع لبريانه وذلك لو كانت عظمة الرب
تنتهي بعظمة معرضة لحواسنا الواهنة لما كانت مبروثة لائقه بشأته لأن كل ما ليس
بأزلي لا يليق بعزة الإله الأزلي ولا أمل الإنسان الذي أوقفه الرب على أزيلته
ومن ثم إن أمانته غير المتغيرة فهو عين لو لم تكن تمتد إلى شيء ثابت وغير فان لما كان
يوجد لها موضع مناسب .

فلذلك قد اقتضى الأمر أن يفتح لنا المسيح باب السماء ليبن لأيماننا المدينة الثابتة
التي تجمعنا بعد هذه الحياة . ويلوح لنا أن الله قد تلقب باله إبراهيم واله اسحق واله يعقوب
ليكشف لنا أن هؤلاء الأباء الصالحين يستمرون دائماً أمامه أحياء ليس بالله للثبوت
بل للأحياء وليس يليق بشأن الربوب أن يقتصر على مرافقة أصفائه إلى الزمن مثلاً
يصنع البشر غير تارك لهم رجاء وراء ذلك . ولو لم يشد في السماء مدينة
عظمى أزيله بقطنها إبراهيم وأولاده بكل سعادة للحق به العار بقوله بعظمة وجلاله أنه
إله إبراهيم .

وعلى ذلك انضمت لدينا حقائق الحياة المستقبلية بيسوع المسيح . وقد أبان لنا
كل ذلك في السنة لأن أرض الميعاد الحقيقية هي السماء وإن إبراهيم واسحق ويعقوب كانوا
يبدون ككون هذا الوطن السعيد لأن بلاد فلسطين لم تكن لا تثبتان تكون غاية انتظارهم
أو محل لهم الوجد .

فإن مصر التي كان ينبغي أن يخالوها والصحرى التي اقتضى أن يطووها وبابل
التي الجعلوا إلى أن يسموا باسم مجيها للبحر وأطانهم الذين يشخص العالم وبلاذاتو وإياطيله
حيث نحن مبرحون تحت أثقال الأسرى قاتق وأنهم في تعلات الغرة والخطيئة وشبهواهم .
فعلينا أن نطرح عن عوائقنا نير هذه العبودية فننال في اورشليم مدينة الهنا الحرية
الحقيقية ومقدساً لم ننده إلا بادي يدوفيه مجد اله إسرائيل . وقد أبان لنا تعليم المسيح سر

الرب لان الشريعة روحانية كلها وتقودنا مواعيدها الى مواعيد الانجيل وهي كركن لما . ويبدو لنا نور فرد ساطع في كل محل لانه بدا في عهد الاباء . واما في ايام موسى والانبياء . يسوع الذي هو اعظم من الاباء . وسلطته اسمى من سلطة موسى ونوره اسطع من نور الانبياء . ابانه لنا بكلمه . ولقد انبسط كل الحقيقه اى حقيقه الاسرار وحقيقه النضائل وحقيقه المكافاة التي اعدّها الرب لمحبيه . بعن من يبينها لنا وهو المسيح الانسان الاله وحسب قول ماري اوجسطينوس الانسان الذي يقوم مقام الحقيقه على الارض ويريناها كما كانت قائمه فينا

فهاك العظمه التي كان يتعمر على اليهود ان يطلبوها من المسيح لانه لا شيء اعظم من حفظ الحقيقه بذاته واظهارها لبني البشر كلها . فتكون لهم ملاذاً وقائداً ونجعل ابصارهم نبيه وتمكهم من روية الرب . وفي وقت ان نعلم ان تبدوا الحقيقه لمداية البشر بكلاما كان قد سن ان يندربها في كل الارض وفي كل الازمان ان الله لم يبع موسى الا شعباً واحداً ووقتاً معيناً لكنّه وهب المسيح كل الامم وكل الاحيان . ودليله ان مختار به يرحون في كل محل ويؤمنه مبسوطة في العالم باسمه تستمر لهم اماً . لانه قال لرسوله اذهبوا الآن وتلذذوا كل الامم بمعدن ايام باسم الاب والابن والروح القدس وعلوم ان يحفظوا جميع ما اوصيتكم به واما انا معكم كل الايام الى منتهى الدهر . (١)

الفصل العشرون

في حلول روح القدس وتشييد البيعة وحكم الرب على اليهود والامم ان نشر الحقائق الصامية في كل زمان ومكان وارساخها في وسط التصاد لزم ان تقوم بها فضيلة غير بشرية ولهذا وعد المسيح بان يبعث بروح القدس لتثبيت رسوله الاطهار واحياء جعد يبعثو احياء ازلياً

ولكي تظهر قوة الروح القدس اقضى ان تبدو بكل ضعف فقال يسوع لتلاميذه وانا ارسل اليكم ما وعد به ابي (اي الروح القدس) فامكنوا انتم في هذه المدينة الى ان

تلبسوا قوة من العلاء .

فمكثوا امتثالاً لذلك الامر في العلة اربعين يوماً وحلّ الروح القدس بينهم في
الاجل المسمى وانّ اللسنة النارية التي هبطت على تلاميذ المسيح تدلّ على منفعية
كلامهم ومن بعد ذلك اخذوا يندرون ويبشرون . وادى الرسل شهادة ليسوع لانهم
كانوا على اية ان يعملوا كل صنوف المشاق ليقرروا انهم رأوه متبعاً من الموت وكانت
الجزات تنصب اقوالهم فارتد ثمانية الاف من اليهود بواسطة انذارين قام بهما بطرس .
وسمعت عيونهم بالبكاء على ضلالم وتظلموا بالماء الذي اهرقوها

وبذلك اقيمت البيعة في اورشليم بين اليهود قسراً عن حقد اكثر الشعب وايدى
تلاميذ المسيح للعالم محبة وبأساً وخلافاً دمه لم تبد من قبل في الفة اجتماعية ابداً . ولما
ساد الاضطهاد كثرت الامة وتعلم اولاد الرب من آن الى اخر ان لا يتنجسوا الا الى
ملكوت السموات . واما اليهود فقد صوبوا عليهم بكثرة خباياهم انتقام الرب وقربوا اليهم
المشاق الويلة التي كان يتوعدون بها ولقد كانت احوالهم تزداد سوءاً وفي غضون ما
كان الرب يفرز من بينهم كثيرين ليضمهم الى مختاريه بعث بالقدس بطرس ليعمد قائد
الامة كورنيليوس الروماني . فانه علم في بادى الامر بروما من العلاء وفي ما بعد
بالاخبار ان الامم مدعوون لمعرفة الله لان يسوع المسيح الذي شاء ارتدادهم ناجى
من العلاء بولس الرسول المزمع ان يصير معلمهم . واقام لديه معجزة غريبة لم يسمع الى
ذاك الوقت نظيرها فتحول الدين المسيحي بعد ان كان مضطهداً ليس فقط الى محام
بيادته بالتالي والمكاشحة بل الى ان يكون منذراً غيوراً على الايمان ايضاً وكشف له سر دعوة
الام بسبب رذل اليهود الناكرين للجميل الذين اسلموا متوغلين في الفباحة وما بيعتهم
على عدم استهائهم للانجيل وبسط مار بولس يديه نحو الامم واخذ يتكلم بكل فصاحة
وبلاغة عن كل تلك الامور المهمة وهي هل سيتألم المسيح ويصع اول من يقوم من بين
الاموات فيبشر بالنور الشعب والامم . وعلق بثبت قوله بموسى والانبياء ويدعو الامم الى
معرفة الرب باسم يسوع المسيح المنبعث من الموت ونقاظر الشعب والامم الى الايمان
اجوافاً وابان مار بولس حينئذ ان دعوتهم من النعمة التي لا تميز بين اليهود والامم .
فدبت الحدة في قلوب اليهود مستبطين وتوامروا على التدريس بولس حنفيين منه
لاسباً لانه كان ينذر الامم ويردهم الى الاله الحق فسلموه للرومانيين مثلما سلموه يسوع

المسيح فاحدثت دولة رومية غضباً على البيعة الجديدة واصبح يهرون المضطهد لجميع
 البشر اول من اضطهد المؤمنين وامات القديسين بطرس وبولس فتكرست رومية
 بدمهما . وتشيد في حاضرة الملكة كرسى للدين الخاص بسبب اشهاد القديس بطرس
 رئيس الرسل . بيد اني كان قد اذف الوقت الذي كان الرب مزعماً فيه ان يتم من
 اليهود المصيرين على آثامهم لان الانقسام قام فيما بينهم واعمت الغيرة الفاسدة بصائرهم
 وجعلت بني الناس طراً يافنون منهم وكان انبياءهم الافاكون يخالفونهم بمواعيد ملك
 وهي . ولما اغدعوا اي خداع وانفسوا في لجج الغرور تعمس عليهم ان يحنلوا السلطان
 الشرعية او يقنصروا على جرائمهم المستنظمة فغلب الله عليهم وشواتهم السيئة فمردوا على
 الرومانيين الذين اذلقوهم من العذاب والضنك . وتطس نفسه الذي تم دنارهم قد قرأ
 اني لم يكن الآلة تصوبها يد غضب الرب عليهم وابادهم ادر يانوس فملكوا . وقد
 كانت كل ادلة الانقام الالهية عليهم لانهم طردوا من اوطانهم وتشعثوا اسرى وعبيداً
 في كل المسكونة . فلم يبق لهم من همكل ولا مذبح ولا ذبيحة ولا وطن وانحت آثارهم من
 كل يهوذا .

بيد ان الرب قد اعد له منذ الانزل شعباً اخر يودي له فروض العباداة لان
 الامم تفتحت ابصارهم واتحدوا بالروح مع اليهود الابين الى سحر البيعة وبنوا على ذلك
 انجازوا الى اخلاف ابراهيم واصبحوا اولاد الايمان وورثة المواعيد التي وعد بها ابراهيم
 فصار الجميع شعباً واحداً وبدت على وجه البسيطة ذبيحة جديدة وهي الذبيحة التي اوعز
 اليها الانبياء في نبوءاتهم

وعلى ذلك المتوال تمت نبوة يعقوب بكل دقة وضبط اي ان بني يهوذا يزيديون
 اكثارة من البدء على كل بني اخوته . ولما كان يسنبر حافطاً على نوع ما السلطة
 عليهم فقد نال الملك اخيراً مبرائلاً واصبح على طول المدي شعب الله مختصراً في
 سيطه وملئاً باسمه . وتكاثر يهوذا الشعب العظيم الذي وعد به ابراهيم واستحق ويعقوب
 واستدامت به المواعيد الاخرى اي عباداة الرب والهيكل والذبايح والاستيلاء على
 ارض المواعد التي لم تكن لتدعى الا يهودية لان اليهود قسراً عن احكامهم المتباينة قد
 استمروا جميعاً واحدة وشعباً واحداً في مملكة واحدة منظمة راضخين لسيادة واحدة . فلبث
 ملوك وقضاة واعيان يتولون امورهم الى ان اتى المسيح . ولبن مأتاة اخذت مملكة

يهودا تبتدئ حيناً بعد حين وبعد ذلك تم ذئارها وطردها اليهـود ابعين من
 الاياب الى ارض اباهم واصبح المسيح رجاء الامم ومنتهى امالم ومملككم بحكم شعباً جديداً
 ورغبة في رعاية الخلافة والاتصال اقضى ان يظم الشعب الجديد في القدم حبها
 قال مار بولس ان الزيتون البرية اذا طعمت في الزيتون البستاني اصبحت شريكة
 لها في دسها ولهذا اتفق ان الكنيسة المشيدة في بادئها الامم من اليهود قبلت في
 حجرها الام لتصبح شجرة واحدة وجسماً واحداً وشعباً واحداً وتشاركهم طراًبوا عيدها وتغتمها
 ولا تغلق ان ذاك لكل ما حدث لليهود غير المؤمنين على عهد قسباسيانوس
 وتيطوس بشعب الله بل ان ما طراً عليهم كان كفاس المبردين الذين لتب
 عصيانهم الابن الموعود بـ ابراهيم وداود لم يلبثوا يهوداً اولاداً لـ ابراهيم الا حسب
 الجسد ولقد مجدوا الموعود التي كانت مزمنة ان تكون بركة على كل الامم وعليه
 ان البلية الاخيرة التي المت باليهود لم تكن كسبي بابل وابست كنوتوت الحكم والسلطة
 في شعب الله والخدمة في الدين لان الشعب الجديد الذي تكون وامتزج بالشعب
 القديم يسوع المسيح لم ينقل من اليهودية واخذ في الامتداد والنماء دون انقطاع من
 اورشليم حيث نشأ الى اطراف المسكونة واصبح حينئذ الامم الذي انخاروا الى اليهود
 اليهود الحقيقين ومملكة داود الحقيقية برضوخهم للشرائع وانجيل يسوع المسيح ابن
 داود

وبعد ان تشيدت هذه المملكة الحديثة لا يعجب من دئار كل شيء في بلاد
 اليهودية لان الهيكل الاخير لم يعد يصلح لشيء بعد ان اتم المسيح كل ما قيل بالانبياء
 لانه قد نال الفخر الموعود به ما في المسيح المطلوب من الامم وقد كانت اورشليم اثمت
 كل ما كانت مندوبة اليه لان البيعة كانت قد تكوتت فيها ومن ثم اخذت اغصانها
 تمذ في كل اطراف الارض ولم تعد اليهودية او اليهود من اهتمام الرب او الدين وقد
 كان من العدل ان يتشتتوا في الارض عقاباً لنساة قلوبهم

وذلك نفس ما كان مزماً ان يجل بهم في زمـت المسيح تطبيقاً لما فاه به يعقوب
 وداينال وزكريا وجميع انبيائهم ولكن بما انهم يعودون يوماً ما الى المسيح الذي مجدوه
 وان اله ابراهيم لم يكن قد افرغ كل كنوز رحمته نحو ذرية هذا الاب الامين فقد راي
 وسيلة ليس لها من نظري في تاريخ العالم وهي ان يحفظ اليهود خارج اوطانهم

بدنارهم ويقيمهم زماناً اطول من زمان الظاهرين عليهم لعدم وجود آثاره للاثوريين
 الاقدمين والماديين والنرس واليونانيين والرومانيين لان دنارهم قد عنت واختلطوا
 بالام الاخرى . اما اليهود الذين كانوا فريسة لهولاء الامم المشهورة في التاريخ لبثوا
 بعدهم . وان الرب لم يرعهم الا ليعلمنا منتظرين ما هو مزعم ان يصنع بياقي هذه الامة
 البائسة بعد ان صبيب عليها احساناً سابقاً ومع ذلك كانت قساوة قلوبهم وسيلة لخلاص
 الامم الذين يرون بين ايديهم الكسب المقدسة غير المرتاب فيها التي تبين بسوع
 المسيح واسراره . وما نراه ايضاً في الكسب المقدسة عينها المرعية بكل اعتناء من اليهود
 هو عى قلوبهم ومشاقهم وعلى هذا تنبئ العبرة من مصائبهم . وعدم امانتهم اصبح ركناً
 لامانتنا لانهم بذلك يعلموننا مخافة الرب وقد صاروا انموذجاً موبداً لاحكامهم
 الصارمة على بنيه المجاحدين وذلك لئلا نتغبر بالنعمة المعطاة لآبائنا .

وقد يتعم علينا ان ندقق بالنقص عن السر العجيب الذي يراعى به جانب الافادة
 للنوع الانساني وليس لنا حاجة لكلام البشر لكي ندركه لان الروح القدس قد اراد
 ان يفسر لنا ذلك بواسطة القديس بولس الرسول . فاملي وطيد على ان نصيح لما قاله
 هذا الرسول للرومانيين

فبعد ان تكلم عن يسر العدد من اليهود الذين اعتنقوا الانجيل وعن قساوة
 غيرهم شرع ينقري ما يصير اليه الشعب المغمور بالنعمة الالهية فيكشف لنا بذلك
 عن الثمرة التي نجتنيها بسقوطهم والثمره الزمعة ان نشأ يوماً ما من رجوعهم الى الايمان
 فقال : العل اليهود عثروا حتى يستطوا حاشا بل بزلتهم حصلت الامم على الخلاص
 لا غارنهم فان كانت زلتهم غنى للعالم ونقصانهم غنى للامم فكم بالاحرى امتلاؤهم .
 لانه ان كان رفضهم هو مصالحة العالم فما يكون قبولهم الا حيوية من بني الاموات .
 وان كان الاصل مدمساً فكذلك الفروع . وان كان بعض الفروع قد كسر وقد كسرت
 انت زيتونة برية قطعيت فيها فصرت شريكاً في اصل الزيتون ودسها فلا تتغبر على
 الفروع فان افتخرت فلست انت تحمل الاصل بل الاصل بحملك ولهلك تقول ان
 الفروع قد كسرت لاهلم انا . حسن انها من اجل الكفر قد كسرت وانت بالايمان
 تثبت فلا تستكبر بل خف فانه ان كان الله لم يبق على الفروع الطبيعية فلعله لا يبق
 عليك انت ايضاً

فمن ذا الذي لانا هذه الرعدة عند ما يستع كلام الرسول وهل يمكن لنا أن لانخشی من انتقام الرب اللاحق باليهود منذ اجيال عديده فان القديس يولس بينهما من قبيل الرب قائلاً ان كفرنا سيمذب الينا عتافاً كهذا وبناءً عليه فلنصح لكلام الرسول القائل : فانظر اذا الى لطف الله وشده اما الشدة فعلى الذين سقطوا واما لطف الله فلك ان ثبت في لطفه والأفتطح انت ايضاً وهم ان لم يثبتوا في الكفر يطعمون لان الله قادر ان يطعمهم لانك ان كنت قد قطعت من زيتون برتي بالطبع وطعمت على خلاف الطبع في زيتون بستانني فكم بالبحري هؤلاء الذين هم فروع طيعية يطعمون في زيتونهم الخاص

وارتفع هنا الرسول فوق كل ما قاله ودخل في حجر مشورة الرب فقال فاني لا اريد ايها الاخوة ان تجهلوا هذا السر لئلا تكونوا عند انفسكم حكماً وموان عى قد حصل للجانب من اسرائيل الى ان يكون قد دخل ملء الامم وهكذا سيخلص جميع اسرائيل كما كتب سيأتي من صهيون المنقذ وبصرف التناق عن يعقوب وهذا هو عهدي لم حين ازيل خطاياهم

فهذه الآية قد نقلها القديس بطرس عن النسخة السبعينية حسبما كانت عادية لانها قد كانت متعارفة في كل الارض . وانها لا قوى عبارة في النسخة الاصلية اذا استقرت متصلة لان النبي يتكلم أولاً عن ارتداد الامم ويقول ان الفاطنين في الغرب يخافون اسم الرب والفاطين في الشرق يرون مجد ثم رأى الشعباء عن بعد الاضطهادات التي تؤول لنام البيعة كهر منقض مغوار ثم كشف له الروح القدس عما هو مزع ان يحل في اليهود فقال وباني لصهيون النادي وللذين يتوبون عن الرثم في يعقوب يقول الرب هذا عهدي معهم يقول الرب روجي الذي فيك وكلامي الذي جعلته في فمك لا يزولان من فمك ومن فم نسلك ومن فم نسل نسلك يقول الرب من الان الى الابد

فيبين لنا النبي بنوع صريح ان المخلص الذي لم يعرفه صهيون وقد حمده بنو يعقوب سوف ياتي بعد ارتداد الامم اليهم ويخضعونهم الآثام ويتبع لم ادراك النبوات بعد ان كانوا قد فسدوه زماناً مديماً . حتى ان هذا الادراك يتعاقب من يد الى يد في الاجيال كافة حسبما يشاء الرب ويكون هذا الحادث العجيب . وعلى هذا

سوف يهذب اليهود. وبعد ايامهم لا يعودون يضلون الى الابد ولكن لا يموتون الا بعد ان يتلى الغرب والشرق او بعبارة اصرح تتلى الارض كلها من خوف الرب ويعرفه وابان الروح القدس للقدس بولس ان رجوع اليهود موقوف على محبة الرب لابائهم ولهذا نراه يتم ما قالة هذه الكلمات:

اما من جهة الانجيل فيم اعدائكم من اجلكم واما من جهة الانتخاب فيم احيائكم من اجل الآباء لان مواهب الله ودعوته هي بلا نهاية. فكما انكم كفرتم حيناً بالله وتلتم الآن رحمة من اجل كفرهم قد شاء الله ان يتخبركم لتكونوا بنائينهم. كذلك هؤلاء ابصاً كفروا الان لاجل رحمتكم حتى ينالوا هم ايضاً رحمة لان الله اغلق على الجميع في الكفر ليرحم الجميع ورحمته لا تحصى بالاحتياج الى نعمته. فيالغنى غنى الله وحكمته وعليه ما ابعد احكامه عن الادراك وطرقه عن الاستقصاء من عرف فكر الرب ومن كان مشيراً ومن سبق فاعطى له فيكافأ. ان كل شيء هو منه وبه واليه فالله لمدى الدهور آمين

ذلك ما قاله القديس بولس بشأن انتخاب اليهود وسقوطهم وابائهم ثم ارتداد الامم المدعويين ليكونوا بنائينهم ويردونهم في اخر الاجيال للبركة الموعود بها ابائهم وهي يسوع المسيح الذي جددوه. ويبين لنا ايضاً هذا الرسول انتقال نعمة الرب من شعب الى اخر لكي تاخذ الرعة كل الشعوب عند فتدائنها. ويبين لنا ايضاً قوة هذه النعمة التي بعد ان ردت الامم استاثرت لمنعوها الاخير بان يكتب كثر اليهود ويردع خبيثهم ومكرهم

وبسبب مشورة الله السديدة بقي اليهود في وسط الامم حيث لمبت بهم ابدى التفريق وهم تحت انتقال الاسر الا انهم لبثوا على حالتهم المرذولة فاقدين لسبب كفرهم المواعيد التي اعطى ابائهم اياها ومجايلين عن ارض الميعاد ولم يكن لهم من ارض يرثونها بل استمروا عبيداً ايان رحلوا وابن حلوا لاشرف لهم ولا حرية ولا هيئة شعب.

وكابدوا تلك الاحوال ثمانين وثلاثين سنة بعد ان صلبوا المسيح واستخدموا الزمان الذي اعطى لهم ليرعوا عن اغوائهم ويتوبوا بان يرهقوا الرسل ويضطهدوهم. وفي غضون ما كان الشعب القديم مرذولاً لسبب كفره كان الشعب الجديد اخذاً في النماء يوماً بعد آخرين الامم. وقد انضمت المعاهدة التي عاهد بها انا ابراهيم حسب

المعماد بكل الشعوب الذين كانوا قد نسوا الرب لان البيعة المسيحية تدعو اليها كل البشر. ولما كانت مستكة في معمعة العذاب مدة اجيال عديدة ابانت للبشر ان لا يطلبوا السعادة على الارض.

فهاك ياسيدي ثمة معرفة الرب ومناويل هذه البركة العظيمة التي ينبغي ان ينتظرها العالم يسوع المسيح فكانت على التواتر تحمل على بيوت مشايعة وشعوب متواصلة وكان البشر يمتدنون من يوم الى اخر فيشعرون بما وصلوا اليه من الضلة بعبادتهم للوثان. ولقد كان المسيحيون يغيرون هيئة العالم ويمتدنون في كل الاصناف قسراً عن قوة الرومانيين دون ان يتردوا او يثوروا بل كانوا يتجشمون كل انواع العذاب.

وسرعة هذا التغير المخارقة العادة في عجيبة ظاهرة فان يسوع المسيح كان قد تنبأ ان الانجيلية ينذريه في كل الارض وتمت هذه النبوة حالاً بعد موته وكان قد قال مراراً ورفعهم ابن الانسان اي ان صليبه سوف يستعمل اليه كل شيء ولم يكن الرسل انما مسيرهم الا قال ماربولس للرومانيين ان ايمانكم يبشره في العالم باسمه وكان يقول للكلوسيين ان الانجيل يبشره في كل مكان.

وقد وصل اليكم كما انه قد وصل الى العالم كله الذي يثريه وينمو. ومن التحديق في التقليد نرى ان القديس توما قد انذريه في الهند وسائر الرسل في البلدان العاصية وليس بتثبيت هذه الحقائق من حاجة الى التواريخ فان الافعال تبينها صريحاً ومن هنالك يتضح مطابقة كلام القديس بولس للرسل باستناده على مزامير النبي: في كل الارض خرج منطلقهم وفي اقطار المسكونة اثبت كلامهم.

وفي زمان الرسل خلفائهم لم تكن بلاد قاصية ومنكورة الا بشرفها الانجيل فبعد ان مضى على موت المسيح مائة من الاعوام كان القديس جوستينيانوس بعد من زمرة المومنين كثيرين من البربر وكثيرين من النحل الرحل الذين يتزحون من مفر الى اخر على عجالات وليس لهم من موطن مقرر. وليس ذلك من نوع الغلو والمبالغة بل امر مقرر كانوا يبرزونه وقتئذ لدى الملوك والعالم كله واتى بعد ذلك بقليل من الزمان القديس ايرينيوس وزاد عدد البيعة وكان الاتحاد عجيبة لان ما كان يعتقد به في غالبا واسبانيا وجرمانيا كان نفس ما يعتقد به في مصر والشرق وان لم يكن في العالم

الاشمئس واحدة لم يكن يرى في الكنيسة من اقصى العالم الى اقصاه الانور حقيقة واحدة وكلما ازدلف المرء قليلاً يأخذه العجب والدمشة من النباح الذي كان للبيعة . ففي وسط القرن الثالث بين ترتوليانوس واوريجانوس ان شعوباً برمتها قد انحازت الى البيعة ولم تكن منها وان الذين كانوا قاطنين في اقصى العالم المعروف لم يحسمهم اوريجانوس منها لكنا اتى من بعده ارنوب فضمهم الى موءمنها

فعلي ايمـ شيء عثر العالم حتى سارع منهافتاً على يسوع المسيح فاذا كان عثر على بعض من الاعاجيب فيكون الرب قد تداخل بنوع صريح في ذلك العمل وان لم تكن في ذلك المحين حدثت امامهم اعاجيب فارتدادهم وقتلهم من اكبر الاعاجيب واعظمها ودخول فيالق حجة في اسرار سامية وان رضوخ عدد غفير من العلماء واقناع اناس لا يثقون باشياء عسرة التصديق لمن الغرائب والعجائب

يبدان عجيبة العجائب ان ساغ لنا القول هي ان الفضائل السامية والاعمال الشاقة قد كثرت والايمان بالاسرار في العالم قاطبة فان تلاميذ المسيح خطوا خطوات سيدهم في الطرق الشكسة فقد كانوا معرضين لكل شيء في سبيل الحنية ومتغيبين آثار مخلصهم وكانوا يقدمون على الملهمات جذلاً وفرحاً أكثر منه اعلى الملذات

ولا يمكن لنا ان نحصى اولئك الذين افنقروا حباً بسد سغب المعسرين . ولا اولئك المبتهسين الذين آثروا الفقر على الغنى ولا العذارى البارات اللواتي تسنن على الارض بالمالئكة ولا الرعاة المتخشعين الذين كرسوا ذواتهم خدمة للجميع وقد كانوا دائماً لا يتعبدون الليالي بالعباء والمهر باذلين نفوسهم حباً بقطعانهم . ولقد كانت النفقات والندامة في اعلى ذروة من السيادة فان الفضاة وقتلهم لم يكونوا يقضون على المجرمين البائسين باكثر مما كان الاثيمون يقضون على نفوسهم فضلاً عن ذلك فقد كان الابرياء يعاقبون نفوسهم بقوة عظيمة بسبب الميل الفاسد الذي يحملنا على الخطية . وقد اصبحت حيوة القديس بوحنا الممدان التي بدت عجيبة بين اليهود ذائعة بين المومنين فامتلات السباس والتفان من الذين افنقروا آثاره وكثرت النساك حتى ان الذين كانوا يطلبون الكمال الاعظم قد كانوا يتوغلون في وهاد الارض . ولقد كان جم غفير يعتزلون عن العالم ويلتذون بالحياة الرياضية والروحانية بواسطة سكنهم القفار . فهاك الثمار الثمينة التي نجمت من الانجيل فان البيعة لم تكن اقل غنى بالامثال من

التعليم فان تعليمها قد بدا مقدساً وانشأ زمرة كبيرة من القديسين وان الله الذي
 يوعزان الفضائل السامية لاتنمو الا بتجشم المشاق الويلة قد شاد بيعته على الاشهاد
 واراد ان تليث على تلك الحال مدة ثلاثة اجيال دون ان تخامرهما راحة ولما ابان
 باختبار مديد عدم احتياجه للمساعدة البشرية والسلطة الدنوية لاقامة بيعته دعا
 اليها الملوك واقام قسطنطين الاكبر ذائداً عنها ومحامياً. فعند ذلك توافدت الملوك
 من كل صُنع ونادى للبحو البيعة وكل ما قاله الانبياء عن مجدها قد تم امام العالم
 كله .

وكما ان البيعة لم تقمها ايدي العدو الخارجي كذلك لم توقع بها الانقسامات
 الداخلية سواها . فقد بدت البدع التي تنبأ عنها المسيح ورسله واخذت تضطهد البيعة
 وعلق المبتدعون يناصبونها اكثر مما كان يناصبها الملوك ومع ذلك لم يضيق ذاك
 الاضطهاد عليها الا بعد ان انفقت مناصبة الوثنيين لان التجيم في ذاك الحين
 افرغ ما عنده من القوة ليحل ابناء البيعة يتناصبون بعد ان كانت اركانها قد
 توطدت بتعميق ابصار اعدائها القاصين عنها اليها . فلم تليث ان استكثت وطفنت
 ثمتمع بالراحة التي نالها في عهد الملك قسطنطين الا بدا اريوس الشقي ييادها بامور
 وييلة لم تكن اذ ذاك الحين تجشمها واخذ قسطنطس بن قسطنطين الملك يرهق الكاثوليك
 في كل الارض فان الاربوسيين كانوا قد خالطوه والجثوه الى ثبيت بدعتهم فاخذ
 يضطهد المسيحيين اشد الاضطهاد وهو يوحج عليهم الحرب باسم المسيح فومت البيعة
 المجترقة تحت سلطة جوليانوس الجاحد الذي استخدم كل الوسائل لانلاف الدين
 المسيحي ولم ير له من ذريعة لتسيم ذلك الا بان يثير الاحزاب التي كانت تناصبة
 وخلفه فالانس الجانح الى الاربوسيين كقسطنطس لكنه كان اشد منه عنوا وجورا

وقد دب الخنق في قلوب بعض الملوك سواء فقتلوا اثره بالعطوف الى بدع
 اخرى والذود عنها . فشعرت الكنيسة بالاخبار ان يفضى عليها بان تكبد مشاق
 على عهد الملوك المسيحيين ليست باقل مما تكبدته على عهد الملوك الوثنيين وراأت ان
 من الختم عليها اوراق دم بنيتها للدفاع عن تعليمها او بالاحرى للذود عن كل قاعة
 منه . فلم يكن بند من بنوده خالياً من تصويب سهام بنيتها عليها لان كثيرين من
 المنشيعين نزعوا من حجرها ناكثين ذمامها واخذوا يطارحونها . لكنها وان رأتهم قد

قاموا ضدها يناوشونها فقد رأينهم كما قال الخالص مدحورين قسراً عما ضافهم الملوك
الغظام . واما ابناؤهما الحقيقيون فقد كان ذلك الامتحان كافياً لثبوت ايمانهم وذلك
كما قال القديس بولس : ان الحق ثبت اذ تعرض للناوشة وليثت البيعة غير مزعومة

الفصل الحادي عشر والعشرون

في بعض ملاحظات خاصة باليهود ونسب يسوع المسيح
بيما كنت عاكفاً على ان ارفع لدى جلالتك التبا عن تسلسل ما رب الرب في
ادامة شعبه بالتواتر لخصت على نحو ادث كثيرة ذات بال تستلفت اليها الانظار فليكن
مستوحاً لي ان اغود ارفع عنها سحاف الغموض فتفت اذ ذاك على حقائقها .
غير اني احقق الامل بان تعتبر بنوع خاص سقوط اليهود فان كل ظروفه
تؤول لثبوت الانجيل . وقد اتصلت اليها بواسطة مؤرخين من اليهود والوثنيين يوثق
بهم كل هذه الحوادث التي ازاد الرب ان تكون ذريعة لسقوط اليهود فان لم ينهم
هؤلاء المؤرخون مفاصده .

فلم ترل ابد بيا تدول مؤلفات المؤرخ يوسيفوس اليهودي العالم باحوال امته
فانه قد اساد بلاده بما كلفه الموعزة الى اثار اليهود القديمة وما كتبه فيها كلام مسهب عن
الحرب الاخيرة التي كانت علة لدثار تلك الامة وقد كان هو نفسه يشهد منها بخدم
الوطن بما مورية خطيرة .

وكتب اخرى قديمة عند اليهود تنطق على ما ذكرناه لان عندهم شروحا قديمة على
الكتب المقدسة من سجلها شروح بالكلدانية في ذيل تواراتهم ولم كتاب يدعونه
التلود اي التعليم يراعون حرمة كالكتاب المقدس وهو ينطوي على مقالات واحكام
قام بها العلماء الاقدمون وان تكن اجزاء ذاك التاليف ليست من قرن واحد فان
المؤلفين المذكورين فيه اخيراً قد كانوا في اوائل جيل الكتاب المقدس وفيه ترى
اثاراً حسنة في مقاليد اليهود القديمة وبراهين قاطعة لا قناعهم وان يكن فيه خزيلات
عديدة الا ان اكثرها كان بعد المسيح

ومن الامور المحققة ان الانقام الالهى لم يهبط اليه اليهود اكثر منه عندما اندثر واخيراً

وذلك بفرون به عباناً .

ومن الاحاديث الصحيحة المذكورة في التلمود والمثبتة من جميع الربانيين ان اشياء غريبة كانت مستمرة التبدل قبل دثار اورشليم باربعين سنة اي في عصر يطبق علي وشك موت المسيح . وقد كانت معجزات متواليه تحدث في الهيكل يوماً بعد يوم فالنبا اجد الربانيين المشاهير الى ان هتف ذات يوم قائلاً يا ايها الهيكل يا ايها الهيكل علام تضطرب وعلام تخيف نفسك بنفسك

وهل من امر حلي لدى الجميع اكثر من ذاك الديوي الذي سمعه الكهنة في بيت المقدس وقت عبد المظالم وذاك الصوت الجهوري الذي خرج من الهيكل هائلاً فلخرج من هنا فلخرج من هنا وعلن الملائكة القديسون الذائدون عن الهيكل انهم يغادرونه وما ذلك الا لان الرب رذله بعد ان كان قد جعل فيه مقامة اجيالاً مديدة .

وقتل يوسفوس المورخ وناسيوس الروماني نفسه ذلك الحادث الغريب وشعر به الكهنة وحدهم ولكن قد بدل لدى الشعب طراً حادث آخر لم يأت لاحد الشعوب ان يرى مثله ويبان ذلك هو ان يوسفوس المورخ يقول ان احداً القرويين هتف قبل احترام نار الحرب باربعة سنوات قائلاً : صوت خرج من الغرب وصوت خرج من الشرق وصوت خرج من مهاب . الرياح الاربعة صوت ضد اورشليم وضد الهيكل وصوت ضد الذين تزوجوا حديثاً واللواني تزوجوا حديثاً وصوت ضد الشعب كله ومن ثم استمر يصرخ ليلاً ونهاراً الويل الويل لاورشليم وكان يضاعف صراخه ايام الاعياد غير مفتوه بكلمة اخرى عدا ذلك ولم يحجب احداً من كانوا يأسفون عليه ومن كانوا يلعنونه او يحسنون اليه الا بهذه الالفاظ الرهيبة وهي الويل الويل لاورشليم فالتفت عليه القبض وحكم عليه القضاة بان يجلد بالسياط فكان يجيب على كل سؤال يوجه اليه ولدى كل جلدة نل به دون شكوى بالكلام ذاته اي الويل الويل لاورشليم فينسوا منه واطلقوه معتقدين انه معتوه . فدوخ القرى والديساكر وكررتلك الالفاظ الرائعة وليث على ذلك المتوال مدة سبع سنوات دون سامة او ضمير .

وحينما كانت اورشليم مضيقاً عليها محاصرة كان داخلها يتطوف حول اسوارها صارخاً يجهير الصوت الويل للهيكل الويل للمدينة الويل للشعب ثم قال الويل لي

فعند ذلك فاجأ حجر كبير مشوق بالمنجنيق فصرعه على الأرض قتيلاً
 فياسيدي من ذا الذي لا يؤمن عند مرآة ذلك المشهد ان الانتقام الالهي بدأ جلياً
 في ذلك الانسان الذي لم يكن الا ليتفوه باحكام الرب الذي اقمته قوة واقداراً لكي
 يعدد بصراحة مصائب الشعب وهلك اخيراً بحكم ذاك الانتقام الذي انذره منذ مدة
 مديدة قبل وقوعه . وما ذلك الا ليحمله عنيداً وبيناً ليس لانه تنبأ عنه وقرره مراراً بل
 لانه اصبح ضحية له ايضاً .

فالذي الذي تنبأ بمصائب اورشليم يدعى يسوع ويضح من ذلك ان اسم يسوع اسم
 الخلاص والسلام مزعج ان يقول لليهود الذي لم يعثوا به في المخلص دلالة سيئة عليهم
 واما اولئك المجاهدون الذين نبذوا وراء ظهورهم يسوع الذي انذرهم بالنعمة والرحمة
 والمحبة فقد بعث الله اليهم يسوع اخري نذرهم بمشاق وبيلة لا ينفع بها دواء وبوشك خرابهم
 الذي لا محيص منه ولا مناص .

فلننص اذاً في عباب احكام الرب بنور كنيسة المقدسة . وسنرى ان قد قضي على
 اورشليم والمبكل بالدار مرتين مرة في عهد بختنصر الملك واخرى في عهد تيطس وفي
 ذنبك المهدين لم يبدُ عدل الرب بالطرق نفسها وان يكن حقيق في الدثار الاخير
 حقناً بيناً

ولكي ندرك تسلسل ما رآه الرب ينبغي في بادئ الامر ان نتوكل على الحقيقة
 المكررة في الكتاب المقدس وهي ان من عاده قضاء الانتقام الرائع ان يسلط علينا
 شمولاً المردولة فتطوح بالمناشد فنصبح صماً عن نصائح الحكمة وعياً عن روية الطرق
 المفتوحة امامنا المؤدية الى النجاة وموهبين لان نسلم نفوسنا لكل ما يلقي بنا الى التهلكة
 ويختال شهواتنا بالدهان والتدليس فتثبت على كل عمل مجرأة غير موازين قوانا مع
 قوي الاعداء الذين اغظناهم والرب يسمح بكل ذلك عنافاً على ما اقترطنا من الجرائر
 وعلى ذلك المتوال كان دثار اورشليم وملوكها بيد بختنصر ملك بابل فكابدوا به
 صاب الويل ولهذا شعروا مراراً بان اثارهم تعود عليهم بالنشقر والتكبات فدناوا له
 مقسمين . وكان ارميا يوعز اليهم من لدن الله ان الرب فوض امرهم لهذا الملك وان
 ليس لهم فرج الا بان يكونوا له صاغرين ويعملوا انقال نيره . فقد كان يناجي صدقياً
 الملك وشعبه قائلاً طاطثوا رؤوسكم تحت نير ملك بابل وادوا له العبادة تحموا . علام

تموت انت وشعبك وعلام تنيل هذه المدينة خراباً فلم يثقوا بكلامه . وبينما كان يختصر
يضيق عليهم في المدينة محتشفهم بترسات عظيمة كانوا يثقون بالانبياء الكذبة الذين
كانوا يعدونهم بان النصر ياتيهم عن قريب فقد كانوا يحاطبونهم باسم الرب مدعين
انهم مرسلون من لدنه قائلين . اني سمعت نير ملك بابل وانامن الان الى ستين اردد الى
هذا المكان جميع انية بيت الرب التي اخذها بختنصر .

فخضع الشعب هذه المواعيد الكاذبة وعلقوا بختنصلون مقاساة الجوع والظلم والمشاق
الكلي وافضت بهم الوقاحة الى ان لا يبقى لهم لدى الظافر عليهم رحمة ولذلك اندثرت
المدينة وحرقت الهيكل واصبح كل مستاصلاً

وقد كان من ذلك ادلة بينة تدع اليهود يشعرون بان يد الرب تداهم . ولكي
يبدو لديهم انتقام الرب صريحاً في دنثار اورشليم الاخير كما بدا لديهم في دنثارهم الاول
عثرنا على الغرور عينه والوقاحة نفسها وعنوا القلب ذاته

وان يكن تردم صوب عليهم الاسلحة الرومانية وابدوا من الوقاحة شيئاً عظيماً
ليزحروا عن عوائقهم نير الرومانيين الدائنة له الارض باسرها فلم يقصد نجوس دنثارهم
بل انه ودّ مراراً ان يعاملهم بالرفق والنعمة ليس في ابتداء الحرب فقط بل بعد
ان رأى ان لم يبق لهم من يك منفراً لانه كان قد اخذ عنوة حول المدينة سوراً باذخاً محصناً
بترسات وقلاع امنع من قلاع المدينة لما بعث اليهم يوسيفوس وطبهم احدر وساء
شرطهم وكهنتهم اذ كان اسره من بينهم وهو يدافع عن وطنه . فاخذ يحضهم على الرضوخ
فلم تنجح بهم نصائحه وقد ابرز اليهم ادلة قاطعة على وجوب طاعتهم فانباهم ان السماء
والارض متحالفتان على تنكيلهم وان دنثارهم بالعناد من الامور التي لاندحة منها . وان
نجاتهم موقوفة على رحمة نجوس وناداهم بجهر الصوت قائلاً انفذوا المدينة انفذوا نفوسكم
انفذوا هذا الهيكل العجوبة العالم الذي يراعي الرومانيون حرمة ويودّ نجوس نفسه ان
لا يراه منقوضاً الا باسف عظيم ولكن ما الحيلة في انفاذ اناس يثابرون على ان يصروا
على علاكهم فان انبياءهم الكذبة كانوا يطغونهم ولذلك لم يصيخوا لاقوال ذاك الرجل
ونصائحوه . وقد كانوا في ازمة شديدة لان كثيرين منهم كان يلهمهم الجوع الشديد فكان
يفني منهم اكثر من الحرب وقد افضى بهم الامر الى ان اليالقات ياكن اولادهم
فغظف عليهم نجوس رائياً واقسم بالهتة انه لم يكن علة لدنثارهم . وفي اثناء المشاق التي كانت

تناصرهم كانوا يعتقدون بالانبياء الكذبة التي كانت تعدهم بالاستيلاء على العالم وفضلاً عن ذلك انهم راوا ان المدينة نلصت من بيت ايديهم عنوة وشبت فيها النار من كل جانب ولم يرفعوا عن اغوائهم بل لينوا يصيحون لافوال الانبياء الافاكين الذين كانوا يفرعونهم بالدفاعه بحملهم على اليقين بان يوم ابتادهم قد حان فلبثوا على ذلك والرحمة عنهم فاصية فقتل الفاتح اذ ذاك منهم خلقاً كثيراً بجد الحسام وقوض المدينة من اركائها ولم يبق سوى بعض قلاع يستبقها آثاراً للأجيال التالية فهوت اورشليم ولم يبق منها حجر على حجر

فانك ترى ياسيدي ان ما حل على اورشليم من النكبات والمصائب في ايام حرقها قد حل نفسه عليها الان وان نخوس لم يكن الا بلاغاً من قبيل الرب كختمصر ليهلك اليهود بالكيفية نفسها فاننا نرى في اورشليم العصيان ونسمة والجوع عينه والاذمة ذاتها ووسائل نجاتهم ذاتها وعين الطغيان وذات التمور ونفس العناد وليكي تكون المضادة تامة بكل الوجوه حرق الهيكل الثاني في عهد نخوس في الشهر والنهار اللذين حرق فيهما في عهد مخنصر وكل شيء كان قد كتب عن ذلك آنفاً ومع ذلك لم يتبه الشعب لوعيد الله وانذاره .

الا ان بين دثاري اورشليم واليهود بوئاً عظيماً وكل هذا الاختلاف يبين ان الدثار الاخبار قد تم بصرامة غريبة بانتقام الرب فان مخنصر اضرم النار في الهيكل اما نخوس فقد استخدم اكثر الوسائل لرعايته غير مبال بما تنوء يولديه اعضاء مجلسه الشوروي قائلين ان لم نقوض اركان هذا الهيكل فاليهود يستمرون على التمرد والعن لكن لما انت الساعة النعيسة اي اليوم العاشر من شهر آب وهو الوقت الذي حرق فيه هيكل سليمان احرق هذا الهيكل المكرم احد جنود الرومانيين وقد حمله على ذلك وحي الاهي كما قال يوسفوس المؤرخ ويائه ان نفراً من ارفاقه اصعدوه الى نافذة الهيكل حيث البى النار قسراً عن تحريم نخوس لذلك امام جميع الرومانيين واليهود وقسراً عن جنوح الجنود الطبيعي الذين كانوا يودون ان يسلبوا منه ما كان فيه من الاشياء الثمينة اخرى من ان يحرقوها فاذا علم بذلك نخوس اسرع حالاً وامر بان تخمد النار فلم ينبج شيء مما استعمله من الوسائل فان النار اضطرمت به من كل جانب وحوّلت ذاك البناء العظيم الى رماد .

فان كان عناد اليهود في عهد الملك دليلاً على منعول انتقام الله الهميم عليهم فكما
 بالاحرى عنادهم في عهد تينغوس الملك فقد كان اليهود وقت حصار اورشليم الاول
 متواثمين على الالفة وتالب القلوب اما وقت ان دنرها الرومانيون اخيراً كانت قلوب
 اهاليها متنافرة موجبة قسمة الشقاق . فكانت تمزق بذلك امعاءها ولم يكن عند
 قاطنيتها حنق على الرومانيين مثلما كانوا يحنقون على بعضهم وينهاقون على المباغضة .
 ولهذا لم يتجدد في المواقع الخارجية قتلى منهم بمقدار ما يتجدد في المواقع الداخلية لانهم
 بعد ان كانوا يحالون الاعداء عن اسوارهم اندفعوا على بعضهم وعلقوا يشارون بسفك
 الدماء . وكان يجاذب المدينة طرفان من الجور والسلب فعملت بها عوامل الخراب
 واصبحت كفاعة صفصف مغشى بجثث القتلى وغدار رؤسآوها يتنازعون على السلطة
 واصبحت حالتها تضاهي حالة الحجيم حيث الذكبر والبلبله والرجز . والبالسة يودون قلى
 اغنائهم وهكذا كان المالكون في اورشليم فانهم كانوا يجهدون في سبيل المباغضة
 فلشقق ياسيدي ان انتقام الرب من اليهود يختصر هو صورة انتقامهم منهم تينغوس
 فحل من مدينة شاهدت هلاك احد عشر كرك من سكانها بحصار واحد مدة سبعة
 اشهر

فهاك ما شاهدته اليهود في حصار اورشليم الاخير فلم يحلمهم الكلدانيون شيئاً مثلاً
 لان سباهم عند الكلدانيين لم يستمر أكثر من سبعين سنة اما بعد حصار اورشليم فقد
 بادتهم النابات ستة عشر جيلاً وهم يثنون تحت اوقار العبودية في العالم كله لا يجحدون
 لهم من يزحزح عن عوائقهم الاتقال الباهظة او يخففها قليلاً . ولا غرو من ان تينغوس قد
 رفض تبارك الشعوب المجاورة على انتصاره ونبد ما اسدوه له من التيجان والمكرات
 على ظفره فان الظروف الغربية وحنق الرب العظيم على اليهود وبده التي تنك ظاهراً
 عليهم حملته على العجب من كل ما جرى وبعثته على ان يقول انه ليس بظاهر بل هو
 آله في يد غضب الرب

ولم يكن يدرك ذاك السر لان الساعة المتوقفة عليها معرفة الملوك الرومانية
 بما فى المسيح لم تكن انت الى ذاك الوقت بل كان ذلك الوقت اضطهاد البيعة
 واذلالها ولذلك لم يعرف تينغوس الجريح التي يعاقب الرب اليهود عليها وان يكن قد
 عرف ان اليهودية درست بحكم من لدنه تعالى فعلة هذا الانتقام هي اكبر الذنوب وهو

ذنب لم يسمع به الى ذاك الوقت اي قتل الله

ولقد تسبب به انتقام لم ير له في العالم مثيل . بيد اننا لو حدثنا الى الامور بعين
البصرة وتحريناها حتى التحري لما ندعنا العلم بعقاب اليهود وجريمتهم الكبرى .
فلنذكرن كلام المسيح حينما تنبأ لهم عن دثار اورشليم والهيكل قائلاً لا يترك ههنا حجر
على حجر الا ينقض وكان قد تنبأ لهم عن حصار هذه المدينة المجاهدة وما سيحيط بها من
الاسوار وان بنينا عمل بهم ايدي البوسى فيتصورون جوعاً وان انبياء كذبة يطغونها .
وكان قد حذر اليهود ان ايان اهوائهم قريب واوعز اليهم بادلة قاطعة تشعر بان
حلوكهم ايان لم تسلسل آثامهم التي تسبب لهم تلك العقابات الرائعة وقصارى الكلام
انه كان قد اسلف لهم عن تاريخ الحصار وغوائله ودثار اورشليم

فاعلم يا سيدي انه تنبأ لهم عن كل ذلك وقت الامم رجاء ان لاتذهب عنهم
علة نكباتهم لانه كان في مقربة من اعنائو حين قال لهم . ها انا ارسل اليكم انبياء
وحكماً وكتبة فمنهم من تقتلون وتصلبون ومنهم من تجلدون في مجامعكم وتطردون من
مدينة الى مدينة لكي ياتي عليكم كل دم زكي سنك على الارض من دم هابيل
الصديق الى دم زكريا بن بركيا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح . الحق اقول لكم
ان هذا كله سياتي على هذا الجيل . يا اورشليم يا اورشليم يا قاتلة الانبياء وراجة المرسلين
اليهاكم من مرة اردت ان اجمع بنيك كما تجميع الدجاجة فراخها تحت جناحها فلم تريدي
هوذا يترك يترك لك خراباً .

فهاك تاريخ اليهود فانهم ضهدوا المسيح في شخصه واخوانه واثاروا كل الارض على
رسله ولم يدعوا لهم راحة في اية مدينة كانت وقد حملوا الرومانيين وملوكهم على ان
يشقوا السلاح على البيعة المجدبة ورجوا القديس اسطفانوس بالحجارة وقتلوا البعثيين
الذين كانوا على جانب عظيم من الطهر والنفى فاكتسبوا مراعاة الحرمة حتى لديهم وذبحوا
القديسين بطرس وبولس بسيف الامم وذلك كان ذريعة لهلاكهم لان ما اهرقوا من
ذلك الدم ودم الانبياء صارخ من لدن الرب بالانتقام لتصبح بيوتهم ومدائنهم كلها طامسة
دارسة ولا يكون دثارهم اقل من اثمهم وكان يسوع يندبهم ان وقت ذلك قريب وان
هذا الجيل لا يزول حتى يكون هذا كله اي ان المعاصرين سوف يشاهدون كل ذلك
اما الآن فاصح لما انبئك به عما بقي من نبوة فادينا لانه عندما كان مقدماً على

اورشليم قبل ان مات بقليل من الزمن عطف فؤاده شفقة اذ رأى ما سيجل عليها من الويلات والمشاق بسبب الامة فرنا اليها باكياً وقال :

لوعلمت انت ايضاً في يومك هذا ما عولسلاملك لكنه الان خفي عن عينيك انها ستاتي عليك ايامٌ يحيط بك فيها اعداؤك بمرسة ومحاصرونك ويضربون عليك من كل وجه ويهدمونك وبنوك فيك ولا يتركون فيك حجراً على حجر لانك لم تعرفي زمان انتقادك

فيه الكلمات اوعز صريحاً الى كيفية المحاصروغوائل انتقام الرب الاخيرة لكن لم يكن يقضي ان المسح يذهب للعذاب قبل ان يثقل على اورشليم بالنقصان الذي تجعله لمعاملتها اياه سوء المعاملة فانه لما كان حاملاً على غائفه صليبه وهو ذاهب الى جبل المججلة وكان يقفوه لفيف كبير من الشعب والنساء اللواتي كنّ يطينن ويخنن عليه فحانت منه اليهن الثلاثة قائلاً

يا بيات اورشليم لا تبكين علي بل ابكين على انفسكن وعلى بنيكن فها انها تاتي ايامٌ يقال فيها طوبى للعمى اقروا البطون التي لم تلد والثدي التي ترضع حيثئذ يندثرون يقولون للجبال استطي علينا وللاكام غطينا لانهم اذ كانوا صنعوا هذا بالعود الرطب فاذا يكون باليابس. ان كان بهذا يتعذب البري الصديق فباذا يتعذب الخطاة

هل رئي ارميا دثار اليهود باكثر شدة من هذا وهل كان يمكن للخص ان يستعمل غير اللفاظ باكثر قوة ووضوح لينبهم على مشاقهم وبأسهم فتد اوعز اليهم عن الجوع المدقع انه يهلك بنهم ونساءهم اللواتي نضبت ائداؤهن ولم يبق لهن سوى العويل يهينه اولادهن واللواتي الجأهن الجوع الشديد الى ان ياكلن ثمره بطونهن .

الفصل الثاني والعشرون

في ان نبوءتي يسوع المسيح الشهيرتين يتضحان بتقييمها وبشهادة التاريخ ان النبوءات التي اتينا بالنباء عنها قد تنبأ بها امام الشعب اما التي لم يتفهموها الا امام تلاميذ فانها ذات بال لا مندوحة من استلفات الاحداث اليها وانها تؤخذ من

كلامه عن دثار اورشليم وذرار العالم قاطبة ولم يكن ذاك الوثاق ذون سره وهما في غايته .

فان مدينة اورشليم الطوباوية التي اصطفاه الرب وطالما مكثت تنتظر الميعاد والهد قد كانت رمزاً الى الكنيسة والسما حيث يبدو الرب لدى بنيهِ ولذلك نرى من الانبياء كثيرين قد ضموا بناط باورشليم الى ما يناط بالكنيسة والمجد الابدي وذلك في اثناء خطاب واحد وهو من اسرار النبوءات ومنافع افعالها واما اورشليم المزدولة الجاحدة مخلصها فهي رمزاً الى جهنم وسكانها الخائنون هم كالهالكين وقضاء المسيح عليهم هو رمز قضاؤه على كل الارض اذ ياتي في آخر الاجيال بكل عزته ليدين الاحياء والاموات ومن دأب الكتب المقدسة والوسائل التي تقوم باعبائها لترسخ الاسرار في عقولنا ان تخرج في التعليم الرمز بالحقيقة وعلى ذلك مزج مخلصنا تاريخ اورشليم وخرابها بتاريخ انقضاء العالم وذلك يبدو في الخطاب الذي عليه يدور محور كلامنا لكن لا تخاف ان كل هذه مزوجة ببعضها حتى انه لا يمتاز ما يناط بكل منها بل ان المسيح قد ميز كلاً بصفات خاصة يمكن ابانتها ولكن يكفي ان ابين كل ما يناط بدثار اورشليم واليهود .

واذ كان الرسل مكتشفين يسوع نحو الآله كانوا يشيرون الى الهيكل وما حوله من الابنية معجبين جداً من مناعة البناء ونظامه وحسن حجارته فرنا اليهم المخلص واخذ يقص عليهم قائلاً انظروا هذا الهيكل الحق اقول لكم لا يترك هنا حجر على حجر الا ينقض فتعجبوا من كلامه وسألوا متى يصير كل هذا اما هو فاذ لم يشأ ان يعلمهم اقلفين في اورشليم لدى دثارها اخذ ينبتهم عما سيتوارد عليها من المصائب على التتابع (لانه اراد ان يكون انفصال الاخيار عن الاشرار بخراب المدينة رمزاً الى الانفصال الذي يحدث في الزمان الاخير) فقال لهم سوف تكون اوبئة ومجاعات وزلازل في اماكن شتى ومصادقة على ذلك فقد قال المؤرخون ان تلك الحوادث الويلة التي حدثت في ذاك القرن لم يكن لها من ندب في القرون الغابرة ثم قال سيصير في كل الارض بلايل واخبار حروب وسقوط امة على امة وتحدث في كل الارض قلاقل فذلك يمثل لنا كل ما تجرى اخيراً في حكم نبرون فان الدولة الرومانية ابي الارض كلها التي كانت رانعة في مجبوحة السكينة منذ انتصار اوغسطس وعهد خلفائه شرعت تزعزع لان غاليا واسبانيا

وكل مناطعات الدولة الرومانية علفت لتفوض بوقت واجيد فان اربعة ملوك تألبت قلوبهم معاً على نبرون واخذوا يتناظرون وان ظهراء الملك وعساكر سوريا وجرمانيا وفيالق اخرى من الشرق والغرب تصادوا في مواقع القتال ودوخوا تحت قيادة ملوكهم الارضين من اقصاها الى اقصاها ليتوا خصامهم بمعارك دموية ولكن لا يكون المنتهى اذ ذاك كما قال ابن الله: وسوف يتجشم اليهود من ذلك مشاق عمومية الا انه سوف يحل عليهم نواب خاصة وهذا كله اول الخاض

ثم اضاف الى كلامه ان قال ان بيعته المضطهدة منذ تشييدها سوف تكابد اضطهاداً جديداً اشقى من الاول في ذاك الحين ولقد ذكرنا ان نبرون اراد ان يبيد في اخر ملكه المسيحيين وامات القديسين بطرس وبولص . واما الاضطهاد الذي اثاره اليهود حسداً وبغياً فقد عاد عليهم بالذئاريد ان الاجل المسمى لم يكن الى ذاك الوقت قد تعين . لكنه قد كان يلوح ان مآتي المسماة الدجالين والانبياء الكذبة هو الاجل المسمى لذئار اورشليم الاخير

فان الذين سدوا آذانهم عن استماع صوت الحق آل بهم الامر الى ان يصبحوا بالانبياء الكذبة هالكين . ولم يخف المسيح عن رسله حلول تلك المشاق في اليهود فانه اوعز اليهم ان سوف يقوم كثيرون من الانبياء الكذبة ويضلون كثيراً وقال ايضاً سيقوم مسيحيان كاذبين وانبياء كذبة

فلو كنت تعرف اخلاق اليهود لتفصيت بان الوصول الى ادراكها امر ذو صعوبة فلقد انبأناك انهم بعد ان ختلهم الانبياء الكذبة وسببوا دمارهم ولا سيما في عهد حزقيا انقلوا من افواهم وآلوا على ان لا يسمعون لم قولاً وكان قد مر على ذلك اكثر من خمسمائة سنة ولم يبد في اسرائيل انبياء كذبة واما الحجيم الذي كان يمن بينه وبينهم رباط الاخاء فقد استيقظ وقت مآتي المسيح وان الله الذي يقبض يمينه على الارواح الخداعة قد اطلعها وشأنها لكي تبرح باليهود وتفتح المؤمنين وتثبتاً لذلك فان الانبياء الكذبة لم تظهر بمقدار ما ظهرت عقيب موت المخلص ولا سيما في وقت حرب اليهود وعهد نبرون كان قد اجتمع تلك الحرب فيكثر اذ ذاك كما اشار الى ذلك يوسفوس المؤرخ حتى ضاق الحسبان دونها وكانت تخال الشعوب وتجذبهم الى بطون الكفار بالسحر والمكر وتعدم بالفرج القريب

ولذلك اشار المسيح بنبوءاته الى البرية حيث يتوارى الانبياء الكاذبة وكانوا بالحقيقة
يخدعون الشعب ثم الى دثاره الاخير. ويمكن لك يا سيدي ان نوقن ان اسم المسيح
الذي يتعسر على اليهود ان يخلصوا بدونه كان مترجماً بملك المواعيد الباطلة وانك
سوف تنف على ما هو اهل لاقناعك

ولم تكن اليهودية وحدها عرضة لهذه الغرة العشواء بل كانت كل مقاطعات الدولة
الرومانية مثلها فلم يكن من زمن مثل ذاك يثبتنا التاريخ فيه عن العدد المديد الذي
اتصل اليه الانبياء الافكون وعما عثوا وزعموا ان يدركوا حقائق المستقبل ويختلوا الشعب
بسمهم كسيهون المجسيفاني والباس وابولونيوس تيانوس وجهم غنير من السمرة المذكورين
في التاريخين الديني والدنوي فكل اولئك بدوا في هذا الجيل حيث بذل الحميم جهده
ليوطد ملكة المزعزع و اشار المسيح الى ذلك بقوله سوف يقوم في ذاك الوقت ولاسيما
عند اليهود عدد كثير من الانبياء الكاذبة ومن يتبه لكلامه يرى ان هذا العدد
يتكاثر قبل دثار اورشليم وبعده اوفي ما قرب منه ويضاعف الخداع التعليم الكاذب
والعجائب الباطلة فيعزز ويهي رجساً ويكاد المختارون يتخذون او كان ذلك ممكناً
ولست بناكر ان قد يحدث في آخر الاجيال شيء كهذا او اكثر منه مكر الانفاق
اسلفنا ان ما حدث في اورشليم هو محض رمز الى ما يحدث في آخر الزمان اما المسيح
فقد ابان لنا ان هذا الغرور مفعل غضب الرب على اليهود وسياء هلاكهم. وقد ثبت
هذه النبوة واقعي الامر لان كل شيء قد تحقّق بشهود عدل لا تنبذ شهادتهم فاننا
نرى نبوة ضالهم في الانجيل ونتمتها في تاريخها ولاسيما تاريخ يوسفوس
وبعد ان تنبأ يسوع المسيح عن كل ذلك قاصداً بنبوءته انقاذ تلاميذه من المشاق
التي توعدها اورشليم اخذ يورد عليهم أدلة خراب هذه المدينة الاخير

ان الرب لا يبين هذه الادلة لمختاريه دائماً لانه لدى العقابات الصارمة التي تظهر
قوته امام الامم طراً قد يضرب احبائنا الصديق والمحاطي معاً وما ذلك الا لان الوسائل
التي يستخدمها في سبيل عزل الواحد عن الاخر هي اشد قطعاً ما تبدو لدى حواسنا
فان الضربة التي تسحق الثبن بتأتى لها فصل الحبة. وينتقي الثبر بالنار التي تحرق
بيس الثبن وهكذا ينتج بالعقاب فكما يهلك به الاثميون كذلك يخلص به الصالحون
واما في خراب اورشليم فلنكي تضع الهيئة الدنوية الاخيرة ويظهر غضب الله صريحاً على

المجاهدين لم يشاء الله أن اليهود الذين قبلوا الانجيل يخاطبون من سواهم : ولذلك
 إبان المسيح لتلاميذه بأدلة بينة عن وقت نزوحهم من المدينة المزدولة . وقد استند
 حسب عادته على الأنبياء الأقدمين الذين كان مفسراً وخاتمة لهم . وبعد أن ذكر ما فاه
 به دانيال عن دنثار اورشليم الأخير قال هاتي الكلمات مر فمتى رأيت رجاسة الخراب
 التي قيل عنها بدانيال النبي قائمة في المكان المقدس ٢٢ وكما قال القديس مرقس
 قائمة حيث لا ينبغي حثيث الذي في اليهودية فليهرب الى الجبال ويذكر القديس لوقا
 ذلك نفسه بالفاظ مختلفة قائلاً :

وإذا رأيت اورشليم قد احاطت بها الجنود فاعلموا حينئذ أن خرابها قد اقترب
 فحينئذ الذين في اليهودية فليهربوا الى الجبال والذين في داخلها فليخرجوا والذين في
 البلاد فلا يدخلوها

ان الانجيليين يشنون عن معاني اقوال بعضهم وأن قسنا هذه الآية يسهل لدينا ان
 نتهم ان الرجاسة المذكورة في دانيال هي الجنود حول اورشليم وهكذا عبر عنها الآباء
 القديسون ويؤيد لنا العقل مصداق ذلك . لان الرجاسة حسب عادة الكتاب
 تدل على الضم ومن ذا الذي يجهل ان الجنود الرومانية كانوا يحملون على الوتيم
 صور اهنتهم وقياصرهم الذين كانوا يتعبدونهم أكثر من كل الالهة . وقد كانت تلك
 الالهة موضوعاً شتمهم على عبادة ما عليها ولما كان دخول الاضنام الى الارض المقدسة
 محرماً بأمر الله لم تدخل ثمة العلامات الرومانية ولهذا نرى في التاريخ ان الرومانيين
 طالما اعتبروا اليهود لم يسحقوا بادخال علاماتهم الى اليهودية ولذلك عند ما عبر
 وبتيلاوس هذه المقاطعة ليكر على العربية محارباً استناداً على رواية التاريخ كان يفود
 جنوده دون علامات لان الرومانيين كانوا يحترمون وقتئذ دين اليهود ولم يكن من
 رغبتهم ان يحشوا هذا الشعب ما يناقض دينه

اما في إبان حرب اليهودية فلم يبق الرومانيون براعون شعباً عازمين على استئصاله
 وبناء عليه كان يكتنف اورشليم وقت حصارها اصنام توازي ما كان للرومانيين من
 العلامات ولم تبد رجاسة بهذا الدرأ لا ينبغي ان تكون في الارض المقدسة وحول
 الهيكل

ويعترض على ذلك بان هل هذه العلامات العظيمة هي نفس ما وهب المسيح

تلاميذه وهل كان الوقت يكتمهم من الأركان إلى الثرار لما أخذ نفوس يحاصر اورشليم
 قافلاً أيها غير ممكن لأحد منها الخروج . فعلى هذا عينه ثوقت غربة هذه
 السوء فان اورشليم حوصرت مرتين في ذلك الحين فقد حاصرها في بادئ الأمر
 سبتينوس والي سوريا سنة ٦٨ بعد المسيح وحاصرها مرة ثانية نفوس بعد ذلك بربع
 سنوات أي سنة اثنتين وسبعين ولم بعد في الحصار الأخير من وسيلة للفرار لأن نفوس
 أخذ يذل الجند في الحرب وباغت اليهود المتألمين في اورشليم وقت عيد الفصح ولم
 يكن لأحد من وسيلة إلى النجاة . وقد احتطت المترسات التي أقامها حول المدينة أمل
 الأهل في الأركان إلى الثرار يريد أنه لم ير شيئاً من ذلك في حصار سبتينوس فانه أقام
 عليه حصاراً في حيز بعيد عن اورشليم ستة أميال وكان عسكره يحيط بالمدينة غير
 منشيء لسبيل ذلك أخذوا المترسات بل كان يوشح الحرب دون اعتناء وليث على
 ذلك إلى أن بارحت الفرصة من فتح المدينة فان الروح والمنازعات الداخلية وكثيراً من
 حزب الرومانيين كانا ذريعة لافتحها فلم يكن في ذلك إلا أن يمر لمن يحاول النجاة بل
 أن التاريخ يذكر صريحاً أن كثيرين من اليهود خرجوا من اورشليم . فكان إذ ذلك
 وقت الخروج والعلامة التي أعطاهما ابن الله تلاميذه ولذلك قد ميز بكل صراحة بين
 الحصارين فان المدينة تكون بالحصار الأول محاطة بالمجود فقط ولا تكون محاصرة
 حقاً فيكون للذين في اليهودية ذريعة إلى الفرار إلى الجبال وتكون بالحصار الأخير محاطة
 بمنسبات وأخاديد فيكون القضاء على الذين داخلها بالهلاك

فامتثل المسيحيون كلام سيدهم وإن يكن فيلق كبير منهم في اورشليم . واليهودية فلم
 تعثر بتاريخ يوسفوس أو سواه على أن شيئاً من ذلك العدد كان لذين اقتنحوا وعكس
 ذلك أن المسيحيين لجشوا إلى مدينة بيللا في الجبال الدانية من الثنار على حدود اليهودية
 والعربية وذلك كآلة مفررة في تاريخ الكيسة وكل ما نقله إلينا الآباء الأقدمون

ومن ذلك يمكن أن نستنتج كم من مرة أخطر المسيحيون بنوع صريح إذ لاشيء أهم
 من انفصال اليهود الذين لم يؤمنوا بالمسيح من الذين آمنوا به فان منهم من قطن في
 اورشليم لمعاقب عن الله ومنهم من ترح من المدينة كما ترح لوط من صادوم ولجشوا إلى مدينة
 حثيرة ومنها كانوا يراعون وهم في روع وهول كل مفاعيل غضب الرب وأحكامه التي
 شاء أن ينقذهم منها

وقد يوجد عدا نبوات المسيح نبوات تلاميذه منها نبوات القديسين بطرس وبولس وذلك لان اليهود لما كانوا يبرحونها بالعذاب الاليم وما شاهدان ليسوع المسيح المنبعث من الاموات اندراهم اذ سلخوا للام بدثارهم القريب وقالان اورشليم لابد من ان تفتوح من الاساس وان اهلهما يكون جوعاً وقنوطاً وينفون من ارض آبائهم نفيًا موبدًا ويمسحون متشعنين في كل المسكونة كالاسرى ولذلك اجل قريب المآتي فهذه المصائب برمتها سوف فعل عليهم لانهم هزئوا بابن الله وامتنوه بعد ان بدالدهم بمعجزات عظيمة

فهذه النبوة قد حفظها الآباء الافدمون عن لسان الرسل وتمت حالاً بنوع صريح وقد فاه القديس بطرس بنبوءات كثيرة وهي اما ان تكون قد اوحيت اليه بنوع خاص او عند تعبيره كلام سيده فان فيلقون احد مؤلفي الوثنيين قال حسب ما يشهد اوريجانوس ان كل ما فاه به هذا الرسول قد تم بكل دقة وعلى هذا لم يكن يحدث شيء لليهود الا تنبأ لهم عنه وتبدل دينا علة مشقاتهم بخيراتهم ليسوع المسيح وتلاميذه لان ابان النعمة والرحمة جرى عليها القضاء وكان قد ازف ابان الهلاك

فاصبح اذا جد تقيفوس في اناذ اليهود والهيكل عبثاً فان الحكم عليهم كان قد صدر من العلاء فاصبحت حجارة النبأ كالهباء المنثور وان يكن احد الملوك الرومانيين قد جرب عبثاً ان يبع دثار الهيكل فقد جرب سواه عبثاً ايضاً ان يهتضه وقد فكر جوليانوس المجاهد الذي شرع ان يجارب ضد المسيح بان يكذب نبوءاته ولما قصد ان يقيم للمسيحيين اعداء الداء من كل ناحية تنازل وانهمض ضدّهم اليهود المزدولين من العالم ويعثم على ان يقيموا هيكلمهم وقدم لهم مبالغ عظيمة وعضدهم بكل قوة الدولة الرومانية . فاصبح الى هذا الحادث ياسيدي وانظر كيف الرب يرذل الملوك الجبارة فهذا يشعرنا به جميع الآباء القديسين والمؤرخين الكنائسيين وبينونه بان ثار لا تزال من ازمانهم . واقضى ان الوثنيين انفسهم يتعقون ذلك لان اميانوس مارسيلينوس الوثني الدين والمدافع بغيرة عن جوليانوس بنبثا عن عن هذا الحادث بقوله لما كان اليبوس يعضد والى الاقليم ويسرع بعمار البناء على قدر امكانه هب من الاساس كرات نارية وزعزعت اركان العمار بهزات قوية واحترق

النعمة الذين آتوا الى اعالم وقد اصبح من المستحيل الدنومين ذلك الحبل فنبذوا
المعمل

واما مورخو الكنيسة فيوردون النبأ عن ذلك الحادث يدقه كبرى ويذكرون
ان نار السماء خامرت وقتئذ نار الارض وقصارى القول ان كلام المسيح اصبح ثابتاً
وذلك ما حمل بوجها الذهبي الثم على ان يقول ابن الرب اقام على الصخرة بيعة لا
تترزعزع وبنار الهيكل ليس يوسع احد انهاضه اي لا احد يمكن له ان يتفوض ما اقامه
الرب ولا احد يمكن له ان يقيم ما قوضه

وليدعنا الان اورشليم والهيكل ونزفون الى الشعب نفسه الذي كان اثماً
هيكل الرب الحي واصبح الآن عرضة لغضبة ومن المتراربن اليهود اصبحوا اكثر
سفوطاً من هيكلهم ومدبرينهم لان روح الحق لم يبق بينهم وبطلت النبوة وبرحت المواعيد
التي كانوا يسندون عليها آمالهم ولم يبق شيء قائم في ذلك الشعب ولم يترك من البناء
حجر على حجر

وايقظ الان كيف سلموا نفوسهم الى المضلال والى اية درجة انصلوا فكان المسيح
قد قال لم انا اتيت باسم ابي فلم تقبلوني وان اتى اخر باسم نفسه قبلتموه فنبذ ذلك
الحين استولى عليهم النشل حتى انهم صاروا متأهين ان يسلموا انفسهم لانه لم يكنهم
ان الانبياء الكاذبة سلموا المدينة الى فيغوس فان اليهود واصل ابايهم من اليهودية
طردهم منها لان حريم لاورشليم حمل كثيرين منهم على ان يتخذوا ميثاوي في ارسومها
العافية وهاك مسجاً اخر دجالاً ياتي ويثبت خرايم لانه بعد ان مضى على افتتاح اورشليم
خمسون سنة شرع برخوخياش المرذول اللص الجرم يقول في الهيكل نفسه الذي مات فيه
مخلصنا انه كوكب يعقوب المذكور في سفر العدد لان معنى اسمي ابن كوكب ويقدم
للهمود كانه المسيح ففتنا اثره اكياش اشهر الريانيين وكل الذين يدعومهم اليهود جميعهم
ودخلوا في حزب هذا الرجل دون ان يبت لبدبهم عازمة تدل على يعقوب غير ان اكياش
كان يقول لم ان المسيح لا يلبث الا ان يبدو وقام اليهود مع كل الدولة الرومانية
وانجازوا الى يرخوخياش الذي كان يعدم ملك العالم فقتل ادرمانوس معهم نجوا من
سجاية الف ووضع على عوانتهم نير العبودية ونظام من اليهودية نهباً موبداً ومن ذا
الذي لا يدري ان روح التكذيب قد استولى على قلوبهم فانهم لم يقبلوا محبة الحق

والخلاص ولذلك يبعث اليهم الله بعمال الضلال حتى يصدقوا الكذب فهمما كان
 الغش فانه كان كافياً لخداعهم فقال في هذه الايام احد منافقي الشرق عن نفسه انه
 المسيح فاخذ اليهود بمجنون حوله وشهدناهم في ايطاليا وهولاندا والمانيا وماس بتأهبون
 لبيعوا امتعتهم ويتركوا كل شيء ويتبعوه وفكروا حالاً انهم مزمعون ان يستولوا على
 العالم لما بلغهم ان مسيحيهم أسلم وترك دين موسى

الفصل الثالث والعشرون

في ضلال اليهود النابع لما انف وكيفية تعبيرهم عن الانبياء

لا تعجب من سقوط اليهود في هذه الغرة ولا من تشعبهم في هذه العاصفة بعد ان
 جتفوا عن طريقهم فمذه الطريق كانت قد رسمت لهم في النبوءات ولا سيما في النبوءات
 التي كانت توعد الى وقت ماني المسيح فشدوا هذا الان بمر دون نتيجة ولهذا تراه
 وقتئذ جاتحين الى الافك مزورين عن الطريق

ايذن لي هنيئة كي ارفع لديك تسلسل غرهم وكل كدحهم في ولوج الحق وان
 الطريق التي يضل بها تنصل بالطريق العظمى واذا اعتبرنا ذلك من حيث ابتداء
 الضلال امكن لنا السعي في الطريق المستقيمة بكل تأكيد

فقد راينا ياسيدي ان قد يوجد نوعان تبيينان لليهود وقت ماني المسيح وهما نبوة
 يعقوب ونبوة دانيال وكلتاها تشير الى آثار ملكة يهوذا في وقت جيئة المسيح الا ان
 دانيال يبين ان دثار هذه الملكة التام سوف يكون ناتجاً عن موت المسيح وقال
 يعقوب بنوع صريح ان المسيح الذي يكون رجاء للامم اي مخلصاً لهم ياتي وقت سقوط
 ملك يهوذا ويقم له ملكة جديدة لا تكون مولفة من شعب واحد بل من كل شعوب
 الارض وان كلام هذه النبوة لا يمكن ان يخرج لغبر معنى ويتبع تعبيره من تقليد اليهود
 الثابت بهذا الخصوص

ومن ذلك نعيم الاعتقاد الذائع بين الربانيين الاقدمين والمذكور ايضاً في التلمود
 وهو انه في الوقت الذي ياتي فيه المسيح يبطل وجود النضاة اي انه لاشيء اهم عندهم
 لمعرفة مجيئ المسيح من ملاحظة وقت سقوطهم في هذه امالة العيسة التي ذكرناها

وحقيقة الامران بداءتهم كانت حسنة. ولولم تكن افكارهم منتهكة بالعظمة الدنوية لما كان امكن لهم ان يجهلوا المسيح الذي كانوا يخالونه بسلطته كمنه حتى يشتركوا بملكه فالركن الذي وضعوه كان مقرراً حالاً عندما جاز هيرودس الاول وحدث التغيير في حالة مملكة اليهود ابان لم وقت سقوطهم المرسوم في النبوءات فلم يكن عندهم من ريب في محيى المسيح وفي ظهور هذه المملكة الجديدة لانه كان مزعماً ان يجد فيها كل الامم وما تقرر لديهم صريحاً ان قد نزع منهم كل سلطان بالموت والحياة وهذا كان لديهم تغييراً عظيماً لانه قد كان محفوظاً لهم دائماً الى غاية ذاك الحين مهما كان السلطان الذي رخصوا له حتى انهم في بابل في اثناء سبائهم لم يبرحوا مستولين عليه وما يبين ذلك تاريخ سوسان. وهذا كان تقليداً ثابتاً عندهم وقد نبذ ملوك فارس الذين اتنوه الى اوطانهم هذا السلطان بموجب اوامر خاصة قد لاحظناها في محملها وقد ذكرنا ايضاً ان الملوك السلوسيديين قد ضاعفوا هذا التمييز وما انقصوه ولا حاجة هنا لتذكر ثانية ملك المكابيين لان اليهود قد عنقوا واصبحوا اشداء ورهبة في قلوب اعدائهم وقد اكفى بومبايوس الذي اوتهم كما ذكرنا انما ان يفرض عليهم جزية ويجعلهم بحالة تمكن الشعب الروماني ان يتصرف فيهم لدى الافتضاء كما يشاء. ولذلك قد ترك لهم ملكهم وابقى له كل سلطته ومن البين ايضاً لدى الجميع ان الرومانيين كانوا يتصرفون هكذا وكانوا لا يسمون الحكومة الداخلية في البلاد التي كانوا يتركون فيها ملوكها الوطنية

وغاية الامران اليهود انفسهم يذعنون انهم فقدوا هذا السلطان بالموت والحياة اربعين عاماً فقط قبل دثار الهيكل الاخبار ولا ريب ان هيرودس هو اول من اضرب بحربتهم رجاء ان ينقم من مجلس السنداران لانه اضطر هو نفسه ان يتحاكم فيه قبل ان يصير ملكاً. ثم لكي يجمع اليه كل سلطة اخذ يقوض هذه الجمعية التي كانت كجمعية المشايخ المشبه من موسى وكجلس مشورة الشعب الدائم اذ كان يجري السلطان العالمي. فمن ثم فقد هذا المجلس رويداً سلطانه حتى انه اضاعه تقريباً عند محيى المسيح الى العالم فصارت الاحوال سيئة جداً في عهد اولاد هيرودس لما صارت مملكة اركيلاوس التي كانت حاضرتها اورشليم تحت ولاية معتدين من قبل ملوك رومية. وفي هذه الحال السيئة لم يبق لليهود ادنى سلطان في الموت والحياة حتى انهم اضطروا الى ان يلجئوا الى ييلاطوس ليمتوا يسوع المسيح الذي كانوا يرغبون في موته في اية حالة كانت ولما

او عز اليهم هذا الوالي الواهن ان يقتلوه ثم انفسهم اجابوه بصوت واحد لا يسوغ ان نيت احدا

ولهذا قتلوا يعقوب اخا يوحنا بوساطة هيرودوس والثوا ايضا القديس بطرس في السجن . ولما ازمعوا على موت القديس بولس اسلموه للرومانيين كما صنعوا بيشوع المسيح . واما نذر ذوي الغيرة الكاذبة (اي الذين آلموا على نفوسهم ان لا ياكلوا ولا يشربوا حتى يقتلوا الرسول) فيدل على انهم كانوا موقنين بهبوط سلطانهم ليقتلوه شرعاً وان يكونوا قد رجوا القديس اسطفانوس بالحجارة فذلك كان ناجماً عن ثورة لم يمكن للرومانيين التمكن من ردعها لان المؤججين تلك الثورات كانوا من المدعويين بذوي الغيرة

وبناءً عليه اصبح من الشؤون المثبتة من المؤرخين ومن اقرار اليهود واحوالهم ان فتور وقت ما تى المسيح ولا سيما لما شرع يبشر بالنجاة كان اليهود قد فقدوا السلطة الزمنية وما امكن لهم ان يشاهدوا فقد هذا السلطان الابتذكرون نبوة يعقوب التي كانت تنذرهم ان في زمان المسيح لا يبقى بينهم سلطة ولا قضاء ولا سلطان . وقد لاحظ احد مؤرخهم الاقدمين هذا الامر واقر ان الصولجان قد خرج من يهودا ولم تبق السلطة بايدي مشايخ الشعب لان السلطان العام نزع منهم وهبط مجلس السنداران ولم يستمر اعضاؤه يعتبرون كقضاة بل كعلمين وهكذا قد حان الان حسب اعتقادهم لمجيء المسيح . وبما انهم كانوا يشاهدون هذه العلامات المقررة لما تى المسيح الملك الجديد الذي يتدلوا ملكه فوق سائر الامم فكروا بالحقيقة انه مزعج ان باتى فشاع النبأ عنه في البلدان الدانية وكدوا في الشرق كله ان سوف يخرج من اليهودية من يملك الارض عن قريب . وذكر ناسيت وسباتون هذه الاشاعة المستندة على آراء مقررة ونبوة قديمة في كتب اليهود المتدسة وذكر يوسيفوس هذه النبوة بالحرف الواحد وقال ايضا مثاهم انها في الكتب المتدسة ولا ريب ان اعتبار هذه الكتب كان عظيماً جداً في الشرق لان قد شوهد مراراً عديدة ان ما تنبأوا به كان قد تم بانواع مختلفة وظروف متباينة وان اليهود كانوا متيقظين اكثر من غيرهم ليراعوا هذه الحوادث التي كتبت لتعليمهم ولهذا قد عرفوا زمان ما تى المسيح الذي او عز اليه يعقوب وحده بسقوطهم وهكذا ملاحظاتهم بشأن حالتهم كانت موقفة ولم يزهقوا زمان ما تى المسيح بل

عرفوا انه مزعم ان يأتي في الوقت الذي اني به بالحقيقة . ولكن باللعجب من ضعف
البشر وتكبرهم للذين سبوا جملهم النطع . فاختى تواضع المخلص عن هؤلاء المتكبرين
العظمة الحقة التي كان يلزمهم ان يحدوها في المسيح بل انهم كانوا يرغبون في ان يكون
ملكاً كملوك الارض ولهذا قال مداهنوا هيرودس الاول انه هو نفسه الملك الموعود
به لليهود لانهم كانوا في دهشة من عظمة هذا الملك وفخه لانه اغنى اليهودية ولو كان
جائراً وهذا ايضا مما سبب بدعة الهيروديين المذكورة في الانجيل مراراً وعند الوثنيين
انفسهم لان الشاعر بروس وشارخ اشعاره يخبراننا ان الاناس كانوا يحتفلون في اليهودية
ميلاد هيرودس الملك كما كانوا يحتفلون نهار السبت وذلك كان في زمان نيرون
ايضاً

وقد سقط في هذا الخطاء عنه ايضاً يوسيفوس المؤرخ فان هذا الرجل العالم
بالنبوءات كما يقول عن نفسه اذ كان كاهناً ومن اخلاف الكهنة انه درى بمجي هذا
الملك الموعود به يعقوب وان ذاك المهي كان يقارن لوقت هيرودس لانه يبين لنا
بكل اعتناء دثار اليهود البين ولكن بما انه لم يبر في امتد شيئاً يوافق افكاره ذات المطامع
كما ظن في المسيح اخروقت النبوة ونماها لوي سبازيانوس مؤكداً ان هذه النبوة تدل
على هذا الملك الذي صار امبراطوراً في اليهودية .

وعلى ذلك كان يعاكس معنى الكتاب الاقدس ليوطد ذهانة فياله من اعمه
البصيرة فقد ودان ينقل امل يعقوب ويهوذا الى الامم ويطلب يوسبازيانوس ابن
ابراهيم وداود وبني لملك وثي من هو مزعم ان ينير العالم وينقذهم من الاصنام
وكانت ظروف الزمان تقوم بناصره ولكن فيما كان يثني يوسبازيانوس ما قاله
يعقوب عن المسيح كان ذوو الغيرة الذابون عن اورشليم ينسبون ذلك اليهم وبالنبوءة
على هذا المبدأ وحده كانوا يعدون تقوسهم بملك العالم وبويد ذلك يوسيفوس وبهذا
كانوا ارض منة لانهم كانوا لم يحالوا امهم قضد ان يطلبوا تقيم المواعيد التي اعطي
آباءهم اياها .

فلماذا لم يتفخوا عيونهم عند سماعهم هذه الاشاعة العظي التي كانت تفرع اذانهم لما شرع
الرسول يندرون الامم بالانجيل ويشيدون ملك المسيح في كل الارض
واية مملكتهم اعز من هذه المملكة فانها تنبض على زمام التقوى ويتصر بها الحق

على الاصنام وببشر بها بالحياة الازلية للامم الضليلة وان مملكة القياصرة لم تكن سوى زهاء باطل بالنسبة لهذه المملكة الخفية. بيد انهم لم يكن لهذا الملك الزهو الكافي لدى اعيان العالم.

فيجب على المرء ان يقتضي عنه الافتخار البشري ليعرف المسيح. ومن الثابت ان اليهود كانوا يعرفون الزمن ويرون الشعوب المدعويين لاله ابراهيم بيسوع المسيح وتلاميذه حسب نبوة يعقوب ومع ذلك لم يعرفوا هذا المسيح العلن لم يجمع الادلة ولوانه ثبت ارسالته في ملك حياته وبعد موته بكل انواع العجائب فجمده هؤلاء العميان لانه لم يبدُ به الا العظمة العارية عن كل الظواهر التي توثر في الحواس ولانه كان آتيا لفتح مطاعمهم لا للقيام بناصرها.

ومع ذلك كانت الظروف والحوادث تقسرم على ان يخالوا احيانا اوهاهم قسرا عن فهم قلوبهم. وكانت الاشياء تعد بظهور المسيح في وقت السيد لانه العزة جنى انهم فكروا ان يوحنا المعمدان يكون هو المسيح لانه ادهشهم بعيشته الفسفة والخارقة العادة والعجيبة وبدا انهم اكتفوا بزهو هذه الحياة العجيبة لانهم لم يجدوا عظمة العالم كلما كانوا يطلبون واما حياة المسيح البسيطة والاعتيادية فكانت تجعل هذه العنول الساذجة والمتزاهية تائف منه لانهم لم يكونوا يتاثرون الا ما يورث في حواسهم. وخلا ذلك فيما انهم كانوا قاصين عن كل ما يؤول الى ارتدادهم الحقيقي لم يشاءوا ان يعجبوا الا ما يعتبرونه امرا لا يقتدى به. وبناء عليه لم يثقلوا بيوحنا المعمدان الذي فكروا ان يكون مستاهلا ان يكون المسيح لما هداهم الى المسيح الحقيقي. واما المسيح الحق الذي كان يقسرم على اقتفاء اثره عند وثوقهم به بدا لديهم دينيا جدا لدن تستنهم به

وبناء على ذلك التصور الذي قام باعبائه اليهود لدى بدو المسيح في تلك الاثناء كان عزيزا جدا حتى ان ذلك استمر فيما بينهم اكثر من عصره فخالوا ان نشأة النبوات لا بد لها من سعة. ولا يقتضي ان تكون محصورة في معنى مفرر ولذلك لم يكن يفهم بينهم ملك فخر من مائة سنة الا عن المسيحيين الافاكين الذين كان القوم يفتونهم او عن الانبياء الافاكة الذين كانوا يندرونهم. ولم ير شي يضا في ذلك في الاجيال الماضية ولم يغالي اليهود باستعمال اسم المسيح الى وقت ان كان يهودا المكابي ينفوز بالظالم نظير عظيم او وقت كان اخوه سمعان يعنهم من نير عبودية الامم او وقت ان كان

هيراكان الاول بفتح البلاد مقدراً عظيماً لان الوقت وهذه الأدلة لم تكن بموافقة واخذوا في وقت المسيح يتكلمون عن كل هؤلاء المسحاء واما السامريون الذين كانوا يطالعون في خمسة اسفار موسى نبوة يعقوب اتخذوا لم كاليهود مسحاء لانه بعد ان تقدم على ماتي المسيح زمن قصير اذنفوا اثر المبتدع دوزيته

وسمى الساحر الذي هو من تلك البلاد كان يزعم ايضاً انه ابن الله وكان يدي تلميذه مناندرانه مخلص العالم وكانت الامراة السامرية تعتقد منذ ايام يسوع المسيح انه سوف ياتي لانه كان مقرراً لدى الشعب وكل من يقرأ نبوة يعقوب ان المسيح مزعج ان يبدو لدى احوال كذلك

ولما مضى الزمن وشق عليهم ان ينتظروا امراً عرف اليهود بالاخبار ان المسحاء طراً الذين تباينوا لم يكن منهم الاّ بنقذوم فقط من مشاقهم بل انهم ثقلوا عليهم فطال عليهم الزمن حيثئذ دون ان يبدو بينهم مسحاء حديثاً . واما برخوخيباس فهو آخر من اقرؤا بارساليته في بداية الاعصار المسيحية الا ان التأثير القديم لم يبرج تماماً وبدلاً من ان يعتقدوا بظهور المسيح كما فعلوا في اياك الملك ادريانوس اخذوا يتفوهون في عهد خلفائهم الانطونيين ان المسيح بارز في العالم لكنه لم يبد للعيان لانه منتظر اليها النبي ليكرسه وذاك القول كان ذاتاً بينهم في ايام جوستينيانوس . وقد نرى في التلمود تعليماً آخر اقترحه اقدم علمائهم فانه يقول ان المسيح قد اتي حسبما قال الانبيا لكنه متوار في رومية بين المتكدين ذوي المسكة

يبدأ ان هذا الوهم لم يزل لدى العقول قبولاً وقد اترم اليهود ان يقرأوا ان المسيح لم يات في الوقت الذي كان يحق لهم ان ينتظروه فيه حسب النبوات القديمة فهبطوا الى لجة اخرى واشكوا ان ينتظروا من ماته لتقدم الزمن على وقته وقد اقتفى الكثير منهم قول احد الربانيين المشهورين المحفوظ في التلمود فانه لما رأى ان الوقت قد مضى قضى على ان الاسرائيليين لم يعد لهم ان ينتظروا المسيح لانه قد بعث اليهم بمثال حزقيال الملك وحقيقة الامر ان هذا الرأي لم يكن لدى اليهود سديداً بل كان عندهم مكروهاً لسكن . لما تعمس عليهم ان يعرفوا الاوقات التي عينتها الانبياء ولم يمكن لهم ان يتخلصوا من حباله تلك الورطة اعتمدوا تلك الالفاظ التي في التلمود واتخذوها كنفاعة لاعتمادهم وهي : ان كل اجل معين لماتي المسيح قد اصبح فارطاً وبناء عليه ان كل

من بعين زمن مجيئه يصح ملعوناً ومثل ذلك مثل سفينة ماخرة في اليم اجتنها الرمح
عن تسارها المستقيم فنقط الرمان من سلامتها فيترك حينئذ الامور تجري في اعتنا
ويدع التفادير تسري حسب هواها

ومنذ ذاك الحين امتطوا غارب الجهد ليلغوا النبوءات التي تعين وقت مجي
المسيح ولذلك لم تصفق وجوههم من ملاشاة تقليدات ابائهم وكل ذلك من دأبهم اذا
استمروا على نزع هذه النبوءات من ايدي المسيحيين

وقد افضى بهم الامر الى ان قالوا ان مغزى نبوة يعقوب ليس منوطاً بالمسيح واما
كتبهم القديمة فتقيم على قولهم هذا انكبراً فان التلمود يعزو هذه النبوة للمسيح وشرحنا
لمغزاها يطابق شرحهم الذي حازلديهم اكثر اعتباراً وذلك اننا نرى في تلك الكتب
هذه الالفاظ نفسها وهي ان اخلاف يعقوب وكل شعب اسرائيل سوف ينحصر في بيت
يهوذا ومملكة يهوذا ويخرج من هذا البيت قضاة وروساء الى ان ياتي المسيح ويصير مملكة
جديدة موهبة من كل الشعوب

وذلك ما كان يشهد به امام اليهود في بداعة الاجيال المسيحية اعلامهم الذين
ذهب صيتهم بالشهرة والاعتبار فيما بينهم وعسر عليهم ان يلغوا بغتة هذه التقاليد المقررة
ولهذا لم يجترئ اليهود على ان ينكروا ان نبوة يعقوب منوطة بالمسيح ولو كانوا قد
انكروا انها تطابق لما ناه ولم يركبوا متن تلك الجراءة الا بعد ان مضى على ماتي المسيح
زمن طويل يوم كان المسيحيون يضيقون عليهم بالجدال وكانوا قد رأوا ان تقليداتهم
نفسها تحدى بهم شزراً

واما نبوة دانيال فكانت تحصر مجي المسيح في حيز اربعماية وتسعين سنة منذ السنة
العشرين لحكم ارتخشستا ذي اليد الطويلة

ولما كان هذا الحيز ينتهي في سنة اربعة الاف للعالم كان لليهود تقليد قديم وهو ان
المسيح سوف يبدو نحو آخر سنة اربعة الآلاف للعالم ونحو الفين سنة بعد ابراهيم ودليل
ذلك ان رجلاً عظيماً شهيراً لدى اليهود يدعى اليا غيراليا النبي علم ذلك قبل ميلاد
المسيح ولم يبرح تعليمه محفوظاً في التلمود .

فقد رأيت ياسيدي ان هذا الاجل قد تم بمجيء مخلصنا لانه بدا بالحقيقة نحو الفين
عاماً بعد ابراهيم واربعة الاف عاماً للعالم ومع هذا كله فلم يعرف به اليهود . ولما حبطت

آمالهم زعموا ان آثامهم قد اُخترت مجي المسيح الذي كان مزماً ان ياتي ومنطوق التاريخ
مقرر بنفس اقرارهم فما اصفى اوجههم واجهلهم فانهم قد علقوا بارادة البشر حلول
اجل عينه الرب صريحاً في نبوة دانيال

ومن المشاكل التي تعرفل اليهود ان دانيال برثي ان وقت مجيء المسيح يكون قبل
دثار اورشليم وبناء عليه فلما تم هذا الحادث الاخير اقبضي ان يكون الحادث المزمع
ان يتقدمه قد تم ايضاً

فجفف يوسيفوس عن جادة الصواب وذلك قد حسب جيداً الاسابيع التي تأتي
بعدها دثار اورشليم ولما رأى حلول هذا الحين اذ اقام فيغوس الحصار حول اورشليم
ذعب عنه الريب في حلول الوقت لذار هذه المدينة يده انه لم يعتبر ان هذا
الذار اقبضي ان يتقدمه مجيء المسيح وموته وبناء عليه لم يتنهم الا نصف النبوة

واما اليهود الذين عتبه فارادوا ان يصلحوا هذا الخطا فاعتدوا رجلاً من نسل
هيرودس يدعى اغريبيا كان الرومانيون قد امانوه قبل دثار اورشليم بقليل من
الزمن وزعموا انه المسيح ولما علموا انه ملك ابقنوا انه المسيح المذكور في نبوة دانيال النبي
لكن ذلك دليل عمه بصائرهم اذ من الحال ان يكون اغريبيا هو الصديق وقديس
التيديسين وانتماء النبوات كما كان مزماً ان يكون المسيح الذين تنبأ عنه دانيال وخلا
ذلك فان موت اغريبيا الذي كان اليهود ابرياء منه لا يمكن ان يكون موت المسيح المذكور
في دانيال . فبناء عليه ان ما يزعمون ليس سوى افاصيص فارغة . فان اغريبيا الذي هو
من ذرية هيرودس لم يبرح ان يكون من حزب الرومانيين وقد نظر اليه ملوكهم بعين
الرعاية والرفق ولذلك قد تولي الامرة زمناً مديداً في احدى مناطعات اليهودية بعد
افتتاح اورشليم كما يشهد بذلك يوسيفوس ومعاصروه

وعلى هذا ان كل ما يقترحه اليهود لبطلان هذه النبوة بشمول تخريبهم وهم انفسهم
لا يتقنون بهذه التخيلات السخية وان امن مجن لدفعهم هو في المبدأ الذي اعتدوه ان
لا يحسبوا ايام المسيح وبهذا تمش عيونهم عن الحق اختيارياً . وينكرون النبوات
حيث الروح القدس نفسه قد حسب السنين ولكن في اثناء ما هم ينكرونها اصبحوا
بتمهونها وبينون حقيقة منطوق هذه النبوات عن عمه قلوبهم وهبوطهم
فليبين على النبوات كل ما يشاءون وقصارى الكلام ان دثارهم

الذي اوعزت اليه قد تم في الوقت المعين والحوادث اقوى من كل تنقيرهم فانه لول
يأت المسح في هذه الاحوال السيئة لكان الانبياء الذين يثقون بهم قد خالوهم وخادعهم

الفصل الرابع والعشرون

في ظروف ذات بال هتمت وقت سقوط اليهود وفي تفاسيرهم الفاسدة
يقضي ياسيدي ان نلاحظ امرين طرأ وقت هبوط اليهود ووقت مجيء المسيح
وذلك لتتميم الفحاهم . الامر الاول ان وراثة الكهنوت التي استمرت لابنة منذ هارون
قد انتهت وقتئذ والثاني ان التمييز في الاسباط والعيال المرعي الى ذاك الحين قد بطل
حينئذ كما يقررون انفسهم .

وذلك لان هذا التمييز كان امراً ضرورياً الى وقت ما أتى المسيح اذ كان يقضي ان
يخرج من نسل لاوي خدمة للآواني المقدسة ومن نسل هارون الكهنة والاحبار ومن
نسل يهوذا المسيح نفسه فلو كان هذا التمييز لم يلبث الى وقت دثار اورشليم وما أتى المسيح
لكانت ذبائح اليهود الغيت قبل حينها وحبطت آمال داود وانحط مجده بان يدعى
بابي المسيح لكن لما بدأ المسيح شرع به الكهنوت الحديث حسب رتبة ملكيصادق وبدأ
الملك الجديد الذي ليس من هذا العالم فلم يكن حينئذ يفتقر الى هارون ولا الى لاوي
ويهوذا وداود واخلافهم . ومن الثابت ان هارون لم يكن مقتضياً في الوقت الذي تلغى
فيه الذبائح حسب دانيال وكان داود وبيته ائتما ما فرض عليهما لما خرج منها المسيح
ابن الله وكان اليهود انفسهم سجدوا املمهم مشوا في هذا الوقت عينة ارث العيال الذي
دعوه الى غاية ذاك الابان بكل عناية واحترام ديني .

وليس من دأبنا ان نضرب هنا صفحاً عن احدا دلة مجيء المسيح الذي هو ام واخص
لوا دركنا ذلك وان كان لدى اليهود موضوع العثرة والكراهية وهو مغفرة الآثام باسم
مخلص متألم منخفض الجناح راضخ الى الموت وكان دانيال قد اوعز في الاسابيع الى هذه
السبة السرية التي راعيناها حيث كان المسيح مزماً ان يقتل ويقرر الميعاد بموته وتنفذ
قوة الذبائح القديمة وان احرزنا نبوة دانيال الى النبوة اشعبا نرى ذاك المعنى نفسه
لانا سنرى انه رجل الاوجاع وحامل خطايا الشعب وقدم حياته لاجل الخطايا

وشفينا نحن بقرحه . فاقم عينيك ايها المجاهد وانظر اليس باسم يسوع المسيح المصلوب
 لشرك بمغفرة خطاياك ومن ذا الذي فكر ابدأ بهذا السرو من ذا غير المسيح من يزعم
 بمحو الخطايا بدمه ان كان مقدماً عليه او متأخراً هل اسلم ذاته عنوة للصلب ليحصل على
 فخر باطل ويتم هذه النبوة الماثلة فلذلك يلزمك الصمت وان تحرم متعباً لهذا التعليم
 السامي الذي هو في الانجيل اذ لا يمكن ان يخطر في فكر انسان لو لم يكن حقاً .

فارتباك اليهود من هذا القبول عظيم جداً لانهم يرون في كتبهم آيات كثيرة
 توعد الى آلام المسيح ولكن كيف يتعبر عن الآيات التي تشف عن مجده وانتصاره

فحل هذا المشكل هو ان يتصل الى الانتصار بالامتحان وينال المجد بالآلام لكن
 ما لا يتصدق هو ان اليهود لبوا يعتقدون بمسحاء وذلك لاننا نرى التلمود وكتباً
 اخرى قديمة تضاهيه انهم ينتظرون مسيحاً معذباً ومسيحاً مجيداً الاول مات وقام
 من الموت والثاني لا يزال سعيداً مغبوطاً مظفراً الاول توافقته كل الآيات التي توعد الى
 الوهن والضعف والثاني تليق به الآيات التي تشير الى الفخر والعظمة الاول ابن يوسف
 اذ لم يمكن لم ان ينكروا صفات يسوع المسيح والثاني ابن داود بيد انهم لم يشاؤوا ان
 يتنهموا ان المسيح ابن داود يقتضي له ان يجرع من الوادي قبل ان ينمض راسه اي يقتضي
 ان يتالم قبل ان يتظفر كما يقول هو نفسه : يا قليلي النهم وبطيئي القلب في الايمان بكل
 ما نطقتم به الانبياء اما كان ينبغي للمسيح ان يتالم هذه الآلام ثم يدخل الى مجده

وفضلاً عن ذلك فاننا لو عزمنا للمسيح هذه الآية حيث اشبعنا يعرب لنا عن رجل
 الاوجاع مضروباً كالابرص بخطايانا لكان ذلك باستنادنا على تقليد اليهود القديم
 والتقليدات الحديثة لانه قسراً عن اوهامهم يرى في التلمود فصل بين لنا ان هذا
 الابرص المثل بخطايا الشعب هو المسيح نفسه لان اوجاع المسيح المسبية عن خطايانا
 المذكورة في الفصل هذا وفي اسفار اليهود الاخرى ويذكر ايضاً مراراً دخوله المجيد
 والمتواضع الى اورشليم راكباً اناً وتنسب اليه نبوة زكريا المشهورة . فلا ي امر يشكي منه
 اليهود فان كل شيء كان قد تصرح لديهم جلياً بانبيائهم لان تقليداتهم القديمة قد
 رعت الشرح الطبيعي لهذه النبوءات المشهورة ولا شيء احق من هذا التفسير الذي
 كان يؤمن به المخلص قائلاً . اذا كان المساء قلتم صحو لان السماء ممتلئة كالحة .

اقتنعون ان تميزوا وجه السماء وعلامات الازمنة لا تستطيعون ان تعرفوها

فبينم من ذلك ان اليهود قد قضوا صواباً اذ قالوا ان وقت ماني المسيح قد عبر
لان يهوذا لم تلبت مملكة ولا شعباً وان الشعوب الاخرى اذعنوا بالمسيح المزمع ان يرسل
وان يسوع المسيح قد بدا لدى الامم وبهذه العلامة تقاطروا الى ال ابراهيم وامتدت
بركة هذا الاب في كل الارض وانه بشر برجل الاوجاع وغفران الخطايا المهد بموته
ومضت كل الاسابيع وتم خراب الهيكل والشعب عفاباً لموت يسوع الصديق ونهاية
الامر ان قد ظهر المسيح بكل الصفات المعزوة اليه بتقليدات اليهود واحاديثهم ولم يبق
لهم عذر على عدم ايمانهم .

ولهذا نرى منذ ذاك الحين كل ادلة ردلهم التي لاريب فيها لانهم استمروا منذ زمان
المسيح على ان يبطوا من يوم الى اخر خائضين في لجة الجهل والشقا لا يخرجهم من
تلك الورطة الا شدة مشاقهم وروعهم بتكاثر سقوطهم في الضلال وبالاخرى تنقذهم جودة
الرب وحدها لما باقي الوقت المهد بحكمته تعالى ليعافهم على حجبهم ويقبح تكبرهم ومع
ذلك لم يزلوا سخرية لدى الامم وكراهية عندهم دون ان هذا الاسر الطويل
يحلمهم على ان يؤثروا الى نفوسهم ويتبصروا في حالهم ولو كانت هذه الحملة كافية
لان نفعهم .

لانه قد يمكن لنا ان نخطبهم بما فاه به النديس ابرونيوس وهو ما ذا تنتظروا ايها
اليهودي الضليل قد اقترفت من الجرائر كثيراً في عهد القضاة وصيرتكم عبادتكم
للاصنام عبداً للامم المجاورة لكننا الرب رأفك ولم يبطو من ان يبعث اليك بمقتذك
فضاعفت للاوثان عبادتكم في عهد الملوك واما الانم الذي هويت به في ايام احاز
ومنسى فلم يعاقبك الرب عليه الا بالسبأ سبعين عاماً فاني حينئذ قورش واعاد اليك
وطنك وهيكلك وذبائحك ثم بهظلك في زمان ويسباريانوس ونيغوس ثم شعث شملك
ادريانوس خمسين عاماً بعد ذلك ولقد مضى عليك اربعة سنة وانت رازح تحت
اوقار العبودية . فذلك ما كان يقوله ابرونيوس فقد تعزز هذا البرهان لانه اضاف
اليه الف وخمسة سنة على دثار اليهود فلنقل له اذا بدلاً من الاربعاءة عام ان من
تسعة عشر جيلاً لم يبرح دثارهم وسباوهم دون ان ينزحج عن عواقبهم نير الاسترقاق .
فاذا صنعت يا ايها الشعب المجاهد المتعبد لكل الشعوب وكل الملوك دون ان تؤدي
للالهة الغريبة خدمة فكيف نسبك الرب الذي اصطفاك والى ابن ذهبت رحمة

القديمة فاي اثم واية جريفة اعظم من عبادة الاوثان التي تنزل عليك عقاباً لا يمكن لها ان تخلصك منه انصبت لا يمكن لك ان تدرك ما هي الجريفة التي تنقي عنك شفقة بارتك تذكر كلام ابائك القائلين فايكن دمه علينا وعلى اولادنا وايضاً ليس لنا ملك سوى قيصر. نعم ان المسيح لا يصبر لك ملكاً ارفع جيداً ما اصطفيه امكث عبداً للقيصر وسائر الملوك حتى يدخل ملء الامم وبذلك يخلص كل اسرائيل

الفصل الخامس والعشرون

في بعض ملاحظات منوطة بارتداد الامم وعمق مقاصد الرب الذي اراد ان يردهم اليه بصليب يسوع المسيح وبرهانات مار بولس في كيفية ارتدادهم على هذا النمط

ان ارتداد الامم كان امراً ثانوياً ينفذي حدوثه في وقت مجيء المسيح ودليلاً صريحاً على ما ناه فقد نوهنا كيف تنبأ الانبياء عن ذلك وباية صراحة كان ذلك وقد تحققت كل مواعيدهم في زمان الخلاص ومن المقرر ان ذلك قد تم في حينه لا قبلاً ولا بعداً وايضاً ان اثني عشر صياداً بعث بهم يسوع المسيح بعد ان شاهدوا نبوذة من الموت ليهودي الامم وهذا العمل الماثور لم يستطع الفلاسفة ولا الانبياء ولا الشعب اليهودي الذي كان تحت اكفاف حماية الرب ومعصما بناموسه وذلك لان ارتداد الامم لم يكن معرضاً لعمل الفلاسفة والانبياء بل كان منوطاً بالمسيح وهو ثمة صليبه

وقصارى الامر ان المسيح ورسله اقضى ان يخرجوا من اليهود وان بداعة انتشار الانجيل تكون من اورشليم وكما قال اشعيا . يكون في اخر الايام جبل بيت الرب مستعداً في رؤوس الجبال وهذا هو البيعة المسيحية وتجتمع اليه شعوب كثيرة ويغالي الرب وحده في ذلك اليوم والاصنام تنسحق البتة

واما اشعيا الذي رأى كل تلك الامور فقد رأى في الوقت نفسه ان الناموس الذي يقضي على الامم يخرج من صهيون وكلمة الرب المزمعة ان تصلح الشعوب تخرج من اورشليم وهذا ما بعث الخلاص على ان يقول ان الخلاص من اليهود وقد كان من الموافقة

ان النور الجديد المزروع ان يبر الام الخائضة في عباب الجهالة يند في كل الامصار
 من الممكن حيث كان لا يبرح فيه الى غاية ذاك المحين . وقد كانت الام مزمنة ان
 تبارك وتقدس يسوع المسيح ابن داود وابراهيم وقد لاحظنا ذلك مراراً جمّة بيد اننا
 لم نلاحظ العلة التي بها كان يسوع متكبدًا غوائل الصلب والعذاب وحده متقدّمًا
 للام وظاهرًا على الاصنام . ففسر لنا القديس بولس هذا السر العظيم في الفصل الاول
 من رسالته الى اهل قورنتية فمن الشومون الخطيعة ان تنفهم هذا الكلام من اوله لانه قال
 لان المسيح لم يرسلني لاعمد بل لبشر لا بحكمة الكلام لئلا يبطل صليب المسيح فان كلمة
 الهالكن جهالة واما عندنا نحن المخلصين فهي قوة الله لانه قد كتب سايد حكمة الحكماء
 وارذل عقل العلاء فاين الحاكم واين الكاتب واين فاحص هذا الدر اليس الله قد
 جهل حكمة هذا العالم . فلا ريب في ذلك اذ لم يمكن للانسان ان يتخلص من احبولة
 غرته فاذا كان العالم وهو في حكمة الله لم يعرف الله بالبرهان فتدبحمن لدى الله ان
 يتخذ الحكمة اي سر الصليب حث الحكمة البشرية لا يمكن لها ان تدرك شيئاً الا به ومن
 ما رب الحكمة الالهية العجيبة ان الله جعل الانسان في العالم حيث حكمة الخلق تبدو
 لديه كيف امال بصو بكل عظمتها وغناها ونظامها الكامل ومع ذلك لم يعرفه
 الانسان لان الخلاق التي كان ينفي ان تستنهض افكارنا الى العلاء قد اوفنتها واصبح
 الانسان الاعى عبداً بكل جهالة وخشونة ولم يكفوا ان يعبد عمل الرب بل افصى به
 الامر الى ان عبد عمل يديه وقد كان دينه متوقفاً على افاصيص ذات هز وسخرية
 كالافاصيص التي تداولها الصبية الاحداث فنجف عن الجادة التوبة وجعله الرب يساه
 بوجه اخر لان العمل الذي يؤول الى حكمته لم يوشرفه تاثيراً

فعرض عليه عمل اخر حيث عقله لا يحيط علماً وتعارى الفكر وليس ذلك الا صليب
 يسوع المسيح ولا يمكنه ان يدرك هذا السر بالبرهان بل باسر العقل تحت طاعة الايمان
 وهي قادرة على هدم الحصون فيهدم الآراء وكل علو يرتفع من معرفة الله

فاذا نفهم في هذا السر حيث الله المجد حامل العار والحكمة الالهية تعامل معاملة الجنون
 وحيث ذاك الثابت بعظمته الطبيعية لكنه اخلى ذاته اخذاً صورة عبداً صائراً في شبه
 البشر وموجوداً كبشر في الهيئة فوضع نفسه وصار يطيع حتى الموت موت الصليب . فمن
 ذلك تنبيل افكارنا وحسب قول القديس بولس لاشي اجهل من هذا الذي من لم

يكن منيراً من العلاء

فهاك الدواء الذي اعده الرب لشفاء داء عبادة الاصنام لانه كان يعرف عقل الانسان ويعلم انه لا يلاشي بالبرهان الضلال الذي لم يكن البرهان وضعه واضاليل تسقط بها مبرهين لان الانسان يرتك احياناً بقياس وبرهانه. اما عبادة الاوثان فقد نأت من علّة مناقضة لتلك لانها طرأت لدى ضعف الحكمة والقياس وتسلب الحواس التي كانت تؤيد او تجعل كل شيء من الصفات المتأثر بها وبهذا قد اصبح الالهة محسوسة مادية فكساها البشر هيئتهم واخجل من كل ذلك عيوبهم واهواءهم ولم يكن القياس له دخل في هذا الضلال المبين بل كان ذلك انقلاب الحكمة والصواب وتسلب الجنون والحق فان داولت رجلاً معتوهاً بالقياس او امالته الحكمة عن خطه الصواب ثارها ثجماً واستولى عليه الداء العياء فما عليك الا ان تعزز مزاجه وتكظم حنثه والخلق الذي يثر ذاك الثوران . وبناء على ذلك لا يتبرأ جنون عبادة الاصنام به فما الذي ناله الفلاسفة بخطهم النصيحة وانفاسهم السامية وبراهينهم السديدة فهل قوض افلاطون بنصائح المدعوة سماوية مذبجاً واحداً من مذايح هؤلاء الالهة الغريبة التي كانوا يعبدونها بل كان ذلك بعكس الامر فانه اقام هو ولاذته وكل حكماء الجيل مذبح للافك وزاغت عن الحق افكارهم واطلمت قلوبهم التي لا تفقه انهم اصبحوا جهالاً بعد القول عنهم انهم حكماء لانهم عبدوا الخلائق قسراً عن انوار عقولهم الطبيعية

افلا يحق لبولس الرسول ان يهتف بآية اخرى قائلاً : اين الحكماء واين المكتاتب واين فاحص هذا الدهر اليس الله هو الذي جهل حكمة هذا العالم . وهل امكن لهم ان يلغوا خرافات الوثنيين وهل فكروا ان قد ترتب عليهم ان يعارضوا علناً كل التجديف وقصارى الامر ان يتجنسوا الاعنات بل على الاقل الاهانة لتثبيت الحق ومع هذا فلم يقوموا بعبد ذلك بل انهم كتموا حق الله وتخذوه مبدأً يفتنونه وذلك انهم يفتنون بالشعب بالاشياء الدينية . ومن المقرر ان هذا الشعب الذي كانوا يافتنون منه اصبح مقدماً عليهم في امور خطيرة هي مسائل الدين اذ كان ييدي غاية الافتقار لكل نورهم .

فما اجدى بك اينها الفلسفة الم يقل الرسول ان الله يظهر جهالة حكمة هذا العالم ويبعد حكمة الحكماء ويرذل فهم الفهاء

وعلى هذا قد ابان الرب بالاخبار ان انقضاء عبادة الاصنام لا يتم بالبرهان
البشري ولم يستند عليه بشيء هذا الداء بل انه قد اتم ترذيله بسر الصليب وقد عالج
في الوقت نفسه الداء فنجع به الدواء فاستأصل علته .

فلو سرحنا طرف الطرف في عبادة الاوثان لرأيناها ناجمة عن نعلنا بذواتنا
وذلك ما بعثنا على ان نتخير لنا الهة تضاهينا ليست سوى بشر قد تعرضوا للشهوات
والوهن والمعائب وقد كان الامم يعبدون افكارهم ولذائذهم واهواءهم بهيئة الالهة الافاكة
اما يسوع المسيح فقد اوجنا في طريق جديد لان فاقته وعاره وصلبيه تجعله طرأ
مكروها لدى حواسنا وان افضى بنا الامر الى اتباعه اقضى ان نجالي نفوسنا ونبتذ كل
امر ظهرياً ونصلب لاجله كل شيء ومتى نعرف المرء من كل ما يبيلة اليه فساد يصير
اهلاً لان يعبد الرب وحقائقه الازلية المزمع حينئذ ان يفقوا كل فروضها

فلذلك ذلك تباد كل الاصنام والاوثان التي كانوا يتعبدونها على المذابح والتي
كانوا يسرونها في خزان الثلوب لان هذه قد اقامت تلك
ولقد كانوا يوردون العبادة للزهراء لان غرام الحواس كان مستولياً على الانسان
الذي كان يود سلطانه

واقم لباحوس مذابح لانه اله السرور وكان الانسان يطوح نفسه الى ملذات
الحواس ويقدم لها الذبائح لانها كانت لديه لذبة اكثر من معاقرة الزهر . فاني المسيح
بسر صليبه يرسخ في الثلوب محبة الآلام بدلاً من محبة اللذائذ فتبددت حينئذ الاصنام
التي كانوا يتعبدونها خارجاً لان التي كانوا يوردون لها العبادة داخلياً لم يبق لها من
الوجود لان ذوي الثلوب النقية يعابنون الله كما يقول المسيح نفسه .

ولم يبق الله يكدر في ان يجعل الالهة تضاهيه بل قد اصبح يجهد نفسه في ان
يكون مضاهياً لله بمقدار ما يسمح له الضعف البشري

ان سر يسوع المسيح قد ابان لنا كيف يمكن للالهية ان تلبس ضعفنا وتتخذ بطبعنا
دون ان تحط لان الكلمة قد تجسدت والذي كانت به صورة الله وطبيعته قد تلبس
بصورة العبد دون ان يفقد ما كان له لانه غير قابل التغير في ذاته فاتخذ بطبع آخر
انا طه به

فيا ايها الانسان قد رغبت في ان الالهة تكون مثلك بشراً مفسوداً فانت

بذلك الا ذوعى مبين فالان تعرض لديك عبادة جديدة هي عبادة الله وانسان
معاً . وبالاخرى انسان لا يفتد شيئاً مما كان له بانخاذه ما هولنا فالالوهية لا يعرفها
تغيير ولا تيل عن جلالها وليس بوسعها الا ان ترفع ما اتحد بها
لكن ماذا الذي يكون الرب قد اخذ منا اعيوبنا ووصفنا جل شانه عن ذلك فانه لم
ياخذ من الانسان سوى ما صنعه . ومن المقرر انه لم يصنع فيه الوصا او العيوب بل
صنع فيه الطبع فهاك ما اخذه ويمكن لنا ان نفوه قائلين ان صنع الميتوة وما يصعبها من
الوهن احق عقاب على الخطيئة وان لم يكن ذلك في البدء من ما رب العلي . وبناء عليه
نحسب اعمال الله العادلة ولذلك لم يتأخر عز شانه عن اخذها وبما انه اتخذ عقاب
الخطيئة لا الخطيئة ابدى انه الصديق الذي بني سواه وصانوا لاجرم الذي يستحق
النصاص

وبناء عليه بدت كل الفضائل في الله مؤنس بدلاً من الرذائل التي كان
البشر يعزونها الى الهتهم ولكي يبدو ذلك في الامتحان الاخير بدت فيه العذابات المبرحة
فلا نطلب اذاً الهاً اخر محسوساً سواه لانه وحده قادر ان يبد كل الاصنام وعلى صليب
يلوح الظفر للزعم ان يتدرج اليه

ومغزى ذلك ان الانتصار معلن على جهل باد لان اليهود كما يقول النديس
بولس : اليهود يطلبون الايات التي بها يزعم الله بشدة كل الطبيعة كما صنع لدى
خروجهم من مصر ليعلم بنوع باد ظاهرين على كل اعدائهم واليونانيون يطلبون
الحكمة اي خطباً منظمة على نسق خطب افلاطون وسقراط فاما نحن فنركز بالمسيح
مصلوباً شكاً لليهود وجهالة عند الامم لآبايات وحكمة واما للمدعين من اليهود
واليونانيين فالمسيح قوة الله وحكمة الله لان مستجمل الله احكم من الناس ومستضفو الله
اقوى من الناس .

فهاك الضرية الاخيرة التي كانت يتنفي ان يصوبها علينا عقاباً لتكبرنا وجهلنا
النظير لان الحكمة التي نقاد بها قد عزت شيئاً حتى انها اصبحت تبدو لدينا غواية وجهالة
لدى حكمتنا ونظامها سام حتى انه اصبح يبدو لدينا ضلالاً
لكن وان كانت هذه الحكمة الالهية لا تدركها بصائرنا تبدو لدينا مفاعيلها لان
الصليب قد خرجت منه قوة بددت كل الاصنام وقد شاهدنا هبوط ذلك على

الأرض قسراً عن الساطعة الرومانية التي كانت تقوم بناصرها ولم يتم باعباء هذه الآيات العظيمة حكماً أو شرفاً أو اعتزاً هذا العالم

بل ان عمل الرب قد سري حسب مجراه لان ما كان قد بدا بعار المسيح قد تم بذل تلاميذه وتارهم وهاك ما قاله الأنديس بواس في رسالته الى اهل قورنتية انظروا دعوتكم ايها الاخوة انه ليس كثيرون حكما بحسب الجسد ولا كثيرون اقوياء ولا كثيرون شرفاء بل اخنار الله الجاهل من العالم ليغزي الحكماء واخنار الله الضعيف من العالم ليغزي النوي واخنار الله الخسيس من العالم والمحقر وغير الموجود ليعدم الموجود لكي لا يفتخر ذو جسد امامه

ان الرسل والتلاميذ كانوا من احقر العالم وانهم كانوا كانوا ليسوا بوجودين ان نظرننا اليهم باعين بشرية بيد انهم كانوا يظهرون على الملوك والمملكة الرومانية وكان البشر قد نسوا تكون الخليقة فجدده الله لما ابرز من هذا العدم بيعته التي اناح لها قوة عظيمة ضد كل ضلال ورذل مع الاصنام عظيمة البشر التي كانت مجناً يدافع عنها وصنع هذا العمل العظيم بقوة كلمته كما صنع العالم كله

الفصل السادس والعشرون

في انواع عبادة الاصنام المتنوعة وفي ان الخواص والصوايح والجهل واحترام الآثار القديمة الباطل والسياسة والفلسفة والبدع اخذت بناصرها فظهرت البيعة على كل ذلك

ان عبادة الاوثان تبدولدينا واهنة بذاتها ومع ذلك يتعسر علينا ادراك القوة التي انتضت لسقوطها وحماقتها عينا تبين ما كان من الصعوبة في ردعها لان هذا الانقلاب العظيم الذي طرأ على الحس العام يدل على الفساد العميق الذي صار في اصل النظر والعالم قد شاخ في عبادة الاوثان وبما انه كان مسيئاً باصنامهم اصبح كاصم لا يسمع لصوت الطبيعة الهائنة ضد هذه العبادة فكمن من القوة كان يقتضي لهم ذكرى معرفة الله الحق الذي كانوا قد ضربوا عليه حجاب النسيان وتشتل النوع البشري

من وهدة الفساد التي تهور بها

فان المحاسن والشهوات طرأ والاغراض النفسية تذب عن عبادة الاوثان لان هذه العبادة كان جل نشأتها للملذات فان الطرب والملاهي واطلاق عنان الفساد كانت جزءا من الفرائض الدينية ولم تكن الاعياد الا ملاعب دنسة كالم تكن الثقة بشرية اصبح الاحتشام فيها متفيا باكثر اعتناء مما كان في الاسرار الدينية فكيف يمكن ان تعتاد هذه العفول المنسودة على نظام الدين الحقيقي الطاهر المناقض للحواس والذي لا تعلق له الا بالخيرات غير المنظورة ولما كان بولس الرسول بناجي فيلنكس والي اليهودية في البر والعفاف والدينونة المقبلة استولت عليه الرعدة جزعا وقال اما الان فاذهب ومتى سحت لي الفرصة دعوتك لان هذا الخطاب كان عسرا على رجل يود لو يتمتع بالملذات دون وسوسة وبابي وجه كان

اتريد ان تنظر الان فاعلية المنافع والمصلحة في الامور البشرية فاصغ الان فان النعلة الذين كانوا عاثين ببناء هياكل من فضة للالهة ارطاميس في افسوس وقت سقوط عبادة الاوثان التي سببها وعظ القديس بولس في اسيا ونهض اعظمهم وابان ارفقائه ان مكسهم لا يلبث ان يزولم وليس هذا فقط بل ان هيكل ارطاميس العظيم يسي محنرا وثلاثي شيئا فشيئا هذه العظة المسجود لها في اسيا وكل المسكونة (كما في اعمال الرسل فصل ١٩)

فما اعظم قوة المنافع وما اقوى جسامتها متى تخجبت بنقاب القبرة على الدين فان اولئك النعلة لم يفتنوا الى غير براهين لتبنيهم فلما سمعوا ذلك انشطوا غيظا وطفقوا يصيحون ويقولون عظيمة ارطاميس الافسوسية واخذوا يجرون رفقاء القديس بولس الى المشهد حيث اجتماع الشعب وحينئذ ضوعف الصباح واستمروا ساعين يهتفون فائلين عظيمة ارطاميس الافسوسية واصبح القديس بولس ورفقاؤه يكادون لا ينجون من ايدي الشعب لولامداركة الوالي انقاذهم خشية ان يحدث سمج اعظم من ذلك وزد فائدة الحكمة المزمعين ان يستطوهم والهمهم على فائدة اولئك الذين لم مصالح خاصة وعلى هذه زد مصالح المدن التي كان الدين الافاك يجمعها شهيرة كمدينة افسوس التي نالت امتيازاً عظيماً بواسطة هيكلها واغناها نقاظر الغبراء اليها وبناء عليه كانت الزويرة التي ثارت على البيعة الجديدة عظيمة جداً . ومن ذا الذي تعجب

بعد هذا بان يرى الرسل مضروبين ومرجومين بالحجارة ومنروكين كالموتى وسط الشعب
لكما فائدة اعظم من تلك اذ معنت ان تهيج اعظم واسطة هي فائدة الدولة التي تثير مجلس
شيوخ الرومانيين والشعب والملوك ضد البيعة .

وكان يرى في زمان قديم او امر في مجلس المشايخ تمنع الاديان الغريبة في الدولة
والملوك ادخلوا في هذه السياسة عينها المدولة العظيمة .

لان الموضوع كان لتصلح المغائب التي دخلت في الحكم فمن القوانين الاساسية التي
عرضها مساناس على اوغسطس ان يمنع الاديان الحديثة التي كانت تسبب في الدولة
بلايل فان هذا المبدأ هو حقيقي لانه لا يوجد شيء يهيج العقول باكثر شدة ومجملهم على
ارتكاب الكبائر اكثر من المذاهب واما الله فقد شاء ان يبين ان تشييد الدين الحقيقي
لا يسبب هذه البلايل وذلك من المعجزات التي تبين ان الله هو الفاعل ذاك الصنيع
لان الكل يتعجبون اذ يلاحظون انه في برهة ثلاثمائة سنة كاملة احتملت بها البيعة كل ما
اقترحه غضب المضطهدين لعذابها لم يكن احد من المسيحيين ابراراً واثراً متحرراً ضد
الملوك ولا مخازناً الى الثورات العديدة والحروب المدنية التي طرأت وقتئذ وبطلب
المسيحيون من الد أعدائهم ان يسموا رجلاً واحداً ولم يبق قط منهم احد الى هذه الحروب
لان التعليم المسيحي كان يوهل تابعيه الاحترام نحو السلطة الدينية لان كلمة المسيح كانت
اثرت في العقول تأثيراً عظيماً بقولهم اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله

وهذا القول اتاح للعقول نوراً ساطعاً . ولهذا لم يبرح المسيحيون بمخترعون صورة
الرب في الملوك المضطهدين الحق وصفة هذا الخضوع تبدي في كل ما كتب لمدا فتنهم
حجة النظام العام ويلوح ايضاً ان المسيحيين لم يتظروا تشييد الدين المسيحي الا من الله
وهؤلاء البشر الذين هم على امة الموت ومتشبهون في كل انحاء المملكة والعساكر لم ينسوا
نفوسهم ويشبوا مرة واحدة في كل هذه الاجيال التي تعذبوا فيها ولم يكونوا فقط يمتنعون
نفوسهم من التمرد والعصيان بل عن التذمر ايضاً لان يد الرب كانت في هذا العمل
وليس سوى يد صهيون له ان يحبس البشر الذين حملهم الجور وهاجمهم على ان يتصلوا الى
هذا الحد

وبالحقيقة ان قد كان يشق عليهم ان يعاملوا كأعداء الدولة والملوك طالما لا يتبنون
الا الخضوع ولا يظلمون الا ائساد الملوك وسعادة الدولة ولكن كانت السياسة الرومانية

نظان ان اركانها ترعزعت لما كانت تشاهد انهم يحشرون الهنبا لان رومية تنفخر بانها مدينة مقدسة منذ تشييدها ومكرسة منذ البدء للعناية الالهية ومكرسة من مؤسسها لاله الحرب وكانت تخال ان المشتري يستمر حاضراً في الكايتول اكثر من الاوليك وكانت تعزواتصارانها الى الدين لانها بواسطة عبادتها قد ظهرت على الام والهنبا لانهم كانوا يفكرون هكذا وقتئذ حتى ان الالهة الرومانية كانت مزمنة ان تتسلط على سائر الالهة كما ان الرومانيين كانوا مستولين على سائر الام . ولما قعت رومية بلاد اليهودية حسبت اله اليهود بين الالهة المموعة وبناء عليه فمن يشاء ان يولييه يكون يشاء هدم اركان الدولة وبانف من انتصارات الرومانيين وشوكة الشعب : وعلى هذا ان المسيحيين الذين كانوا اعداء الالهة كانوا يعدونهم في الوقت نفسه اعداء الدولة ولذلك كان الملوك بينهم في استئصالهم اكثر من البريتين والمركومانيين والداسيين وكانوا يذكرون في توارنهم دنار الدين المسيحي باكثر افتخار من قهر السرمانيين بيد ان افتخارهم باستئصال دين ذهب ادراج الرياح فانه كان ينو من يوم الى اخر في ظلال السيف والنار وقد تالبت عليه النية والجور فكان ذلك عبثاً فانهم كانوا يتهمون اناساً يفلحون بالفضيلة الفاتكة بارتكاب رذائل تائف منها الطبيعة لانهم كانوا يتهمون بارتكاب الفحشاء مع الاقارب اولائك الذين لا يلتذون الا بالعفة . وكانوا يتهمون المسيحيين باكل اولادهم وانهم هم الذين كانوا يحسنون الى مبغضيههم ولكن قسراً عن هذا البغض العام كانت قوة الحقيقة تلزم اعداءهم ان يودعوا لم شهادة حسنة وليس احدٌ يجهل ما كتبه بليوس الشاب الى تراجان المالك عن فضائل المسيحيين وبهذا بدت براءتهم ولكن لم يعفهم من العذاب والموت اذ كان يلزمهم هذه المعاملة الاخيرة لتكملة صورة يسوع المصلوب فيهم لانهم كانوا مزعمين ان يذهبوا الى حيث يصلبون بموجب حكم جلي يقرر براءتهم

ان عبدة الاوثان لم تكن مصوبة كل قوتها بالعسف والجور بل كانت ترغب في بعض ادلة وان كان ركنها الجهالة وفساد الحس المشترك لانه كم من مرة جهدت في ان تخفي نفسها وكم قد تقصت وتنفلت لتخفي عارها فاحياناً كانت تظاهرها بالاحترام نحو الالهة لانها كانت تقول ان كل ما هو الهى غير معروف ولا احد يعرف الالهوت الا الالهوت وليس لنا سوا غية ان تنفوه بامور سامية كهذه وبناء عليه يفضي ان كلاً يقفوا آثار الافنديت بالدين الذي في وطنهم وهذه الاناويل اصبح الضلال ذو الكفر

المستولي على الأرض عياناً وانحبس صوت الطبيعة الذي كان يبشر بالحق حقيقي منقطعاً
ولقد كانوا يهجمون ان وهن العقل الزايغ عن قوم الحق يحتاج الى سلطة ثانية الى
الاصل وبناء عليه يقتضي ان يتعلموا الدين الحق من الاجيال الدابة ولهذا قد ابنت
لك ياسيدي تسلسلها القوم من ابتداء العالم اما الوثنيون فبأية قدمية يفتخرون ومن
منهم كان يطالع تاريخ وطنه ولا يرى فيه ابتداء الدين والالهة . فقد ابان فارون وشيشرون
هذا الاصل دون ان تذكر سواها من المؤلفين او اننا نعلم هذا العدد الذي لا يحصى
من السنين مفعماً من خرافات المصريين واقاصيصهم السفهية ولقد كانوا يعتمدونه
ليلوحوا على ان قدميتهم هي موضوع فخارهم . وعلى كل كانت الهتهم تتولد وتلاشى وعسر
على هذا الشعب ان يثبت قدميته دون ان يبين بدأة الهته

وماك هيئة أخرى لعبادة الاصنام وهي انهم كانوا يودون لوبودون العبادة لكل ما كان
يعتبر احياناً فقد كانت السياسة الرومانية تكسر قسراً عن ممارسة الاديان الاجنبية وتاذن
بعبادة الهة البرابرة بشرط ان تكون تلك الالهة تحت حيازتها وعليه فقد كانت ترغب
في ان تظاهر بالعدل نحو كل الالهة كما كانت نحو كل بني الانسان . ولقد كانت آونة
تقدم كباء النجور لاله اليهود مع سائر الالهة ودلائل ذلك اننا قد عثرنا على كتابة من
جوليانوس الجاحد فيها اباحة منه لليهود بان يوطدوا اركان المدينة المقدسة لينتظم فيهم
للقدمية الذبائح للاله الحق ولقد اسلفنا ان الوثنيين كان في عزهم ان يودوا العبادة لله
ليكن مشركاً . ولم يتوقف على الملوك بان يسوع المسيح نفسه الذي كانوا يزهدون تلاميذه
ان يكون له مذبح لدى الرومانيين ولم يرومو ان يعتبروا اعتباراً له ذاك الذي حكم
عليه قضائهم بالعذاب والقي عليه اعباء العار كثير من مؤلفيهم فلا تعجب من هذا
الامر الذي لم تخاف قط ربية ولكن يقتضي ان تبرز في بادئ الامر ما ينوب به المرء
لدى بغضائه الشعواء من الحوادث المفرقة التي بخال انها مبرهنة لديه . ومن المين ان
الرومانيين لم يكونوا يعززون الى يسوع المسيح جربة خاصة ولو كانوا اصدروا عليه حكماً
ولذلك قضى عليه يلاطوس دون طيبة خاطر بل قد قسره على ذلك ائحاح اليهود
ونوعدهم . ومن الامور التي تبعث على الحيرة والاعتجاب ان اليهود انفسهم الذين كانوا
علة لصلب المسيح لم يشبوا في كتبهم القديمة اقل عمل له ينلم حياته ولم يكن من وسعهم
ان يجدوا فيه جربة تغريهم بالاخفاف به الا قوله ان المسيح ابن الله وما نراه في الانجيل

يصدق على ذلك

وحقيقة الامر ان تاسيتوس يثبتنا عن عذاب يسوع المسيح في عهد نيلاطوس والملك طباريوس لكنه لم ينق لنا عن اقل جريح اوجبت له الموت الا انه مؤسس بدعة تكسح الجنس البشري بالبغضاء وانما ممنونة لديه فما هو ذا اثم المسيح وثلامته ولم يمكن لالد اعدائهم ان يتهموه الا بالناظميه دون ان يثبتوا اقل حادث مقرر لما كانوا يتهمونهم به

ولا ريب ان الوثنيين الذين لم يروا لم من جريفة يتهمون بها المسيح وثلامته اذا عول في اثناء الاضطهاد الاخير وبعد يسوع المسيح بثلاثمائة سنة اختطارات نيلاطوس النكاذبة التي بها حاولوا ان يخلتوا للمسيح ذنوباً قضت عليه بالصلب ولما كانت هذه الاختطارات لم يسج بها في الاعصار الغابرة لا في عهد دوميثيانوس ولا في عهد نبرون الذين قبضا على زمام الملك في بدأة الدين المسيحي وما من الاعداء المكاشحين للدين اصبح من مقرر الامر انها اختلفت فيما بعد اقتراحاً ولم يكن لدى الرومانيين ادلة قاطعة ضد المسيح حتى ان اعداءه قد ابتدعوها اعباطاً

فما ك قضية اولى هي براءة يسوع المسيح غير المدنس وزد عليها قضية اخرى هي قداسة حياته وتعاليمه المعروف وان احدملوك رومية العظام ابي اسكندر سفاريوس كان مندهشاً من يسوع ولطالما كتبت بامره بعض آيات من الانجيل في التوارخ المرقوشة على الابنية العامة حتى على قصره وانه قد كان يثني على المسيحيين الذين كانوا يظنون على الاحياطات التي من شأنها انتخاب خدمة اللاوا في المقدسه ولقد كان يعرض بها لتكون اغوذحاً ولم يكنف بذلك كله بل كان في قصره بيعة صغيرة كان يقدم فيها قراين كل يوم صباحاً واصعاً فيها تماثيل الارواح المقدسة بخلها صورة يسوع وابراهيم بمقربة من صورة اورفيوس . وكان له بيعة اخرى اصغر من الاولى اقام فيها صور اشيل وبعض الانام المشاهير اما يسوع فقد كانت له المثابة الاولى بين تلك التماثيل قذلك ما نصه احد الوثنيين ويوميد كلامه بشهادة احد المولفين المعاصرين لاسكندر الملك الموما اليه فقد شهد لهذا الحادث اثنان . وماك خاذناً اخر يجمل على العجب كالاول وهو ان بورفيريوس وان يكن قد جاهر لدن حجة الدين المسيحي انه عدو له فيقر في كتابة المدعو الفلسفة بالنبوات بان قد يوجد نبوات توافق قداسة يسوع المسيح . بيد ان مجد ابن

الله ليبل ان تكون النبوات الكاذبة طرائق من شأنها إيقاظنا على كبره فقد جعلها لدن مجيئه معقودة اللسان فان هذه النبوات التي ذكرها بورفوريوس لم تكن سوى اختراع يحث لكما يهنا امر فرد وهو ما ذا كان الوثنيون يزعمون بكلام الهنهم في يسوع المسيح . فيعتقد بورفوريوس انه كان يوجد نبي يدعى يسوع المسيح وهو رجل بر اهل لان يكون خالداً واما المسيحيون فانهم يعكس الامر اناس يخامروهم الفساد والغرور ثم يذكروا نبوات الالهة هكات بانها تنوء عن المسيح انه رجل تعاضت ثقاه وان جسده الممت به العذابات المبرحة وصعدت نفسه الى العلابين الارواح للظوباوية وقد كانت تقول اهل بورفوريوس ان هذه النفس لا تحيط بها ادراك وقد اغرقت في لجة الضلال النفوس التي لم يقرر لها الحظ مواهب الالهة ومعرفة المشتري العظيم ولهذا اصبحت ذواتهم من الداء اعداء الالهة فلا تنددوا في المسيح بل تأسفوا على ضلال اولئك الذين انبأتم عن سوء حظهم فلا ريب ان هذه الكلمات الفخمة تعزل عنها المعاني لكها تدل بكل صراحة ان مجد مخلصنا قد ارغم اعداءه ان يجاهروا بمدح

وقد يرى في يسوع المسيح امر ثالث خطير عدا به وقد استهو وهو معجزاته التي قد نقرر ان اليهود لم يشبهوا عليها تكبراً فاننا نرى في تلودهم التنويه عن بعض العجائب التي قام بها تلاميذه باسمهم لكهم اذا عوا مل ان تستمر تحت غشاء الخفاء انه كان يصنع بالسحر الذي تعلمه في مصر او باسم الله غير المعروف الذي لا تدرك اوصافه والذي يصنع كل شيء بقوة حسب اليهود وانه حظي به في قدس الاقداس باسم لا يحيط به ادراك اولان المسيح هو احد الانبياء الذين تنبأ عنهم موسى وهم مزعمون ان يغروا الشعب بعبادة الاصنام بمجراتهم المخالفة . واما يسوع الظاهر بالاصنام الذي يبت انجيله في كل الارض ان لا يوجد الا اله واحد ليس يعوزه ان يتبرأ من هذه التهمة وان الانبياء الحقيقيين لم يشروا بالوهية اقل من الوهية وبناء عليه ان ما ينجم من شهادة اليهود هو ان المسيح قام باعباء المعجزات ليشهد ارساليته

ودخلة الامر ان اهتمامهم ليسوع بانه صنع العجائب بالسحر رشح به موسى نفسه فكان الاخرى بهم ان يعبروا ذلك طرفاً من نظر الفكر وقد كان ذلك اعتقاد المصريين القدم الذين اخذتهم الدهشة من المعجزات التي اتاحها الرب في بلادهم ليد موسى ولذلك كانوا يحكمون عليه بانه من اكبر السحرة . ويمكن لك ان نقف على كنه ذلك في يلبنيوس

وايلوس حيث يذكر موسى مع الساحرين المصريين وبينس ومعه المذكورين في رسالة مار بولس الذين ردلها موسى بعجائبه واما جواب اليهود فلم يكن بصعب فانهم قالوا ان غرور السحر لم يكن له منقول ثابت ولا يكون له غاية ليقرر عبادة الله الخفي كما صنع موسى وفضلاً عن ذلك ان الله يقبض على ازمة الامور ويصنع ما يستحيل ان يقتدي به العدو وهذه الحجج نفسها تبرىء يسوع المسيح من هذه التهمات الباطلة ولذلك لا تنبذ كما قد لاحظنا الآن ثبت ان عجائب المسيح غير منكورة

والحق يقال ان هذه العجائب مفررة تقريراً محضاً حتى ان الوثنيين يتعسر عليهم كاليهود انكارها فان سالس الد اعداء المسيحيين الذي اوسعهم طعناً مفرغاً لذلك كل ضروب المحذقة من البداعة لم يمكن له ان ينكر كل عجائب المسيح ولو انه طلب بكل اعتناء كل ما يناقض الدين المسيحي لكنه كان يقول في سبيل المدافعة كاليهود ان المسيح اتخذ هذا السر من المصريين اي بالسحر وانه رام ان يعزوا الى نفسه القوة الالهية بالعجزات التي كان يتوخاها بهذا النوع الذريع ولهذا السبب نفسه كانوا يعتبرون المسيحيين كالسحر ولم تزل عبارة من بوليانيوس المجاهد بوخذ منها انه يائف من عجائب المسيح لكنه لا ينكرها ويقول فولتيريانوس مثله برسالة الى القديس اوغسطينوس وهذا القول كان ذاتاً لدى الوثنيين كلهم

فبناء عليه لاستغرب ان الوثنيين اقاموا المسيح بين اهتهم اذ انهم معتادون ان يعتبروا البشر الذين يصنعون اموراً خارقة للهة واوعز طباريوس الى مجلس الشيوخ ان يودوا ليسوع المسيح اكراماً الهياً اذ انه الانبياء عنه من اليهودية وذلك لاربية فيه فان ترتوليانوس يذكره كامر شائع في المدافعة التي ابرزها باسم البيعة الى مجلس الشيوخ ولم يشأ ان يضعف دعواه البادي حتماً باستناده على اشياء منكورة يسهل دحضها وان رغبت في شهادة المؤرخين الوثنيين يقل له لمبريديوس ان ادريانوس اقام ليسوع المسيح هياكل كانت لا تزال في حيز الوجود في عصره وان اسكندر سفاريوس اراد بعد ان ادى له مآثر الاكرام خصوصاً ان يشيد له مذابح عامة ويقدمه في عيد الالهة

ومن المقرر ان توقف ايماننا بالمسيح على ما نقله اولئك الذين لم ينضوا الى لقيف تلاميذه امر خارج عن خطة العدل فان ذلك يكون وسيلة لطلب الايمان من غير امل والوقوف على كنه الدين بواسطة الذين لا يعتبرونه امراً خطيراً لانهم يعكفون على كل

شيء سواه ومن اليقين ان مجد يسوع المسيح اصبح ذا سطيع زاهر حتى ان العالم لم يتمكن من ان لا يهودي له بعض شهادات وليس من سعتي ان اورد لديك شهادة الله احق من شهادة اولائك الملوك

ومع ذلك فاني اثق ان قد كان لهم بذلك مقصد خارجي لأن بعض امور سياسية كانت تبعث على اكرام المسيح فانهم كانوا يزعمون ان الاديان طرأً تتحد في النهاية وان كل الالهة البدعية تغدو شائعة لدى الجميع . اما المسيحيون فلم يكونوا يسلّمون بهذه العبادة المتزجة ولم يكونوا يحترقون مراعاة السياسة الرومانية اقل مما كانوا يحترقون ما فيها من الجور والفسوة لكما الرب اراد ان مبدأ اخر يحمل الوثنيين على ان يتركوا الهياكل التي اعدها الملوك ليسوع المسيح لان كهنة الاصنام اعلنوا للملك ادريانوس حسب قول المؤرخ المذكور انفاً انه اذا كرّس الهياكل المشيدة للمسيحيين تهجر كل الهياكل عداها وان الجميع يعكفون على الولوج في دائرة الدين المسيحي لان عبادة الاوثان بنفسها كانت تشعر ان فيه قوة ظافرة لا يمكن للالهة الكاذبة مقاومتها وثبت حقيقته ما قاله الرسول وايّة موافقة بين المسيح وباعال وايّة الفة لهيكل الله مع الاصنام وعلى هذا اصبحت عبادة الاوثان حلقة الدثار بقوة الصليب ومرذولة بذاتها وان وحده الله اخذت بتفريحي ان عبادة الاوثان لم تكن في نهاية الامر قاصية عن هذا الاعتقاد فكانت تجهيران الطبع الالهي متناه في العظمة والسعة حتى انه لا يمكن ان يعبر عنه بلنظة واحدة او صورة واحدة وان المشتري ومرس وجينوس والهة اخرون ليسوا الالهة واحداً تضع قوته غير المتناهية وتتمثل باسماء متباينة لكنهم كانوا يحيلون الدين الى رمز لما كانوا يتصلون الى هذه التواريخ المدنسة بالالهة وتوليدهم المرذول وعشقم الفاحش واعبادهم واسرارهم التي لم يكن لها اساس الالهة الخرافات الغربية . واما هذا الاله الوحيد فكان العالم والشمس او النجوم والهواء والنار والماء والتراب واجزائها المختلفة المستورة تحت اسماء الالهة او العشق فياله من ملجأ واهن ذريع فانه فضلاً عن ان هذه الخرافات كانت عثرة للجميع وكل هذه الرموز متجاوزة الحد وثقيلة قد كان لا يرى وراءها الا اله واحد هو العالم باجزائه حتى صار ركن هذا الدين الطبيعة نفسها وعليه اصبحت عبادة الخلائق موضوع الخالق .

ان الاعتذارات الواهنة عن عبادة الاوثان لم تنفع لدى الفلاسفة موقع النبول وان

يكن مأخذها من فلسفة الستوسيين اما سالكس وبورفيروس فقد طلب عضداً آخر في
تعليم افلاطون وفيثاغورس . وهاك كيفية موافقتها لوحدة الله مع تكاثر الالهة الذائعة
فكانا يقولان ليس الاله عظيم والله متناه في القدرة حتى انه لا يتنازل ان يهتم
بالاشياء الدينية بل انه اكتفى ان يصنع السماء والكواكب ولم يتنازل ان يصنع يده
على هذا العالم الخفي بل خول امره للذين تحت يده وليس الانسان صنعة يديه وان
يكن قد خلق ليعرفه حيث انه عرضة للوثة ولهذا يستحيل الوصول اليه لانه نادر في العلا
وقاص جداً عنا واما الارواح السماوية التي صنعتنا فهي كوساطة بيننا وبينه ولذلك
يتنضي ان نؤدي لها العبادة

وليس علينا ان ندحض تخيلات الافلاطونيين التي كانت ايضاً توهي من تلقاء
ذاتها لان سر المسيح كان بلاشياء من اساسها فكان هذا السريعلم البشر ان الله الذي
صنعه على مثاله لا ياتق منهم البتة وان كانوا يفتقرون الى وسيط فليس ذلك بسبب
طبعهم الذي برأه الرب كما برأ كل الاشياء بل بسبب جرائمهم التي هم انفسهم اقتربوها
وفضلاً عن ذلك فان اطبايعهم لا تقصهم عن الله لانه يتنازل ويتحد معهم فيصير انساناً
وبهم وسيطاً ليس الارواح السماوية التي يدعونها للفلسفة ابالسة والكتاب المقدس
ملائكة بل رجلاً تشبه به القوة الالهية والطبع الانساني الضعيف ويصح دواء
شافياً لدائنا

ولو كان تكبر الافلاطونيين لا يستطيع ان يتنازل الى ذل الكلمة المتجسدة ولكن
الم يكن يجب عليهم ان يدركوا على الأقل ان الانسان قادر ان يملك الله كاملاً ملائكة ولو
كان احقر منهم قليلاً وبناء عليه فان الانسان مواخ للملائكة اكثر مما هو خاضع لهم
ولذلك لا يتنضي ان يتبعدهم بل يعبد معهم بالاشتراك الذي صنعه جميعاً على مثاله
وان تقدمه الانسان الذبائح لغير الله لم تكن من الدناة فقط من نكران جملة
ولا شيء يوازي غنى الوثنيين بهذا الشأن فانهم بدلاً من ان لا يعبدوا الا الله كانوا
يعبدون الابالس

ولاسيما في الاحوال التي ابدت عبادة الاوثان ضعفها لما كانت في الورطة الشديدة وفي
انتهاء الاضطهادات لما لمح المسيحيون على بورفيروس النجاء ان يقول ان الذبائح ليست
من العبادة السامية فانظر الى اية درجة من الغباوة قد اتصل فانه كان يقول ان

الاله السامي له انجيل لا يقبل ذبائح لان كل ما هو مادي مدينس لديه فلا يجب ان
يبرز له وان الكلام نفسه لا يجب ان يستعمل في عبادته لان الصوت هو كشيء مادي
بل يقتضي ان يعبد سكوتاً بأفكاره بسيطة وان اية عبادة ادبت له على خلاف هذا النمط
غير لائقة بجلالة السامية

وعلى ذلك يتأتى ان الله كلي العظمة لا يحيط بجلاله وصف ومن اكبر الجرائر ان
نغالي في مدحه ودخيلة الامر ان الذبيحة ليست لله وان كانت اقراراً بخضوعنا له المتناهي
وبسلطانه المطلق علينا وبقدر ذلك صريحاً بروفوروس نفسه . ليس هذا الرأي يبطل
الدين ويجعل ذاك الذي يعترف به انه اله الالهة عرياناً عن العبادة

فان كان هذا الامر على ذاك النمط فما هي الذبائح التي كان يقدمها الوثنيون في
هيكلهم فكشف هذا السر بروفوروس نفسه لانه قال بوجود ارواح مدمنة مخائلة ومضرة
وانها بسبب كبرياءها العياء تود لو تكون كالالهة وتبعث النوع الانساني على خدمتها
فيجب تسكينها لئلا تضرب به فتمتد من هوانها مسروراً يسكن المراح والملاعب ومنها من
هو منقلب الوجه بحب روائح الدهن ويتغذى من الذبائح الدموية فما يفيد دحض هذه
القضايا المستحيلة واخيراً قد كسب المسيحيون دعواهم لانه تقرر ان الالهة البرمها التي كان
الوثنيون يقدمون لها الذبائح هي ارواح شريرة كانت تني الى ذاتها الالهوية بسبب
تكبرها وبناء عليه فان عبادة الاوثان لو اعتبرت من حيث هي هي تدوانها ناتجة عن
الجهل السخيف لكننا لو اعتبرت من مصدرها بدت كعمل متفاد من بعيد دفعت الارواح
الشريرة الى اقصى درجة من الغلو . وذلك ما كان يزعمه المسيحيون وما كان يعلمه
الانجيل ويشك صاحب المزامير بقوله . ان كل الهة الامم شياطين اما الرب فصنع
السموات

فبالله من جهل وعي غريبين قام بهما الجنس البشري فان عبادة الاوثان التي
سقطت الى دركات الضيعة وصنعت حياة بذاتها لم تخرج في حيز الوجود ولم يكن من
منتضياتها الا ان تلبس بعض بوادي وتفسر بالفاظ رشيفة لما وقع في الاذات لكي
تدخل في القبول وخفية الامرائهم كانوا يعجبون من كلام بروفوروس وكانت بعد
جميلك نلميذه كرجل الهي لانه كان يستر مشاعر معلمه بالفاظ خفية وان كانت عربية
عن المعنى خفية

وقد خدع جوليانوس المجاهد هذه البوادي وان يكن عريقاً بالمهارة وانباً بذلك الوثنيون انفسهم لان اولئك الفلاسفة كانوا يمدعون العالم بسخرهم الذي كانوا يفخرون بها حقيقياً او كاذباً وبزهدهم الباطل وبمغاللتهم في قشافة المعيشة حتى انهم كانوا يعدون اكل الحيوان من الجرائر الكبيرة وتطهيرهم المدقق وبثاملاتهم التي كانت تنتهي بتجليات باطلة وبكلامهم الموه بالالفاظ الرشيقه الخالية من المعاني لكنني لم انطق الى الان بركن هذه العلة ولا ريب ان قداسة العوائد المسيحية وكراهية المذات والنواضع الذي هو ركن الدين المسيحي كانت تذكر النوع الانساني وان وصلنا الى معرفة الحقيقة بان لدينا ان الكبرياء والذائد والنساد متفردة بالدفاع عن عبادة الاوثان

ولقد كانت البيعة تسأ صلها بتعليمها وطول انابتها . واما هذه الارواح الشريرة التي لم تبرح قط تخدع البشر وتعلمهم يتلطفون بعبادة الاوثان لم تنس ما لها من الشهرة بل انها سببت في البيعة هذه البدع التي اوعزنا اليها فان بعضاً من محبي التنقير وبعبارة اخرى محبي الاباطيل والشغب ارادوا ان يذيعوا فيها بين المؤمنين فلم يكتفوا بهذه الحكمة المعتدلة التي اوصى المسيحيين بها الرسول بل ارادوا ان يلجوا عمى الاسرار وزعموا ان يقيسوها على افكارهم الواهمة . واخذ هؤلاء الفلاسفة المحدثون يمزجون القياسات البشرية بالايمان وشرعوا يقلون مصاعب الدين المسيحي لانهم كانوا يضيفون ذرعاً عن احتمال الجنون الذي كان العالم براه في الانجيل ولهذا قد نددوا استطراداً في كل قواعد الدين اي انهم نكروا التكوين وشرعية موسى التي هي الاسس الضروري لشريعتنا والوهبة يسوع المسيح ونجسده ونعمته واسراره واصبحت كل الخناثي عرضة للانقسامات المشككة فان سلس وغيره يونيوننا على هذا الانقسام . وكانت تبدو عبادة الاوثان مظنة لانها كانت تعتبر الدين المسيحي كذهب حديث فلسفي سوف يحدث له ما حدث لغيره من المذاهب لانه كان يجتري كغيره الى بدع كثيرة وكانت البيعة تبدو لديهم كعمل بشري مزعج ان يوهي بذاته وكان يستتج من ذلك ان لا تنوغل في التنقير في الدين اكثر من آياتنا ولان نشرع في تغيير العالم

ان الله لم يتغافل عن يبعثه لدن بلبانة هذه البدع التي كانت تدعى انها مسيحية لانه قد اراد ان يحفظ فيها قوتهم السلطة التي لم تكن للمبتدعين فانها كانت كاثوليكية عامة وكانت تنتمل على كل الازمنة وتمتد الى كل الانحاء وكانت رسولية لان تواتر الايام والخلافة

ومنبر الوحشة واصل السلطة لم تقتصر إلا عليها فكل أولئك الذين كانوا يغادرونها كانوا قد افروا أولاً ولم يكن يمكن لهم ان يحملوا علامة تجديدهم وسمة نردم وكان الوثنيون انفسهم يعتبرونها كالفضن او كالمجموع من حيث تفرعت الاجزاء او المجدع الحي الذي كانت الفروع المنفصلة تتركه على اصله واما سالس الذي كان يوجب المسيعيين على انقسامهم فقد كان يرى بيعة واحدة ممتازة عن غيرها تستمر اقوى من غيرها بين الكنائس المنفصلة ولهذا كان يدعوها البيعة العظيمة لانه كان يقول ان بين المسيحين من لا يسلم بالمخاليق ولا التقليدات اليهودية وبهذا كان يشير الى المارسيونيت وما كان يقول انهم يجوزون لدى البيعة الكبيرة قبولاً ولم يتعسر على الملك اوريلانوس ان يعرف في غضون البلبلة التي سببها بولس السموزاتي الكنيسة الحقيقية التي يناط بها بيت البيعة سوى ان هذا هو محل الصلوة اوبيت الاسقف فحكم بها للذين كانوا مشتركين مع اساقفته ايطالية واسقف رومية لانه كان يرى ان لفيف المسيحين مستمر لكل حين في هذا الاشتراك. ولما كان الملك قونسطانس يبلبل كل البيعة كان الاضطراب الذي الفاه بسبب دفاعه عن الاربوسيين لم يمنع اميانو مرسيلينون الوثني من ان يدري ان هذا الملك كان جانفاً عن المحجة القوية المهمة للدين المسيحي البسيط والمقرر بقواعدايمانه وتهذيبه وذلك لان الكنيسة الحقيقية هي ذات جلاله واستقامة لا يمكن للمبتدعين ان يفتدوا بها او ينكسوها بل انهم كانوا بعكس الامر يشهدون لها قسراً عن ارادتهم! فان قنسطانس الذي كان يضطهد القديس اثناسيوس المدافع عن الدين القديم كان يرغب حسب قول كيليوس في ان يحكم عليه بسلطة اسقف رومية الفائقة كل ما سواها وكان يبين بطله الاستناد على هذه السلطة للوثنيين انفسهم ما كان ينقص بدعته وبهذا يكرم الكنيسة التي كان الاربوسيون قد انفصلوا منها وعلى هذا كان الوثنيون يعرفون ان يميزوا الكنيسة الكاثوليكية ولو اقتضى الامر ان يطرح احدٌ لديهم سوالاً قائلاً اين مجالسها وما هم اساقفتها فلا يخطئون بجوابهم اما البدع فلم يكن يمكن لها ان تفرغت من الجهد ان تهمل من اسم مشيدها فكان السباليون والبوليانيس والاربوسيون والبلاجيانيون وغيرهم يلتظون غيظاً من الانقلاب التي تعطى لهم وكل ذلك كان عبثاً. اما العالم فكان ينطق بالصواب رغماً عن ارادتهم ويسمي كل بدعة باسم مبتدعها لكن نظراً الى البيعة الكبيرة اي الكنيسة الكاثوليكية الرسولية قد كان من المستحيل ان تعطى اسماً غير اسم مشيدها يسوع المسيح. وعلى هذا فرغنا

عن كل ما افرغ المبتدعون من السعي لم يمكن لهم ان يواروا هذا البيعة عن الوثنيين ولذلك كانت تبسط اليهم حجراً في كل انحاء البسطة وكانوا يتقاطرون اليها سرايات. ومن الامكان ان البعض كانوا يزورون في بعض مسالك مخرفة لكنهم البيعة كانت تهد الطريق الشاسعة حيث كان اكثر الذين كانوا يطلبون المسيح يلجونها وتبين ايضاً من الاختبار انه قد من عليها بان تجتمع اليها كل الامم وهي وحدها كانت هدفاً لطعن الملوك المخدعين فان اوريجانوس يثبتنا ان ليس في المبتدعين الا نزر قد اضطهدوا حباً بالايمان وبلا حظ القديس جوستينيانوس الذي كان قبله ان الاضطهاد لم يلتحق بالمسيحيين والمبتدعين الآخرين لان الوثنيين لم يضطهدوا الا البيعة التي كانوا يرونها ممتدة في كل اصقاع الارض ولم يكونوا يعترفون بكيسة يسوع المسيح سواءها فاذا افترقت عنها بعض فروع فليس ذلك امراً خطيراً فانها لا تنفد اذ ذاك تضاربها بل انها تنحج الى جهة اخرى وان ما نزع عنها من الافنان طيب ثمارها وحقبة الامراننا اذا نفرنا في تاريخ البيعة نقرر لدينا ان كل بدعة اخذت تناصبها للضعف قواماً عوضت عن خسائرها من جهة اخرى بامتدادها خارجاً وتضاعف النور والقوى فيها داخلياً اثناء ما كانت ترى الفروع المنفصلة عنها تذوي في محلٍ منفصل لان اعمال البشر اضحلت رغباً عن المحجم الذي كان ياخذ بايديهم فدام عمل الرب وظهرت الكيسة على الاصنام والضلالة

الفصل السابع والعشرون

في ملاحظات عامة تناط بتسلسل الدين وانطباق بعض الكتب المقدسة على البعض

ان هذه الكيسة التي تعرض دائماً للندح غير مدحورة هي كاعجوبة مستمرة وشهادة شاطعة لاحكام الرب غير المتغيرة لانها لا تزال ثابتة وسط البلابل البشرية بقوة غريبة نقضي باننا نراها متصلة بيسوع المسيح بتسلسل متواصل منذ الف وسبعائة سنة اذا اخذت الخلافة عن الشعب القديم وتحد مع الانبياء والاباء وعليه توول كل هذه الجوانب المدهشة التي شاهدها العبرانيون عياناً الى تثبيت ايماننا حتى الان وان الله الذي صنعها

لثبوت وحدته وقدرته فأي أمر كان يقتضي له لحفظها أكثر من ذلك والسندات التي تبينها أخرى من أن يسلمها بين أيدي شعب برمتي والتي صار نصها حسب تسلسل الاوقاف وهاك ما نجده الى الآن في اسفار العهد القديم اي الكتب المتناهية في القدمية في العالم التي حفظت لنا من الآثار القديمة معرفة الله الحقيقي ونظام عبادته في هذه الكتب التي رعاها اليهود باحترام ديني ولم يبرحوا يحافظون عليها الى الآن في كل اصفاغ البسيطة افيوز لنا بعد هذه ان تثق بخرافات مؤلفي الامم الاوغاد في اصل هذا الشعب الخطير على قدر قدميته وقد لاحظنا ان تاريخ نشأته وملكوته ينتهي حيث يتبدى تاريخ اليونان حتى انه لا مل لنا بروية أمر يعضدنا على ايضاح حوادث العبرانيين . ومن المقرر ان اليونان لم يعرفوا اليهود ولاديتهم الا بعد ان ترجموا اسفارهم الى لغتهم واخذوا يقطنون المدائن اليونانية اي نحو مايتين او ثلاثمائة سنة قبل المسيح وان جهالة الالهة كانت عظيمة جداً لدى الوثنيين حتى ان اعظم مؤلفيهم لم يكونوا يعرفون من هو اله اليهود ولقد كانوا يعزرون الى المتناهيين في العدل بينهم وبين الوهة السماء والعلاء حيث كان اليهود يشخصون بابصارهم الى المحل الذي كانت تبدو فيه قوة الله العلية وفيه مثابة عرشه وعا ذلك فان دين اليهود كان غريباً جداً ومناقضاً لسائر الاديان وان سنتهم وسببهم واعبادهم وكل اخلاقهم كانت ممتازة فنجذبوا اليهم حمداً الامم الفاطنين بينهم وبغضاءهم وكانوا يعتبرونهم امة تانف من كل الامم وان ما فرض عليهم من المحارم التي يشتركون بها مع الامم صوبت عليهم الكراهية مقدار ما يحقرهم الجميع ان الاتحاد الذي كان متصلاً بينهم ومراعاتهم باحترام ديني لصلاتهم بروساء ملتهم اي باورشليم والهيكل والاحبار والهيئات التي كانوا يبعثون بها من كل نحو وصوب كانا يجمعلان فيهم رية للامم فضلاً عن بغضة المصريين القديمة فان هذا الشعب قد عامله ملوك مصر معاملة سيئة ولم يخلص من ايديهم الا بمعجزات شتى وتبين لديك من ذلك العلة التي لاجلها عكفوا على خرافات بشأن اصله . فان كلاً يذهب كما يشاء وفي هذا الامر وفي تفسير احتشالاتهم التي كانت تدهش من لم يكن يعرف لها اسماً ومصدراً . وليس بخاف ان اليونان كانوا ذوي مهارة في خداع نفوسهم وقد كانوا يثلمون بالهشاشة وذلك اصل الخرافات التي في جوستان وناسيت وديودور الصقلي وغيرهما من مؤلفات المعاصرين الذين تكلموا عن اليهود . وان يكن من الامور الجلية انهم كتبوا بالاستناد على اشاعات

غير مقرر بعد هجر ارجبال شتى دون ان يعرفوا شرائعهم ودينهم وفلسفهم ودون ان ينظروا كتبهم ولربما دون ان يتصفحوها

ومع ذلك فرغنا عن الجهالة والوثني فكان من الثابت ان شعب اليهود وحده قد عرف من بدأة اصله الله الفاطر السماء والارض وفيها بعد كان وحده مستودع الاسرار الالهية ورعاها باحترام واهمية دينية زائدين لان الكتب التي كان المصريون والشعوب غيرهم يدعونها مقدسة كانت قد فقدت من زمن مديد وكانت بعض آثار لانتكاد تكون مهمة في التواريخ القديمة وان كتب الرومانيين المقدسة التي كتب اسرارها مشيد دينهم بما اثلتها الرومانيون انفسهم وامر بها مجلس الشيوخ ان تحرق خشية ان تكون عائقاً على نقض الدين . وغادر هؤلاء الرومانيون السبيل مهمل وان تكن تعد عندهم منذ ايام قديمة ككتب محترمة تشتمل على نبوءات لانهم كانوا يودون ان الناس يعتقدون ان في دولتهم ما رُب الالهة ومع ذلك فلم يبينوا للشعب نسخة ولا آيات بهذا الشأن بل ان اليهود وحدهم رعو كتبهم التي كانت معروفة وقد انبسط بهم رعاية اثار ديانتهم الاصلية دون سائر الشعوب القديمة وان تكن هذه الآثار مفعمة من ذكرى حجدهم وخيانتهم وخيانة آبائهم ايضاً واستمر هذه الشعب على وجه البسيطة ليأتي سائر الامم حيث تشعث بتسلسل دينه والعجائب والنبوءات التي تجعله غير مزعزع

فلما اتى يسوع المسيح وبعث به ابوه يتم مواعيد السنة ثبت ارساليته وارسالية تلاميذه بمعجزات جديدة تقيدت بهذا التدقيق عينه لان هذه الاعمال ذاعت في كل الارض . ومقتضيات الزمان والاشخاص والحال قضت بان يكون البحث عنها سهلاً على كل من اهتم ببقاء نفسه لان العالم قد فحص وامن وكل من تحرى الامور ونقر في اثار البيعة ولو قليلاً اذعن انه لم يحكم قط على قضية باكثر ثمن واكثر معرفة

لكنا بوجد في الانصال الذي بين العهدين فرق يقتضي ملاحظته وهوان الكتب القديمة قد كسبت في ازمان متباعدة ودليل ذلك ان اسفار موسى تختلف عن اسفار يشوع والفضاة وعن اسفار الملوك ايضاً لان الاسفار التي تنبى عن فتوحهم الارض المقدسة ومكثهم فيها بمعجزات بادية . ولكي يظهر الرب على خيانة شعب عاكف على الحواس تناول عدداً من الاجيال حيث وزع معجزاته ونبوءاته ليحدث مراراً الشهادات البادية التي كان بها يثبت حقائقه المقدسة . اما في العهد الجديد فقد اتبع طريقة اخرى لانه لم يكن

يريد ان يوحى بشيء جديد الى البيعة بعد يسوع المسيح لان فيه الكمال والتمام ولهذا
كتبت في ايام الرسل كل الكتب المقدسة التي الفت في العهد الجديد

اي ان شهادة يسوع المسيح واولئك الذين اراد ان يصطنعهم كشيود انبعاثوا من
الموت كافية لدى الكنيسة المسيحية وكل امر طراً بعد ذلك كان آيلاً لتشيدها لكتبا
لم تعتبر كموحى من الله الا ما كتبه الرسل او ما اثبتوه بسلطانهم . اما في الفرق نفسه
التمام بين كتب المهدين فقد راعى الرب دائماً هذا النظام وهو ان تكتب الحوادث في
وقت حدوثها في الان الذي يذيع فيه ذكرها . وعلى ذلك فكل اولئك الذين كانوا
يعرفونها كتبوها والذين لم يكونوا يعرفونها اعتمدوا الكتب التي تضمنها وتشهد بها
وساموها طراً لاختلافهم معتبرينها حوادث ثمينة فراعته الاخلاف حرمتها كل الرعاية

وبذلك تألف مجموع الكتب المقدسة في العهد الجديد والتقدم واعتبرت هذه
الكتب من البدء كحقيقة لكل امر معطاة من لدن الله نفسه ولهذا استخنت كل ذاك
الاعشاء واعتقد ان من غير منها او حرف كان كافراً فظيماً وعليه انصلت البناء وهي لائزال
محرمة غير متغيرة او بتقليدات اليهود الثابتة او بتقليدات المسيحيين الصحيحة والوثوق بها
مقرر لانها ثبتت بدماء الذين كتبوها وباشهادهم واشهاد الذين قبلوها

ان القديس اوغسطينوس وغيره من الانبياء يسألون عن المسند الذي به تنسب
الكتب الدنوية لازمة مقرر ومولفين مختفين فكل يجيب على الفور ان الكتب
تتماز بالمناسبات المختلفة بالشرائع والعوائد وتواريخ بعض الازمنة الخاصة والمولفين الخصوصيين
وفضلاً عن ذلك بالاستناد على الشهادة العامة والتقليدات الثابتة فكل هذه الوسائل
تعد لتقرر حقيقة الكتب المقدسة وتميز اوقاتها وتبين مولئها وان ما بذلوا من الجهد
لحفظها على كيانها هو مقدار ما يكون التقليد الذي ابقاها لنا دون ريبه وبناء عليه لم يكن
ذلك معروفاً فقط لدى الكاثوليك بل ايضاً لدى المبتدعين انفسهم ولدى غير المومنين
لان موسى لم يفتأ يعتبر في كل الشرق ثم في العالم قاطبة انه مشرع اليهود ومولف الكتب
التي نعزى اليه وان السحرة الذين اخذوها من عشرة الاسباط المنفصلة رعوها بكل احترام
ديني كاليهود انفسهم وان تقليداتهم وتاريخهم في غاية الثرير بذلك الشأن وان شئت
تتبع كل التسلسل فعليك بمراجعة بعض فقرات من الجزء الاول

وان هذين الشعبين المتناقضين لم يخلق احدهما منها الكتب الالهية بل انهما كليهما

اخذها من اصل واحد اي مند ايام سليمان وداود وان الاحرف العبرانية القديمة التي
 حفظها السمرة الى الان تدل على انهم لم يتبعوا عزرا الذي غيرها وبناء عليه خمسة اسفار
 السمرة وخمسة اسفار اليهود هي نسخ اصلية كاملة لا يتعلق البعض منها ببعض الآخر
 والمطابقة الكنية التي تبدو في جوهر المتن بين استقامة الشعين اللذين اصبحا شاعدين
 عادلين متقين بالشهادة دون ارتباط او بالاحرى انهما يتفنان قسراً عن عداوتها وان
 التقليد الوثيق وحده غير المتغير يوفق بينهما بفكر واحد وان الذين شأوا ان يتنولوا
 وان لم يكن لثولم من سندان هذه الكتب قد فتدت اولم توجد قط او صحت او تلفت
 حديثاً او غيرها عزرا ففضلاً عن ان عزرا نفسه يكذبهم فتدحض دعواهم ايضاً خمسة
 اسفار موسى التي لم تزل الى الان بين ايدي السمرة واطلع عليها في بداية اجيال الكنيسة
 اوسايوس القيصري والقديس ابرونيوس ومولفوا البيعة الآخرون وهي لم تزل على
 ما كانت عليه في بداية الامر. ويبدو ان هذه الشيعة الحفيرة لم تكن زمناً مديداً على
 هذا المتوال الآلثودي شهادة لتدمية موسى

وان المؤلفين الذين كتبوا الاناجيل الاربعة لم يحصلوا على شهادة اقل من رضى
 المؤمنين وغير المؤمنين والمبتدعين بالاتفاق لان هؤلاء الامم الكثيرة العدد والمختلفي
 الاجناس ترجوا هذه الكتب الالهية حالاً بعد ان سطرت فجميعهم يتفقون على ما يناط
 بتاريخها ومولفها وان الوثنيين لم يناقضوا هذا التقليد لاساس الذي ندد فيها نحو
 بداية الدين المسيحي ولا جوليانوس المجاهد وان لم يكن يجهل شيئاً مما يشيهم كما انه لم
 يجهل شيئاً من ذلك الامر ولم يرتب احد من الوثنيين في حقيقه هذه الكتب بل انهم
 نسبوا اليها المؤلفين الذي نسبهم المسيحيون ولم يجتري المبتدعون انفسهم ان يزعموا انها
 ليست من تلامذة المسيح وان كانت سلطتها تقتل عليهم. ودخيلة الامران قد كان يوجد
 عديد واكثر من هؤلاء المشيعيين وقت بداية البيعة وقد سطرت الكتب المقدسة ازاء
 اعينهم وبناء عليه فلو كان يرى خداع بهذا الشأن لكان انكشف عن مفرقة وما كان
 نال نجاحاً

ولا ريب ان قد اجترأ مارسيوس وماسس اوفج المبتدعين طراً ان يتنولوا بعد مجيء
 الرسل حين كانت البيعة تمتد في كل اطراف الارض ان ثلاثة الاناجيل مصنوعة دون
 صحة وان انجيل القديس لوقا الذي كانا يؤثرانه على غيره دون ابراز علة لذلك مزور

وهذا الرأي مناقض لتقليد الرسل الذي فناه تلاميذهم والإساقفة الذين خلفوهم في مناصبهم ولعمل الشعوب وقد قبلت البيعة كلها هذا التقليد مجمعة عليه

ولكن على أي رأي كانا يستندان فلا ريب ان استنادهم كان على روى وهمية لا على حوادث مفررة فكلمنا كانا يقولان ان كل ما هو مناقض لرأيها لا بد ان يكون مختلفاً اختلافاً من غير الرسل وكما يوردان كنجمة قاطعة لزعمها نفس أراها المنكرة عليها هذه الآراء نفسها كانت مناقضة للصواب حتى انه لم يعلم كيف انما ولجت عقولاً بشرية . ولكي يمكن الريب في امانة البيعة كان يقتضي عرض نسخ اصلية تخالف نسخ الكنيسة او ايراد ادلة قاطعة يعتمد عليها ولما شل هذان الارتكبان وتلاميذها ان يقدموا مثل هذه البراهين افهموا جواباً وادوا سكوتاً ومن نفس سكوتهم تبين صريحاً ان لم يكن يوجد في القرن الثاني للكنيسة اذ كانا يكتبان اقل دلائل على كذب الاسفار المقدسة او تزويرها ولا اضعف قرينة تخالف تقليد البيعة

وماذا الذي نقوله في اتفاق الكتب المقدسة والشهادة العجيبة الناطقة التي تودعها ازمة شعب الرب بعضها لبعض فان اوقات الهيكل الثاني تقتضي اوقات الهيكل الاول وانودنا الى سليمان ونثبتنا ان السلم لم تنأى الا بعد احداث الحرب ويوصلنا فتوح شعب الرب الى النضاضة ويشوع والخروج من مصر وعندما نلاحظ كيفية خروج شعب بره من بلاد كان فيها غريباً تذكر كيفية دخوله اليها ثم تذكر الاثني عشر اياً وتصورنا ان هذا الشعب الذي لم يكن يعتبر نفسه الا كمائلة واحدة يهودنا الى ابراهيم الذي كان اصل هذه الامة طراً . لست شعري هل تماهت هذا الشعب على الهداية ولم يعكف على عبادة الاوثان بعد ايام من بابل فذلك مفعول العقاب الذي صوته عليه جرائرة وان كان يتفخر بانه راي في غضون اجيال شتى معجزات شتى لم يكن لشعب سواه ان ينظرها فيمكن له ايضاً ان يتفخر انه كان منذراً بمعرفة الله .

فعلى ماذا تدل الخيانة وعبد المظالم والنصح وغيره من الاعياد التي كان الشعب يحتفلها منذ الزمان القديم اليس على ما هو منقوش في كتاب موسى وهل يمكن ان يكون شعب ممتاز عن غيره من الشعوب بديك وسجاياه الخاصة وقد رعى منذ البدء تعالماً سامياً ومثابرة وذكرآ حياً في تسلسل الحوادث المرتبطة طبعا وفي الاحتمالات المنظمة

والعوائد العامة مستنداً بذلك على مبادئ التكوين والايان بالعناية الربانية فهل يمكن
شعب مثل هذا ان يكون دون تاريخ بنبي عن اصل نشأته ودون سنة تقيده عاداته ملك
الف سنة مكث فيها في مملكة واحدة وهل يحتمل ان عزرا شرع على الفور بفرض عليه
باسم موسى تاريخ انثائه القديمة والسنة التي دتمت اخلاقه وذلك بعد ان اصبح اسيراً
وشاهد استئصال مملكته فليت شعري اية حكاية تنأى عن الصواب اكثر من هذه في
هذا الافتراض ومن يمكن له ان يعتقد بذلك دون ان يكون جاهلاً جاحداً فلمكي يمكن
فقد هذه الشريعة بعد ان اعطياها هذا الشعب كان من المنتضي استئصال هذه الامة او
ان يكون طراً عليها تغيرات عديدة ومختلفة حتى تشوش معرفتها باصاها ودبنها وعوائدها
فان كانت هذه البلوى قد حلت في شعب اليهود وان ستمت المعرفة صريحاً على
عهد صدقيا قد فقدت سبباً عاماً بعد هذا الملك رغماً عن اعتناء حزقيال وارمياو باروخ
ودانيال الذين كانوا دائماً يستندون عليها بمنزلة ركن قوي للدين وسياسة شعهم فاذا
فرضنا ان هذه السنة قد فقدت قسراً عن هؤلاء الصديقين وغيرهم وفي الوقت نفسه
الذي كان كثيرون فيه بنالون اكليل الشهادة حياً بهذه الشريعة كما تبين ذلك من
الاضطهادات التي المت بدانيال والنبية الثلاثة فان كانت فقدت بوقت وجيز كهذا
رغماً عن كل من ذكر واصبحت هكذا مضروباً عليها سحاف النسيان وان عزرا تصرف
بها حسب ميله وهواه فيكون قد التزم ان لا يواف سفرأ واحداً فقط بل كان يلزمه
ان يوافق في الوقت نفسه كل كتب الانبياء الاقدمين والمحدثين اي الذين كتبوا
قبل السبي وبعده وفي مدته وكتب الذين قد شاهدوا الشعب يكتبون واسفار
الذين كان الشعب يعي ذكرهم واسب كتب الانبياء فقط بل كتب سليمان وزمير
داود وكل اسفار التاريخ لانه لا يكاد يوجد في كل هذا التاريخ حادث خطير او
فصل واحد من الكتب يمكن ثبوته اذا فصلناه عن اسفار موسى فان كل الاسفار
تشكم عن موسى وكل ما فيها موسس على ما كتبه موسى ولا يمكن ان يكون بخلاف ذلك
لان موسى وشريعته والتاريخ الذي كتبه هو الاساس والعماد في اعمال شعب اليهود
ونظامه العام والخاص فيكون على عزرا مشروع غريب وحديث في العالم بان
يورد اشخاصاً كثيرين يتكلمون بالاساليب وانواع مختلفة وكل منهم يتكلم بما يكون
مطابقاً للآخر ويبيع شعباً برمته على ان يعتقد على الفور ان هذه الاسفار

هي الاسفار القديمة التي كان يودي لها احتراماً والمجدبة التي شاهد من نصها وذلك كانه لم يكن قط بسامع شيئاً وان معرفة الازمنة الحالية والغايبة الغيت فجأة . فهذه هي المعجزات التي يندب ان يسلم بها من لا يسلم بعجائب الرب ولا يقبل الشهادة التي تقرر بها انه قد قيل عن شعب برمنواته قد نظرها بمنتهيه .

ولكن فان كان هذا الشعب لدن ابايو من بابل الى ارض آباءو جديداً بمقدار كهذا وجاهلاً حتى انه كان لا يكاد يتذكر وجوده لانه قبل دون فحص كل ما شاء عزرا ان يسئله فكيف نرى في الكتاب الذي توخى عزرا كتابته كلها وفي كتاب تخبيا معاصره كل ما يقوله في الكتب المقدسة . ومن ذا الذي كان يمكن له ان يسميها يتكلمان عن شريعة موسى في محال متباينة علانية كان ذلك امر معروف لدى الجميع . وكان الكل يتداولون هذه الاسفار ولقد كانت في وسعها ان يرتبوا الاعياد والذبايح والاحتفالات وصورة المشيد ثانية والذبيحة والنظام وقصارى الامر ان كل شيء كان يتم لدن قولها حسبما نص في شريعة موسى عبد الرب

واما عزرا فيدعي في الكتاب كعلم في الشريعة حبا الرب اسرئيل به بواسطة موسى وذلك بموجب هذه الشريعة والتوانين التي كانت على يده وامره ارتخششتا ان يزور الشعب ويرتبه ويصلح اموره ومن ذلك يتأتى ان الامم انفسهم كانوا يعرفون شريعة موسى بانها شريعة لكل الشعب وكان كل علمائو يعتبرون هذه الشريعة كل آن انها قاعدت لا عالم ودستور لهم لان الحكمة واللاويين مبددون في المداين وترتبت وظائفهم ومراتبهم اتفناً حسبما نص في شريعة موسى وان كل الشعب يندم تائباً فذلك لسبب انه مبدع الشريعة وان كان يحدد العهد مع الرب بتوقيع خاص من قبيل كل الأشخاص فذلك بالتوكوه على الشريعة عينا التي كانت تلى لهذا السبب علانية بكل صراحة صباحاً ومساءً مدة ايام حجة امام كل الشعب الذي كان يلثم ليصبح لمنطوقها وهو يعتبرها كشرية آباءو . وكان العديد الاوفر من الرجال والنساء يسمعون القراءة ويعرفون التوانين التي تعلموها منذ نعومة اظفارهم فاذا كيف امكن لعزرا ان يتلو امام كل شعب كتاباً معروفاً وهو نفسه الله ورتبه حسب هواه ولم يعثره احد على ادنى وصية او تحريف او تصحيف فادهم كانوا يتلون تاريخ كل الاجيال الماضية مبتدئاً من سفر التكوين ومنتهاً في عصرهم وكان الشعب الذي ازاح عن عاتقهم مراراً حجة نير هذه

الشرعية تجعل هذا الشعب القليل دون معارضة لانه سير الامور بان احقاره لهذه
الشرعية جذب اليه كل اصناف المشاق التي كان يتكبد لها لانه منع الرباء حسب نص
الشرعية وذكر الفاظها وجل ما كان قد عند للشرعية ولم يبد احد نحيه مقاومة فلو قدر
ان هذه الشرعية تكن في حيز الوجود او كانت منسية لما رأيت شعباً من الفطرة الانسانية
يسعى بموجها من مجرد طبعه

وان كان هذا الشعب يرمته بصنح ليلكلام حي وذكر يا ولجنا الذين كانوا وقتئذ
يتنبئون وانتداه بالانبياء سلفهم لم يكونوا ينذرون الا بموسى وشرعية الرب التي اعطاه
اياما على جبل خوريب وذلك امر معروف في كل الازمنة وشعبة الامة . وان لم يكن
ذلك كذلك فاذا يقال في هذا الزمن عيبه لدن انتناء هذا الشعب بانه قد اعجب من
تتم نبوة ارميا في مئة السبي سبعين عاماً فكيف اصبح سفر ارميا الذي صنعه عزرا او غيره
من الانبياء يوجب بغتة بعين التصديق . فبما به جذبة امكان له ان يقع شعباً يرمته والشيوخ
الذين كانوا قد نظروا ولم لا يزالون منتظرين انتادهم العجيب الذي انذرهم عنه في
كتبه او قد راى ايضا ان عزرا ونحميا لم يكتبتا تاريخ عصرهما بل كتبه باسمهما مؤلف آخر
وان بالذين قد صنفوا كل اسفار العهد العتيق وما تلا من الاجيال عضد لها حتى ان
مزورين آخرين قد قدسوا لها تاريخاً ليقروا ما اختلفوا من التزوير

وما تلك الاحافة تبعث على التخل قبل لا من ان نقول ان عزرا ابرز الى الوجود فيورا
كل هذه الاسفار المتباينة عن بعضها نقاساً وزماناً يقولون انه ادخل اليها العجائب والنبوءات
التي تقرى الناس بان تعتبرها الالهية فتكون هذه الضلالة اشرف من الاولى لانه
هذه العجائب والنبوءات هي منشقة بمقدار كذا في كل الاسفار ومكررة ومنهقة بعبارات
مختلفة كثيرة الاستعارات عظيمة الوقع وباجاز القول انها داخلة ضمن الاسفار هكذا
معتبرين ان يقتضي ان لا يكونوا قد تصفوها انه لا يسهل عليهم ان ياتوا بها يضاهيها بان
يضمنوها اموراً لا يود المحدثون ان يروها فيها ولو منحوا كل ما يطلبونه فكل ما فيها عجيب
والافني ركن المكتب المقدسة حتى انها تدوم قمرأ عن اكل اجتهاد . ولو قدرنا ان
عزرا اضاف بعد الحادث النبوءات الى ما كان قد حدث في زمانه فمن يكون اذ ذاك
قد اضاف الحوادث التي تمت فيما بعد على عهد اشيوخ خوس والمكابيين وغيرهم وهل
من الممكن ان يكون الله قد من على عزرا بروح النبوة حتى يظهر خداه مضاهياً للعني

وعلى ذلك يؤثرون ان يكون ذلك تزويراً على ان يكون قام به اشعيا او ارميا او دانيال
او ان كل جيل كان منطوياً على مزور ذي سعادة يصيغ اليه كل الشعب ومزورين
حد يبين بكونهم قد انحازوا الى الكتب المقدسة محبة في الدين حتى انه بعد ان يكون
القانون قد تم وتكون الكتب قد انتشرت في كل الارض بين اليهود وترجمت الى كل
اللغات الاجنبية يكون ذلك لندار الدين في سبيل الغيرة على تفيده. فكل من الممكن
ان شعباً برغمه يستعج دون عناية بكل ما يقتضيه الهياً سواء كان اعتقاده بذلك خطأ او
صواباً وهل يتأتى ان احداً يمكن له ان يفتح المسيحيين او المسلمين ان يضيفوا الى الانجيل
او القرآن فصلاً واحداً ولربما ان اليهود كانوا يساهلون بمثل ذلك اكثر من غيرهم
او انهم كانوا لا يهتمون كتبهم المقدسة كغيرهم. فيا لها من آراء خاملة تنسبت بها لما
نشأ ان تلقى عن عوانتنا بهر السلطة الالهية ولا ترتاب حواسنا واخلاقنا الا بعقلنا الضال

الفصل الثامن والعشرون

في ان المصاعب التي تخيلونها للكتاب المقدس يسهل دحضها
لدى ذوي العقول الثاقبة

ليس من دأبك ان تقول ان البحث في هذه الامور صعب لانه لو كان صعباً
لاقتضى ان نسلم اما بسلطة الكنيسة او بالتقليد المتواتر منذ اجيال عديدة او تنكس فاحصين
الى النهاية ولا ننكر اننا نتملص عن هذا التفسير لدى قولنا ان يستلزم وقت تكرر أكثر
عما نريد لخلاص نفوسنا وذخيلة الأمر انه بدون ان نقلب بهياء عظيم كتب العهدين
ينتهي ان ترى رسائل القديس بولس الحجة البديعة المحاوية سائر حوادث الوقت
والاشغال والمحركات التي تمت وقتئذ والتي لها صفات خاصة ولا ريب ان هذه
الرسائل التي كانت مقبولة في الكتابس التي ارسلت اليها قد انبثت في غيرهما من
الكتابس هذه وحدها تكفي لتفتح العقول المستقيمة ان كل شيء حق في الكتب
المقدسة التي سلمها اليها الرسل.

وعلى هذا نرى ان بعض هذه الكتب يقوم بناصر البعض منها لان اعمال الرسل

تابعة للانجيل وتقدره طبعاً رسالاتهم ولكن فلكي يكون كل شيء بالمطابقة تستلزم
 اعمال الرسل والرسائل والانجيل في كل مصر كتب اليهود القديمة لان القديس
 بولس وغيره من الرسل يستشهدون دائماً بقول موسى وما كتبه وما قاله الانبياء او كتبوه
 بعده لان يسوع المسيح يستشهد بموسى والانبياء والمزامير معتبراً انها شهادات للحقيقة عينها.
 ومتى اراد ان ينسر اسراره يتحدى بموسى والانبياء واذ يقول لليهود ان موسى كتب عنه
 يجعل ما هو اكثر تحقيقاً لديهم اسماً وبذلك يقودهم الى جرثومة تقليداتهم . ومع هذا كما
 قلنا ان لنتف على ما يعترضون هذه الشهادة المعروفة وما هو مقبول لدى كل
 الاجيال اذ لا يجب ان نؤمن اقوالهم بمجد قدمية هذه الاسفار لانهم اجترأوا في ايماننا ان
 ينشروا تعاليم في كل اللغات ضد الكتب المقدسة . فاذا الذي يتعدونه ليشيوا ابتداع
 الاسفار الخمسة وما ذا الذي يعترضون به هذا التقليد الذي مضى عليه ثلاثة الاف من
 الاعوام وليس له من عضده سوى قوته الخاصة . ويؤخذ من تواتر الامور ان لا شيء من
 اقوالهم متتابع ولا شيء لديهم محقق ولا خطر بل ما يتفهون به بشأن التعداد والحال
 والاسماء كالة او هام وان هذه الملاحظات التي لا تعتبر في اي موضوع كان كمدخلات
 باطلة ليس لها قوة تشين بها جوهر الامور فانها تلغ البنا ببراهين قاطعة ضد اشياء
 متناهية في الاهمية . يزعمون ان قد يوجد صعوبات عظيمة في تاريخ الكتب المقدسة
 صعوبات لا تبرز الى الوجود لو كان الكتاب غير قديم او قام باعباء رجل ماهر
 حصيف كما يقولون وكذلك ان هذه الصعوبات لم تكن لو كان الشعب الذي نقله البنا
 غير مدقق في رعايته على كيانه ولو كانت له الحرية في تدليل صعابه وعدا ذلك فيه
 الصعوبات التي تقيم من طول الزمان اذ تغبر الحال بالنظر الى اسمائها واحوالها والتواريخ
 تكون قد تناسلت ولم تعد توارىخ العيال تعرف ولم تصحح الاغلاط المتأناة من النسخ المهمة
 او ان بعض حوادث نسبها النوع الانساني بقي بعدها الابهام في جزء من التاريخ ولكن
 هذا الابهام هو في تسلسل الامور او في زكها فكلاً فكل الحوادث متناسلة وان ما هو مهم
 يفيد قدمية الكتب المقدسة وجوب تأدية الاحترام لها

يقولون ان قد يوجد تغيير في النص لان الترجمات القديمة لا تنطبق على بعضها
 وان النسخة العبرانية عينها فيها منافضة بين بعض فقراتها في محال شتى وان نسخة السمرة
 تختلف ايضاً في مواضع عديدة عن نسخة اليهود عدا الكلمة التي يمتنعونهم بتغييرها

عمداً بشأن هيكلهم على جبل غريزيم والذي يستتبعونه من ذلك هو ان اليهود او عزرا
 يكونون قد زوروا خمسة اسفار موسى بعد الاياب من السبي فكان من المنتضى ان تكون
 النتيجة عكس ذلك لان الاختلاف الذي في النسخة السامرية يفيد تثبيت ما قد قررناه
 وهو ان نسخهم لا علاقة لها بنسخة اليهود ولا يمكننا ان نتصور ان هؤلاء المنفصلين قد
 اتخذوا شيئاً عن اليهود وعزرا اذ نراه بالعكس لم يخلفوا الا بغضة لليهود وعزرا والله
 من الهيكل الاول والثاني روايتهم بشأن غريزيم ومن ذا الذي لا يرى انه لو صح زعم
 المتمردين لكان هؤلاء المنفصلون انهم واليهود باخلاق الكتب ولم يتبعوهم لكن هؤلاء
 المتمردين الذين رفضوا عزرا وكل الانبياء وهيكل اليهود الذي شاده سليمان واعده
 داود وعين محله فماذا يجزمون في خمسة اسفار موسى الا قدميتها السابقة عزرا والانبياء
 وسليمان وداود القديمة المجمعة عليها الاثنتان اليهودية والسامرية فما اعز سلطة موسى وما
 اقوى حجة اسفاره الخمسة التي بدلاً من ان ترعرعها الاعتراضات تثبتها بقوة عظيمة
 كذلك نقول من اين هذا التباين في النصوص والترجمات المتنوعة لعمرى انه لا
 يتبقى الا من قدمية الكتاب نفسه وكيف انصلت سلامة الذي تداوله ابادي الناسخين
 منذ اجيال حجة واللغة الذي كتب بها بطلت ان تكون مستعملة ولندع هذه المنازعات
 الباطلة ونبت الجدال بكلمة واحدة وهي فليقل لى اى شاء ما ذا ينتج من كل هذه الترجمات
 ومن كل المان الا الشرايع نفسها والمعجزات عينها والنبوءات نفسها وتسلسل تاريخ نفسه
 وتعليم واحد بعينه وقصاري الامر جوهر واحد نفسه . وساء عليه فما هو الضرر الناجم
 من اختلاف النصوص وما الذي يهنا سوى ثبات هذه المكتبة المقدسة وما ذا الذي
 يمكن لنا ان نطلبه من الحكمة والعناية الصمدانية اكثر من ذلك .

واما من قبيل الترجمات فهل من سمات التزوير والمحدثية كون لغة الكتاب
 المقدس قديمة بهذا المقدار حتى اننا لا نستجلى دقايقها ولا يمكن لنا ان نعبر عنها بنصاحة
 او بلاغة او بكل الثوة او التدقيق الواجب للعمرى بل ان كل ذلك بينة وضيفة على
 قدمية الكتاب ومن شاء ان ينقر في الامور الخفية فليقل لنا هل يمكن له ان يثبت
 بالبرهان او بالتقدير احد المشاكل التي براما في بعض فقرات فلا اعتماد بذلك على
 صحة النسخ وما ان التمايز لم يدع التعليم الوثيق يتعرض للفساد فان وجدت اغلاط
 اخرى فنفيد المبرهان على انه لم يكن احد يحدد شيئاً بهذه الكتب بروحه الخاص

وعليه فاليك قوة الاعتراض الم يصف شيء الى ما نفيه موسى فمن اين
يتاني ان نرى قصة موته في آخر السفر الذي يعزى اليه والجواب اي عجب
من ان الذين اتفقوا تاريخه اضافوا قصة موته السعيد الى كل اعماله لكي يبرزوا من
الكل مجموعاً واحداً

ولننظر في الاضافات الاخرى فاحصين اي سنة جديدة ام طقس حديث ام
قاعدة للايمان ام عجيبة ام نبوة فما من احد افكر بزيادة شيء من ذلك ولا يوجد شيء
بمحملنا على الظن ولا شيء لا بد لنا البتة لان هذه الاضافة تكون قد ضمت الى
عمل الرب والشرعية حرمت ذلك ومن يكن قد صنع ذاك فلا رية ان يكون
سبب عثرة رائحة فماذا نقول اذا فيمكن ان يكونوا قد اتفقوا تاريخ نسبة باسحق او
انهم اوضحوا اسم مدينة حرف لتواتر الزمان ومن ذلك انهم قرروا الوقت الذي
بطل المن السماوي بعد ان افتات منه الشعب اربعين عاماً لان هذا الحادث اثبت
في سفر آخر هو سفر يشوع فعانت عليه الملاحظة في سفر موسى فمكت حادثاً
مقرراً ومشهوراً لدى كل الشعب . وبوجد اربع او خمس ملاحظات او حواشي على
هذا النمط مأخوذة عن سفر يشوع او صموئيل او بعض الانبياء الاقدمين وبما ان هذه
الملاحظات او الحواشي لا تشير الا الى حوادث معروفة لدى العامة وليس بالتسليم بها
من صعوبة فلا عجب من ان تكون قد اثبتت في المتن ووصلت الينا بالتقليد مع غيرها
فلا يبقى اعتراض مع ذلك لا يتفكرون عن اعيان عزرا وان تكن النسخة السامرية تبين
لنا ان هذه الملاحظات ذات قدمية تفوق قدميته وقدمية انشاق الاسباط العشرة فلا
يعبأون بذلك بل يعزرون في اية حالة كانت كل امر الى

وان كانت هذه الملاحظات علنت في جبل اقدم فاسفار موسى الخمسة تكون
اكثر قدمية وتزداد رعاية الحرمة لهذا الكتاب المقرر للملاحظات نفسها بقدمية متناهية ثم
على هذا يكون عزرا قد كتب كل شيء ولكن ذهب من فأكتره ان قصده ان يجعل
موسى يتكلم ويكون جعله يكتب بكل خشونة اموراً لم تتم الا بعده وعلى ذلك ايضاً يعود
لازماً ان نقول ان كل التاليف مختلف ومزور بسبب زيادة عبارة عليه وان شهادة كل
الاجيال والتسليم العام به لا تجديه شيئاً من المنفعة . والامر بالعكس فان هذه
الملاحظات التي يستندون عليها هي براهين جديدة على حقيقة الاسفار ولصدق اولئك الذين

قاموا بها وللذين نقلوها وهل حكم بذلك على تفتيق كتابه كان
 بالاستناد على براهين ضعيفة ولم يكن ذلك إلا لأن هذا الكتاب هو عدو الجنس
 البشري لانه يفسر البشر على ان يرضخوا لمقاصد الرب ويقمع ايضا شهادتهم غير المنظمة
 فبناء على مقتضى محوه في اي وجه كان ويلزم تفتيقه لراحة النساد البشري

ولا تخال أن الكفر يتأتى دون عوزة في كل هذه الامور المستحيلة التي شاهدها
 قد خابرها وانما تنكر على موسى والانبيا المعروفين اسفارهم رغما بيشة النوع الانساني
 وكل قواعد العقل السليم وتجد تاريخهم لأن له منعولا عظيما في هذه المادة لأميرين وهما ان
 هذه الاسفار ممتلئة من كل هذه الحوادث العجيبة المزدانة بكل ظروفها الخاصة والمعروفة
 بانها حوادث ذاتة وحاصلة فاذا امكن تكذيبها سهل نكرانها والحكم باضجلاها ولولم
 ثوبا على ذاتها لكانت همت من زمان مديد بذاتها ثم بعد ان ثبت تاريخها لا يبق
 امكان لانقضاء العلامة الثابتة التي تدل على الروحي الالهي الذي آثاره في أكثرها ولا
 ينكر تسلسل النبوات الشهيرة التي تكثر فيها

ولكني يحجبها هذه الاعاجيب وهذه النبوات فكيف الكفر على الامور المستحيلة التي
 يعتمدهم على الدهشة ولكن لا يجب ان يخالوا انهم بذلك تملصوا من ايدي الرب لانه
 اني لا اسفاره المقدسة دلالة الهية ليس من الممكن انزالها وهي العلاقة بين المهدين . ولا
 ريب ان ليس من احد ينكر ان كل العهد القديم كتب قبل الجديد وانه ليس هنا عزرا
 اخر يحمل اليهود على ان يمتدعوا او يزورا كتبهم المقدسة لفائدة المسيحيين الذين يضطهدونهم
 ولنا نحتاج الى حجة اخرى . وشين من توصل المهدين ان كتبها من الوحي الالهي لان لها
 مقصدا واحدا وتسليما واحدا فان احدها بعد الطريق والكمال والاخر يظهرها ويوضحها
 واحدا يشيد الاساس والاخر يتم البناء وقصاري الامرات احدها يتبأ عما يبدى
 الآخر كاملا ومصنوعا وبذلك نرى كل الازمنة مرتبطة ببعضها وشين لنا من هذا
 التسلسل ما ريب الهى وان تقليد اليهود والمسيحيين لا يتأتى منها الا دين واحد وان
 اسفار المهدين ليسا الا مجموعا واحدا وكتابا واحدا

الفصل التاسع والعشرون

في وسيلة سهلة للنزقي الى اصل الدين والوقوف على كنهه

ان هذا كله يفتح لدى كل من يعبرها جانباً من الانتباه ولكن بما ان كل العقول ليست بقادرة ان تنزري هذا القياس فلنقد العقول الواهنة قيادة بدوية لنوصلها رويداً رويداً الى الاصل

فليعتبر الناس الشرائع المسيحية من جهة والشرائع اليهودية من اخرى ويتطلبوا اسمها ويباشروا ما آتوا عليه من الشرائع المسيحية وينظروا بالتدقيق الى القوانين التي تترتب عليها اخلافنا ويلاحظوا كتبنا المقدسة اي الاناجيل الاربعة واعمال الرسل والرسائل الكاثوليكية ورموز القديس بوحنا والاسرار والذبيحة والعبادة ومن الاسرار سر العباد حيث يرى تكريس الانسان باسم الثالوث الالهي والافتخار بسميتنا اي السر الموضوع لحفظ تذكارة موت المسيح ومغفرة الخطايا المتعلقة بها وتدير البيعة المسيحية عمومًا والبيع خصوصاً والاساقفة والكهنة والشماسة الذين دعي بهم للقيام باعباء سياستها . وكل هذه الامور الحديثة المفردة العامة لا بد لها من اصل ولكن ما هو اصلها وابتدائها ايكون ذلك غير يسوع المسيح وتلاميذه لاننا اذا تدرجنا من جبل الى اخر رأينا ذلك فيه لا في جبل . قبله وتكون هذه الامور قد ابتدأت مشفوعة ببداية الاسم المسيحي فاذا قررنا لنا معبودية وانجارتنا وكل ما ذكر فالواضح لذلك لا بد من ان يكون المسيح وهو الذي من على تلاميذه بارثاء الدرجات وذكر اعماله واسطة نعمته . وان كل الاسفار المقدسة كتبت برمتها من عهد الرسل لاقبل ولا بعد وتفرع منها اصول السلطة الاستغنية وليس لها مصدر سوى ذلك . ولا غرو ان كان في اسافتنا راس فذلك كان بين الرسل فمن هو الراس والاول بيننا فهو معروف هكذا من بدء الدين المسيحي كخليفة من كان الاول والرأس في عهد يسوع المسيح نفسه اي بطرس

انني اجترى على ان اثبت هذه كلها واما الامر الاخير فهو كامر مقرر لا يمكن ان يلج به نزاع او يخامر ريب لدى سليم النية ويستعمل ان يرتاب في الاحوال الاخرى ويسهل بيانها من كلام الذين غالوا في اقامة الجدل فيها ولا فرق في ذلك ان كان بسبب

الجهل او بسبب محبة المناقضة

فتلك في مبادئ الشرائع المسيحية ونظام المذهب فلنتدرج الآن في هذا الطريق
عنه لنصل الى مبدأ الشرائع اليهودية واصحابها وبما اتنا وجدنا تلك المسيح دون ان
تتطال الى ما وراء ذلك نتلجى ان نتصل بموسى بالطريق نفسها والبراهين عنها او ان
نتصل بالاصل الذي وضعه

ان لليهود ولنا شرائع وعوائد واسراراً وكتباً مقدسة واحباراً وكهنة وعبادة في
المهيكل وان اكثرهم لم تنزل مرعية عندهم . وان الكهنوت كان قد ترتب في عائلة
هرون اخي موسى وباتي الفرق بين الطغمة الكهنوتية من هرون واولاده اذ كل يتعلق
بقصته وكلهم يصدر من هرون دون امكان ان يعزوا الى من قبله . وان الفصح
والاعباد الباقية ليست باقل قدمية وفي هذا الفصح كل شيء بذكر تلك الليلة حيث
شعب الرب قد تخلص من نير عبودية مصر . وان عدد الايام نفسه بفصل هذين العبدان
ثم عيد المظال المقامة بغصون خضراء التي كان الشعب يقطن فيها من زمن مديد
كل عام سبعة ايام وسبع ليال تذكر اكارا لمكثهم في البرية اربعين سنة . وقصارى الامر
انه لا يوجد عند اليهود عيد ولا سر ولا احتفال الا وضعه موسى او قرره . او ان يكون
موسوماً بنوع ما يبد هذا الشارع العظيم

ولكن كل هذه الشرائع الدينية ليست من زمان واحد لان الخيانة وحظر اكل
الدم ورعاية السبت هي قبل موسى وقبل السنة المكتوبة كما بضح ذلك من سفر الخروج .
واما الشعب فكان حافظاً هذه التواريخ وموسى نفسه نقلها الى كتابه لان الخيانة تاتي من
ابراهيم ابى الامة ومن المعاهدة وحظر اكل الدم متصل بنوح والطوفان . وتواتر السبت
يوصلنا الى تكوين العالم والى اليوم السابع الذي باركه الرب وحينئذ تم عمله العظيم .
وبناء عليه فكل الحوادث الخطيرة التي توصل الى تعليم المؤمنين وثقتهم كان ذكرها
مرعياً لدى اليهود وان هذه القواعد القديمة كانت تخرز في شعب الله بامتزاجها
بالقواعد التي وضعها موسى قواعد دين الاجيال الماضية برمتها

وان قسماً من هذه القوانين التي كان اليهود يودون رعايتها لم تبقى مرعية بينهم في
هذه الايام لان الهيكل قد دثر وبطلت به الذبائح والقرابين والكهنوت القديم الشرعي
لان اولاد هرون لم يبقوا معروفين بين اليهود اذ كل الاسباط اخلطت معاً ولكن

بأن كل هذا كان لا يزال برهته لدن ما في المسيح الذي كان دائماً يعزوه كلاً الى موسى لا يحتاج الى غيرها من البراهين ليحقق لدينا ان كل هذه الامور تأتي من عهد قديم ومن اهل الامة نفسها

وان لم يكن ذلك كذلك فلنشر في الامور مدققتين ونزولاً الى كل التواريخ اذ يمكن لنا الوقوف عليها ونقول قبل كل شيء لابد من ان نصل الى عزرا . لان المسيح قد اتى قبل اقامة الهيكل الثاني . ومن المتران هذا الهيكل شيد في ايام عزرا . وان المسيح لم يذكر في انجيله الا اسفار اليهود الثانوية ولكن حسب تقليد الامة الدائم ان هذا القانون قد تم وانتهى في ايام عزرا دون ان يضيف اليه اليهود ادنى شيء فيما بعد . وكل هذا ما لا رية فيه بل مسلم من الجميع فبناءً عليه يكون هذا العصر كتاريخ مضاعف او محط عظيم له اهمية كبرى لتاريخ اليهود وخصوصاً لكنهم المتدسة . الا انه قد تقرر لدينا بكل صراحة انه لا ينتضي التوقف هنا اذ في هذا العصر يعزى كل شيء الى مبدأ اخر . اذ اسم موسى يبدو دائماً كاسم رجل يحترم الشعب اسفاره وكتبه وكل الانبياء الذين كانوا يعاصرونه او كانوا قبله واسفاره هذه هي اساس دين اليهود فلا نعتبر الان هؤلاء الانبياء موجياً بهم من الغلاء بل اناساً بدوا ازمة متباينة في عهد ملوك مختلفين . وان الشعب اصاخ لكلامهم معتبراً انهم مفسرون للدين فينبغي من ذلك ان خلافتهم وخلافة الملوك الذين يتصل تاريخهم بتاريخهم تنودنا بصراحة الى اصل موسى الذي ننتمي اليه . لان ملاخي وحجي وعزرا وذكرنا الذين يعتبرون شريعة موسى انها موضوعة في كل آن يتصلون بزمان دانيال حيث يبدو صريحاً ان هذه الشريعة كانت معروفة لدى الجميع ويتصل دانيال نفسه بارميا وحزقيا اذ لا يبدو الا موسى والعهد الذي عنده مع الرب والانذارات والعقوبات المعلقة لمن لا يدين لها . وان الجميع يتحدثون بهذه الشريعة كأنهم يعرفونها منذ صباهم . ولا يذكرونها فقط كأنها امر مقبول في حيز الكيان بل تراهم لا ينهاتون على عمل ولا يشوهون بكلمة الا يكون لذلك علاقة مكنونة بهذه السنة

ان ارميا بوصفنا الى يوشيا حيث اخذ يتنبأ وكانت شريعة موسى متعارفة وقتئذ ومشتهرة لدى الجميع بانها من تأليف ذلك النبي الذي كان الشعب يتصفها بتقليد ونبوة التي كان يسلمها باذنيه . وقصاري الامر اي شيء جعل تنوى ذلك الملك

مشتهرة في الخارج اليس عكوفه من صغر سنه على هدم كل ما كل الاصنام التي اقامت عليها شريعة موسى تكبراً ولقد احتفل باهتمام خاص بالاعباد التي ابرمتها . منها عيد الفصح وكل العبادات التي لم تنزل مكتوبة في شريعة حزقيا وارعد هو وشعبه اذ شعر انهم خلفوها غير عابئين بالرب الذي سنها ولكن لا يجب ان تتوقف ههنا . فان حزقيا قد احتفل احد اجداده بعيد الفصح بكل اعتباره لائق قاضياً الارب بان يتبع شريعة موسى . ولم يفتأ اشعيا النبي يوعز اليها وقد اقتناه بذلك غيره من الانبياء ولم يكن ذلك في عهد حزقيا فقط بل احتجاباً طويلاً في ايام سلو . ولما اصاب احد اجداده يوشيا بالبرص طرده الشعب من الهيكل تطبيقاً لنص الشريعة وفصلوه عن الشعب بكل الاحتياطات التي قامت بها

فان هذا المثل المشهور في شخص ملك عظيم بيننا ان الشريعة كانت دائماً مشخصة لدى ابصار الشعب ومعروفة عندهم كي لا تأتي من جرثومة اقدم منه وليس يشق علينا لثرتي من امازياس ويوشافاط واذا ورجعنا الى سليمان ابيه الذي يغري برعاية شريعة اباؤك بكلامه في سفر الامثال وهو : ارفع ياني وصية ابيك ولا ترفض شريعة امك اعندما في قلبك في كل حين واعصها في عنقك وفي تهديك في سيرك وتحافظ عليك في رقادك واذا استنظمت فهي تحذرك لان الوصية مصباح والشريعة نور وتوجيه الناديب طريق الحياة وفي قوله هذا لم يصنع شيئاً سوى انه كرر ما كان قد قاله ابيه داود : شريعة الرب كاملة ترد النفوس وشهادة الرب صادقة تحكم الغي . امر الرب مستقيم بفرح القلب ووصية الرب نية تدير العيون وكل هذه ليست سوى تكرار ما تنقوه به هذه الشريعة نفسها واجراؤها وهاك ما نقوله . ولكن هذه الكلمات التي انا امرك بها اليوم في قلبك وكررها على بيتك وكلهم بها اذا جلست في بيتك واذا مشيت في الطريق واذا نمت واذا قممت واعندما علامة على يدك . ولكن عصائب بين عينيك واكتبها على عضابيد ابواب بيتك وعلى ابوابك ومن ثم قد ارسلنا ان تأتي هذه الشريعة بوسائل خفية او ان في الامكان مزاييلها للفكر بعد ان كان من المتحتم ان تكون مالوفة ومتناقلة بين ايدي السمع . ومن منافع الحداثة انهم طفوا كل الشعب والجنوة ان يدعن بان هذه الشريعة هي شريعة اباؤك دون ان يرى في كل الازمنة آثاراً لاربية فيها فذاك رأي محالي

واما الان فبما ان كلامنا مقصور على داود وسليمان نقول ان صنيعها العظيم الذي لم يبع ذكر من بين الشعب هو الهيكل . ولكن ماذا الذي صنعه هذان الملكان عندما اعدا الهيكل وشيدا هذا البناء الذي لا ضرب له فانها لم يضع شيئا سوى ما نصته شريعة موسى التي كانت قد اوعزت ان يتخيروا مكانا يحفل فيه عبادة كل الامة وتقدم فيه كل الذبائح التي انذر بها موسى . ويقام فيه نابوت العهد الذي اقامه في البرية وبوع لاثني قبة العهد التي شادها موسى لتكون رسما للهيكل الآتي وعلى ذلك لم تكن ساعة الا كان فيها موسى وشريعته حين . وان تذكرك هذا المشرع الشهير يتدرج من ملك الى آخر ومن سنة الى اخرى حتى يتصل اليه

فلندعنا اذا ان تليدات موسى في اجلي بيان وانها نبعت على ان تكون متبوعة وانها عرية من طائفة التزوير دون ربة ومراء وان الزمان الذي تاتي منه هذه الخلافة يتصل بعضه ببعض الاخر كي لا يبقى فيه ادنى فاصل او خلل يتكفلان بالتزوير فليت شعري علام نفوه باسم التزوير فانه لا يسوغ ان نتجمل وجوده لو كنا نهافت على شيء من الصواب . لان كل شيء ممثلي من شريعة موسى ومناد بها ومستمند نوره منها ومن اسفاره ويستحيل ان تكون قد تناست في برهة وجيزة . وقد اقيمت حجج راهنة على ان النسخة التي اقامها في الهيكل حلتها الكاهل العظيم في السنة الثامنة عشر لملك بوشيا وتقدمت له كانت وحدها باقية وتنتد . وذلك لان ماذا الذي يكون قد قضى على باقي النسخ بالفناء . وما يكون قد طرأ على اسفار موسي واشعيا وعاموس ومينا وغيرهم من الذين كتبوا قورا قبل هذا الحين واسفار كل الذين اختلفوا بالعمل والتوى . فبناء عليه اين يكون ارميا قد تعلم الكتب المقدسة وهو الذي كان قد شرع ينسب قبل هذا الاكتشاف ومنذ السنة الثالثة عشر لملك بوشيا لان الانبياء كانوا يتشكون من ان الشعب كانوا يخالفون شريعة موسى . ولم يكن اقصى بهم الامر الى ان فقدوها ولا تقرأ ايضا في الكتب ان احاز ومنسى وعمون واوحد الملوك الكفرة الذين كانوا قبل بوشيا حاولوا ائتلاف هذه الاسفار لان شروعا كهذا كان يبعث على الجنون والاحمال لمندار ما كان فيه من الكفر . وان ذكر هذا العمل لا يمكن ان يكون قد زال مطلقا ولو انهم راموا محو هذه الاسفار في مملكة يهوذا . بيد ان سلطتهم لم تكن تمتد الى اراضي مملكة اسرائيل حيث تكون قد رعت هذه الكتب . ويضح من ذلك ان السفر الذي اتى به الكاهن

العظيم للملك يوشيا الأ نسخة مدققة ومحفقة أكثر من غيرها يكون قد نص على عهد سلفه ووضعه في الهيكل أو بالأحرى ان هذه النسخة انما هي النسخة الاصلية التي امر بها هذا الشارع الحكيم ان نقام جانب ثابوت عهد الحرب لتكون ثم عليهم شاهداً : وهذا ما يشير اليه كلام الكتاب المقدم وهو : وجد حلقيا الكاهن سفر تورااة الرب بخط موسى . ومهما كان المعنى الذي توهمول اليه هذه الكلمات فمن البين ان لم يكن شيء اقدر من هذا يتيقظ به الشعب القبي ونسبي غيرته بتلاوة الشريعة التي كانت كما ظن مهملّة ومن أكبر الوسائل التي تلي بها النسخة الاصلية المهمة الموضوعه في الهيكل باهتمام موسى واوامره كشاهد على نرد الشعب ومخالفة الوصايا دون ان نلجأ الى ان نتخيل الامر غير الممكن اي ان شريعة الرب اصحبت منسية او لم يوجد منها الا نسخة واحدة . لكن ذلك بعكس الامر فقد يتضح ان اكتشاف هذه النسخة لم يند الشعب شيئاً جديداً بل يحمله على ان يصيح لصوت معروف لديه وهذا الامر حمل الملك على ان يقول : اذهبوا فاستلوا الرب لي وللباقيين في اسرائيل وبهوذا من جهة كلام السفر الذي وجد لانه عظيم غضب الرب الذي انصب علينا لاجل ان آباءنا لم يحفظوا كلامه ليعملوا بكل ما كتب في هذا السفر

وبعد كل هذا لا يقتضي ان نعى بان نفحص بنوع خاص كل ما خاله عدوؤنا الايمان والعلماء الدجالون والمتشدون الزاهقون بشأن تزوير اسفار موسى لان هذه الاشياء الحالية يعثر عليها في كل مكان وكل زمان لاسيما في عهد عزرا فترى في الشعب نفوراً لا يمكن قمعه فيتخذ كثيرون قديماً ما لم يكن سمع به البتة وكثيرون اتى من موسى معروفاً مقررّاً ما يكون قد وضع حديثاً بين اباؤهم

ويلزم ايضاً ان لا يزيل الفكرة ما ينوط بالعشرة الاسباط وهو الامر الذي لا يكثر تعداده لان هذا التاريخ هو من اهم الحوادث المنوطة بتاريخ الامة فان مملكة اسرائيل الجديدة تكونت حينئذ وانقسمت شطرين وهما مملكة داود ومملكة سليمان . وعليه فاذا كانت اسفار موسى مكثت في الامتين كارث عام فلا ريب انها انت من آباء النبيين قبل الانشقاق وبناء عليه فانها انت من سليمان وداود وصموئيل الذي كرسه ملكاً وعالي الذي تعلم صموئيل في ايامه وهو طفل عبادة الرب وحفظ الشريعة التي كان داود ينشدها في مزاميره التي كانت عرضة لغناء الجميع وسليمان في احكاميه التي تداولها

ابادي كل الشعب وقصارى الامر انك كلما تاخرت في الاجيال ترى دائماً شريعة موسى مفرّة ومعروفة لدى الجميع ولا يمكن ان ترى مفرّاً الا في سفر موسى نفسه وفي الاسفار المسيحية . ولا مفرّاً الا في زمان المسيح والرسل

ولكن ماذا الذي نراه في هذا المفر او ماذا الذي نراه في هذين المفرين اللذين لا يحولان وهما زمان موسى والمسيح . فأننا لا نرى اذ ذاك سوى الاعاجيب الساطعة والمعجزات الرائعة التي تبين كما سبق القول ارسالية هذا وذاك . فمن جهة ترى ضربات مصر وعبور البحر الاحمر والشريعة التي منّ بها الرب على جبل سيناء وافتتاح الارض وكل المعجزات الاخرى التي كانوا يقولون عنها للشعب انه شاهدها باعينه . ومن اخرى ترى شفاء الامراض العديدة وانبعاث الموتى ويسوع المسيح نفسه الذي اثبت انبعاثه الذين شاهدوه وحققوه حتى الموت اي كل ما تمنناه لتقرير حقيقة حادث لان الله نفسه (ولا اخشى ان اجترى على ان اقول ذلك) لا يمكنه ان يصنع شيئاً أكثر وضوحاً لتثبيت حقيقة حادث الا بان يعرضه على شهادة الحواس ولا ان يبرز برهاناً لتصدق الشهود اقوى من برهان موت في معصية العذاب

ولكن بعد ان تصمدنا من الفيتين اليهود والمسيحيين وصلنا الى جرثومة متناهية في الالوهة والغربة حتى لم يبق علينا شيء من الكلمة صنيعنا الا تبين ان رابط هاتين الشريعتين اثبات من لدن البارئ تعالى ولا ريب انه يقتضي ان يكون رابط بين افعاله وان كل شيء يكون صادراً من مقصد واحد وان الشريعة المسيحية التي امت اخر الامر يجب ان تكون متصلة بالاولى وذلك امر لا يمكن لاحد نكرانه . ولا ينكر احد ايضاً ان اليهود كانوا ينتظرون المسيح ولم يزالوا ينتظرونه وان النبوات التي عندهم لا تسوّغ ان يرتاب بان المسيح الذي وعد به اليهود هو نفسه الذي نعتقد به

الفصل الثلاثون

في ان النبوات تختصر في ثلاثة حوادث بينة

وان مثل ابن الله بقرب ارتباطها

بما ان البحث في النبوات الخاصة يناط بمجواث كثيرة لا يستعمل الجميع ادراكها

وان تكون ذات انوار باهر قد اصطفى الرب بعضاً منها جعلها محسوسة لدى الذين
توغلوا كثيراً في عباب الجهالة والعمية فهذه الحوادث الساطعة التي شاهدها العالم كافة
هي التي قد بذلت غاية المجهود في ان اسلمها لديك . وجلها دثار شعب اليهود وارتداد
الامم وكلاهما حدثا معاً في الوقت الذي انتشر فيه الانجيل وبدا يسوع المسيح

فهذه الامور الثلاثة المتحدّة في تسلسل الزمان كانت أكثر اتحاداً في تسلسل احكام
الرب فقد شاهدها جارية معاً في النبوات القديمة . واما يسوع المسيح المنسرب للنبوات
وارادة الرب اياه فتد ابان لنا هذا الاتحاد باجلى بيان في انجيله لانه قد صرّح ذلك
في مثل الكرمة ذات الالوان لدى الانبياء قائلاً ان سيد بيت غرس هذه الكرمة
اي الدين الحق الموطن على عهده ووكّل بها عملة يحرسونها اي اليهود ويحبون ثمرته وارسل
عبيده مراراً وهم الانبياء . واما العمالة الجاحدون فقد اغوتهم نفوسهم بان تعبدوا قتل
عبيده . ولكن هذه حوادث بعث الهم لبنة فامتحنوه اكثر من العبيد فلذلك النجاة الرب ان
يتزع من ايديهم الكرم ويكل به عملة غيرهم اي يتزع عنهم نعمة ميثاقه فيسلمها الى الامم
فاقتضى اذ ذاك ان تحدث هذه الامور الثلاثة معاً وهي ماتي ابن الله واذل اليهود
ودعوة الامم ولم يحوجه مثل لزيادة الايضاح بل ان واقعي الامر يتكفل ببيانه .

قد وضع لديك يا سيدي ان اليهود يذعنون بان مملكتهم اخذت تدحر في ايام هيرودوس
لكن ماتي المسيح الى العالم واما اذا كانت مخالفتهم لشرعية الرب تلتقي بهم الى ورطتهم يبتغ
في السلطة فدثارهم الاخير الذي لم يبرح في حيز السكبان لابد ان يكون عقاباً على اعظم
جريمة . فهذه الجريمة زائد بيانها وهي تجدهم المسيح الذي كان قد اتى ليعلمهم ويعلمهم
من نير الاسترقاق فلذلك قد اتى على عوانتهم نير عبودية باهظ لا يطيقون الرزوح
تحتهم ولولا ان الرب برعى وجودهم ليندموا المسيح الذي اذاقوه مرارة الصلب لبادوا

وهاك حادثاً ثانياً عاماً هو دثار مملكة شعب اليهود طراً في زمان يسوع المسيح
وارتداد الامم فقد كان ذلك يقتضي له ان يتم في الوقت عينه ايام كانت العباداة
القديمة تملأ في اورشليم واندثار الهيكل فاخذت اذ ذاك عبادة الاوثان تنافس في
كل الجهات وهب الشعوب الذين كانوا قد نسوا خالفهم منذ الوف سنين من ثبات
رقادهم المستمر

ورجاء ان كل الاحوال تنطبق على بعضها طفتت المواعيد الروحية تنتشر باشار

الانجيل ايام كان شعب اليهود المنهر والاسير في اقاصي البسيطة فقد المواعيد الزمنية
وحطت آماله بالحصول على العظمة الجسدية . ومن ثم انذر بالساء كل الذين يتأسون
بحمل الاجتهاد في سبيل العدل واخذوا يكشفون اسرار المحبة الانية موقنين ان السعادة
الحقيقية قاصية في هذه الارض عن مثنوى الموت حيث تنكاث الخطايا والشرور والمشقات
ومن لا يرى ما هنا رايًا سرمدياً متبعًا وتسلسل احكام الرب الذي اعطى منذ بدء
العالم ما ينميه في اخر نهايته ويقرر امام اعين البشر العصاة المقدسة حيث يشاء ان
يؤدوا له العبادة في الممالك المتباينة بخلاف سرمدية ثابتة فمن لا يرى هذا لا يستحق
ان يرى شيئاً بل يتطوح الى عمه القلب كأن ذلك اعدل العناب واصرمه
وامل ان يكون تسلسل شعب الله ساطعاً امام قلوب البصيرة انفسهم قبضة بان
يكون محوساً وبنياً بمجداث لا يمكن لاحد ان يفهم عليها تكبراً الا اذا غمض مقلتيه
اختيارياً كي لا يرى الحق لان العبرانيين كانوا متظرين المسيح فاني ودعا الامم كما قد
تنبي عنه والشعب الذي وثق بمجيئه انحاز الى الذي كان يستنظر بدون ان تحسن
الاتصالات ساعة واحدة واصبح هذا الشعب منذاً في كل البسيطة ولم تبحر الامم تنحاز
اليه وهذه البيعة التي شادها المسيح على وجه الارض رغماً عن الحجم لم تنزع البتة

الفصل الحادي والثلاثون

تابع لما انف بشأن البيعة الكاثوليكية وبانتصارها على كل البدع
بالها من تعزية عظمى لبني الرب وباله من تأكيد عظيم بوطد الحقيقة وذلك اذ
يروون انهم مستطيعون ان يرتقوا استمراراً منذ انوشنبوس التاسع المستوي وقتند بكل
فخر على اول كرسي البيعة الى بطرس الذي اقامه السيد المسيح رئيساً على الرسل ومن ثم
اخذ الكهنة الذين كانوا في عهد الشريعة الموسوية يتصلون الى هرون وموسى وبعد
ذلك الى الاباء وابناء العالم . فباله من استغراء عظيم وباله من تقليد جميل وباله من
تمسك عجيب فان كانت عقولنا بالطبيعة في ريب واضحت بسبب ترددها العوبة
حججها الخاصة نتجح ان ننقرو ونثبت بسلطة محققة في المشاكل المختصة بالخلاص . ان يوجد
سلطان اعظم من سلطان البيعة الكاثوليكية التي تحرز في ذاتها كل سلطان الاجيال

الآفة وكل تقليدات النوع الانساني الى ابتداء تكويته
وبناء عليه ان الجمعية التي وطدها المسيح المنتظر في كل الاعصار الغابرة على الصخرة
حيث القديس بطرس وخلفاؤه مزعمون ان يجلسوا بامرئ تثبت بتسلسلها وهي حاملة
بشبانها المستمر سمة يد الرب

وهذه المخالفة عينها ليس بامكان هزيمة او بدعة او الفة اجتماعية ان تستأثر
بها بل ذلك منوط ببيعة الرب ولا ريب ان الادبيان الافاكة امكن لها ان تنتفي آثار
البيعة في امور شتى واربابها يزعمون ان الله وحده شيدهم ولم يكن هذا الكلام الا فارغاً
لان الله اذا كان فطر الجنس البشري وخلقه على مثاله فكيف يتقدمه ويكرمه . وبناء عليه
فكل شيعة لا توضح خلافها من ابتداء العالم ليست من الرب ولذلك تحرر امام البيعة
المقدسة كل الجمعيات وكل الشيع التي شيدها بنو الانسان في النصرانية وغيرها

والمبتدعون الذين قاموا باعباء شيع جديدة بين المسيحيين امكن لهم ان يسهلوا
الايمان باقل رضوخ بمجدهم للاسرار التي تفوق المحس وامكن لهم ان يخلطوا البشر بطواهر
التفوى وان يثيرهم بفصاحتهم واهوائهم ويجذبهم بمجدائهم المذهب والفساد سواء كان
عقلياً ام خلفياً . وقصارى الامر امكن لهم ان يخلطوا نفوسهم او الغير اذ لاشيء ينطبق على
الطبع البشري اكثر من هذا ولكن فضلاً من انهم لم يتمكنوا من ان يفتخروا بصنيع
معجزات مشهورة او يمحصر مذهبهم في حوادث مفررة يشهد لها اصحابهم بوجود ابداء امر
يشق عليهم ليس في وسعهم ان يستروه وهو امر حداثتهم . وهذا يبدي لدى كل بني
الانسان ان قد انفصل مذهبهم وتابعوه والشيعه التي وطدوها عن هذا الجسم العظيم
وعن البيعة القديمة التي اسسها يسوع المسيح حيث بطرس وخلفاؤه استولوا دائماً على
اول مركز وجدهم كل المشيعين جالسين فيه . ولم يبتأ وقت الانفصال مفرراً حتى ان
المبتدعين انفسهم لا يمكن لهم ان ينكروه ولا يجترئون ان يحاولوا الخروج من الجحر ثومة
عينها بتسلسل لم يكن قد انقطع البتة . وبهذا يقوم وهن كل البدع التي ارتكبتها الانسان .
وما من احد يمكن له ان يغير الاجيال الغابرة او يقيم له سلفاً او يزعم انه وجدهم اقتناء
ان البيعة الكاثوليكية تسولي وحدها على كل الاعصار الفارطة باستفراء لا ينكر
عليها لان الشريعة سبنت الانجيل ولم تكن خلافة موسى والاباء الاساسية واحدة متصلة
بخلافة المسيح . ومن جل صفاته التي تثق بها غاية الوثوق هي ان يكون مائتاً مترصداً .

وتعترف به ذرية تمتد الى انتهاء الاجيال لان يسوع المسيح هو امس واليوم والى
مدى الدهر

وفضلاً عن ان البيعة المسيحية موطنة وحدها على اعاجيب الهية كتبت علانية
غير مخشية عليه من ان تكذب في الوقت الذي حدث فيه . فهاك اعجوبة اخرى
تستمر في سبيل تعزيز اولئك الذين لم يكونوا في ذلك العصر . وهذه الاعجوبة تقرر
ما سواها من الاعاجيب وهي قائمة بتتابع الدين الذي لم يفتأ يفوز بالضلال الذي
حاول ازالته وزد عليه نتيجة اخرى هي نتيجة عذاب اليهود البادي المستمر لانهم لم يقلوا
المسيح الذي وعد به آباؤهم . ومع ذلك كله فلم يزالوا يترقبونه وانتظارهم الباطل جزء
من عذابهم ويبدون بارتقابهم اياه انه كان دائماً مستظراً ويفررون حقيقة الدين
كانهم حاملون كل تسلسل الدين مرقوشة على جباههم . وترى بلحظة كل من كان
آتفاً فلماذا صاروا كما تراهم . والى اي شيء هم معدون . وعليه فان اربع او خمس
حوادث مفررة تفوق نور الشمس وضوحاً ابانت ان ديننا قديم كالعالم ويهدي تالي
الزمان ان لا نشاة لها بغير خالق العالم الفاني على كل شيء هيك وهو وحده وامكن
له ان يباشر هذا المارب ويقبه الى الغاية في كل الاجيال

وبناء عليه لا يقتضي ان باخذنا العجب كما يحدث اعتباطياً من ان الله يعرض على
اعتقادنا مفندراً كهذا من الاشياء الثلاثة بشانه وهي تفوق قوة العقل البشري ويقضي
علينا بان تاخذنا الدهشة من وجود اناس في العالم يعملون قلوبهم كي لا يامنوا بعد
العلم ان الباري وطد الايمان على اسر يتناهى في الوطود والراحة . فعلة هذا كله اهلواونا
المتردة واستمسكنا بالحوادث وكبرياؤنا الشامخة ولهذا نؤثر ان نخاطر في كل شيء
على ان نقسر نفوسنا على الرضوخ ونؤثر ان نقالي في الجهل على اقرارنا بالحق ونؤثر ان
نرضي رغبتنا الفاحشة ونرضي في عقلنا المتورد حربة الافكار في كل ما نشا على ان نرزح
تحت اقبال السلطة الالهية

ومن ذلك ينجم ان قد يوجد عديد واقر من الذين لا يشقون والله يسمح بذلك
لتعليم ياتيه لانه لولا عمو القلوب والغائصون في لجة التوحش وغير المومنين الذين في
حجر البيعة لما كنا نعرف صريحاً فساد طبعنا العظيم ولا الوهنة التي نشلتنا منها المسيح .
فلو كانوا لم يعارضوا حقيقته المقدسة لما كانت ابصارنا وقعت على هذه الاعجوبة التي

رعاهما قسراً عن كل المناقضات ولكننا نسبنا أخيراً أننا فزنا بالنعمة فالأنف عدم أمانة البعض بجمل البعض الآخر على الضعة ويبدى المتمردون الذين يفاوضون مارب الرب القدرة التي بها يتم مواعيد البيعة غاضباً الطرف عن كل أمر آخر فما الذي نرتقب لنرضخ انترصد من الله معجزات جديدة يجعلها عدية الافادة بتكرارها وإن يحيط بها ابصارنا كما اعتادت على مسير الشمس وكل عجائب الطبيعة . فأننا ننظر صمت الكفة والعتاة . وإن الصلاح والصلاح يعزبان معاً الرضوخ للحق . وبونون بنو الانسان قاطبة على احوالهم واوطارهم . وإن العلوم الفاسدة التي تغطي البشر بقوة حدائثها لا تستر تداهيمهم . الا يكفيها ان نرى البشر غير قادرين ان يفاوضوا الدين الا باظهارهم بضالهم الميين بطلان احكامهم . وإن دفاعهم لا مسند لها الا الجهل والتكبر فالبيعة التي فازت بالاغصار والضلالة ليس في امكانها ان تظهر في عتولنا على الحجج الزاهنة التي نستظهر بها على مقاولتها . ولا يمكن للمواعيد الالهية التي نرى تميمها كل يوم ان تصعدنا فوق المشاعر

ولا ينتقد الناس علينا بقولهم ان هذه المواعيد يتوقف تميمها ولا يمكن لنا ان نتحقق بتتميمها الا بانهاء العالم اذ انها تمتد الى نهايته . وعكس ذلك ان ما قد تمّ بنيتنا عما هو مزعج ان يتم وكل النبوات القديمة التي تمت بكل صراحة تبين لنا ان كل شيء سوف يتم وإن البيعة التي لا يقوى عليها النجيم حسب مواعيد ابن الله تمكث الى الابد وإلى انتهاء العالم لان المسيح الذي صدق بكل شيء لم يضع نهاية لكيانها

وهذه المواعيد عينها تؤكد لنا الحياة المستقبلية لان الله الذي صدق بتتميم ما يناط في الزمان الحاضر لا يكون اقل صدقاً بتتميم كل ما يناط بالزمان المستقبل فكل ما نشاهد ليس سوى استعداد له وإن البيعة سوف تكون على البسيطة غير متبوعة ومزعزعة حتى ان كل بنينا يجمعون وتقبل بهم برمتها الى السماء مثواها الحق

وقد أعد للذين هم خارج هذه المدينة السموية تبريج سرمدتي ولن يفتي لهم الا عذاب ابدي اذ انهم فقدوا بحير برمتهم سعادة ابدية وبناء عليه سوف يتم احكام الرب ومواعيد مجال لا يعجزها تغير وإن وعوده صادقة وحقيقية وكل ما يقبضه في الوقت يقررها بامرنا بامله او بالخشية منه في الابدية

فهاك ياسيدي ما نبشنا عنه تسلسل الحوادث الدينية كما رفع لديك بوجيز العبارة .

وبواسطة الزمان بقودنا الى الابدية فعثرت على نظام محكم في مآرب الرب وسمه سلطنة
 البيعة في استمراره وعلمت منه ان البيعة لها عضو دائم الوجود لا يمكن الانفصال عنه
 الا بهلاكها وان الذين معتزلون بهذا العضو وقائمون باعمال لا تلة بامانتهم يبررون
 انفسهم حجة ازالة

فتحرر نسلسل حوادث البيعة التي توطد لديك كل مواعيد الرب واحكم على ان
 كل ما يتصل عن هذه السلسلة وبزابل هذا الاستفراء وكل ما يرتفع بذاته ولا يأتي
 حسب المواعيد المنوطة للبيعة منذ ابتداء العالم مكروه . وافرح ما عندك من الجهد لتحرر
 الى هذه الوحدة كل من يكون قد زابلها أغر الجميع بان يرضخ للبيعة التي بها ينطق
 الروح القدس بنبواته

وان سوّدد اجدادك ليس قائم بعدم تركهم اياها ففقط بل بانهم قاموا بناصرها
 ايضا واستأهلوا بذلك ان يدعوا بنبيها الابكار . فهذا من اعظم التاميم الجيدة . وليس لي
 حاجة ان احدثك عن كلوقيس وكارلوس العظيم والنديس لويس بل اعتبر العصر
 الذي انت فيه ومن هو الاب الذي اراد الله ان تولد منه . وقد امتاز هذا الملك العظيم
 في كل امر بامانتها أكثر من سائر صفاته الحميدة فتراه يدرأ عن الدين داخل المملكة
 وخارجها وفي اطراف العالم . والشرائع التي سنّها في من اعظم منرسات البيعة ولاتبان
 سلطته الموقرة بسبب صفاته الشخصية وجلالة صولجان ملكه موطنة باكثر احترامه الا
 لدن مدافعتها عن حقوق الرب فذلك حجز عن سماعنا صوت التجديف واخذ الكفر
 يفرق خوفا ولا ريب انه الملك الذي اعز اليه سليمان مبدد الشر بنظره وان كان
 فم البدعة بكل هذه الوسائل أكثر ما صنع اسلافه . لا بما انه يخشى منها على عرشه لان
 السكينة احاطت الكل وطاقما الجميع امام سلاحه غير انه يحب شعبه ويعرف ان يد
 الرب اجلسه على عرش ليس فوقه عرش . فينجيم من ذلك ان احسن وسيلة يقوم بها
 هو ان يستخدم سلطته ليشفي قروحات البيعة

فافتف ياسيدي هذا المثل الصالح واستبق لذريتك وانذرهم بالبيعة أكثر من هذه
 المملكة العظيمة التي حكمها اجدادك منذ اجيال عديدة وان سرائك التي هي اجل
 ما يكون في العالم تكون اول مدافعة عن حقوق صديقه وتبسط في العالم اجمع ملك
 يسوع المسيح الذي يقبض لك ملكا مجيدا

الجزء الثالث

في الممالك

الفصل الاول

في ان نقابات الممالك رتبها الباربي عز وجل لتقع تكبر المملوك
 ان لم يكن شيء يضاهي تسلسل البيعة الحقيقية الذي اوقنتك عليه فمع ذلك ان
 تسلسل الممالك الذي قد عهد بي بسطها لديك لا يجدي منفعة لمن هو نظير جلالكم
 من المملوك او للافراد الذين ينظرون في هذه المواضع العظيمة اسرار العناية الصمدية
 أولاً — ان هذه الممالك لها شديد الوثائق بتاريخ شعب الله لانه تعالى اتخذ
 الاشوريين والبابليين آلة للانتقام منه والفرس لنجاته وعوده الى اراضيه والاسكندر
 وخلفاءه الاولين للدفاع عنه واثيوخوس ايفان وخلفاءه لتعويده على احتمال الشدائد
 ثم الرومانيين ليدروا ملوك سوريا الذين لم يكونوا يفكرون الا باستئصاله لان بذلك
 رعاية حريتهم . وبكث اليهود حتى مجيء المسيح تحت شوكة الرومانيين . وبعد ان مجدوه
 وصلبوه اعانه الرومانيون على الانتقام الالهي دون ان يفكروا بذلك وجعلوا ذاك الشعب
 العتوق هباءً مثوراً واذ ازمع الله ان يوظف شعباً جديداً من كل الامم ضمّ ملك
 الارض والبحر الى هذه المملكة واتخذ كل تلك الاتصالات المتباينة التي لم يكن لها رابط
 الى ذاك الحبل وسيلة لنشر انجيله . فاذا كانت الدولة الرومانية قاست في هذا الشعب
 الجديد مدة ثلاثماية سنة اضطهادات عظيمة فوطد هذا الجور اركان البيعة المفدسة وادى
 مجدها وايمانها وصبرها . وهكذا اقرت المملكة الرومانية بالروضوخ اذ وجدت ما فاقها
 ظفراً وخضعت لهذه الكيسة التي طالما كانت عرضة للاضطهاد الشديد وكما ان
 النياصع صرفوا اقصى جهدهم في اخضاع البيعة كذلك اصبحت رومية عاصمة المملكة
 الروحية التي اراد المسيح ان ينشرها في كل المسكونة
 وبعد ان ترعرعت السلطة الرومانية واعترها رغماً عن وعدنا لنفسها بالخلود ما

اعترى المالك السابقة من الدثار اذ أصبحت فريسة للبرابرة لم تنزل رومية على عظمتها
 برعايتها للدين المسيحي لان الامم التي اغارت على المملكة الرومانية واستولت عليها
 اقبلت منها رويداً رويداً الدين المسيحي الذي الان عرائك رجالها ولم يجد منوكها
 الذين خلفوا القياصرة ما يوليهام اكثر مجداً من ان يدعوا محامين للدين المسيحي
 وعلينا ان نطلع على غوامض الاحكام الالهية بالنظر الى المملكة الرومانية ورومية
 نفسها. وقد اوضح هذه الاسرار الروح القدس ليوحنا وهذا الرسول المنعم من روح النبوة
 والانجيل فسرهما في رؤياهم فكان يعز على رومية ان تنبذ عبادة الاوثان جانباً اذ شاخت
 وهي مستسكة بها. وزيادة على ذلك فان مجلس الندوة كان يحسب محاماة آلهة رومالوس
 التي كان ينسب اليها انتصارات المشيخة القديمة مجداً وفخراً وقد سمى القياصرة من طلب
 هذا المجلس على ايدي مبعوثيه الغناء النصرانية وتشديد اصنامها لانه كان يخال ان در
 رومية عما كانت عليه من الخزعبلات عاراً يلتحق بالاسم الروماني. ومن ثم لم يكن
 انذار الانجيل وغيره من النبوات الصادقة وارتداد الملكة فاطمة الى النصرانية مع
 بلوكها الذين مهدوا الطريق الى هذا الدين كفواً اودع هذه العصبة الشهيرة المنصوية
 على اعظم رجال رومية واشهرها خاصة وعامة عن غرتها. ولم يكنوا من ان يلحقوا
 بها عاراً ونهبوا اليها اكل ما آلم بها من الخطوب والرايا. ولو كانت القياصرة تعتمد
 قبيهم لكانوا جددوا الاضطهادات القديمة. وكانت الامور دائمة على محورها في الجبل
 الرابع اي السنة المائة بعد قسطنطين اذ تذكر الله الاحكام الديموية التي طرأت على
 المسيحيين. وفي الوقت نفسه هتف الشعب الروماني الرائع في مراحمهم عند مشاهدتهم
 دم المسيحيين فلم هذه المدينة الظلمى لدم المسيحيين حسب قول يوحنا الحبيب الى
 البرابرة وانزل بها البلايا الذرية التي اميطها بيايل قصاصاً لها. ولذلك دعوا رومية
 بهذا الاسم. وهكذا سقطت بابل الجديدة كالقديمة وكان سقوطها عظيماً لانها تسنبت
 بالقدية بازدهائها لدى النور وبافتخارها بالاموال والملاذ وتدنست مثلها بعبادة
 الاوثان وضهدت مثلها شعب الله. وانبا يوحنا الحبيب عن دمارها مترنماً فرعيت
 اذ ذاك من المجد الذي ناله بنوحانما المنتمة الى الهاتها وامست مضغة في وسكانها في
 افواه البرابرة الذين تبوئوها اربع سنوات بعد ان نهبوا وذبحوا برسومها ولم يعف
 البرابرة الا عن المسيحيين ولم يتم انتصار المسيح الا بعد هجوم البرابرة فيبرزت مدينة

مسيحية من دمار رومية القديمة وامست مغابد الاوثان مضروباً عليها سراق النسيان
بعد عنو رسوما

وعلى هذا فتسلسل الممالك عائد على الدين بالنفع وعلى شعب الله بالرعاية. وقد ابدى
عز جلاله لانيائو تسلسل هذه الممالك كما ابدى لهم حالة شعبه المختلفة. ورايت من هذه
النبوات ما يشعر بقدم مجتصر كانه رجل معد للانتقام من الشعوب المتناهية في
الاردهاء ولاسيما الشعب اليهودي العاقى وقبل ان ولد قوروش بمتي سنة اشهر اليه باسمه
انه يكون ملكاً معداً لارجاع شعب الله وقصاص كبرياء بابل. ومنها دثار نينوى الخبير
عنه بنوع صريح ورعا النبي دانيال اذ يبسط لدينا بوجيز الكلام كل ما يحدث
لمملكة بابل والماديين والفرس والاسكندر واليونان ويوعز الى عنو انتيوخس ايفان
وقباحته والى ظهور شعب الله العجيب على هذا المضطهد اللثيم. وتتشوق فيها ايضاً الى
هبوط هذه الممالك بالتتابع اما الملك الروحي الذي كان المسيح مزماً ان يشيه فاشار
اليه بصفاته الخاصة كي لا يستطيع احد ان يشد عليه تكبراً وهو ملك قدسه الله يثبت
وحده خالداً وان طراً الدثار على باقي الممالك لانه ملك ابنه

وقد عرفنا من قول يوحنا احكام الله التي لم تخف عنا على اعظم مملكة هي مملكة
الرومانيين وامست رومية كغيرها من المدن الشهيرة انموزجاً للعدل الالهي اذا هبط
عليها نواب مدلهمة الا انها لم يلتحق بها ما التحق بغيرها اذ لم تنن الى الابد لان
البلايا التي امت بها نفعها من بقايا الاوثان وفي الان قائمة بالدين المسيحي الذي تبشر
به في العالم كله وعلى هذا النمط ترى ان كل الممالك التي مر ذكرها قد آلت الى نفع
الدين ومجد الله كما اعلن ذلك تعالى الى انبيائه

وعند ما ترى في تأليفهم ان الملوك يلجئون الى حجر البيعة ويصبرون لها عضداً يتبين
لك من ذلك دليل على انه تلجج الى النياصع والملوك المسيحيين وبما ان اجدادك
اشتهروا بالذب عن الكنيسة وبغيرتهم في نشر تعاليمها فلا يشق علي بان اخصصهم
صريحاً بهذه النبوات

ولما كان في قصد الله اتخاذ هذه الممالك ذريعة بتذرع بها الى قصاص شعبه
او هدايته او انتشاره او حمايته اراد ان يوضح انه مبدا هذه التداير العجيبة اذ اعلن هذا
السر لدى الانبياء. ولذلك مكهم من ان يشيروا الى ما كان في عزيمه ان يبرمه وقد

تأرا عن مسير هذه الممالك كما تنبأوا عن تسلسل شعب الله الخاص اذ لما ارتبطا سديدا
مهم لما هو في قصده

ولكن لديك يقينا انه كلما اعتدت على استقراء هذه الحوادث العظيمة واعادتها
الى مبدئها ياخذ بك العجب كل ماخذ لدى اطلاعك على هاته الاحكام من لدن
العناية الالهية ويفتضي ان نتتبع منذ حادثك هذه المعارف التي تغلي رويدا في غفلك
وتعلم ان تعيد الى نظام الحكمة الالهية الامور الدنيوية المتعلقة بها

ثم انه تعالى يرينا بهذه الامثال الشهيرة ما يصنع بغيرها رجاء ان يعلن لنا دائما
مشيئة على ايدي انبيائه في ما يناط بالملوك والممالك التي يوطدها او يدمرها كما صنع
بالممالك التي تكلمنا عنها ويعلم الملوك حقيقين جوهرتين وهما انه منشأ الممالك ومتيها
ان يشاء وانه مستخدمها لمناصده في ما يناط بشعبه في الزمان والنظام المعينين وهذا
ما يلزم الملوك ان يعتبروا انفسهم تحت سلطان مطلق ويجعلهم متبهرين لاوامر الله لكي
يكونوا في كل فرصة تسنح لهم مضافرين ما يؤول لمجده

اما تسلسل الممالك وان اعتبرناه بنوع عالمي فيجدي نفعا عظيما للممالك خاصة
لان الكبرياء الملازمة لهذه الثوابت السامية تسقط لدى هذا المشهد واذ كان مشهد
موت الملوك يبعث النوع الانساني على ردع اهاليهم فكم بالاحرى يجب ان يؤثر فيهم
سقوط الممالك عينها وهل في الامكان ان يبدي اباطيل العالم اكثر من هذه
وعندما ترى النياضة والملوك والممالك التي مادت لها الارض تمر كلح البصر
وترى الاشوريين قديمين وحديثين والمادين والفرس واليونان والرومانيين يتساقطون
بالتتابع ترى دوي سقوطهم يوضح ان لاشيء ثابت بين البشر وان التقلبات والاضطرابات
هي من خصائص الامور الدنيوية

الفصل الثاني

ان تقلبات الممالك لها خصائص يجب على الملوك النظر فيها
ان نعقل ما يناط بارتفاع الممالك وهبوطها واسباب نجاحها وانحطاطها بين لك
ان هذا المشهد ازيد جداء واكمل عظمة لان الذي هو مبرم ارتباط العالم ودائم مع

عظم قدرته ان يشيد النظام بان تتعلق بعض اجزاء هذا المجموع ببعضها . اراد هوئذ ان يكون لجرى الامور العالمية تسلسلاً وتناسلاً وذلك انه اقتضى ان يكون مناسبة بين صفات الشعوب والامم والمثابات السامية التي اعدت لهم . وهكذا لا يحدث تغير عظيم دون علة انت في الاجيال الفارطة عدا تلك الضربات المخارقة العادة والنظام الطبيعي اذ يريد الله ان يرينا عمل يده وحدها

وبما ان لكل الامور ما يقوم بابرازها ويبحث على اجرائها ويعود عليها بالنفع والجداء فمعرفة التاريخ قائمة بامعان النظر في النظامات المكونة التي هيأت الانقلابات العظيمة وفي الحوادث الخطيرة التي كانت سبباً لحدوثها

ولا يكفيننا ان ننزل الى الامام اي ان نتعمق في هذه العوارض التي تنهي بفترة امر الممالك بل ينبغي للمرء ان يتوخى الامور ويشوف الى الشؤون العالمية ان رام كمال معرفتها وعلمها . ان يتفحص الاميال والعوائد ولا سيما خصائص الشعوب المملكة عموماً والمملوك خصوصاً وكل مشاهير الرجال الذين كانوا سبباً لانقلاب الممالك والهيئة الاجتماعية بارتضاع مقاماتهم في العالم الى ذرى الجند والسيادة

وقد افرغت من الجهد كثيراً رجاء ان استدرجك من هذه الافكار المهمة المدرجة في اول جزء من هذا الخطاب . وقد امكن لك ان نطلع على اخلاق الشعوب والرجال العظام الذين تولوا امورهم . وقد ابنت لك الحوادث التي كانت ذات مفعول في المستقبل اجملت ملاحظات خاصة ذات نتائج قليلة الاهمية وذلك لانه افكارك الى النظر في تسلسل الامور العالمية العظيمة التي وددت لو افهمك ايها خاصة

وبما اننا مرورنا بسرعة على حوادث شتى لم نعرها من الشكر جانباً حسب مقتضاها لتعلمنا بتسلسل الامور فعليك الان بان تنتبه خصوصاً الى هذه الحوادث وتعود عنك ان تبحث عن المناهيل في عالمنا القاصية . وهكذا نقبس ما هو ضروري المعرفة حتى انه اذا لم ننظر الا في هذه الاتفاقات الخاصة بان ان التفادير وحدها انتهت تشييد الممالك وخرابها واما اذا توخينا الامور عموماً فنرى انه يحدث غالباً ما يحدث بلعب الميسر اذ يستظهر اللاعب الماهر على خصمه بطول المدة . واقعي الامران ذاك هو الذي استدرك الامور عن بعد واهتم اكثر من غيره وادمن زماناً طويلاً على اشغاله العظيمة وقصاري الكلام انه التي بنفسه الى اشد الورطات والمخاطر . وان رعاية ذاته

في وقتنا انصب الدموي الذي حدث به الشقاء بين الملوك على الملك والسلطة في
 مرتبة في النهاية حتى انه استخدم الافئدة لتتبع مقاصده
 فلا يعاني بك فتور ان تبحث عن علل الانقلابات العظيمة حيث لا شيء يؤول
 الى تنفيذك مثل ذلك ولكن اجبت عنها خاصة في تسلسل الممالك العظام التي توضحها
 كثيراً الحوادث العظيمة

الفصل الثالث

في السيتيين والحبش والمصريين

اني لا اعد هنا بين الممالك العظيمة ملكتي باخوس وهرقل اللذين افتتحا الهند
 والشرق فليس بتاريخهما شيء يسير من الثقة ولا بافتتاحهما نتابع واننا نكل امر مدحهما
 الى الشعراء الذين جعلوها موضوعاً حملوا عليه حكاياتهم . واني لا اتعرض لذكر مملكة
 ماد المذكورة في تاريخ هيرودوث وهي تضاهي بامور كثيرة مملكة هندانيروس
 المذكورة في تاريخ ميغستان ومملكة تيناوس الموما اليها في تاريخ يوستينوس وقد شادها
 هذا الملك زماناً وجيزاً في اسيا الكبرى . فالسيتيون الذين تولى عليهم هذا الملك
 قيادة الحرب قد طوا من الارضين شيئاً كثيراً ومع ذلك فلم يقوموا بفتوحات
 تستلفت اليها نظراً ولم يكن لاجلهم مملكة الماديين وقمعهم اهلها واستيلاؤهم على هذا
 القسم الذي توطدت احكامهم الا بما قدر لهم الزمان من ملاقاته السياريين . ولم
 يملك هؤلاء الفاتحون الا ثماني وعشرين سنة . وقد قضى عليهم طمعهم وكفرهم ونوحشهم
 بنقدان اسيا فبعد ان نزعوها من ايدي سياكسار بن فاراهرات ظهر عليهم وطردهم .
 وكان ذلك مبنياً على الخداع اكثر منه على القوة فانه لا باحد اطراف مملكته التي
 اهلها الظافرون او بالاحرى لم يتمكنوا من الاستيلاء عليها وترى هنالك صابراً
 مرتقباً الزمان الذي به يثير هؤلاء الفاتحون قبسة البغضاء العامة ويلقون بايديهم الى
 التهلكة بسبب عدم نظام حكمهم . وبوجد في تاريخ استرابون اسم ملك الجيش المدعى
 بتاركون فقد نقله هذا المؤلف عن ميغستان ويدعوه الكتاب المقدس طاراق وهو
 الذي انى رعية اسلمته في العالم كله . في زمان سنشاريب ملك اثور ووصل بفتوحاته

الى عواميد هرقل التي على شواطئ افريقية واجتاز من ثمة الى اوربا ولكن ماذا الذي
افيه به عن ملك لا يذكر عنه المؤرخون الا ببعض الفاظ ولم يكن اناسا تسلطوا وما
الحبيشون الذين تولوا زمان الامور فتبذر فينبشنا عنهم هيردوت انهم كانوا ذوي باس
وهياكل اجسادهم كبيرة وعقولهم ثاقبة لكنهم لم يعتنوا كثيرا بتنظيفها بل كانوا يفتنون
كثيرا بقوى اجسادهم ويشك اذرعهم وكانوا يتجربون ملوكا بالاقتراع ويجلسون على
العرش الملوكي من كان اكبر جسما واعظم قدرة. ويمكن كل من معرفة سجاياهم والحكم
عليها بمجادثه رواه لنا المؤرخ هيرودوت وهوانه لما بعث اليهم ملك الفرس كامييز
سفراء يجيئون عندهم ويخضعونهم واصحهم بهدايا يتهادى بها الفرس وفي امة من
ارجوان واسورة من ذهب وروائح عطرية هزئا كل الخزيان اذ لم يجدوا فيها شيئا
يعود على الحياة بالمجداء والمنفعة وامتهنوا السفراء اذ اتذروهم جواسيس كما كانوا حقا.
غير ان ملكهم رام ان يسدي الى ملك الفرس هدية حسب مرغوبه فاخذ يده
قبوسا كان احد الفرس يكاد لا يستطيع حملها ولا يستمكن من ان يوترها فاوترها
هو نفسه بحضور السفراء وقال لم: هذه هي النصيحة التي ينصح بها ملك الحبش لملك
الفرس. فتم استطلاع الفرس ان يستعمل قوسي التي في كبيرة وصلابة هكذا بسهولة
فتمت بها انا فليأتوا الى مناصبة الحبش ويحرقون عساكر ازيد من عساكر الملك
كامييز ومضى نالوا هذه البغية فليؤدوا الشكر للالهة التي لم تخول الحبش الرعدة في
امتداد شوكتهم خارج امصارهم

واذ قال ذلك حل القوس وطرح بها الى السفراء. ولا يمكن لنا ان نقف على نتيجة
هذه الحرب الا ان كمييس غضب من ذلك وهرب الى بلاد الحبش كانه معنوه
دون نظام او تروي في العواقب فملك عسكره جوعا في البادية قبل ان يدنو من
العدو. ومع ذلك فلم تكن شعوب الحبش عادلة كما كانوا يتباهون ولم يكونوا محصورين
في بلادهم فان المصريين المجاورين لم قد اخبروا مرارا قوة استلهم وعرفوها. ولم
يكن اناسا في امور هذه الامة الوعرية. وان تكن الطبيعة قد ابدت فيها بداءة يد
شعائر حسنة فمع ذلك لم تجز قط ما بدأت به. وبناء عليه لا نرى بين اولئك
الشعوب الا اشياء قليلة يمكن لنا ان نستفيد منها ونجري على مثالها فلنقتصر عن التكلم عنها
ونلج قليلا عن الشعوب المنهضة.

فان المصريين هم اول من وجدت عندم اصول الاحكام فان هذه الامة الرصينة قد عرفت غاية السياسة الراهنة التي من مبادئها ان تجعل المعيشة غضة والشعوب سعيدة . وان حالة هواء البلاد غير المتغيرة قد جعلت العقول ثابتة لا يتغيرها اضطراب وبما ان النضيلة هي الركن لكل هيئة اجتماعية فقد اتفقوا بكل اعتناء وكان مصدر فضائلهم معرفة الجميل وان السوءدد الذي انالهم الناس اياه لغالاتهم في معرفة الجميل اكثر من جميع البشر بوخذ منهم يودون الالفه . فاجميل وثاق يرتبط به الاتفاق الخاص والعام . وان من يعرف الاحسان يود ان يوليئه احداً فاذا ساد الفضل استمرت الملائه بعمل الحمى خالصة حتى اننا لا نرى ذرية تصدنا عن الشعور بها . فشرائع المصريين كانت ساذجة منفعه عدلاً وهي الوسيلة التي نجعل الاتحاد سائداً بين الوطنيين . فمن جل مبادئها ان رجلاً استطاع انقاذ غيره من غالب العجبات ولم يفعل ذلك عوقب موتاً بصرامة يجازى بها الفاتل الجاني . واذا لم يستطع انقاذ الصعلوك من ورطة فعليه ان يبذل الجهد في البحث عن فاعل الجريه معه وقد عينوا حدوداً لمن لا يتم هذه الفرائض فلذلك كان الوطنيون يذاعون . وكانت كل الملكة متالبة القلوب على الاشقياء وكل من بنى مفسوراً عليه ان باقى الامر يعود عليها بالمنفعة والشرعية تعين لكل هيئة التي ثبتت له ورائه من الاب الى الابن ولم يكن في وسع احدا ان يتقلد هيئتين ولا ان يغير حرفته . وكانت الحرف كلها ذات حرمة وكرامة . وقد اقتضى الامر ان يوجد مصالح واشخاص متفاوتة كما انه اقتضى ان يكون في الجسمان عيون لا يكون ضباؤها علة لامتهان الارجل واعضاء الجسم الفعلي فهكذا كان للسكنة والعساكر بين المصريين سمات اكرام خاصة . وكانت الحرف كلها خطيرة وحذيرة منظوراً اليها بعين الاعتبار والناس يخالون انهم لا يستطيعون ان يحفظوا وطنياً ان لم يكن اقترف جريمة مها كانت اعماله بشرط ان تؤمولى الى النفع العام . وبهذه الوسيلة كانت كل الننون زاهرة حائقة كمال الاتقان وان الشرف الذي كانوا يتطوقون به كان ممزجاً بكل شيء . وكانوا يصنعون احسن مما كانوا يترصدون صنعة فعاودوا ذلك كثيراً وتمنوا عليه منذ الصغر . ولكن كان لهم شغل عام وهو درس الشرائع والحكمة . وان من كان يجيئل الدبابة ونظام البلاد لم يكن معذوراً من العذل مها كانت احواله . ومع ذلك فكانت كل مقاطعة لها هيئة منوطة بها . ولم يكن يحدث

ادنى ارتعاج في بلاد سعتها ليست كبيرة وكان الكسالى لا يمكن لهم ان يعثروا على
قطعة من الارضين يتوارون بها اذ يرون هذا النظام الحسن . وكان كل شخص
يعود على رعاية اعظم هذه الشرائع المحسنة وكلما بدت عادة جديدة كانت كأنها عجيبة
في مصر لانهم كانوا دائماً يصنعون الشيء نفسه وكانوا يحفظون الاشياء الكبيرة بسبب
الدقة التي يقومون باحتفاظهم الاشياء المحفزة ولهذا ليس قطر كمبر ثبت شعبه على
رعاية عوائده وشرائعه زماناً طويلاً . وان نظام الاحكام كان يضافر على تخليد هذا
المبدأ ووقع الافتراع على ثلاثين قاضياً من المدن الاصلية التاموا جمعية تسود على
الملكمة وتنفي عليها . واعناد الشعب الأبرى على هذا المنصب الأعدل اهل البلاد
واكملهم وكان الملك يعين لم دخلاً كافياً حتى اذا عثقوا من ارتبأ كانت امر المعيشة
قضايا اوقاتهم كلها في ان يجعلوا الشرائع مرعية . ولم يكونوا ينجحون انفسهم بشيء من
الدعاوى اذ لم يخطر لهم ان يجعلوا العدل حرفة لكسب المال . وحذراً من الخديعة كانت
الاعمال متجربة ومدونة في هذه الجمعية وكانوا يقلعون عن النصيحة الافكة التي تعي
القلوب وتثير الشهوات ولم يكن من الممكن ابضاح الحقيقة إلا بنوع خال من الزخرفة .
وكان رئيس المجلس يتزين بطوق من ذهب وحجارة كريمة يتدلى منه على صدره صورة
تدعى الحق وكان تقلده بذلك دليلاً على ابتداء المجلس ومن كسب دعواه لدن المرافعة
كان يضع عليه الرئيس الصورة علامة لاصدار الحكم ومن وسائل المصريين للحفاظ
قواعدهم القديمة انهم كانوا يصنعون لها بعض احتفالات بكل ترو ورضوخ . ولم تسع لم
اخلاقهم الرضية ان تضحي كاحتفالات ساذجة ومن لم يكن له اعمال وكان سلوكه حسناً كان
المجلس بغض الطرف عن فحوصه عنه فحوصه الصارم ولكن كان في مصر نوع من
الحكم غير اعتيادي لم ينج احد منه . فمن قضى عليه بشرب كاس الموت واسمه معتبر
عند قومه كانت له بذلك تعزية كبيرة . فذلك امرٌ وحيد من الامور الدنيوية لا يستطيع
الموت سلبه ولم يكن متاحاً في مصر ان يرثى الموتى اسوة فينضي ابراز حكم عام ليتأني
الحصول على هذه الماثرة الخطيرة . وعند القضاء على رجل بالموت كانوا ياتون به
للمحاكمة فتمه كان المدعي العمومي يصدر الدعوى فاذا كان في امكانه ان يبرز ادلة بينة
على ان مسراه كان سيئاً عوقب ذكره والى اولاة الامران يدفونه وحظروا ان ينام
له ضريح . وكان الشعب يتعجب من ساطة الشرائع التي لاتزال المرء حياً اوميتاً وكان

كل يفرق من ذلك بروعه ذلك ذكروه وعائلته وإذا لم تثبت على الميت جريرة كانوا
يدفونوه بكل تكمرة واحترام وكانوا ينظرون له رثاء لا يذكرون فيه شيئاً من مملكته وكانت
كل مصر شريفة ولم يكن فيها أحد ينال اطراء من المدح ان لم يكن اجلاً لذلك
وكن يعلم كم كان المصريون يحفظون اجساد موتاهم فنرى الى الان اجسامهم
المحطة . وكانت معرفة الجليل نحو اقاربهم غير زائلة وكان الابناء اذا نظروا اجساد
جدودهم يذكرون فضائلهم التي افرها الشعب العام ويستنزون لحجة الشرائع التي
يتروكها لهم . ولمنع العارية التي منها يتولد الكسل والخداع وانتزع امر الملك اثيس
بان لا يتاح لاحد ان يستعير حاجة الا بشرط ان يرهن المستعير جسده اياه عند الاستعير
منه ومن لم يسترجع هذا الرهن الثمين سريعاً ينفى عليه بان يكون ارتكب عاراً وكفراً
وكان كل من تزهق روحه قبل ان يفضي هذا الغرض المهم يحرم من الجنائز والدفن
وكانت الملكية تنقل بالارث والملوك مفضياً عليهم ان يسيروا حسب الشرائع اكثر
من غيرهم وكان بعض الشرائع خاصة منها احد الملوك وهي قسم من الكتب المكرسة ولم يكونوا
يشاحنون الملوك ولم الحق بان يفسروهم ويضيفوا عليهم . بل كان الشعب يحترمهم ويكرمهم
كالالة فان العيشة القديمة نظمت الامور كلها فلم يكن يخطر للرعية ان يعيشوا مخالفين
اجدادهم وكانوا يحتملون بلا مشقة تعبين كمية اللحم ومقدار الاكل والشرب اذ كان من الامور
الاعتيادية في مصر ان يكون الجميع متنشقين . والمناخ يحملهم على التناعة وكانت كل
ساعاتهم معدة لاشياء يصنعونها فاذا هموا من النوم يكمون قرا وتجاريهم اذ العقل يكون وقتئذ
صافياً والافكار رائنة صريحة فينتأني لم اذ ذاك تصور جلي احق في اشغالهم التي يتمكنون فيها
ولدن ارتدائهم البستهم كانوا يذهبون الى الهيكل لتقديم الضحية وهناك اذ كانوا
يحاطون بخدعهم والذبايح على المذبح كانوا يحضرون الصلوة المتينة حكمة فيطلب ثمة
الساكنين من الالهة ان تهب الملك الفضائل الملوكية اعني ان يكون متعبداً للالة لطيفاً
نحو الصالحين خطير النفس صادقاً صافياً مبتعداً عن الكذب حراً ضابطاً ذاته معافياً
اقلاً من الذنوب ومجازياً اكثر من الاستحقاق وبعد ذلك يتكلم الحبر عن الزلات التي يمكن
ان يسقط بها الملك ولكنه كان يقترض ان الملوك لا تقع بها الا بالجدبة او الجهل ولعن
الوزراء الذين كانوا يقدمون لهم النصائح السيئة ويخفون عنهم الحق . وهكذا كانت طريقة
تعليم الملوك وكان الاناس يخجلون ان الثريب يعيظهم وان الوسيلة التي لها الفاعلية في

تلقينهم الفضيلة في ابائهم ما يتوجب عليهم بمداخ تطبق على الشرائع بملفظ بها بكل احترام
امام الالهة فبعد الصلوة والتوضئة كانوا يملون امام الملك في الكتب المقدسة نصائح
الرجال العظام وافعالهم ليحكم مملكتهم حسب قواعدهم ويحفظ الشرائع التي جعلت اسلافه
ورعاياهم سعداء

والدليل على ان هذه النصائح كانت تصنع وتسمع بكل احترام هو لانها كانت ذات
مفاعيل راهرة . فبين النيبانيين اي بين السلالة المملوكية الاصلية حيث الشرائع كانت
مرعية بكل دقة وكانت متسلطة على الكل كان المملوك اذ ذاك اثبت الناس واعظمهم
برعايتها والمركبان اللذان اخترعا العلوم والترتيبات المصرية كانا من ملوك نيا وكان
حدهما قريبا من زمان الطوفان والاخر المدعو (ترسيماجست او عظيما ثلاث مرار)
كان معاصرا لموسى وقد استفادت كل مصر من تعاليمها وهما اللذان كانا بافادتهما
سببا لان تحصل نيبا على ملوك اشقيا قليلين وكان الناس يعنون عن المملوك الاردباء مدة
حياتهم لابقاء الراحة العامة ولكنهم لم يكونوا يتقاعدون عن اصدار الحكم عليهم بعد موتهم
وكان بعضهم يحظر دفنه غير ان من كان يتندي بهم قليل . ومع ذلك فان اغلب
المملوك كان الشعب يودهم كثيرا حتى ان كلاً كان يذرف الدموع على فقدايمهم كانه
يبكي على ابيه او اولاده وكانت عادة الحكم عليهم تبدو كانهما مقدسة لدى شعب الله بنوع
انه قد استمر على ممارستها . واننا نرى في الكتاب المقدس ان المملوك الاشقياء كانوا
يمعنون من الذفن في لجود اجدادهم . وينبشنا يوسفوس ان هذه العادة استمرت الى
زمان المكابيين وكانت تعلم المملوك انه اذا كانت السلطة رفعتهم عن الحكم البشري مدة
حياتهم فانهم يجازون به لدن مساواة الموت اياهم بسائر الناس

وكانت عتول المصريين جائحة الى الاختراع غير انهم كانوا يستخذمون للشؤون
المنيفة وكان المركبان اللذان حكماها قد ملاء مصر من الاختراعات العجيبة ولم يتركها الناس
يميلون شيئا مما يجعل الحياة سهلة . اما انا فلا تترك للمصريين وحدهم المجد الذي اولوه
اوزيريس بكونه اخترع الفلاحة لان هذا ان قد وجد في كل الازمنة في البلاد الكلدانية
من الارض التي انتشر الجنس البشري ويظن انه اخترع منذ اشاء العالم وان المصريين
يجعلون زمن اوزيريس في الاجيال الخالية اذ يبدو جليا انهم قد خلطوا زمانه بابتداء
العالم وقد راموا ان ينسبوا الى ذلك الزمان امورا كان اجلها قبل كل الازمنة المعروفة

تاريخهم لكن ولو كان المصريون لم يخترعوا الفلاحة وسائر الفنون التي نراها قبل
الطوفان فقد انقوتها غابة الانثان وافرغوا الجهد في سبيل تجديدها بين الشعوب
الذين قد انساهم اياها نوحشهم وليس مجددم بذلك اقل مما لو كانوا اخترعوها . واخترعوا
فنوناً كثيرة الاهمية ليس في امكاننا ان ننكرها عليهم . وبما ان بلدهم لم تكن متشعبة
وسماوهم كانت صافية لاتخالها غيوم كانوا اول من راقب سير الكواكب ونظم حساب
السنين وهذه الملاحظات قد اوصلتهم الى علم الحساب . واذا كان ما يقوله افلاطون
صححاً من ان الشمس والنهر علما البشر معرفة الاعداد اعني انه بدىء بالحسابات
المرتبة بحساب الايام والاشهر والسنين . فان المصريين هم اول من صنع ذلك وقد
عرفوا ايضا السبارات وغيرها من النجوم ووجدوا هذه السنة التي جلبت السماء الى
جديها والجئوا الى معرفة علم مسح الارض رجاء ان يعرفوا اراضيهم التي كانت مياه
النيل تغشيها واتصلوا بذلك الى الهندسة وكانوا يراقبون الطبيعة مراقبة حسنة وكانت
قوية وغزيرة بينهم بسبب الهواء الجيد والشمس الحارة وهذا ما جعلهم ان يخترعوا الطاب
ويتفنون فبذلك كانت كل العلوم لديهم خطيرة جداً . وان مخترعي الاشياء المفيدة كانوا
يحصلون قبل موتهم وبعده على جزاء تستحقه اعمالهم . وهذا الذي جعلهم ان يعتبروا كتب
المركبين مقدسة وجعلوها كتابها كتب الهية . فاول شعب حاز المكاتب هو الشعب
المصري وان ما نقلوه من الالفاب بعث الناس قاطبة على المسارعة الى اولوج الامصار
المصرية والبحث عن مكنوناتها وكانوا بدعوتهم كنوز ادوية النفس فان النفس كانت
تشفي بها الجهل الذي كان فيها مرضاً عياء وجرثومة كل الادواء . وان الامور التي
كان لها المقام الاول في عقول المصريين هي اعتبار الوطن والجنوح اليه وكانوا
يقولون ان الوطن هو مسكن الالهة التي حكمت فيه احتجاباً كثيرة غير معينة وكان
الوطن انشأ ارماطاً كثيرة وحيوانات متباينة ترويهن مياه النيل مع ان سائر الارضين
كانت غنية . واما الكهنة الذين كانوا يكتبون تاريخ مصر مع نوالي الاجيال غير
المحدودة ويملئونها حكايات واساباً الى الهتهم فكان قصدهم من ذلك ان يرسخوا في
عقول الشعب قدمية بلادهم وشرفها ومع هذا فان تاريخهم الحق كان متضمناً حدوداً
راهية ولكنهم ارناوا ان يغالوا في فسحات شاسعة من الزمان الذي يدبرهم من الازلية
ولذلك كانت محبتهم للوطن لها الاس الوطيد وكانت مصر اجمل بلاد العالم واخصها

ارضاً واتتها بلدًا بنفوتها واغناها شعبًا واغضرها معيشةً واحسنها محلاً واعظمها ملوكًا
 وكان كل امر من اعمالهم ومقاصدهم عظيمًا ويعسر تصديق ما قاموا به في نهر
 النيل فان المطر لا يهطل في مصر كغيرها من البلدان ولكن هذا النهر الذي يسقيها
 بفيضانه المنظم يقوم مقام الامطار والثلوج التي تتساقط في غيرها من البلدان
 وقد ادخلوه مصر باقية لا تحصى طويلة عريضة جدًا . وكان بني قوى الارض
 يبيعون النافعة ويوصل المدن ببعضها ويقرب البحر الكبير بالبحر الاحمر ويرعى التجارة
 داخل المملكة وخارجها ويقويها على مكاشحة العدو وكان مفتيًا للبلدان ومحاميًا لها .
 وكان الناس يغادرونه يسفح في البوادي غير ان المدن كانت مترفعة عنه باعمالها
 القريبة كأنها جزائر في وسط المياه ترى وفي رفعة كل الحقل مغورة بمياه منه تحيها .
 ولما كان فيض بنوع خارق العادة كانت الجبرات العظيمة التي انشأها الملوك تمد
 اقوامها الى ان تزدرد مياهه المنتشرة وكان قد هيء مصرف لهذه الجبرات التي كانت
 تنفتحها وتنفلها سدود لدن انتضاء الحاجة . ولم تكن المياه تستمر على الارض الا ربثًا
 تحفلها مخصصة . وهكذا كان استعمال الجيرة العظيمة التي تدعى بحيرة مبريس
 او موزيس وهو اسم للملك الذي امر بانشاها . وتعزى الدهشة كلاً من الناس عند
 شعوره ان قد كان لهذه الجيرة مائة وثمانون فرسخًا امتدت من ناحية ليلية لثلاث
 بالارض الجيرة خسارة لدن خضرها . وكان الملك يكتسب من الصيد شيئاً كثيراً . ولما
 كانت الارض تثبت شيئاً كان الناس يتخذونه كنوزاً يغفرون عليها المياه وكان ثمة
 هرمان على كل منها عرش عليه شخص عظيم الجثة احدها تثال مبريس والاخر
 تثال امراته وكلاهما يرتفع ثلاثماية قدم فوق ماء الجيرة ولها الطول نفسه تحت غمرات
 مياهها وذلك من الادلة على انها انشئت قبل ان يمتلئ مجوف الجيرة . وان الناس
 انشئوها رحبة في عهد ملك واحد . ومن لا يعرف الى اي حد يمكن تدير الاراضي
 وتوفرها بحسب ان ما يقال عن تعداد مدائن مصر افاصب وحكايات . ولا يمكن
 ان يصدق ما هي عليه من الغنى ولم يكن وقتئذ مدينة غير منفعة من الهياكل
 العظيمة والنصور الشائخة . وكان فن البناء يبدو في كل اين سهو شرفه البسيط
 والعظمة التي تملأ العقول وتدرجها وكانوا يبسطون في سرادات كبيرة التماثيل
 والنقوش التي كان اليونان يتخذونها قواعد وكانت تبيه ناهي اجل مدن العالم . وان

لغة التي أشدها أودروس الشاعر كان الجميع يعرفونها وكانت كثيرة السكان
منذ ما كانت رحية . وقد قيل ان عشرة الاف مجارب يخرجون أسواق من كل
باب لها . وان يكن في هذا القول مغالاة فان شعبها كان عسر الاحياء وامتدح
اليونان عظمتها وكبرها لما رأوا دثارها لعظمة الآثار التي كانت فيها
ولامراء ابن سواح عصرنا لو وصلوا الى ذاك المكان حيث كانت تلك المدينة
مرطقة لكانوا عثروا على آثار لا ضرب لها بين طولها لان اعمال المصريين من
شأنها ان تناوي الزمان والخطوب المدلهمات . فكانت تماثيلهم تضاهي الاجرام الجسمية
وعواميدهم شتى شاهدة . وكانت المملكة المصرية تدأب في البهاء والعظمة وترغب في ان
تدهش عن بملء الابصار مع انها كانت تفر بروية هندامها وقياساتها المحكمة
واكتشف الناس في الصعيد هياكل وقصوراً لم تنزل الى الان في حيز الوجود بها
عواميد وتماثيل لا تحصى وما يبعث على الحيرة والدهشة قصر لم تستمر طولوله الى الان
الا لزالة مجد الاعمال العظيمة كافة

فاربعة من الاروقة الشاهدة المزينة على كلا المحدين باي الهول المولف من
مادة نادرة بعظمة جرمها في كمابر لاربعة ابواب تحير الافكار بسموها ، فيا ما ارحبها
واعظمها . وان الذين وصفوا لنا هذا البناء العجيب لم يقض لهم الزمان آناً يحولون
فيه حوله وليسوا على اثبات من روية جانب منه ولكن كل ما رأوا منه مذهل
وغريب . فاحدى القاعات المشيدة في وسط هذا النصر الباذخ كانت مركبة على ستة
وعشرين عموداً يحيط بثمن الواحد منها اثني عشر ذراعاً ومتسبة الكبير الا انها متمتجة
بمسلات صامتة الدهر ولم يستطع اهابها وما زالت الالوان قائمة بين آثار هذا البناء
الغريب وحافضة الى هذا الان حدتها وجمالها الاول طالما كانت مملكة مصر تطيع
افعالها سنة الخلود . وبما ان الان قد ذهب في العالم اسم الملك لويس الرابع عشر وذاع
في كل الافطار البسيطة وهو يد بعيداً المباحث التي يتخذ منها اجل اعمال الطبيعة
التي هي من متبادر الامران يكون ذلك موضوعاً يلقي هذه الرغبة السياسية اي ان
كتشف الخاسن المتطورة طي قفار بلاد الصعيد وان تزيد في هندسة ابنتنا باختراعات
لمصريين . فما الشوكة او ما هو الفن الذي استطاع ان يصير هذه البلاد اعجوبة العالم
واذ رأينا هذه الامور الغريبة في البلدان الفاصية فماذا الذي عسانا ان نراه في العاصمة

وانما على مملكة مصر وحدها ان ننم ماثر فاخرة مخجلة فلم تنزل مساهمتها الى هذا
 اليوم اجل زينة في مدينة رومية سواء كان بزهائها او بارتفاعها . وقد آيست السلطة
 الرومانية من مضاماة المصريين وحسبت انها تزيد فخراً على فخرهم اذا نسنت بماثر
 ملوكهم . ولم تكن مملكة مصر قد شاهدت من الابنية الشاهقة سوى برج بابيل لما
 ابتدعت الاهرام التي نالت ببيتها وعظمت راية الظفر بالاجيال والبراق . وان ذوق
 المصريين السليم حدام منذ ذاك الزمان الى مجرد ود المكانة والنظام في البناء . آيست
 الطبيعة تعويب من تلقاء نفسها الى هذه الهيئة البسيطة التي يشق على البشر جداً العود
 اليها اذا ما افسد الذوق حب الطرق الجديدة والافدام الغريب ومهما كانت من
 الامر فان المصريين لم يودوا سوى افدام مرتب لانهم لم يطلبوا اختراعاً ولا طريقاً
 الا في هيئة الطبيعة المتنوعة وقتتها غير المحدود وطالما افتخروا بانهم وحدهم هم الذين
 ابدعوا كالاظمة اعمالاً خالكة . ولم تكن الكتابات التي على الاهرام اقل اعتباراً من هذا
 الصنيع نفسه . وكانت كتابتها تناجي الناظرين اليها واحدهن المبني من الاجر كانت
 يحذر الجميع من مقايسته على غيره وانه يسمو علواً على سائرهن كما ان المشتري يتمالك
 على جميع الالهة الا انه مهما اجهد البشر نفوسهم فلا يلبث ان يبان وهن قوامهم وعدمهم
 في كل اين . وكانت هذه الاهرام رموساً غير ان الملوك الذين شادوها لم يكن من
 سلطانهم ان يحدوا فيها وهكذا لم يتمتعوا بالحصول على لحدودهم

ولم يكن من ذآبي ان انكلم عن القصر الهبي المدعو لايرنسلو لم يثبت لما دبر وحدث
 انه بنوق الاهرام جداً . فانه شيد على ضفة بحيرة مبرسي ومنح منظراً موافقاً لعظمة ونداء
 ذلك لم يكن قصراً واحداً بل لفيقاً من القصور الهبية تعدادها اثنا عشر قصراً متصلة
 ببعضها على غاية النظام . وكان يكتنف ذلك الف وخمسماية قاعة ممتجة بالسطوح مستظلة
 حول اثني عشرة حجرة لا يقي مخرجاً لمن رام دخولها قصد الزيارة وكان بقدر ذلك
 ابينة تحت الارض مهيأة لان تكون رموساً للملوك ومكاناً لعبالة الخاسج المقدسة التي قد
 سجدت لها هذه الامة الفاتفة بتور الحكمة الطبيعية . ومن يمكن له ان يرى ذلك ولا يعتربه
 خجل بل يتوكأ على عمه العقل الانساني

فلربما نأخذك الدهشة ياسيدي عندما ترى كذا عظمة في رموس المصريين . ففضلا
 على انهم شادوها بان تكون آثاراً مقدسة لتري الاجيال المستقبلة ذكر الملوك النظام

ومجدهم بحسبونها أيضاً كمنافسي سرمدية . فمن الحق ان الدبار غدت فنادق ينظنها
المسافرون ابدًا ينضون بها حبة وجيزة لا تشج لم ينوال جميع مرغوباتهم وإنما الديار
الحقيقية في الرموس التي ازمعنا نحن ان ننظنها منذ احتاب شتى

ومن المقرر ان كدح الملكة المصرية لم يكن منصوفاً على الجامدات بل كان جل
اهتمامها متوقفاً على تثقيب البشر . وقد ايقن اليونان كثيراً ان رجالهم الشهيرين كهوميروس
وفيشاغوروس وافلاطون وليكوركوس نفسه وسولون المشترعان الشهيران وكثيرون
غيرهم لبس هنا موضع بسط الكلام عنهم ذهبوا فاكبوا على تعلم الحكمة في مصر ورام الله
ان يتروى ويتنف على حكمة المصريين لانه شرع بذلك يكون قديراً قولاً وعملاً لان
الحكمة الحقيقية تستخدم كل شيء والله لا يرغب في ان الذين يوحى اليهم يهلون الوسائل
الانسانية الناشئة عنه تعالى على وجه آخر

وقد درس حكماء مصر السياسة التي تجعل العقول ثاقبة مكينة والاجسام قوية
البنية متينة والنساء كثبرات النسل والاولاد اقوياء اشداء وبهذا كان الشعب ينمو وتزيد
قوته وعدده

ولاريب ان البلاد سليمة طبعاً الا ان الفلطنة علمت اهلها ان المرء لا بد له من ان
يضافر الطبيعة ويكون مظهرًا لها . ومن البين ان قد يوجد فن تثقيب الاجسام كما وجد
تثقيب العقول وقد عرف الاندوميون جيداً هذا الفن الذي اسد لنا عليه جلياب
التواني بعد ان اتصل اليه المصريون . ولقد طالما مارسوا القناعة ولاسيا الاشغال في
سبيل هذه الغاية الماثورة . ففي احد مضامير الممارك العظيمة التي شاهدتها دهرودوت
عياناً تبين ان حجاج الفرس كانت سهلة الثقب وحجاج المصريين صلدة جداً تحاكي الصغور
التي حولها فذلك يدل على رخاوة جيش الفرس وقوة المصريين وبطشهم اللذين
يتأنيان عن القناعة والاشغال الشاقة . وقد اُجري في مصر بهارة عجيبة السير على
الارجل والخيول والعجلات ولم يكن في البسيطة كلها اناس جديرون بامتطاء الخيول
كالمصريين . واما اشعار ديودوروس ايانا بانهم اهل الكفاح بان يكون تمريناً يجلب
قوة خطيرة سريعة الزوال فيوعز به الى كفاح المصريين المتجاوز الحد الذي عابه اليونان
وتخذوه غير لائق بالاحرار مع انهم توجهوا في ملاعبهم الفائزين مراراً . الا انه يليق باهل
المكرمة اذا اُجري بعدالة . واشهرنا ايضاً ديودوروس نفسه ان مركون اله المصريين

أبدع أصوله مع فن تفتيف الاجسام . ففعلينا ان نصبح ايضا لما يقوله هذا المؤلف نفسه
 فيما يتطابقن الموسيقى فقد اهتمن المصريون كثيرا الموسيقى المودية الى الرخاوة واحسبوها
 ذريعة لترفع الشجاعة من الابطال وقالوا ذلك بودي بهم الى التخت والرخاوة وحسنة
 الامر ان هذا الفن العظيم يرفع قوى العقل ويطرب القواد بالحنانة المنسقة وليس من
 الحق والصواب ان يناف منه المصريون . فقد روى العلامة ديودوروس نفسه ان قد
 اوجن لهم مركور وقد ابدع ايضا رهم آلات الطرب . وفي احفالاتهم وهم حاملون اسفار
 ترساجيست كان يسير المنزل في مقدمتهم وبينهم رمز الى الموسيقى (لا علم لي به) وكتاب
 التيسايج . وخلاصة الامر فان المصريين لم يباح افكارهم شيئا من شانه ان يذهب العقل
 ويرفع شان القواد ويقي الجسم وكانوا يقومون برواتب اربعمائة الف جندي رعاية
 لابناء وطنهم الذين طالما تعودوا التهربات الحربية وقد كانوا يحفظون شرائع الجندية
 بكل سهولة او بالاحرى كانت الطبيعة تخولهم ذلك فان الآباء كانوا يلثونها على بنينهم
 علما بانهم مزعمون ان يخلوهم بالهن الحربية كما يختلف الابن اباء في سائر الوظائف
 وكان النوم المشحون برداء الجندية منظورا اليهم بعين الاحترام والكرامة بعد ذرية
 الاجبار وكانوا يسمون شرقا على سائر المخلوقين كما في بلادنا . وليس من داني الحكم على
 المصريين انهم كانوا في غابر الزمان امة حرة فحبهم للجنود المنظمة كان امرا زهوقا
 وكانت ممارستهم الاعمال الحربية ومعاودتهم صورة الحروب عبثا . انما لا يصبر الناس
 جنودا مستعنين بالمواقع الا في المعارك الحقيقية وطالما ود المصريون السلام لانهم كانوا
 يودون الانصاف ولم يكن لهم حاجة للجنود الا للدفاع عن انفسهم فلذلك لم يفكروا
 قط في ان يوجهوا نيران الوغى قصد الافتتاحات بل كانوا يكفون بما هو لهم وبما يخصهم
 عاলাম . وقد امتدت مملكة مصر من جهة اخرى وبثت نخلات الى جميع الامصار
 انتشرت بهم الشرائع والآداب وتوافدت سكان المدائن الشهيرة على مصر ليقفوها فيها
 ويعلموا عوائد اهلها القديمة ويحرجوا من بنايع اديانهم الحسنة واستشاروهم كثيرا في
 اصول الحكمة وذلك لما عزم سكان البديا على تشييد ملاعب الالومبيالك التي هي
 اشهر ملاعب اليونان بعثوا بارسالية حافلة يطلبون بها تصديق المصريين عليها معهم
 وتلفوا منهم وسائط حديثة لاثناء البسالة في افئدة الحاربيين . وقد استولى المصريون
 بحكمتهم زمانا وبانت الشوكة لديهم اعظم من مملكة توطدت اركانها بصايل الاسلحة

وقوى الجنود وأما ملوك تاب وإن كانوا أقوى من ملوك مصر كافة فانهم لم يحملوا قط على الممالك الدانية . ومن سوا غيبة الامران يقال انهم سلبوها من ايدي الاجانب لانهم استولوا عليها فسرّا عن ارادة قاطنينا والجمال انهم فاقوا ستمّا على جميع الفاتحين بما اخذوا فيفتحون . ولست دائباً في كلامي الى اوزيرس هازم الهنود فمن المفرزاته باخوس نفسه او احد الابطال المثلثة بهم في الاقاصيص المروية فابوس وسترس سواء كان عمله يمل غربي او مجت خلق او سلطان هائف كما يزعم المصريون قد ازمع على ان يصير ابنه من اشهر الفاتحين فشرع كمادة المصريين ابي بالافكار السامية وامران ياتوه الى القصر الملوكي بجميع الصبية الذين ولدوا في اليوم الذي ولد فيه سزوستريس فاعني بتثنيهم وتدريبهم كاولاده وكان يقيهم على مائة واحدة بجانب سزوستريس فاشهرهم الصفات المحببة ولهذا لم يكن له وزراء امينون ذوو حمية لدن اخطار القتال نظيرهم . ولما طعن في السن حنكهم بن الحرب اذ اضرع على العرب نار الوغي فالتجأ هذا الشاب حينئذ ان يكابد شدة الجوع والظاء وارزح تحت نهر شوكة هذه الامة المتوغلة في العصيان الى ذاك الحين وبعد ان عاود الاشغال الحربية بافدامه على هذه الفتوحات وجه ابوه افكاره نحو غربي بلاد مصر ففتح على اقليم ليبيا وارفض تحت نهره قصراً عظيماً من هذه البلاد الشاسعة . وفي ذلك الوقت غيبت به برائن الردي وتركه اعلاً لمباشرة كل ما يرغب فيه فصمم في فكه ان يفتح العالم بأسره الا انه قبل ان يرايل مملكته استندرك الامان داخلها وملك اثنتي عشرة شعبه بسخاؤه وعدله وجعل الاحكام في نظام تام بمخاضه العظيمة ونفع ذلك فقد كان يتأهب لمصادمة الاعداء في جيش الجيوش واقام عليهم قادة الشبان الذين رباهم واليك معه على مائة واحدة وكان عددهم ينوف على الف وسبعماية كلهم جديرون بان يلقوا الحماسة والبسالة وروح النظام ومحبة الملك في قلوب الجيش كله . ولما اتم ذلك على هذا الاسلوب دخل بلاد الحبش واغرى الحبشيين بان يوهبوا له الجزية وهكذا ادمن على الفوز في اسيا . واورشليم هي المدينة الاولى التي شعرت بداءة بدء بناس جنوده ولم يستطع رجوعهم الجري الى مقارنته بل سلب منه سزوستريس خبرات ابنه سليمان وامواله فهكذا قضت العناية الالهية للملك الشرير عتاباً اليائماً ففترى سزوستريس بلاد الهند اكثر من هرقل وباخوس ووصل الى اكثر ما وصل اليه فيما بعد الاسكندر العظيم لانه البلاد قمع التي وراء نهر الكنج ومن ذلك يمكن لك ان تستشعر

هل قاومت البلاد الدانية عزه. فتغلب على السيتيين حتى نهر التنايس لان بلاد ارمينية وكبادوقية رضخا لاوامر ونواهيته فترك نخلة في مملكة كولكوس القديمة حيث عوائد المصريين لم تنزل ثابتة ومستقرة الى هذا الحين. وقد رأى هيرودوت في اسيا الصغرى اثار ظفر من بحر الى آخر مع كتابات فاخرة بشأن سزوستريس ملك الملوك وسيد السادات

وقد وجد منها في اقليم تراسا ايضا. وامتدت مملكة سزوستريس من نهر الكانج الى نهر الطونة وانما صعوبة المعيشة صدت عن اقتراء بلاد اوربا فعاد بعد تسع سنوات من سفر ينفلة جميع الشعوب الذين ارهقهم بالغنائم والانعام فمنهم من دافع ببسالة عن استقلالهم وحررتهم واخرون سلموا دون ادنى مقاومة وقد صرف العناية سزوستريس بان يوعز في اثاره وتوار يخه الى اليون بين هؤلاء الشعوب باحرف رمزية تدعى (ابروغراف) حسب عادة المصريين وقد اخترع الرسوم الجغرافية برسم عليها مملكته واقام مائة هيكل شهيرة توطدت في سبيل نسيج الالهة الذائنة عن المدائن وجعل جل ذلك مقصوداً على تذكار فوزه واعلنت بكتابات ان هذه الاعمال العظيمة قد تجزت دون ان نغني رعاياها وكان بعد من سو دده ان براعيم وان لا يهلك في آثار فوزه سوى الاسرى. وقد اتفنى بذلك اتوزج الملك سليمان فلم يستخدم هذا الملك الحكيم في الاعمال العظيمة التي خادت اسمه وذكرى ملكه سوى الشعوب المستعبدين والمودعين الجزية لحكمومتهم. على ان الرغبة اعدت لالاعمال اخرى اعظم واشرف فكانوا يعملون فن الحرب واصدار الاوامر للجمدية ولم يستطع سزوستريس ان ينفني اثاراً اعظم من ذلك فتريع في دسب احكام مصر ثلاثة وثلاثين حولاً ونعمم بانتصاره زمناً طويلاً. ولو لم تبعثه الكبرياء على ان يجعل الملوك الذين فقههم يجررون مركبته لكان اهلاً لكل مجد وفخر. ومن البين انه انف من ان يموت كسائر الناس. ولما امسى لدن شيبوخيم اعجب الفخر وغادر المملكة المصرية للثروة وفيرة ومع ذلك فلم تبلغ مملكته بعد موته النسل الرابع الا انه بقي منها الى عصر طباريوس قيصر اثار متفحقة تدل على عظمتها وسعة دائرتها ان المملكة المصرية عادت فوراً الى ما كانت عليه من طبعها وهو الرغبة في السكينة حتى انه كتب ان سزوستريس كان اول من اوهن عزائم المصريين بعد فتوحاته خشية من وقوع العصيان وبناء عليه لم يتخذ هذه الوسيلة الا كاحتياط على خلفائه. فانه

لم يكن يخشى من شعوبه بأساً فانهم كانوا يودونه ويخزون امام عظمته سجداً نظراً لما
 انطوت عليه سجاياه الحدية من الحكمة والحلم ولذلك لم يكن هذا الفكر لائقاً بملك
 اخذت منه العظمة والمهابة كل ماخذ ولولم يكن كذلك لسكانت مغادرته بسالة رعاياه
 في حيز الوهن ضرباً من عدم استدراك الوسائل الكبرى لتوطيد اركان فتوحاته . ومن
 المثير ايضاً ان هذه المملكة العظيمة لم تثبت مطلقاً . ولا مندوحة للانقراض في اي وجه
 كان لان روح الانقسام والشعب اخذاً يتدان في بلاد مصر . وقد اغار سابا كون الحبشي
 على هذه المملكة في عهد الملك انيزيس الاعى فعامل الشعب بالرفق والتوعدة وقام
 بشئون خطيرة لم يبلغ اليها احد من الملوك الوطنيين فلم يربأ بداً اعتدال كما عند الله لانه
 بعد ان مضى خمسون عاماً من حكمه السعيد عاد باليمن الى بلاد الحبش انقياداً لاوامر
 بعض الناصحين له فذلك امر خال الحاماً من لدن الالهة . ومنذ ذاك الحين هبطت
 المملكة بايدي سانون كاهن فولكان المعروف بالبر والقي الا انه قليل المعرفة عدم
 الخبرة في الامور الحربية . وقد اهل قوى الجندية اذ عامل الجيوش واهل الحرب معاملة
 سيئة ومنذ ذاك الحين لم يعضد المملكة المصرية سوى جنود اجانب ومن ثم امتدت
 في مصر بلايا عظيمة فان المصريين تنهروا لم اثني عشر ملكاً يقتسمون بينهم الحكم
 وهم الذين بنوا الاثني عشر صرحاً التي تالف منها اللابيرنت وان تكن
 المملكة المصرية لم تسدل على عظمتها القديمة ذيل النسيان فقد امست واهنة القوى
 وتشعبت في عهد هؤلاء الملوك الاثني عشر واصبح احدهم المدعو بسامانيك ملكاً
 باعانة الاجانب له فقامت به المملكة واستمرت عزيزة قديرة مدة خمسة او ستة احكام
 ملوك . وقصارى الامر ان هذه المملكة القديمة بعد ان مكثت نحواً من ستاية عام
 اضعف ملوك بابل وملوك الفرس قواها وامست فريسة لكامير الذي هواغي من
 الملوك طراً

ان الذين عرفوا جيداً اخلاق المصريين استدلوا انهم لم يكونوا امة حربية . وقد
 اوعزنا اننا الى اعله ذلك لانهم قد عاشوا في الطائفة نحواً من الف وثلاثماية سنة لدن
 بروز الملك الفاتح الشهير اعني به سزوسندريس فهكذا قسراً عن ارادة جنودهم المرعبين
 بعناية جريئة راينا اختياراً ان قوتهم كانت قائمة بالجيوش الاجانب وهذا من اعظم
 الاوهام والمعائب التي يمكن للمالك اقترافها . لكننا الامور البشرية ليست ابداً على كمال

ومن الامور العسيرة الوصول الى ثروة التكال في فنون السلام واللوازم الناجمة عن الحرب ولكن ليس من الجدد الطريف استمرار هذه المملكة ستة عشر جيلاً وقد حكم في مدينته نائب بين هذه الفترة بعض المحبطين ومنهم ساباكون وثاراكاً حسب ظن الاكثرين الا ان المملكة المصرية تخذت هذه الافادة من نوع خالها المنظمة وقوانينها المرتبة غير ان الاجانب الذين افتتحوها غادروا عوائدهم جانباً وتسلطوا بغزائهم : وعلى هذا لم يكن المصريون يعتقدون بحكومتهم بتغير ملوكهم وحكامهم . وقد شق على مصر احتمال الفرس وابوا الرضوخ ليرحم الثبل الا ان المملكة لم تكن ذات بعلش وضولة كما افننا لمتناواة هذه السلطة القديرة بقوة جيوشها . وقد التجأ اليونان ان يملوها لانها كرم في امر آخر . وطالما امدوها بالاغاثه سلفاً وذا دوا عنها وكانت تسقط دائماً في عهد ولاه ملوكها الاولين الا انها استمرت مستمكة بغزائهم القديمة وامست غير جذيرة بان تسلق احكام ملوكها الاقدمين وشرايعهم ومع انها تسكت بامور كثيرة على عهد نيولاموس وخلائيه فان اختلاط عوائد اليونان والشرقيين كان عظيماً جداً حتى انه لم يبق امتياز بين عوائدهما وعوائد المصريين القديمة

فلا تساوّن اذا ان ازمة ملوك مصر القديمة غير مختلفة حتى في تاريخ المصريين انفسهم لانه يشق علينا ان نجد محلاً للملك اوزيندياس الذي نرى منه آثاراً عظيمة يتشبه ديدودوروس عنها وادلة ساطعة على خروجه ويلوح ان المصريين لم يكونوا يعرفون اباسوستريس الذي لم يكن هيرودوت وديودوروس وان شوكته ثابت من الاثار التي في العالم اكثر من توارينج وطية ومنه المحجج وغيرها تبين لنا انه لا يقتضي ان يصدق كلها روية لما المملكة المصرية بشأن قدميتها كما كان يخال البعض مع انها هي نفسها لا تعرف ازمة ملوكها الذين ملكوا ناصبة الشهرة اكثر من غيرهم

الفصل الرابع

في الاشوريين القدماء والحدِيثين والماديين وقوش

ان ملكة المصريين العظيمة تعتبر كأنها منفردة عن غيرها وليس لها استغناء متصل كما تسمى وما يبقى علينا ذكره هو اكثر تحقيقاً وتوارينجاً ايدينا

ومع ذلك فلم يبقَ علينا الا اشياء وجيزة مخفية تناط بمملكة الاشوريين الاولى
وبوجيز الكلام نقول : في اي اين شاوروا ان يعينوا مبدأها اتباعاً لآراء المؤرخين
التيانية جاء نينوس لما كان العالم مجتزأ الى ممالك شتى حقيرة امرأوها ينهمكون في ان
ينظروا الى ذواتهم اكثر من ان يزيدوا قوة واذا كان يفوق من يدانونه في القوة
والجبرأة اضعفهم قوماً بعد قوم واقصى انتصاراته جدّاً في ناحية المشرق . ثم ان امراته
سامريس التي احرزت في المطامع المنوطة بها غالباً ينجسها مما لا يوجد اعتياداً بين
ثبتت افكار بعلم الرحبة واتمت توطيد هذه المملكة

فلاريب انها كانت عظيمة . وكبر نينوا الذي يفوق كبر بابل كما يزعم البعض
بوضع ذلك جلياً . ولكن بما ان المؤرخين المدققين لا يذهبون الى ان هذه المدينة
قديمة كما يبدى لنا غيرهم لا يحكمون انها عظيمة بمقدار كهذا . فلو كانت قديمة ورحبة
تطبيقاً لقول المورخ الافاك كئازياس ومن له الثقة بكلامه يعلم ان الممالك الصغيرة التي
يقتضي لنا ان نقايسها عليها تستمر زمناً طويلاً . ومن الحق ان افلاطون الراغب في
البحث عن الاشياء القديمة والنظر اليها يضع مملكة تروادة على زمان بريام تحت ولاية
سلطنة الاشوريين لكنه لا يرى شيئاً من هذا في مؤلفات اوميروس الذي كان عليه
ان لا يهمل حادثة كهن لما في قصص ان يسي مجد بلاد اليونان . ويمكن الوثوق بان
الاشوريين كانوا معروفين قليلاً في جهة المغرب لان شاعراً كهذا عالماً محباً للبحث عن
الشؤون ليزين اشعاره من كل ما من شأنه ان يناط بموضوعه لم يذكرهم فيها ابداً .
ومع ذلك فحسب التعداد الذي رايناه اكثر موافقة للصواب نقول ان زمان
حصار تروادة كان اعظم عصر الاشوريين اذ تمت فيه فتوحات سبراميس التي لم
تنتشر الا في جهة المشرق فان الذين يصانعونها كثيراً جعلوها تحصر اسلحتها في هذه
الاجزاء فانها شاركت نينوس في مفاصده وانتصاراته ثم لان جوستين الذي يغالي في
مدحهم يحطه بنهي فتوحاته من جهات الغرب على حدود ليبيا

ولا علم لي في اي آن انصلت نينوا بفتوحاتها الى تروادة اذ يرى ان نينوس
وساريس قاما بشيء مثل ذلك . وجميع خلفائهما عاشوا في ومن عظيم منذ ولدها
نينياس ولم يقوموا الا باعمال نادرة جداً حتى ان اسماءهم كادت لا تصل اليها . ومن
الغريب ان مملكتهم امكن لها الفرار مع اننا لا نثق بسعتها . ولاريب ان فتوحات

سزوسنريس انقصتها كثيراً . ولما كانت هذه الفتوحات قصيرة وليس لها من شغلها
مستند آل بنا الامر الى ان البلدان التي ملصوها من ابدى الاشوريين وهي معتادة على
اجتغال سلطتهم تكون قد آبت اليهم طبعاً حتى ان هذه المملكة استمرت ذات شوكة عظيمة
متمتعة بالراحة والسكينة الى آن ابدى فيه ارباس رخاوة ملوكها المدمنين على الشوري
في زوايا قصورهم ولم يفض الامر بسردانا بال الى ان يكون محنراً فقط لدى الرعية بل
قضى عليه الامر ان يكون غير مطاق

ولقد شاهدت المالك التي خرجت من دثار مملكة الاشوريين وهي التي منها
مملكتنا نينوا وبابل . فملوك نينوا استسكوا بلقب ملوك اشور وكانوا يزبدون غيرهم قوة
وباساً لكن كبرياءهم كانت متجاوزة كل حد لانهم افتتحو مملكة اسرائيل او السامرة ولم
يدراهم عن ان يقيموا مملكة يهوذا في ايام حزقيا الملك الا يد الرب ومعجزاته ولم يعد
يعلم في اي حيز يمكن ان تحصر شوكتهم اذ فازوا عما قليل بمدينة بابل التي تدانينهم
وهي التي كلت فيها قوى السلالة الملوكية

واما بابل فكان يبدوانها لم تبرز الا لتستولي على افطار البسيطة طراً والدليل
على ذلك ان شعوبها كانوا على جانب عظيم من سداد الراي والبسالة وكانت الفلسفة
والعلوم بينهم رياضاً دانية النطوف ولم يكن في الشرق كله جنود تحاكي جنود المكلدانيين
وكان الناس يعجبون في الاعصار القديمة من نضارة هذه البلاد التي جذبت
باهاال قاطنيتها حرائثها . وحداها خصها الى ان تكون في ايام ملوك فارس القدماء
قسماً ثالثاً للمملكة وبناء عليه فملوك اشور افتخروا وتعظموا من زيادة مملكتهم بانضمام
هذه المدينة المثرية اليها فباشروا اذ ذاك مقاصد جديدة . وفكر يختصر الاول ان
مملكته لا تكون جديدة به ان لم يل اليه العالم قاطبة . ورام يختصر الثاني الذي فاق
سلته سماً بعد ان فاز فوزاً غربياً وفتح فتوحات مدهشة ان الرعية تؤدي له عبادة
الاله اخرى من ان يحكم كملك . فانية صنع لم يبق باعبائها في بابل واي اسوار واي
ابراج واي ابواب واي صيانة لم يباشرها . وقد لاح ان برج بابل القديم اوشك ان
ينجدد بعلومه بكل باعال وان يختصر اراد ان يهدد ثانية السماء وان تكن يد الرب
اهبطت كبرياءه فمع ذلك خامرت رموس خلفائه فانهم لم يناسوا على احتمال سلطة
من يدانونهم فعولوا على ان يرضخوا للعديد الاوفر تحت نير عبوديتهم ولذلك انف

منهم المجاورون واصبحوا يصفون عن احتمال ذرعا فأبى عليهم الحمد ملوك ماد
والفرس وقبما عظيما من شعوب المشرق لكنهما الكبرياء نجولت بسهولة الى
الفسوة . وبما ان ملوك بابل كانوا لا يجسبون معاملة الرعية غادرهم السواد الاعظم منها
وسادات عظام وانجازوا الى قورش والماديين لكنهما بابل المعتادة على التسلط وقمع
الاعداء لم تبالي بتأليب هؤلاء الاعداء المكاشحين لها . بيد انها بعد ان كانت تخال ان
لا تعمل بها ابدي النهر والغلبة امست اسيرة بايدي الماديين الذين كانت تزعم انها
تتكلم اي تكميل ثم التفت بها كبرياؤها الى هذه الهلاك

واما نصيب هذه المدينة فكان غريبا فقد دثرت بعمها فان نهر الفرات كان
يبدى في سهولها الشائعة ما كان يبدى نهر النيل في سهول مصر ، ولكي يجعله الناس
سهل الاستخدام اقضى الامران بفرغ في شأنه شغل وعناء اكثرا مما استعملته مصر في
سبيل النيل فانه كان يجري على خط مستقيم ولم يكن له كالنيل فيضان فذلك اقضى
ان يصنعوا في البلاد كلها اقنية حجة ليمكنوا من ان يستولوا على الارضين التي زادت
في نباتها هذه الوسيلة فاصححت غرضه ونصره ورجاء ان يخففوا زحف مياهها الهائجة لجئون ان
يقودوا مجراها باقنية متعاقبة وينشئوا له بحيرات كثيرة زائنها ملكة حكيمه ببناء غريب
فان نتوكر يس والدة لابنته المذنب بنابونيد اربل بصير ملك بابل الاخير في التي قامت
باعداء هذه الشعوب الخطيرة . غير انها هبت بان تبدي امورا اعظم من ذلك فانه رفعت
على نهر الفرات جسرا جبريا لضم طر في المدينة الذين كان يفصلها عرض النهر المتزايد
فاقضى الامر ان تنصب دواء نهر كبير كذا بنحوها الى البحيرة العظيمة التي كانت
تلك الملكة قد حفرتها ولدن ذلك اقامت الجسر المياة موانه المتينة وكسبت صفتي
النهر خيرا من السفلى الى حجرة متناه من العلو وغادرت له درجات مكتسية خرفا ايضا
ومزينة بشغل حسن يضاهي شغل اسوار المدينة . فالتجهد في هذا الصنيع كان بضارح
عظمته عجايا الا ان هذه الملكية الحكيمة لم يطرق ذهنا انها كانت من الوساطة تعلم
اعداها كيف يفتكهم الاستيلاء على المدينة فان البحيرة التي حفرتها لتخذه قورش
وسيلة لان يحول اليها ماء النهر لما ليس من ان يخرب بابل بفوقه او بالاجاعة فتفتح من
جهتي المدينة سبيلا اشارت اليه الانبياء

فلم تعند قط بابل انها زائلة كباثر الاشياء العالمية ولو لم تستأثر بذاتها استنفارا

سبعث على الضلال لما رماها الله في حيز النعالي ولما عسر عليها استدراك ما فعله قورش .
 لان عملاً كذا كان على وثك الحدوث وكادت توقع بالنرس برعايتها جميع المحدثات
 غير انهم لم يهتموا بسوى الولائم والملاذ ولم يكن فيهم نظام اورثاسة صدق عليها وبذلك
 تدثر الاستحكامات والفلاح والممالك القوية فامتد الخوف في كل اين وزهنت روح
 الملك الشرير واراد كثر يوفون الملقب بملك بابل الاخيران يوعز بنولو الي بلشصر الذي
 ارانا اياه دانيال معاقباً بمنظمة تبعث الرائيين على العجب العجيب

واما الماديون الذين فوضوا مملكة الاشوريين الاولى فتوضوا الثانية ايضاً كان
 هذه الامة اقضى لها ان تكون دائماً منافضة لعظمتهم الا ان قبيلة النرس الراضعة لاجرامهم
 نالت بيسالة قورش الكبير فوزاً عظيماً في هذه المرة الاخيرة

وحقيقة الامرات الفصل في ذلك لهذا البطل الذي قد ربي بالصرامة والبطام
 حسب عادة النرس وهم الشعوب الذين اخذوا وقتهم بكون على التعم والنياسد وقد
 اعتاد قورش منذ لدونة الحداثة على معيشة فنتة وحرية . ولقد كان الماديون يهتمون
 بدادة يد في الاشغال والعكوف على اصلاص نيران التبال فاعتراهم الوهن ليكثره تنعم
 واصبحوا مغتربين جد الحصول على قائد كذا فتخذ قورش غنام وذهب اسمهم في المشرق
 مظهراً له وعناداً لالهاته كان يني اهل نجاحه على الجنود الذين قادهم من بلاد فارس
 فقتل في بابل موقعه بملك بابل وكسر الاشوريين فطلب الظافر مبارزة الملك الجديد
 واذا ايان شدة باسمه ابدي انه ملك حكيم شديد الحرص على دماء رعيته واقرن السياسة
 بالشجاعة . لانه خشية من ان تدثر تلك البلاد الخصيبة التي كان يهدمها غيبة باردة
 بعث الزبقيين على ان يعنوا عين الجرائد ثم انه اثار حسد الشعوب الدانية على دولة
 بابل المتكبرة التي اوشكت ان تنقرس المالك طراً وقصاري الامراته احرز تحت اعلاوه
 الغير الذي انقضى بجمله وعدله وقوة اسلحه وبهذه الامور الخطيرة اخضع لسلطته هذه
 الامصار السابعة من الارض التي فرج منها مملكته

وبذلك ارتفعت هذه المملكة فصيرها قورش قوة جداً حتى اصبح من الامم
 الواجبة ان تزيد في ايام خلفائه ولكن اذا شئت ان تنهم على دنارها وجب عليك ان
 تقابل النرس وخلفاء قورش باليونان ولا سيما الامم كندر

الفصل الخامس

في الكلام عن الفرس واليونان والاسكندر

ان الذي افسد عوائد الفرس كما يميز بن قورش فابوه الذي نشأ وقت اصطلاح
الفتن والحروب لم يهتم في تهذيب خليفته الذي كان مزماً ان يخلقه على ولاء مملكة
عظيمة كما هذب هو نفسه . ومن المنذر على الامور البشرية ان ارتفاعاً عظيماً يضر بالنضيلة
اما داربوس بن استاب الذي تدرج الى العرش الملوكي من الحالة العامة فابدى خصالاً
حمية في ممارسة السلطة واهتم في اصلاح البلائل الا ان الفساد كان قد صار عاماً وان
النظارة كانت قد افسدت في العوائد كثيراً ولم يرع داربوس لذاته كفوفاً من القوة
ليتمكن من اصلاح غيره فاخذ الفساد ينمو في عهد خلفائه وتغلغل الفرس فات كل
المحدود

ولم يبرح الفرس على بعض انواع العظمة والشرف وان يكونوا قد فقدوا كثيراً من
فضائلهم القديمة بتمكهم في الملاذ بل حافظوا على شيء عظيم ذي بال . وهل يمكن ان
يرى اشرف من الالهة التي كانوا يصوبونها على النفاق الذي كان لديهم ثريباً وعبياً مشيناً .
ومن الامور المهينة عندهم بعد الكذب ان يكون الانسان ذا دين فعيشة ذياك المرء
كانت تبدو لديهم باعثة على الوصاات والمعائب ممهنة بمقدار ما كانت تبعث على
الكذب ثم انهم كانوا يعاملون الملوك المدحورة بالتودة والوقار وذلك كرم مغروس
في سجابا سرائهم ولقد كانوا يغادرون بني هولاء الملوك يفضون في بلادهم بكل خصائص
عظمتهم اذا كانوا قادرين ان يواطئوا الفائزين

وكانوا على جانب عظيم من الرزاة كراماً على الغريبين لم الخيرة في استخدامهم
يعتبرون اهل الاستحقاق ولا يتقاعدون عن استخدام الوسائل في سبيل امالهم اياهم اليهم .
لكن من الثابت انهم لم يصلوا الى غاية معرفة الحكمة التي نعلم كيف يحكمون فان دولتهم
العظيمة لم تنفأ مضطربة طول ايام حكمهم ولذلك لم يستطيعوا ان يجدوا ذلك الفن
العظيم الذي قد استخدمه منذ ذاك الوقت الرومانيون وهو ان يجرزوا جميع اجزاء
المملكة ويصيروها مجبوعاً كاملاً

ولهذا لم يمكثوا زمناً مديداً دون خصام وإن كان فيهم شيء كثير من النظام فانهم كانوا يعرفون قواعد الانصاف والعدالة . ومن ملوكهم من اجتهد في رعاية الشرائع بكل دقة فكانوا شديدي العناب على الوصاة والجرائم وفلرط عدالتهم تراهم اذا غفروا لاحد ذنباً ثم آب اليه بعد المغفرة ارهقوه عنائاً بالما فكان لهم قوانين شتى حسنة اكثرها نص فورش وداريوس بن استاسب وقواعد بنو كسون عليها في الحكم ومشورات مرتبة يستظهرونها وترتيب عظيم في الوظائف جملة . ولما كانوا يقولون ان العظام الذين بالنون المشورة هم اعين الملك واذ انه كانوا يوعزون بذلك اليهم اي ان وزراء الملك تضاهي اعضاء الجسد فكما ان الاعضاء لا تبدي امراً لذاتها بل اعمالها مصروفة في سبيل خدمة الجسد هكذا الوزراء فانهم لا تقوم بامرهم غير مقصور على خدمة الملك الذي هو راسها وخدمة كل المملكة فهو لا الوزراء يقتضي ان تكون لهم الخبرة بجميع قوانين الحكومة القديمة والسجل الذي كانوا يحتفظون به الحوادث الخالصة كان دستوراً الذي يترتبهم فيدون فيه كل الخدمات التي قام بها كل فرد خيفة ان يبقي دون مجازاة لان ذلك تاريب على الملك وعار على الدولة وكان من عوائدهم الماثورة انهم يبعثون الافراد على صنع الخبر العام اذ يعلمونهم ان من فرائضهم ان لا يضحوا نفوسهم لنفوسهم بل للملك والمملكة فكان الملك يصرف عنايته في سبيل نجاح الحراثة ولذلك فان من كان في عهده ذلك الفن وكانت ولايته متفونة به اكثر من غيرها كان الملك يوثق على غيره بالمنة والانعام الباهظة . وكما كان لسياسة الجنود وظائف معينة كذلك كان مثلها للحراثة فكان الملك متقياً لهذا الفن وظيفتين احدهما لحفظ البلاد والاخرى لحراستها وكان يذود عنها سيئين بنشاط ورغبة حباً بالخبر العام . وان الذين كانت تقدمهم الكرامة والحسنى بعد الذين فازوا في مضمار الوغى هم الذين اتبعوا اولاداً كثاراً وكانوا يغالون في الجاه الفرس الى الرضوخ للسلطة المملوكية فان ذلك كان يفضي بهم الى العباداة الوثنية وكانوا يبدون انهم عبدى ليسوا كرعابا راضخين بالعمول لسلطة شرعية فذلك كان من مآرب الشرقيين وربما كانت طبيعة هؤلاء الشعوب المحادة يقضى عليها ان تكون مطلقة وشديدة القوى

وقد اخذ العجب افلاطون من كيفية ترتيبهم لاولاد الملوك ولا سيما اعطاهم اياها لليونان دستوراً للتربية الكاملة . فلقد كانوا باخذونهم من ايدي الخصى لدن بلوغهم السنة السابعة من اجمالهم ليعلمهم ركوب الخيل وممارسة الصيد وادب ارهاقهم اي وصولهم

الى السنة الرابعة عشر كانوا يعينون لتعليمهم اربعة رجال من افضل اهل المملكة واحكمهم
 فقال افلاطون ان اولم كان يعلمهم السحر في لغتهم اى عبادة الالهة حسب القوانين
 القديمة وعراف زور واست بن اورومازى الثاني كان يحسنهم على ان يعتادوا على النطق
 بالحقبة والحكم بالعدل والثالث كان يعلمهم ان لا يغادروا الشهورات ثلثون بهم ليكونوا
 دائما اخرازا وملوكا بالحقبة ويلتكونوا ذواتهم وارادهم والزراع كان يعزز شجاعهم على
 الرهت الذي يحلهم ارقاء ويطلب منهم الثقة اللازمة جدا للحكم. وان السادات المحدثين
 كانوا يتربون في دار الملك مع اولاده وكان اولئك المحدثون يصرفون في غدا متهم كامل
 العناية لا يدعونهم يسمعون او يتظرون امورا غير لائقة وكانوا يؤذون الملك حسابا عن
 سلوكهم وكان اذا ذك يقاتب كلاً او يجاريه حسبما يستحق فالشبان الذين كانوا
 يشاهدونهم كانوا يتعلمون منهم الفضيلة ومعرفة الطاعة والامر

فما كان يرجي من ملوك الفرس وكبرائهم بسبب هذا النظام واجتهدوا ان يرشدوهم
 في كبرهم كما اجتهدوا في تعليمهم وقت صغرهم لكن عوائد الامة المنسودة كانت تقود
 بهم الملاذ التي في وسع حسن التهذيب مقاومتها ومع ذلك ففسدا عن رخواة الفرس
 واعتنائهم في المحاسن والزينة يقتضي ان نقرائهم لم يكونوا خالين من البسالة لانهم لم
 يترخوا بلباسهم بالبسالة ويدون بها ادلة عظيمة لان فن الحرب كان مقدما عندهم كما
 يحق له لانه فن يمارس في ظلاله سائر الفنون ولكنهم لم يتوصلوا ابدا الى حكمة هذا
 الفن ولم يعلموا اى مفعول في الجندية للصراطة والنظام وترتيب الجيوش وقوانين التمرين
 والمسكر والوسائل التي تتخذ لتسيير هذه الجيوش العظيمة دون اختلاط في وقت مناسب
 وكانوا يخالون انهم انما المقصد لدن اخرازم شعبا كبيرا كان يذهب الى الحرب
 بغرم كاف لكن بلا نظام وكانوا يرتكبون بعيدا وافر من الاشخاص الذين لا فائدة
 بهم فان الملك كان ياتي بهم غير مثقل غايهم وكانوا على جانب عظيم من الرخواة
 والوهن. ولكنهم ارادوا ان يعكفوا بين الجنود في المعسكر على الترفه والملاذ
 كما يعكف عليهم عادة الملوك حتى ان هؤلاء الملوك كانوا ياتون الى ساحة
 القتال معهم نسائهم وسرايرهم وخضيتهم وسائر ما يستعملونه في سبيل ملذاتهم وكانوا
 ياتون معهم بالالوان الذهبية والفضية وكل الامتعة الثمينة وكل ما يلزم للفوت وقصارى
 الامر كل ما تنماج اليه النفوس المنرفة. فالجندية التي كانت مؤهلة على هذا النمط

ومرتبة بعدد وافر من الفساکر كانت مثقلة بكثرة عديد الذين لإبحاريون فيه هذه
المخاطرة لم يكن من امكانهم ان يثيروا باتفاق ولم تكن الامور تصدر في وقتها بل كانت
تجري في المواقع حسب التقادير دون ان يتمكن احد من اصلاح هذه الانقلابات
وفضلاً عن ذلك فقد اقتضى لهم ان يشعروا ذلك حالاً ويترعوا الى منافطة اخرى لان
هذا الجميع الغير المتجانس لم يكن له من الثوت الضروري شيء يسير ولا ما يبعث على
المللّة ولذلك قضى عليه ان يباد في وقت وجيز ان لم يكن له من ذريعة تمكنه من
الحصول على الذخائر

ومع كل هذا الموكب العظيم كان الفرس يدهشون الشعوب الذين لم يكونوا اشدّ
منهم في الحرب واما الذين يحسنون معرفتها فكانوا يعدون ضعفاء لسبب انفساهم او
مدحورين بكثرة اعدائهم. ولهذا أصبحت مصر راضخة لشوكة الفرس وان تكن عظيمة
قديمة ذات نظام وطيد وفتح ملكها سزوسترس مدائن كثيرة . ولم يكن خارجاً عن
استطاعتهم ان يفوزوا باسيا الصغرى والهارات اليونانية التي افسدها الزمن لضعفهم لما
بلغوا الى بلاد اليونان راوا ثمة مقاومة لم يكونوا من قبل يشكرون بها وفي جندي مرتبة
وقادة ماهرون وعساكر قد اعتادت على قشافة المعيشة واجساد الفها العناء فدانت
لدى ذوبها بالمخاضات والممارسات العادية . ولا ريب انهم راوا جنوداً قليلاً من لضعفهم
يشبهون هولاء الاجسام القوية اذ بيان انها منضوية على اعصاب قوية وعقول ثاقبة
وفضلاً على ذلك فان هولاء الجنود القليلون كانوا على جانب كبير من النظام يرضخون
لاوامر قادتهم ونواهيهم حتى انهم كانوا يظن بهم انهم روح واحدة اذ كانت حركاتهم
واحدة

اما اليونان فكان عندهم امر اعظم من هذا وهو سياسة ثابتة تستدرك الامور ويمكن
لهم ان يسلموا باهم ويخاطروا ويدافعوا لدن الاقتضاء . وما يزيد على ذلك كله ان قد كان
فيهم شجاعة جعلها حب الحرية والوطن غير متورعة . ولقد كانت الالهية واليسالة سميّين
مغروستين فيهم ودمشبت اخلاقتهم من قبل ملوك ونجل انوا من مصر ونشروا بسبب
توطئهم منذ زمان . قدّم في ارجاء هذه البلاد المتباينة نظام المصريين الحسن في كل اين
ومن ذلك تعلموا الممارسات الجسدية والقتال والتسبار وامنطاه الخيل وركوب العجلات
وسائر الممارسات التي ملكوا ناهيتها بسبب تيجان الاوابياك الفاخرة . وعلمهم المصريون

أمراً هو الرضوخ والتسليم للشريعة حياً بالخير العام لانهم لم يكونوا كمن لا يفتكرون بصوى اشغالهم الخاصة ولا يشعرون بمضطروب الملكية الا متى لحقهم منها شيء او متى قلقت بها راحة عيالم . بل اليونان كانوا قد تعلموا ان يتخذوا ذواتهم انهم هم وعيالم عضو لجسد واحد اي الملكة فكان الاباء يرمحون في عنول بنهم هذا المبدأ وكان الاولاد يتعلمون وهم موثوقون بفاظ المهد انهم مترصدون الوطن ان يكون لهم أما نحرص عليهم في حجرهما أكثر من الالهات . فان كلمة المدن لم يكن مغزاهما محصوراً لدى اليونانيات في الانسانية واللفظ والامثال المتبادل الذي يرفع الناس للالفة الاجماعية بل كان الرجل المتمدن من يود الوطن ويعتبر نفسه كأحد اعضاء الملكة يسلك بحسب الشرائع ويتخذ معها حياً بالخير العام غير معتد على احد . واما الملوك القديسون الذين نالهم بلاد اليونان في بلدان متباينة فهم مينوس وسيكروبس وتامان وكريسفوت واريسين وباتروكل ومضارعون لم غيرهم اذ اعوا هذا المبدأ في الطائفة قاطبة وكان الشعب يودهم طراً لانهم صنعوا له خيراً وملكوا السنة لالانهم كانوا يصانعونه .

فإذا الذي اقوله عن صرامة احكامهم واي مجلس كان احفل من مجلس الاروباج الذي كانت البلاد اليونانية تودى له الكرامة برمتها حتى افضى الامر بالناس ثمة الى ان يتفولوا ان الالهة قد بدت فيه فكان مشتهراً منذ الايام القدية وقداً سيكروبس على خط مجالس مصر . فلم يكن من جمعة حفظت زماناً مديداً كهذا شهره صرامتها الندية وقد كانت النصيحة الخداعة قاصية عنها

فلما كثف اليونان خالوا ان في امكانهم ان يسوسوا نفوسهم فاصبحت حكومة أكثر المدائن جمهوريات الا ان الشارعين الحكماء الذين برزوا في بلدان متباينة وهم ثالس ويشاغوروس ولوكبركوس وسولون وفيلولاس وكثيرون غيرهم من الذين يذكروهم التاريخ ببطول قدم الحرية عن ان تحول الى الفساد لان المن المستونة بكل سداحة حرخت الشعوب على تميم الواجبات وحدثهم الى صنع غير البلاد العام . واما تصور الحرية الذي اوله هذا السعي فكان غربياً لان الحرية التي كان اليونان يتمتعون بها في حرية راضية للشرائع اي الحق نفسه الذي يعرفه الشعب طراً لانهم لم يكونوا يشاؤون ان الاشخاص يتسلطون بهم فان القضاء الراهبين منة تميم واجبايم

كانوا يصحون كالافراد الذين ليس لهم سلطة الا بمقدار ما يتخذونه من الخبرة والعالم
وكانوا يتخذون الشريعة كسلطان فهي التي كانت ترتب القضاة وتحدد سلطتهم وتعاقبهم
على تصرفاتهم السيئة

وليس من دأبنا ان نبحث هنا عن هذه الافكار هل هي راهنة او زاهنة بل نقول ان
بلاد اليونان كانت راضية عن ذلك وكانت تؤثر بواعث الحرية على بواعث الرضوخ
الشرعي وان تكن هذه بحقيقة الامر اخف من تلك . فيها ان كل اللة اجتماعية لها فوائد
منوطة بها فالقائنة التي كانت بلاد اليونان تنالها هيئة حكومتها هي ان الرعية كانت
تود كثيراً الوطن حتى ان كل فرد من ابناؤها كان في استطاعتها ان يندرج الى اسي
المراتب

ان ما ابدته الفللفة لرعاية بلاد اليونان غير قابل للتصديق . وطالما كانت هذه
البلاد حرة اقتضى ان يترتب عليها مجفائق راهنة قوانين العوائد المحسنة وقواعد الالفة
الاجتماعية فان فيثاغوروس وثايس واناكراغوراس وسقراط واراشيناس وافلاطون
وكرينوفون واريستو وغيرهم مثلوا بلاد اليونان كثيراً من هذه المبادئ المحسنة .
ولارب ان قد وجد عديد وافر من المهائين تلقوا باسماء فلاسفة الحكماء الذين كانوا
يتفنون آثارهم م الذي كانوا يعلمون الناس ان يضحوا صولهم الخاصة وحياتهم ايضاً
للصالح العام وانفاذ الملكية . ومن احكامهم المتداولة ان يقتضي ان يفجرد الانسان عن
الوظائف العامة اولا بلا حظ الا بالخبر العام

فليت شعري علام تقصر كلامنا على الفلاسفة مغادرين الشعراء جانباً فانهم م
الذين كانت ابادي الشعب تنسابى لمداولة اشعارهم وكانوا يتعلمونها فترخ في ادمغتهم
وان اسكندر اشهر الفاتحين كان يعتبر اومبروس انه معلم يثق به وان من دأبنا ان يفري
بالرضوخ وحب الوطن فهو وكثيرون غيره الذين كانت تاليفهم جزيلة المجداء والقبول
لم يضمنوا منظوماتهم سوى الفنون النافعة للحياة البشرية ولم يقصدوا سوى الخير العام
والوطن والالفة الاجتماعية وذاك الهدن والنهذيب العجيب للذين تكلمنا عنها انفاً

ولما وصلت بلاد اليونان الى هذه الحالة كانت تنزوا الى اهل اسيا ذوي الاجسام
الخفيفة والمتروحين بالخبير الباطلة والزينات الخفة يعمون الامتهان
واما كيفية حكومتهم التي لم يكن لها حد سوى ارادة الملك المائنة على جميع الشرائع

حتى على الشرائع المقدسة كانت تبعث اليونان على ان ينكصوا منها فاتهم كانوا ياثقون من البربر كل الامة

وولجت هذه البغضاء قلوبهم منذ ايام قديمة وصارت فيهم سمية . وما كان يشوق الناس الى استظهار شعر اومبروس هو انشاده . ظهور اليونان على اسيا . فكانت الزهرة تنبع الى اسيا ويعنى بالزهر الملاذ والعشق والرخاوة . ويخرج الى اليونان جينون ابي الرزاة والود الاقتراني والمريخ ابي النضاعة والمثري ابي الحكمة السياسية . وكان في عهده اسيا ايضا مارس المنوحش ذو الاخلاق الوعرة ابي الحرية المحمدة بكل شراسة . وفي عهدة اليونان باللاص ابي الحرب المضطربة بنظام . وباس يفيدها العقل ومنذ ذاك الحين ابقوا ان الفهم والشجاعة قساها الطبيعيمان

وقد كانت البلاد اليونانية تضيق ذرعاً عن ان ترى اسيا تفوز بها ولو حملت على عاتقها هذا التبريرة لكانت اعتمدت انها اخضعت الفضيلة للذة والعقل للجسد والشجاعة الحقيقية لقوة وحشية قائمة بكثرة الجوع وقد كانت مفعنة من هذه الاعنفادات لما حمل عليها دارينوس بن هيستاب وكريسيس بجيوش لا يصدق العقل عديدها الوافر . فتاهب لدن ذلك كل من الفيتيين ليدود عن حريته . وقد كانت اذ ذاك اكثر المدن اليونانية جمهورية . ومع ذلك فقد تآلت برمتها تحت اواء الصالح الغام . فغادر اهل اينا مدبتهم بكل طيبة خاطر معرضين بها للتهب والحريق بعد ان انقذوا الاولاد والشيخ والنساء وجعلوا كل الذين كانوا اهلاً للقتال بركبون البحر . ثم ان شرذمة قليلة العدد من اللاسيديون قصدت تروينت غسكرة الفرس عن التسيار قرب مضيق صعب المسلك . ولكي يتبين للفرس انها هي اليونانيون حملوا هم ومانكم دفعة واحدة . راغبين في ان يموتوا موتاً لا مندوحة لهم عنه ليضحوا لوطنهم من هؤلاء البرابرة جمعاً لا يحصى عديداً . ويغادروا لوطنهم مثال جزارهم لم يستع بها من قبل . وقد رأى الفرس وخمهم لدى مقاومتهم هذه العساكر وذاك النظام وشعرت مراراً حمة لدى خسارتها بفضل النظام على العدد وعدم الترتيب بفضل الشجاعة التي تخافها الفنون على شراسة ليس فيها تروير

ولم يبق حيلة للفرس المقموعين مراراً سوى ان يلقوا الشقاق بين اليونانيين . وكانت الحالة التي وجدوا فيها بسبب انتصاراتهم تسهل لهم هذا المشروع . فكما ان الخوف

كان قد جمعهم كذلك النضر والأمان قطعا بحال الاتحاد. وبما انهم اعتادوا على الحرب والنزوح اجبروا بينهم نيران القتال بعد ان زال خوفهم من الفرس. لكن ينبغي ان نبين هنا بأسباب العبارة حالة اليونان وأسرار السياسة فنقول

ان اثينا ولاسيديونيا كانتا جمهوريتين لما الاهمية الكبرى بين الجمهوريات التي كانت بلاد اليونان متعلقة منها ولم يكن ذلكا أكثرهما كان في اثينا ولا قدرة أكثرهما كان في لاسيديونيا. فاثينا كانت جاذبة الى الملاهي ولاسيديونيا الى قسافة المعيشة والاشغال وكنائها كانت تحب الحرية والمجد. اما في اثينا فكانت الحرية مقبولة شعور الفساد واما في لاسيديونيا فكانت الشرائع الصارمة تشدد عليها. وبما كانوا يقيمون عليها في الداخل كانت تحاول ان تمتد ملكها خارجا وكانت اثينا ترغب في ان تملك ولكن على غير مبدأ لان ضالحها كان مطلقا بالحب وكان قاطبوا همرون في فن سلك البحار واصبحت مصرية بسبب البحر الذي كانت تحلبه سائكة وكانت تود ان يكون كل شيء لها واضحا لكي تستقر وخذها مالكة التجارة وقد امت لها الوسائط للحصول عليها اموالها التي الفت بها هذه الرغبة

اما لاسيديون فكان فيها خلافت ذلك فان الاموال كانت ممتنة لديها وكما ان شرائعها كانت ابلة لصنعها مشيخة حرية كذلك كانت اللذة الوحيدة الآخذة بالباب هالها منضورة على السلاح. ولجل ذلك كانت متمكنة في الطبع وثابتة على حكمها وواباما بسبب عيشتها المربية. وكانت اثينا تغرقها بحسن الطبع وكان الشعب متوغلا في زمام الحكم ولا ريب ان قد كان الفلسفة والشرائع في هذه العقول الذكية مغايرين بحسنه الا ان الرشد وحده لم يكن كفوا ليهديهم. وقد افادنا احد عتلائهم المختبر اخلاق بلادته ان الخوف كان واجبا هذه العقول الحادة المتوغلة في عباب الحرية ولم يعد وشيلة لسياستهم عند ما ظهر سالامين ازال خوفهم من الفرس وحيلت افسد هم شيان وما يجد ان العالم البهية وظنهم انهم في طائفة ولم يعودوا يصيغون لكلام المحكام. واذ كانت الفرس تحت سلطة شديدة جدا كانت اثينا (حسب قول افلاطون) مضابة بحرية خارقة الحدود وهاتان الجمهوريتان المختلفتان بعوائدها وسلوكها كان البعض منها معرقلا بالانقض الاخر قصد ان تحضما كل اليونان وكانت كفاها عكويين بسبب اختلاف ملحكها لا بعدد مؤالفة طباقتها

ولم تكن مدن اليونان ثقل سلطنة اعدائها لانه فضلاً عن ان كل مدينة كانت تود ان تحافظ على حريتها كن جميع مدن سلطنة هاتين الجمهوريتين شديدة عليهن فان سلطنة لاسيديون كانت شاقة وصارمة وكانت عوائد شعبها تتراسى لدى العيان انها قريبة من الوحش ثم ان حكماً معنئاً كان يجعل العنول مكبرة وخجيرة جداً عدا ان الناس كانوا عازمين دائماً على مواصلة الحرب بلا انقطاع

فكان اللاسيديون يودون لو يحكمون والناس يرهبون لم احكاماً . اما اهل اثينا فكانوا يوقنونهم لطفاً وحسناً ولم تكن لثة نقارن لثة النظر الى مدينتهم اذ كانت فيها الاعياد والملاعب مستمرة . وان يكن الذكاء والحرية والشهوات تحدث بينهم مشاهد جديدة فان سلوكهم المتقلب لم يكن يرضي مواخيرهم وكانت الرعية تبغض المشاق فاذا قضى عليهم ان يجهلوا غربة ملوك شعب مصانع فاي شيء اكثر خطراً من غرائب ملك مفسود بالمصانعة

ولم تكن هاتان المدينتان تبعان لليونان ان تستمر متمتعة بالسكينة . وقد شاهدت ياسيدي ان حرب البلايونز وغيرها كانت من اسبابها حسد اثينا ولاسيديونيا وهذا الحسد نفسه الذي كان يعكر راحة اليونان كان عناداً لها يضافرها على المنوط تحت سلطنة احدى هاتين الشقيتين

ونظر الفرس الى حالة اليونان فكان سر سياتهم قائماً برعاية هذا الحمد بين اعدائهم واثارة الشقاق بينهم . وبما ان لاسيديونيا كانت مطاعاً فانها كانت اول من جرم الى خصام اليونان وكان قصدهم بهذه المداخلة ان يستولوا على كل الامة ولهذا بذلوا ما عندهم من الجهد ليوهنوا اليونان ببعضهم مرتين زماناً يجعلونهم يوبئها لكون وايدأت حينئذ مدن اليونان ان تلقي نظرها على ملك الفرس الذي كانت تدعوه الملك الكبير او الملك بالذات كانوا اخذت تعد نفسها من رعاياه . ولم يكن في امكان روح اليونان التذم ان يهبوا من غفلتهم اذ اشرفوا على المنوط تحت نير العبودية وبين ايدي البرابرة . واخذ ملوك صغار من اليونان يناوون هذا الملك الكبير ويخربون ملكة . فلذلك اذهب اجريلاس ملك لاسيديونيا هو وفلقا قبل يعرف نظاماً وجزراً قلوب الفرس وايات انهم يستطيعون ان يغلبوا ولم يضع لافتتاحاته حداً لالانشقاق اليونان . وفي هذا الوقت حدثت ثورة قورش الصغير على اخوه ارتخششتا وكان معه عشرة

الاف من اليونان لم يمكن تفريقهم بهزيمة عمكم العامة وقيل انه قتل بيد اخيه واضح
اليونان لانصير لم بين الفرس في نواحي بابل ولم بقدر ان نحششنا على ان يفرهم بالتسليم
اختياريا او ارغامًا فازعوا طرًا بقلوب صالدة على ان يخرجوا بلادهم مشتبين الى بلادهم
فقالوا بذلك او طارهم . فكتب هذا التاريخ كسينوفون في كتابه المدعو بعودة عشرة
الآلاف او بغزوة قورش الشاب . وقد شعرت أكثر من قبل ان اليونان يربون جنودًا
لا يتهرون ولا يذبحون ولا يرضخون لعدم ضعفهم بقاومهم لدن الاتحاد سوى انشفاق
بطرا بينهم

وقد احتفظ فيليس المكدوني البابل المحصيف على ما تآتى له من مملكته الصغيرة
المختة من التقدم على المدائن والجمهوريات وذلك لان السلطة الملوكية لم تكن وتنفذ
مفيدة . وقد اصبحت حصافته ورسالته مظهرًا لانه اقدر ملك في بلاد اليونان . وقصر
اليونانيين على ان يسيروا تحت لوائه لحاربة العدو العام الا انه قتل في اثناء هذه الحوادث
وخلفه ابنه الاسكندر بملكه واطاراه فرأى المكدونيين اقوامًا حنكهم الايام وعلتهم خوض
المعالم يسودون على سائر اليونانيين بالشهامة والنظام ويشهد لذلك فوزهم مرارًا فصار عوا
اليونانيين يفوزهم بالفرس ونظرائهم وكان داربوس النابض على زمام الملك عادلاً في
زمانه شجاعاً كريماً توده الرعية ولم يكن خائفاً عليه لتتيم ما روى عن ولا عزم لكما
إذا اردت ان تقابله بالاسكندر فتري في هذا عقلاً ثاقباً سامياً وشجاعة غير معهودة من
قبل ورغبة شديدة في اذاعة الاسم التي صبرته بفضل التفاهت على المخاطر والاعمال
والموت على اضاعه ادنى درجة من الجحد . ولقد كانت له ثقة بان كل شيء يرضخ له كانه
رجلٌ مرد أصطنه القنادير ان يكون رجلاً في سائر الناس وكان يلقي هذه الثقة في
قلوب قادته حتى في قلب ادنى جندي من جنوده الذين كانوا يظفرون بهذه الذريعة .
وان قاست مشاق فبذلك يمكن لك الحكم لاي من التبتين يكون الفوز معداً وإذا
زددت على ما ذكرناه فضل اليونان والمكدونيين على اعدائهم لا تبنت ان الفرس لا بد لم
من تغير ملك اذا حمل عليهم بطل كهذا هذه الجنود فلدن ذلك ترى الاسباب التي
آلت الى دنار الفرس ونجاح الاسكندر . وما سهل فوزه موت ممنون الرودي القائد
الوحيد الذي كان الفرس قادرين ان يقاوموه به . ولقد كان يحق للاسكندر ان يجر
ثوب النصارى فوزه هذا القائد الشهير لدن مبارزته وذلك لان ممنون كان يوثر على

المخاطرة بمعركة عامة ضد اليونان ان ينازعهم كل المسالك ويمنع عنهم الزاد ويحاربهم في بلادهم ويفسرهم بشدة عزمه على الابواب اليها ليدافعوا عنها فاستدرك الاسكندر ذلك وغادر في مدينة اثينا بطرا جنودا كافية اعادة اليونان واصله بجنحه من هذه الحباله فان ممنون مات لدن اغارته التي تقسر لاسكندر على الرجوع وتخيف اليونانيين فارضح ان ذاك الاسكندر كل شيء.

ودخل هذا الملك العظيم بابل بسهولة وفجر لم يزل العالم لها من مثيل . وبعد ان ثار اليونان واخضع بسرعة عجيبة كل المال التي تحت سلطة الفرس اغار على الهند . وذلك اما ليوطد مملكته من كل ناحية او ليجعل اسمه اشتهر من اسم باخوس وتقدم بافتتاحاته اكثر من هذا المنتخ العظيم الا ان ذاك الذي لم تكن الانهار والجبال قادرة على ان تثبط قدميه اضطر ان يخضع لمساكن العناية الطالبة للراحة ويأتي بالانار الفاخرة التي غادرها على ضفة نهر اراسب عندما ارجع عساكره على غير الطريق التي داسها وفتح كل البلاد التي وجدها في طريقه

وعاد الى بابل مهابة متبرما لا يفتتح بل كاله الا ان هذا الملك العظيم لم يبق الذي شاده اكثر من حياته التي كانت قصيرة قامت في اجل الثلاث والثلاثين سنة وقت ان كان عازما على تنعيم مآرب غداها انسانا واعدا نفسه بأمال النور والنجاح . ولم يكن في استطاعته ان يرتب اشغاله تاركا من بعده اخا اليه واولادا صغارا يسوا املان لان يقوموا بهذا العب العظيم الا ان انفس شيء على مملكته ان قد غادرها فاداة علمهم ان لا ينجحوا الا الى المطامع والحرب وعلمهم ان يقدموا على التعدادات عندما يغادر الدنيا ورجاء ان يدراهم عنها وخشية من ان يناقضوا لم يحمران بتم له خليفة او وصيا لاولاده بل تنبأ ان اخذاه بحفنون جنازته بمبارك دموية ومكذبات في لدونة الحدانة متنفذا بالارزاق الويلة . ودليل ذلك انك قد شعرت بشطر ملكه وخراب بيتك الرائع فاغاروا على مكذونية التي حكمها اجداده منذ اربعة مديك كانتا ارث ليس له من وريث . وبعد ان اصبحت فرس اقوام استولت عليها عائلة اخرى فذلك ترى ان هذا الذائع الذي كان اول من قبله البسطة اصبح آخر ملك من نسبه . ولو كان لم يقط بلاده لما دبت المطامع في قلوب قادته . ولقد كان في امكانه ان يغادر لاولاده ملكا يهده بيد انه لما كان مقتدرا جدا اصبح علة لدثار اهله وهذه هي ثمر هذه التوحات

وكان موته السبب الوحيد لهذا الانقلاب العظيم لكننا يجب ان ندعن بما يعود على
 مجون وهو انه لو وجد على كامل الارض انسان اهل للقيام بهذا الملك التسع والمنتح حديثاً
 لما كان سوى الاسكندر لان عقله لم يكن في ادنى درجة من بساطة ولا ينبغي ان نعزو
 ذلك كله الى الخطأ منه ولو كانت عائلته قد سقطت به مراراً جمة لكننا نعزو ذلك
 الى الموت. الا اذا شاء الناس ان يقولوا ان رجلاً سحله طمعه على ان يقدم على الشؤون
 كلها ليس في امكانه ان يقوم بامر تدبيرها

وهما بك من الامر فاننا نرى في نموذج ان يوجد عدداً الغلط الذي يقتصره الانسان
 بغباوته ويمكن له اصلاحه جهة واحدة لا تصطلم نمك ملاصقة للمفاسد البشرية وهي الموت
 لان كل شيء يتأق له المبوط فوراً من هذه الجهة وهذا مما يلجئنا ان نقول: كما ان
 الاشياء المشبهة الملاصقة للامور البشرية علة للبوط كذلك من يقدر على ان يوطد
 مملكة وبرعاهما نوثر با لجد على من يفتح مملكة ويفوز فوزاً في المعامع
 وليس حاجة ان انبئك مسبباً عن فناء الممالك المتفرعة من مملكة الاسكندر
 ابي ملك سوريا ومكدونيا ومصر والعدة العامة هي ان الاهلين الجثوا ان يرضخوا لسلطة
 اقوى من سلطانهم وهي شوكة الرومانيين ومع ذلك فاذا اردنا ان نبحث عن حالة هذه
 الممالك الاخيرة نرى حالاً علل هبوطها المتواتر وان اقواها وهي مملكة سوريا نزلت
 بها الضربة الاخيرة بسبب انشقاق ملوكها بعد ان ترعزعت بسبب رخاوة الامة

الفصل السادس

في الكلام عن دولة الرومانيين واستطراد الدولة

فرطية واحكامها السيئة

قد وصلنا الى هذه المملكة العظيمة التي طوت تحت جناحيها سائر ممالك العالم
 فمنها خرجت الممالك العظيمة في البسيطة التي نحن قاطنوها ولم نزل الى الان نرى
 شرائعها التي يجب علينا ان نعرفها اكثر من غيرها. فلقد قرأت تاريخها المسهب
 المشهر بكل استفراده. تأمل بعوائد الرومانيين والازمنة التي بها يناط قلب هذه
 المملكة الفسيحة فنهم اسباب ارتقاء رومية وعلل الانقلابات العظيمة التي طرأت في

ملكها . فكان الشعب الروماني اشد كبرياء من كل قبائل الارض . اجراً من الكل لدن الشدائد أكثر نظاماً في مشوراته وثبت في تعاليمه وازيد كدحاً واجتهاداً ليس مجزاعاً في وقت الرزايا بل اجلد من الشعوب طراً واذا كي عقلاً من كل من داس اديم الارض . فمن اناس كمن ذكر تألفت المجندية التي كانت مبنية على السداد والنظام بسباسة متلفة من الحكمة . ولا تخشى لومة لائم اذا قلنا ان كل روماني كان حب حريته ووطنه مبيحاً في فؤاده . فهذان الامران كانا يغريان به بحجة غيره لانه ان كان يحب حريته قضي عليه ان يحب وطنه بمثابة ام تشيع قلبه من الاحساسات المؤثرة وكان الرومانيون واليونانيون يتصورون تحت اسم الحرية مملكة لا يكون فيها احد عبيداً للشرعية والشرعية فيها اقوى من كل شيء . ومع ذلك وان كانت رومية منذ بروزها تحت لواء ملوكي فكانت لها ايام تحكم فيها ملوكها بحرية لا تليق بمملكة ذات نظام . وقد كان الشعب يتغير فيها الملوك ويقرر هو نفسه الشرائع ويبدل احكام نار الوعى او نشر الوية السلام ويشهد بذلك نيليس هو ستيليس الذي لم تكن له الجراحة ان يقضي على اوراس او يبرره . فان اوراس ارتدى برداء المجد لاستظهاره على كورياس واخوته لكنهما لحنه العار العظيم يقتلو اخن . فلذلك غادر الملك امر القضاء للشعب . ولم يكن اذ ذاك للملوك الا الولاء على الجيوش والسلطة في الجمعيات الشرعية فاطبة وعرض الاشغال عليها ورعاية الشرائع واجراء الاوامر العامة . ولما فكر سرفيوس نيلوس ان يجعل لرومية مشيئة زاد في افئدة الشعب الذي كان قد امسى حراً بحجة الحرية بكاملها في ايام الفناصل . ونفرق خوفاً اذ نفراً في التاريخ ثبات برتيوس الكشيبي لما مات امام عينيه اولاده الذين واطشوا التركيبين على الدسائس التي قاموا بها في رومية رجاء ان تتوطد بذلك سلطتهم . وزاد الشعب بالحرية ثباتاً بعد ان راي قصصه يفضي في سبيل الحرية عاتلة الخاصة . ولا يقضي ان تنعجب من ان كل الشعب يمتن في رومية اجتهادات الشعوب الدانية الذين حاربوا امل ان يرجعوا التركيبين الذين كانوا قد نفوا من رومية وجعلهم الملك بورسينا تحت كف حمايته عبيداً . وقد تاتي ان الرومانيين يودون بشتاتهم لويوتون احراراً وكان الشعب اشد ثباتاً من المجلس وتوافد الشعب على الملك رافعين اليه ان يتقاعد عن الاخذ بناصر التركيبين لان رومية ازمعت ان تخاطر بكل شيء لرعاية حريتها . وانما تؤثر قبول اعدائها داخلاً

على قبول ظالمها فلما اعتجب بورسينا من صلف هذا الشعب وجرأة بعض اهل غير
العادية عزم ان يترك الرومانيين يتمتعون بالحرية التي كانوا يعزفون ان يدافعوا عنها
حسناً وقد كانت مفضلة لديهم على كل كنوز ثروات الارض

قد شعرت ان الفقر لم يكن شيئاً لدى هذا الشعب منذ ابتدائه وبعد ان نجح في
اموره بل انهم كانوا يعتقدون ان الفقر وسيلة للاستمسك بحريتهم الكاملة . فاما من
رجل اشد حرية من الرجل الذي يكفي ييسير من العيش ولا يتوكل على احد باخذ
بيك . وليس له من عناد او نصير على كسب معاشه سوى تعبه وعمله . فهذا الامر كان
الرومانيون يتخذونه ديدناً فانهم كانوا يعتقدون من المواثي يحرثون الارض ويتمتعون
عن كل ما كانوا يستطيعونه يعيشون بالاقتصاد والعمل . فهذه كانت حياتهم فذلك
كانوا يقومون باود عائلاتهم ويعودونهم على اعمال كنه

وقد حقق تيم ليف المؤرخ بقوله . انه لم يرق قط شعباً استمرت فيه الفناعة
والامساك والفقر بشرف وافتخار . وان اعظم ارباب المجلس وان كانوا لم يلاحظ سوى
ظواهرهم كانوا يختلفون قليلاً عن الفلاحين ولم يكن لهم سلطة او بهجة الا بين العموم
والمجلس ومع ذلك فكانوا بينهم كون في امور الفلاحة وسائر متعلقاتها اذ كانوا يتداعون
الى قيادة الجيوش . وهذه الامثال كثيرة في التاريخ الروماني فان كيربوس وفابريسيوس
الفائدين العظميين اللذين ظهرا على الملك بيروس الغني لم يكونا يملكان سوى آية
من فخار واذ قدم السمينيون النصار والجنين لكيربوس اجابهم ان لذتهم ليست قائمة
بالحصول على النصار انا بالاستيلاء على من عند ذلك . وبعد ان ظفروا وغنوا بالجمهورية
من غنية الاصل لم يكن عندهما ما يصرف في سبيل دفتها . فاستمرت هذه الفناعة في
غضون حرب القرطيين ايضاً ففي اثناء الحرب الاولى طلب ريغولوس قائد الجيوش
الرومانية الاذن من المجلس للتزوع الى دسكرو ليحرث ارضها لانها هجرت اثناء غيبته .

ونرى بعد دثار قرطجة امثالا عظيماً تدل على السذاجة الاولى فان اميلوس بولوس
الذي زاد الخزينة العامة بكنوز ملوك مكدونيا القديمة كان يعيش بالفناعة القديمة
ومات فقيراً . واذ خرب موميوس قورثية ضحى خيراتهما الوفيرة لمنفعة الناس طراً .
ومن ذلك يفهم ان الاموال كانت محقرة وان فناعة القادة الرومانيين وعفتهم كانتا
تليان العجب في قلوب الشعوب المدحورة . ومع كل هذه الحجة المفرطة للفقر لم يوفر

الرومانيون شيئاً لعظمة مدبنتهم وجمالها . وكانت الاعمال العامة هكذا منذ ابتدائها . ولم تفعل رومية منها ولوانها أصبحت ملكة البسيطة . والكاييتول الذي اقامه تركوين المتكبر والهيكل الذي اقامه للشعري في هذه القلعة كانا اذ ذاك جذيرين بعظمة اكبر الالهة ويحج الشعب الروماني وكل ما هو عدا ذلك ينطبق على هذه العظمة . وان الهياكل المعتبرة والاسواق والحمامات والاماكن العامة والشوارع العظيمة والاقنية ومجاري الماء واخاديد المدينة كان لها عظمة كبيرة جداً لا يمكن الوثوق بها لولا ان يشبها المؤرخون كلهم وتحفظها الآثار التي نراها الان . وماذا الذي اقله لك عن احتفال الانتصارات وطقوس الديانة والالعاب والمناظر التي كانوا يقومون بها في سبيل اللعب فمن المفرانهم كانوا يبذلون كل ما يسمح لهم الزمان باسرافه في سبيل افراح القوم عموماً وحملهم على التصور العظيم بوطنهم العام . ولم يكن التفتير الا في العائلات الخاصة فكل من كان يريد في دخله ويجعل اراضيه أكثر خصباً بصنعه وشغله ولا يسرف ماله بل يعيش بتقاعة كان يعد نفسه يفوق الجميع بالحرية والقوة وحسن الحظ ولا شيء اقصى من الرخاوة في هذه الحجرة . ولقد كانوا يخرجون الى الصرامة او القشافة وكل ما يتأتى عنه التوحش والهيبة لكنهم لم يتغافلوا عن ان يقيدوا انفسهم بشرائع حسنة . وهذا الشعب الذي كانت فيه الحرية فاضلة على مثلها في الشعوب كلها كان اذ ذاك ارضخ شعب لاوليائه والسلطة الشرعية . فلا غرو ان ترتيب جنود شعب كهذا يقتضي ان يكون عجباً لان الطاعة المالية والمنظمة كانت في اجسام جنوده الاقوياء البنية والذائعي الصيت . بالبسالة وكانت شرائع المجندية قاسية جداً لكنهم كانت لازمة لان النصر كانت خطرة وغالباً مينة الذين كانوا يقبضون عليها وهم خارقون سبيل النظام . وكان كل من يولي الادبار او ياتي السلطنة او يتجاوز صفته يلقى قتيلاً بايدي قومه حتى كل من يتحرك او يستل سيفه دون امر قائده كانوا يجلدونه على الارض مقتولاً وكانوا يقبضون ايضاً ان كل من يضع سلاحه امام عدوه او يسلم نفسه اليه اسيراً بدلاً من ان يموت لاجل وطنه شريفاً لا يورثه . يدي ولا تصرف في سبيل انتافذه مضافة . فكانوا يغادرونهم اللاعلاء حاكمين انهم اعضاء قطعت من الجمهورية . ولقد تصفت في تاريخي فلوروس وشيشرون قصة ريفلوس الذي اوعز للمجلس ان يترك الاسرى لاهل قرطجة مخاطراً في حياته . وفي الحرب التي اضرمت ضد انيبال وبعد غلبة الرومانيين اي في الزمان

الذي فيه رومية كانت قد وهنت لكثرة الخسائر ولم يكن لها عساكر كافية رغب المجلس في ان يدجج ثمانية الاف عبد بالسلاح مخالفاً عادته اخرى من ان يشري من الرومانيين الماسورين مقداراً من الرجال يقابل ذلك مع ان ذلك يكلفه لا بقدر ما كلفه اقامة هذه الجندية الجديدة وقد سنوا ان لابد من ان كل جندي روماني يكون قائداً وتخذوا ذلك سنة لا يباح لهم ان يخالفوها وبذلك كنت ترى الجيوش الرومانية ولو لعبت بها ايادي الفریق كانت تخارب بكل بسالة منتظمة اطرافها تظل تستमित في المعركة مادام فيها رمق من الحيوة . وقد المع الموزع سالت ان قد كان بين الرومانيين جنود كثيرين يعاقبون اذا حاربوا دون نظام اشد معاقبة من الذين يغادرون مواضعهم ويهربون وذلك لان القادة كانوا يشددون في تعذيب شجاعتهم اكثر من اشارة رخاوتهم . وكانوا يزيدون على البسالة جودة العقل وفن الاختراع وعدا انهم كانوا نهماء كانوا يقتبسون من كل ما كانوا ينظرونه في سائر الشعوب من الترتيب والنظام في الحروب وقصارى الامر من كل ما يسهل المحاربة والمدافعة وقد قرأت في مورخات سالت وغيره كل ما تعلمه الرومانيون من جبرانهم واعداثهم . ومن ذا الذي لا يشعر انهم تعلموا من اهل قرطاجنة اختراع القوارب التي ظهروا عليهم بها . وغاية الامر انهم اقتبسوا من كل الشعوب الذين عرفوهم كل ما يحتاجون اليه للانتصار عليهم . ومن الامور المفرقة لديهم ان الغوليين كانوا يفوقونهم بقوى الجسم ولم يكونوا اقل بسالة منهم . وانبأنا المورخ بوليبيس بان الغوليين الذين كانوا اكثر عدداً من الرومانيين اظهروا في المعركة اخيرة جراءة عظيمة . بيد انهم وان كانت عزائمهم قوية قد ظفروا بالرومانيين لانهم كانوا يعرفون ان يخفروا لهم اسلحة اقوى من اسلحتهم وبراعوا النظام ويترصّدوا فرصة الهجوم في المعركة وفرصة ملاقات الصفوف وبوعد ذلك المورخ بوليبيس وقد شعرت ياسيدي بوقوفك على تاريخ قيصر ان الرومانيين الذين كانوا تحت قيادة هذا الفرم العظيم ففعلوا غالباً بسبب مهارتهم في فن الحرب لا بشجاعتهم وكان اذ ذاك المكثدون الذين لم الاهتمام الكبير في رعاية نظام الجندية الذي قام به فيليبوس ولا سكندر يظنون ان جنديهم لم تكن تغلب ولم يكونوا يخالون ان العقل البشري يمكن له ان يبري شيئاً اثبت من ذلك ومع هذا كله فان بوليبيس نفسه وثقت اليك قرراً بانه اذا لاحظنا فقط كيفية الجيوش الرومانية والجيوش المكثونية فلا بد لنا من ان نحكم بالانتصار للجيوش

المكدونية الذين لم يكونوا الافارقة واحدة مربعة مكشوفة من الانحاء كلها غير متحركة
 كأنها قطعة واحدة وبما ان الجيوش الرومانيين كانوا منقسمين الى فرق متباينة وكثيرة
 كانوا اسرع كثيراً ومتأهبين لكل نوع من انواع الحركات المجدية فلا يخلو ان يكون
 الرومانيون قد تعلموا سريعاً تقسيم العساكر الى فرق كثيرة او عرفوا ذلك من تلقاء
 انفسهم . وان يبقوا ككتائب من المعسكر متربصة في مبحوحة الاستظار رجاء ان تدافع
 او تاخذ بايدي المتفرقين والمتزعرين من اية جهة كانت من الجيش . وقررات هذا
 الجرم الثقيل الضخم يكون بالحقيقة هائلاً جداً اذا سقط على جيش غيره دفعة واحدة .
 لكننا قال عنه بوليب انه لم يمكن له ان يستمر على حاله زماناً طويلاً بخاضية الطبيعة اي
 بالمتانة والثبات اذ يلزمه محال خاصة اقيمت لشان ذلك فان لم يكن له من ذلك
 شيء لا تفرقل او بالاحرى تشعث بحركته الخاصة فيحشذ ويتعسر عليه الالتئام مرة اخرى . اما
 الجيوش الرومانية المختزنة الى كتائب صغيرة فتدري جداً ومنفعة في كل المحال وتنظم
 بها فانهم يمدونها ويفتقون اليها حسب ارادتهم دون صعوبة ويجمعون بلا مشقة .
 تراهم اهللاً لكل نوع من الانقلاب او الحركات العسكرية . وغاية الامران
 لم حركات متباينة ولها عمل وقوة اكثر من القوة المتجمعة وينجم من ذلك حسب
 قول المؤرخ بوليب ان الجيوش المتجمعة يلزم لها ان تخضع لم وان مكدونيا لا بد لها من
 الاندحار . فاننا نرى لثة عظيمة لدن تكلمنا عن هذه الامور التي رفعها اليك امير المعلمين
 وتراها مستعلة بامر لوبيس الكبير بكل عجب حتى اني لا اعرف هل المجدية الرومانية
 تأتي لها نظام احسن من ذلك . لكن من قطع النظر عن تشبيه المجدية الرومانية
 بالمجدية الافرنسية اكتفى بالقول انك رايت الجنود الرومانية سواء كان بالنظر الى
 معرفتها باستيلائها على المحال الموافقة او الى حفظها الصارم كل اوامر الحرب فاقت كل
 الذين بدوا في الاعصار الخالية

ولا حاجة الى التكلم عن اليونان بعد مكدونيا فانك شعرت بان المكدونيين كانوا
 ينفون اليونانيين بامور كثيرة ومن ذلك يمكنك ان تحكم على الامور كلها فلم تبد انينا
 منذ زمان الاسكندر شيئاً فان التولين الذين فازوا بحروب كثيرة كانوا يوثرون
 الطاعة على الحرية متوغلين في العمية يوثرونها على البأس والبسالة وقد بذلت لاسيديمونيا
 جهدها في اضرام الحرب بعد نشأة كليونين ونشأ فيلومين بتعزب الاكابين فان رومية

لم نثر الحرب على هذين القائدين العظميين غير ان فيليبومين الذي كان في زمان
 انيبال وسبيون حكم بعد نظر الى صنع الرومانيين ان حرية اليونانيين ستنهي وان
 الرومانيين انتصروا على شجاعة الغوليين واليونان فان الشعوب الذين كانوا يتهافون
 على اضرار الحرب كانوا يطاطئون الرووس امام الرومانيين فضاقتهم على الفوز الادارة
 المنظمة وقيادة انيبال الذي استظروا عليه فلم ير شيئاً يساوي فخر جنديتهم ولم يكن
 لهم شيء في حكمهم يتفخرون به نظير افتخارهم بنظام الجندية فاعتقدوا ان ذلك لا بد ان
 يكون اسماً لملكهم وانه اول شيء بدا فيها واخر شيء فقدوه لانه كان منوطاً بتأسيس
 جمهوريتهم احسن امر في الجندية الرومانية ان لا يثنوا على البسالة الزاهقة ولم تكن
 مبادئ الفخر الباطل التي اودت بكثير من بنينا معروفة بين شعب ممثلي من الجند
 وان نرى سبيون وقبصر اللذين كانا اعظم رجال الحرب واشجع الرومانيين انهما لم
 يتعرضا للخطر الا وقت الحاجة بل كانا دائماً في الحذر المبين ولم يكونا يتظران شيئاً من
 قائده لم يتمكن من امتلاك نفسه . وكانوا يبقون للخدمة الحقيقية افعال المجاعة غير
 العادية ولم يكن الرومانيون يرغبون في افتخام المعارك التي تؤدي بهم الى ارتكاب
 المخاطر ولا في الانتصارات التي يتاني منها اهراق دماء كثيرة حتى انه لم يكن اجراً من
 الجيوش الرومانية ولا اكثر تحفظاً منها وبما انه لا يسوغ اضرار حرب اذا لم تكن
 قوة كافية لذلك يقتضي ان نلاحظ سياسة المجلس الروماني الفاضلة فاذا اجتمعنا عن
 هذا المجلس في ايام الجمهورية نرى انه لم يكن وقتئذ جمعيات توخت الاعمال حق
 النواحي فاحصة اباهاً بنور سراً وعلناً ناظرة في عواقب الامور راغبة في الخير
 العام

ولم يانف الروح القدس من ان يثبت ذلك في سفر المسكايين ويمدح كثيراً
 من حصافة هذه الجمعية المغتذية من لبان الحكمة وما من احد يتخذ لنفسه السلطة الا
 بنور العقل . وكان جميع اعضائها المنتمين تحت راس واحد ينهكون في ما من شأنهم
 خبير العموم غير منخرضين او حاسدين

واما بالنظر الى رعاية السرفيذكر لنا تيم ليف بشأن ذلك مثلاً سامياً وهو
 انه بينما كان الناس هنالك يفكرون في ان يومتجوا على الملك برسي حرباً واتى الى
 رومية عدوه ملك برغام المدعو اومانس وانتخار الحزب الذي يكاشح له بالبغضاء اشهر

مفادك امام الجمعية وتم الامر منفضاً باتفاق اراء جمعية مولدة من ثلاثاية رجل . فمن ذا الذي يخال ان هذا السر يبقى معلوماً ولا ينف عليه احد الا بعد مضي اربع سنوات اي انجاز الحرب وما يبعثنا على العجب والدهشة وجود سفرا برسي في رومية لمراقبة الملك اومانوس . وبعثت جميع مدائن اليونان واسيا التي كانت تخشى ان تتدخل في هذه المعركة سفراءها وبذل الجميع جهدهم في ان يكتشفوا على عمل خطير يشأ عنه امر عظيم غير انه لم يمكن لاحد من السفراء قاطبة ان يكتشف على ما جرى في المجلس ولم تحدث حاجة لكم السربان تجرى المعاقبات او تمتع اتصالات التجارة مع الاجانب او الوعيد الشديد على من تمدي هذه الشريعة بل ذلك كان مكتوماً اختيارياً لزيادته في الامة .

واما رومية فاحوالها مدهشة جداً فان الشعب هنالك يمدق دائماً في المجلس بعيون الحسد ويمثل مع ذلك لكل ما يامر به ويعلم اليه في الفرص التي يراها موافقة وليس لدن روميو التملكات العظيمة التي يعلم ان سوف يقدم عليها فكنت ترى حينئذ الشعب يمدق بنظره في هذه الجمعية الملتزمة بالحكام ويتنظر مراسيمها كأنها هوائف الالهة وقد طالما علم الاخضرار الرومانيين بان قد نشأت عن هذه النصائح سبب انقاذ المملكة . وكان من العادة ان ترعى الشرائع القديمة وروح الجمهورية في مجلس الندوة وهناك تم المقاصد التي يراها الجمهور طبقاً للمبادئ . واعظم شيء وجد في الندوة هو ان الاعضاء لم يتعدوا مارب شديكة في سوى البلايا العظيمة وفي الحالة التعميسة التي عبرت فيها الجمهورية اي انها تضايقت في بدء نموها ونشأتها داخلاً بسبب وكلاء الشعب وضيق عليها خارجاً الفولسكيون الذين فازوا بالنصر . فان رومية لم تلبس ولم تكن مجزاعاً من ان تاخذ بثارها فكان في مقدمتهم اعظم رجال رومية واشهرهم في الممارك واكرمهم وبغضهم للعدوان واعلمهم الا انهم اشرسهم طبعاً واغضبهم خلقاً فراموا ان يكونوا من ابناء الوطن رغماً عن اهلها وبعد ان تبوتوا مقاطعات عديدة واصبحوا مستولين على البرية بأسرها عمدوا الرومانيين بالهلاك ان لم يرضخوا لما طلبوا منهم ولم يكن اذ ذاك في رومية جيوش او قادة في هذه الحالة التعميسة بينما كانت الاخطار تكتنف رومية من كل جانب برز امر من مجلس الندوة مفاده تحريض الشعب على ان يلقي الموت ولا يسلم لدى عدو شاكلي السلاح قصد ارغامهم . فاما ان يوطئوه على شروط عادلة بعد ان

ياقي عنه الاسلحة او يتصنبون عليه ويشنونه الى الورا . وقد بعث الشعب الى قورليان والدته لتصل عن عزه . وهاك بعض ما فاهت به امامه . نبي اثبراً من الرومانيين الاتعلم ان لا يمكن لك ان تحصل على شيء يسير بالقوة الا بالتوسلات فسمع قورليان العاني هذا الكلام ولوسامه ذلك امداد حياته واختار القويون قادة غير قادتهم الا ان رجال الندوة استمروا معرقلين بمبادئهم واصبح الامر الذي اعلنوه بان لا يخفوا شيئاً بالقوة اساً للشريعة السياسية الرومانية التي لم يحفظوا عنها في ايام الجمهورية

واما النصائح الالة الى اتخاذ مالا يسوغ ابرامه لم يعبثوا قط بها وكان الرومانيون لبني الغرائك زمان الانتصار لا الانكسار طالما كان مجلس الندوة يحافظ على مبادئ الجمهورية القديمة ويثبت فيها ما بقي من الرعاية فمشاً من هذا الروح نفسه ما رب اتخذها مجلس الندوة مراراً وهي ان يظفروا بالاعداء بالقوة الجبرية دون استخدام المكر والتخديعة حتى التخديعات التي يسوغ استعمالها احياناً اثناء الحرب لانه لم يكن يومئذ حياً بالشرف الكاذب ولا تجاهلاً عن الشرائع الحربية لكنه لم يقض قضاء ماضياً في سبيل مصادمة عدو جبار الا ان يساب عنه المشورة التي يستطيع ان يحصل عليها بقوته حتى اذا ما خارت قوة العدو وفر من امام وجهه مدبراً لا يرى له ملاذ الا في حى الظافر فذاع حينئذ هذا الراي السديد والفكر الثاقب في الامصار الشاسعة والدانية فاعتمد الجميع اذا ان لا قوة ثقاوي قوتهم فلذا كانت الاعداء تطرح السلاح جانباً لدن افتكارها في هذه المبادئ ومن كان يبخاز اليهم لم يكن يخشى غائلة وبيلة

واما الان فانك شعرت بما طرأ على اوربا من الهاجس العظيم اذ برح بها الملك بوك الباسل وغزاه اذعن العالم طراً ان لا احد سواه خافى بان يضع الافتتاحاته حراً

فان تصرف مجلس رومية الشديد بالاعداء خارجاً اعجب منه داخلاً فان ارباب النواب الحكماء كانوا مراراً جمة يتقادون لامبال الشعب حتى انهم كانوا في ايام الشدة والابلايا يخصصون نفوسهم بالواجبات اكثر من سواهم . بل انهم كانوا يعفون عامة الشعب من كل فريضة مستنديين على ان الفترة للجمهورية خراجاً مع انهم يكثرون في سبيل اعالة ابناءهم فابدى مجلس الندوة انه عالم بما يتوقف عليه غنى المملكة الحقيقي . فاثرت هذه الشعائر الحسنة تأثيراً عظيماً في قلوب الشعب حتى انهم اصبحوا قادرين

على ان يتخذوا وطنهم من مخالف العدو ويطردوه بيسالهم وقت الشدائد
 الا انه لما كان الشعب يوم ما يعود عليه بالعدل كان المجلس ينذره عذاباً بسلطانه
 كما ينتضي لكل جمعية توفرت فيها اسباب الحكمة . وذلك كتزاع حدث بين شعب
 أردني وسكان مدينة فاستحق ذلك التزاع ذكرًا في التاريخ خالداً وهاك ملخصة وهو ان
 هذين الشعبين تنازعا في بادى الامر على اراض ادعاها كل منهما . وبعد ان كلاً
 من الصدام اتفقا على ان يبسطا دعواها لدى مجلس رومية الذي كان وقتئذ ناشراً
 في تلك الاقطار لواء العدل الذي يشهد له به الشعوب الدانية فبعد ان خاض المجلس
 سبغ البحث عن ذلك تبين بالبرهان ان هذه الاراضي التي يدعيها الفريسيان في ملك
 الشعب الروماني شرعاً وعدلاً . وان يكن مجلس الندوة متيقناً ان الشعب قضى لنفسه
 بالعدل فلم يستطع ان يتحمل ان الرومانيين يعظا هرون بتكذيب كرم اخلاقهم الطبيعية
 ولان يخجلوا رجاء جيرانهم الذين فوضوهم بهذه الدعوى . فافترغت الجمعية جهدها
 بان تلقي هذا الحكم العادل الذي حكم به الشعب بالارض لنفسه علماً ان قد يحدث
 من ذلك شيء يلم بها وهوان الفضاة يضعون ايديهم على ارض وقع التزاع عليها فبعد
 صدور هذا الحكم حقق شعب أردني حقاً عظيماً لعلوا انه صاحب الحق وتلك السلاح
 قصد الانتقام . فلم يلبث المجلس الا ابان لم جهراً ما أثرت به هذه الاهانة التي تأنت
 عليهم ومن المقرر انه لا يمكن من الغاء حكم الشعب . الا انه بعد هذه الاساءة اذا راموا
 ان يثقلوا بمجلس الندوة لاصلاح ما ساءهم فلم الحق بهذا الادعاء فحيث ان المجلس
 بارضايتهم كثيراً حتى لا يبقى لهم محل للشكوى . فوطد الاردنيون رجاءهم على هذا الكلام
 فحدث لهم امر من شأنه تدمير مدينتهم فتوافدت عليهم الفجعات بامير المجلس فجدلوا
 بذلك كثيراً وعلموا ان قد عوض عنهم اكثر من الاراضي التي سلبها الشعب منهم . ولم
 يكن اذ ذاك منهم الا ان يثقلوا على اخلائهم الامناء بما لا يمكن المبالغة في اطرائه غير ان
 مجلس الندوة لم يتمالك الا ان ارجع اليهم الارض التي بها قضى الشعب الروماني لنفسه
 والتي ذكر ذلك الحكم الثوري

وليس من داني تعداد الافعال الحسنة التي قام بها رجال الندوة فكم من الاعداء
 الذين انقذوهم من ايدي رعايا منافقين لم يتكلموا صدقاً ولم يبرأوا في اقسامهم . وكم
 قضى بالردل على اراء كانت قد فازت بالنجاح فيما مضى . وانما قصدي ان ارفع لديك

ان هذه الجمعية المكرمة لم نجبن في محبة الشعب الروماني سوى امور عظيمة. وابتدت في كل الاحوال تصوراً سامياً بارادتها متيقنة ان صيتها كان سنداً وعتاداً للمالك كافة. ومن المعلوم ان قد كان للعقاب والنواب اعتبار عظيم لدى شعب مغدّي بلبن الحكمة. عدا ان الخدمة والرغبة في نجاح الملكة كانتا الوساطة الوحيدة للتقدم في المناصب وكذلك كان للافعال الحربية مجازة حسنة لا تسوم الشعب شيئاً ولكن لأحد لثمتها عند العامة لان مجد هذا الشعب الحربي متعلق بها ولم يكن الجنود يعتبرون من السمات البهية إلا علامات الفضيلة طالما عزّ لديهم تاج دمي أو أكليل من اوراق السندبان او القار او بعض نباتات مردولة ولا امتياز افضل لديهم من امتياز يتأتى عن افعال عظيمة

وان مجلس الندوة الذي كان استغسانه يقوم بمثابة المجازة كان يعرف ان يونس اومدح لدى الانقضاء ولدن نجاح المعركة كان يثني الفناصل والقيادة على الجنود اوبلومونهم اذا كانت اعمالهم سيئة وهم انفسهم كانوا يترصدون بفروغ صبر حكم الندوة الذي كان يقضي بنبات الجنان والراي السديد غير مندش بعض الحوادث. وكانت الاماديج ثمينة لصدورها عن معرفة حقيقة. وكان النوبس يوتر كثيراً في ذوي النفوس الكريمة وبقسر الضعفاء على تنعيم واجباتهم. وطالما خشي الجنود عقاباً يلحق بالافعال المنكرة يبدان الجزاء والمجد المعدّين لم كانوا يرفعان عنفولهم الى درجات سامية. ومن كان يستطيع ان يلقي في قلوب الشعب الجند والمجد في الاشغال وتظيم الامة وحب الوطن كان يحق له الافتخار لابتداعه قوانين جديدة لانشاء رجال توفرت لهم اسباب العظمة. ولا ريب ان رجالاً هذه صفاتهم هم اركان المملكة وقوتها. ولقد ابدع باري الطبيعة في جميع البدان رجالاً ذوي عنول ذكية وبطش عظيم الا ان على البشر الاستجد بالطبيعة لثقتينهم. وما يثنتهم ويهذبهم قوة العواصف وسمو الميم التي تمتد الى عنول بني الانسان كافة وتنتقل سريعاً من الواحد الى الآخر. فاما الذي يقرن شرفنا بالبالسة العظيمة في المواقف والجراحة في اقتحام الاهوال اليس ذلك الاعتراف الذي اقتبسناه منذ الصغر. ونترّر باتفاق الشعب ان الرجل الشريف يكون عديم الحس والشهامة ان لم يكن ذا بالسة. وقد تشرب جميع الرومانيين هذه المأثر الحبيبة. ولقد طالما كان الشعب يسابق الشرفاء ليسلك بهوجب هذه المبادئ.

السليمة . وفي ابتداء اجبال رومية المحببة كان الولدان يشتفون في الاشياء منذ
 الحداثه ولم يكن القوم يمدحونهم الا بعبطية الاسم الروماني فكانوا يتداعون الى الحرب
 لدن صدور اوامر الجمهوريه . وثمة يشتغلون دائماً معسكرين صيفاً وشتاءً خاضعين
 لاوامر قادتهم حتى الموت او الظفر . واما الاباء الذين لم يهذبوا ابناؤهم بمقتضى هذه
 المبادئ ليملوهم جديريين بخدمة الملكة فكانوا يثخسون امام الولاة والحكام ليفضوا
 عليهم كجبرمين بالنظر الى الشعب الروماني . وبناء على ذلك كانت الانام العظام
 يصبرون غيرهم عظاماً ريكسونهم فخرّاً واخلاقاً شريفة . وليس من الصدفة ان رومية
 كانت تفوق سواها بالجدة والعظمة بل ان الملكة الرومانية المولدة على النوع الذي
 ذكرناه كانت ذات رجال صبرهم الامر الانف ابطلاً

فالمملكة المنتظمة على هذا المنوال تشعر بقوة ليس لها من نظير ولا تليق ساعة
 دون سند ونرى الرومانيين لم تحبط قط آمالهم بحسن احوالهم لا وقت ان جعلهم
 الملك بورسينا يتضورون جوعاً لدن حصاره مدينتهم ولا حينما احرقها القوايون
 وردّوا جميع بلدانهم وضيقوا عليهم كثيراً في الكايتول معبد الهتهم ولا عندما ارفعهم
 خوفاً ييروس ملك ابيروت وشعث شملهم بافياك ولا اذ قتل منهم انبيال الظافر في
 معركة فاما ما بنوف عن خمسين الف مقاتل فهم اشجع جنودهم وابطشهم

فحينئذ دخل الفصل ترتوس فارو المدينة ظاناً انه نال راية الظفر مع انه شطاً
 شططاً مبيتاً وخسر هذه الموقعة العظيمة وذلك بسبب انه لم يأس من الظفر في وسط
 هذه الاهوال التي كانت تكسفه . فشكراة رجال الندوة جهاراً . ومنذ ذاك الحين
 ازعموا حسب العوائد القديمة ان لا يصيغوا وهم في حالة هائلة كمن ان يمدحهم بعقد الصلح
 مها كانت ادلته راضية . اما العدو فاخذ منه العجب كل ماخذ وعادت قوة الشعب
 اليه وتيقن بالحصول على وسائل للنجاة بدر كها رجال الندوة العظام . ومن المقرر ان
 ثبات المجلس العظيم ما بين الآفات العظيمة التي طرأت على عقله لم ينشأ فقط عن
 القصد الاكيد بعدم الرضوخ لطوارق الحداث بل عن معرفة وثيقة بقوى الرومانيين
 وقوى اعدائهم . وقد عرفت رومية بمجرد تعداد نفوسها الامر الذي عاودته من عصر
 الملك سرفيوس توليوس فلا ريب انها علمت بما عندها من الرعايا الخلقين بجبل
 السلاح وبما هي على امل من الشبان الذين يتدرجون الى اعالي الجند يوماً فيوماً

ولذلك وفرت قواتها ضد عدو يأتيها من شواطئ افريقية لان صروف الدهر وحدها تبين في بلاد اجنبية حيث تأخرت التجيدات عن البلوغ اليه ونصراته التي كانت تسوء دماء مهراقة امست مشومة لدبو ولهذا مها حدث من التهلكات لم يكن على المجلس سوى ان يتهمل لعل ما بقي له من الجنود الاشداء ولم يكن قط ذاسامة . ولما راي قوات الجمهورية تنافضه بمنذاره كذا لانهم لم يروا رومانين في معركة قانا والعصيان الذي ولي ذلك حتى انهم كادوا لا يستطيعون دفاعاً لوضيق عليهم العدو واستمر ثانياً في امره بيسالة غير مختش هلاكاً وشرع يراقب مسير الظافر . واذ تبين لدى المجلس ان انيبال بدلاً من ان ينجز فوزه عكف على الملاذ ارتاحت الى ذلك نفسه وعلم ان عدواً لا تاخذه الدهشة من نصراته ولا يتبين وقتاً يضافه على انقامها ليس من امكانه ان يفوز بالرومانين

ومنذ ذاك الحين اخذت رومية تنتقم يوماً فيوماً بافتتاحاتها العظيمة . واما انيبال فرغاً عن كل ناس وطشو لم يلبث امامهم زماناً طويلاً لكنهما نقول ان انيبال بعد ان فاز مراراً حجة شيخ بانته وحسب الاستيلاء على رومية امراً سهلاً فحبطت بذلك آماله . اما رومية فلم تنقد بسالتها اثناء هذه النوائب بل اقدمت على امور لم يسبق لها مثيل في العظيمة . ولم تلبث بعد معركة قانا الهائلة الا حاصرت مدينتي سيراكوزا وكابوا فالاولى لعدم استسكانها بوثاق اليهود والثانية لعدم رضوخها . فلم تستطع سيراكوزا بمحضنها دفاعاً ولا باختراعات المهندس اركيادوس المشهور وكثرت جيوش انيبال الظافر ليضافروا مدينة كابوا فكان ذلك عبثاً فان الرومانين قسروا هذا القائد ان يرفع الحصار عن مدينة نولا وبعد ذلك بزمان وجيز هزم القرطجيون سييون وجيه في اسبانيا وقتلوا وفي كل هذه الحروب لم يحدث شيء على الرومانين يعود عليهم بالمحطية فان خسائرهم حملتهم على ابداء كل ما عندهم من القوة ولهذا لم يكتف سييون الصغير ابن احد الفائدين المقتولين بقيام مهام رومية في اسبانيا بل ذهب لمحاربة القرطجيين في مدينتهم وطسها بطيساً

فان حالة هذه المدينة لم تمكن سييون ان يجد فيها المدافعة التي وجدها في رومية . وتوقن ذلك لدن نظرك الى نظام هاتين المدينتين فان رومية كانت في شدة قواها . اما قرطجة فلم يكن لها سند ونصير الا انيبال ومجلس رومية كان على غاية عظمة

من الاتحاد لانها كانت في الحبس الذي يشدها فيه الروح القدس في سفر المكابيين .
 واما مجلس ندوة قرطجة فكان بسبب مخزبات قديمة منتحاً الى شطرين لا يمكن اتفاقهما
 وكان هلاك انيبال برداً وسلاماً على قلوب الاعيان والعظماء فيها . بيد ان رومية
 كانت فقيرة جداً نظراً الى الحرائة التي في علة لاغائه جندية باسلة لم تكن تنحصر الا
 بالجد والاسم الروماني مع ان قرطجة كانت مثرية بتجارها وكان اهلها منهمكون في
 الثروة والمال غير متمرزين على فن الحرب . وبينما ان رومية كان جنودها الكثيرون
 من فاطنيتها كانت قرطجة لا تتبع لها سياستها ان تجند الاجنبيين وكانت الخشية تنع
 منهم احياناً على الذين اتخذوهم لهنهم اكثر منها من الذين ثبر الحرب عليهم . فكانت
 هذه الورطة متأية من تاسيس قرطجة الاول ومن تواتر الايام فانها لم تتقاعد عن
 محبتها للمال والغنى حتى ان اريسطو كان يونياً كثيراً على ذلك قائلاً ان هذا الامر
 ذريعة لان يفضل سكانها النقود على الفضيلة . وقد قال هذا الفيلسوف ان هذه الجمهورية
 التي توطدت لاثارة الحرب قد املت قواعدها وممارستها لكنها لا بلوح انه يونياً اذ
 ليس عندها الا جنود اجنبية لكنها يؤخذ من هذه الفرائض انها لم تستطع في هذه الورطة
 الا بعد ذلك . الا ان كثرة الغنى تسوق بالطبع الحكومة الجمهورية الى ارتكاب مثل ذلك
 لان كلاً يود ان يتمتع بخبراته وانعامه متكرراً انه يعثر على كل امر بفيضان ماله
 وعلى هذا كانت قرطجة تعد نفسها قوية لانها كانت مالكة عديداً وافراً من الجنود .
 ولم تعلم من الاختبار ومن عنو جنودها المتكاثرة في الازمنة الاخيرة ان لا شيء يتكفل
 بهلاك دولة نظير استنادها على اجنيته ليدود عنها مع انه يكون عارياً من كل غيرة
 ورضوخ وامنية

ولا ينكر ان سمو عقل انيبال الثاقب اصح ما في سياسة دولته من الخلل . ومن
 الامور التي تبعث على العجب ان لم يحدث في جيش انيبال المؤلف بمجوع مختلفة
 لم يكن البعض منهم يسمع للبعض الاخر بل انهم كانوا معدي الكلمة راضخين لاوامر
 قائدهم مدة ست عشرة سنة في بلاد اجنبية الا ان مهارته لم تكن بتأدية ان تعضد
 قرطجة وقت ان هجم على اسوارها النائد سيون الماذق واصبحت حينئذ دون قوة
 فافضى الامر باهلها ان يستغيثوا بانيبال الذي لم يجدد الا بجنود اضعفهم انتصاراتهم
 اكثر مما اضعفهم فوز الرومانيين . وزاد على ضعفهم ضعفاً طول السفر في البر والبحر

ولهذا انكسر انيبال ونهرقرت طرطجة التي استولت انفاً على افريقية والبحر المتوسط وكل تجارة العالم فالتزمت اذ ذاك ان ترزخ للبر الذي القاه الظافر سيون على عاتقها . فهاك ما جناء من ثمر المجد والفخر جلد الرومانيين وصبرهم . لان الشعوب الذين يبسلون ويغلدون في اثناء النوائب لا يباسون من انهم يتمصون من حبال المشاق المبرحة بشرط ان لا يفقدوا املاً . وقد عرف بوليب المؤرخ ان قرطجة سوف ترزخ اوروبية واستنتج ذلك من نظام الجمهوريتين

فاذا كان الرومانيون لم يتخذوا كل هذه الوسائل السياسية والجنديّة الا لكي يرفعوا دولتهم في بحبوحة الراحة ويصدوا المعتدين على الذين يواخونهم وجب علينا ان نظرى بالبناء على عدم كما اطربنا على بسالتهم وحكمتهم . الا انهم لما ذاقوا حلواء الظفر ارادوا ان يعملوا كل شيء راضياً لشوكتهم . وجل مقاصدهم كانت ان يستولوا على مجاريهم ثم على العالم بأسره . واملاً بنوال مرغوبهم كانوا يعرفون ان يراعوا المتحايين معهم ويظفوا على الاتفاق بينهم ويلتوا اللينة والحسد بين اعدائهم ويتدخلوا في افكارهم فيكتشفوا على نوابيهم ليستدركو اعمالهم ولم يكونوا يسهرون فقط على تصرف اعدائهم بل كذلك على نجاح مجاورهم لانهم كانوا يرغبون جداً في ان يشعروا بالدول القوية والمناعة فوزم فيستقدمون الوسائل لمقاومتهم من جهة اخرى حفظاً للموازنة وبذلك اخطأ اليونان في عصر بوليب المؤرخ عندما كانوا يبنون توسيع رومية الى التفاديير لالحكمة منصودة وذلك لانهم كانوا يودون مجد امتهم . وكانت تدب فيهم الفكرة اذ كانوا يرون اناما يتعالمون عليهم مجداً ولما كانوا يرون عن بعد المملكة الرومانية تتقدم وتنمو كانوا يعززون الى الصدفة حسب عوائد بني الانسان مفاعيل لم يكونوا يعرفون علها . ولم يكونوا قد دخلوا في الاحكام التي كانت تحرك هذا الملك العظيم اما بوليب المؤرخ فيسبب عشرته للرومانيين كان واقفاً على سياستهم المكنونة وبسبب ملاحظته سلوكهم في الحروب مع قرطجة حكم يعبد على الرومانيين اكثر من غيره من اليونان ونسب فتوحاتهم لا للتفاديير بل لمقاصد متواصلة مبنية على الحكمة لانه كان يشاهد الرومانيين من البحر المتوسط يسرحون ابصارهم الى كل الانحاء حتى اسيا واسبانيا ويراقبون كل ما كان يجري ويتدرجون خطوة خطوة ويوطدون شوكتهم قبل ان يتدوا ولا يحملون نفوسهم احمالاً كثيرة ويكتبون برهة مقاصدهم ثم يعلنونها للناس الاقضاء فنرصدوا غلبة انيبال ليقروا فيليبس المكيدوني

مضافه . ومتى شرعوا في امر لانيوانون ولا يفرحون الا لدن انماهم ولا يتركون للمكدونيين فرصة يكون لهم فيها فرج وبعد ان ظهروا عليهم اعادوا الى اليونان من ازمته مذبذبة تحت اقبال العبودية الحرة التي لم يكونوا فيها بمفكرين وبذلك بشوا في الامصار الشاسعة منهم وحرمة اسمهم وهذا ما يبين صريحا ان الرومانيين لم يسارعوا لفتح العالم بالنفاد بربل بحكمة مقصودة

هذا ما شاهدت بوليب في اثناء نجاح رومية . واما دنيس البكارناس الذي كتب بعد تشييد الدولة الرومانية اي في عهد اغسطس يستنتج من النتيجة عينها بعد ان تكلم بداعة عن ترتيب الجمهورية القديمة الذي هو تادرا ان يري بذاته شعبا اهلا للسلط ولا تعمل به ايدي الغلبة . وذلك كافر ليجعلك نتني راي هؤلاء المؤرخين وتدحض راي بلونارك المتعثرش لليونان النامي الى التفادير عظمة رومية . واما عظمة الاسكندر فنسبها الى قوة حكمته وفضيلته

ولكن طالما يبين هؤلاء المؤرخون مقاصد رومية المعتقد عليها الافتتاح يوضحون ظلمهم لان هذا النص لا يعزز عن المطامع بالسلط ولهذا رذله الانجيل المقدس انما الفاسقة وحدها تكفي لان توضع ان القوة نالها بنو الانسان ليحافظوا على ما لهم لا ليخلصوا ما لغيرهم . وقد افتر بذلك شيشرون والقوانين التي سنما لتتيم الحروب تزدل الرومانيين جهاراً . ولا ريب انهم اخذوا يعدلون في بداعة الحكم الجمهوري لانهم كانوا يتظاهرون انهم شديدا في الرغبة في اضرار الحرب التي حصروها في حيز العدالة والانصاف ولا شيء اود من جمعية الفاسيوكس اي السفراء سواء كان عقدها نوما تطبيقاً لما بنوه و دنيس البكارناس او انكوس ماريوس تطبيقاً لما يقوله فيف فمكة الجمعية قد عذرت لتبرز احكاماً سواء كانت الحرب عادلة ام لا . وقبل ان كان مجلس الندوة يتهمك في تاجيح الحرب او ان الشعب يتهافت عليها كان الفحص العادل مصروفاً في اسبابها ولما كان القيام بشأن ذلك يعدللاً كان مجلس الندوة يسارع الى تقييده . انما كان المحاربون يطلبون قبل شرعاً كل شيء من المجلس ولم يكونوا يستقدمون الوسائل المحيرة الا بعد ان يفرغوا كل انواع المساهمات

ولا ريب ان هذا النظام كان امراً مقدساً . وما يشين المسيحيين ويرذلهم ان قد هبط من السماء الله ليلقي بينهم سلاماً فلم يمكن له ان يثبت في قلوبهم محبة . فا الفائت

انما من الذين انتمى اليهم اذ اصبحت بحصر القول صورة كاذبة . فان لذة الفوز والفتح
 انما هي في الدنيا ما كان عندهم طبعاً من الانصاف والاستقامة لان مداولة جمعة
 الماسيوس في كل يوم في كل يوم الا صورة زاهية وان يكن الرومانيون يعاملون آونة اعداءهم
 بالرقي في البرودة فان الطمع لم يستمر سعيًا للعدل ان يفوز في اراهمم والثاماتهم وفضلاً
 عن ذلك فان ظلمهم كان يبعث على الخطر المبين لانهم لم يكونوا يستطيعون ان يواروا
 تحت ستر العدل . وكانوا يرزخون تحت اثقال رقبهم الملوك والامم بحجة انهم يدافعون
 عنهم مع انهم كانوا ذوي قسوة بربرية نحو الذين كانوا يقيسون عليهم تكبراً . وذلك
 من ذاب الفاتحين الذين يعلمون ان الرعبة قائمة باكثر الفتوحات . افسوخ الحكم
 بامر كذا سوء . الذة فارطة في الاستيلاء فيتحدا بنو الانسان باعمال كنه بربرية
 وامل ان يلقى الرومانيون الهول في كل اين كانوا يغادرون في المدن المنتهضة مشاهد
 مرعبة تدل على قسوتهم وكانت سمات الارهاق والتذليل تبدو عليهم نحو الذين كان
 ينظر اليهم بعين التلى والبشطاء . ولم يكونوا يعفون عن الملوك بل كانوا يمتنونهم بقسوة
 غريبة عدا انهم كانوا يكبلونهم بالسلاسل لدن الفوز بهم ويحرقونهم بالعجلات كالعبيد
 غير انهم كانوا مع كل هذه القسوة الفاحشة التي كانوا يستقدمونها في سبيل
 الافتتاح كانوا يحكمون بعد الفهم الامم الراضية لشوكهم لانهم كانوا يبذلون غاية جهدهم
 ليدفعوا الشعوب المتعوجين لذة احكامهم ظانين ان ذلك من احسن الوسائل التي تتكفل
 بفوزهم . فكان مجلس الندوة يفيد الولاة ويحكم بالعدل للامم لان هذه اللجنة كانت ملاذاً
 للظالمين ولهذا لم يطار سلب او نهب في الدولة الرومانية الا في اواخر الحكم الجمهوري
 والى ذاك الان كانت شهامة الولاة وقناعتهم مدوحين في كل البسيطة
 وبناء عليه فلا تعد الرومانيون من زمرة هؤلاء الفاتحين المطامع الذين لا تتراح
 نفوسهم الا الى النهب ولا يتوطد استيلاؤهم الا على دثار البلاد المنهوجة . فلا ريب انهم
 كانوا يحسنون احوال المدحورين ويزيدونهم ارباحاً اكثر مما كانوا يسودون بينهم
 العدل والحرارة والتجارة والفنون والعلوم بعد ما كانوا يعلمونهم ذوق الملة
 وذلك ما اولاهم هذه المملكة التي تنفق كل ممالك العالم بزهايتها ونظامها وعظم
 اتساعها فان حد ودها كانت تمتد من نهر الفرات والتنايس الى عواميد هرقل وبحر
 الاناتليك وكانت كل الامصار والبحار راضية لشوكها . ينجول ملاحوها في مجمع البحر

المنوط فيقومون كل ساحاته مسترفين على كل الممالك التي حوله طولاً وعرضاً يحافظون عليه من طرفه ليقروا الاتصالات في مملكتهم . اما الان فياخذنا العجب عند رويتنا الشعب الذين هم ممالك عظيمة اي غالباً يرمونها واسانها كلها وغالب بربطايبا الكبرى والبريا حتى شواطئ الدانوب وجرمانيا حتى نهر الالب وافر يقبل حتى قنارها المرعة التي لا يدخلها احدٌ وبلاد اليونان وتراسيا وسوريا ومصر وكل ممالك اسيا الصغرى والممالك التي بين البحر الاسود وبحر كاسيان والممالك التي اوعزت عليها اولم اشاء ان اذكرها لم تكن مدة اجيال متوالية الا مقاطعات من المملكة الرومانية التي كانت كل شعوب العالم حتى البربر تخضع شوكتها وقد بسطت في كل الانحاء سيطرتها وشراتها وتقدمها

ومن القريب ان في مملكة كذره رحيمة مكتشفة اما شتي وممالك عظيمة شعوباً عظيمة كانت راضحة لما لا يدب فيها تمرد الا قليلاً لان سباحتها كانت قد جعلت بوسائل عديدة ارفع لديك محصلها بوجيز العبارة ان الفحل الرومانية التي نشأت في كل ارجاء المملكة يكون لها مغولان عظيمان اولها انهم كانوا لا يتفلقون على المدن التي كانت فيها عديدٌ كبير من ذوي المعسرة . والثاني انهم كانوا يحافظون على الحال المهمة ويعودون الشعوب الغربية على اخلاقي الرومانيين وعوائدهم فذه الفحل التي كانت ترجل ومما كل الامتيازات الخاصة كانت تتمك متعانة بالحكم الجمهوري منعمة المملكة من السكان الرومانية

وعدا ذلك كان قسم كبير من المدائن كانت تبيل سكانها حقوق سكان رومية متخذة بها بصواتها ساهمة على المدن المجاورة لغربها برعاية واجباتها فحدث في اخر الايام ان كل دعايا المملكة اعني وانفسهم انهم رومانون وان الشرط المنوط بالظافرين التي فيما بعد بالمهمورين ففتح لم مجلس الندوة ابوابه ونبوا امامهم على ان يركبوا مستقبلاً تخت الملك وعلى هذا اصبح الامم يصيب حلم الشعب الروماني شعباً واحداً وامست رومية وطناً للجميع

فكم من مالا يفر جرّت هذا الاتحاد العجيب الى كل الشعوب العائدين في ظل سلطة واحد للتجارة وسفر البحر فان الشوكة الرومانية كانت قد اكتسبت كل شيء . وعدا بعض مقاطعات على النجوم كان المجاورون يقيمون فيها قبضة الفلاقل وكان العالم

برمته في السكينة والامن . ولا مرء ان بلاد اليونان واسيا الصغرى وسوريا ومصر
واكثر مقاطعات غيرها لم تلبث دون حرب الا على عهد الرومانيين ومن هنا يؤخذ
ان هذا الاتصال بين الامم كان آيلاً الى حفظ الرضوخ والاتفاق في كل جهات المملكة
واما الجنود الذين كانت بهم رعاية النجوم فكانوا يشتبونها داخلاً فيما كانوا يدافعون
عنها خارجاً ولم يكن من عوائد الرومانيين ان يشدوا قلاعاً في امصارهم ولا ان يحصنوا
نجومهم ولم يقوموا بهذا الشروع الا على عهد فالانتينيانوس الاول لانهم كانوا آنفاً
يحصرون قوة المملكة ورعايتها في الجنود الذين كانوا يبعثونهم الى ارجائها حيث
يكونون قادرين ان ياخذوا بايادي بعضهم المعتنين . وبما ان النظام كان يلزمهم ان
يستروا دائماً في المعسكر لم تكن المدائن تآذى بمحضورهم . ولم يكن القانون العسكري
يسج للعساكر ان يتجولوا في الحقول وعلى هذا لم تكن الجنود الرومانية تلبس التجارة
او الحرثة . بل انهم كانوا يقومون في معسكرهم اسواقاً لا تختلف عن سواها بالاشغال .
بل كان النظام مرغواً بكل صرامة والامر بكل شدة . وكان هؤلاء الجنود مستعدين
للعمل عندما تدعوم الى ذلك ادنى حركة . وهذا امر كاف ان يجعل الشعوب
راضين لتتبع واجباتهم لدن شعورهم ان جنودهم مؤتمنون دائماً للقيام باعمالهم

ولم يكن شيء يبعد الراحة والامن في المملكة اكثر من نظام العدل والمجالس
الذي سنه المحكم الجهموري وفصره الامبراطورون والفتاء فكان الشعوب كلهم حتى البرابرة
بنظرون اليه بعبود . التعجب والدهشة . وبهذه الشرائع وحدها كان الرومانيون
جديريين بان يستولوا على العالم . فضلاً على ذلك فاذا كانت الشرائع الرومانية
بدت مقدسة وان عظمتها لم تنزل الى الان رتخاً عن دثار المملكة فلا يكون الا لان
التفعل يستتر في كل اينه وان لا شريعة تنطبق على مبادئ العدل الطبيعي نظيرها
غيره انفساً عن عظمة الاسم الروماني وهذه السياسة المكونة وكل النظام السامي
الذي نشأ في هذه الجمهورية المشهورة كانت رومية تتضمن في جوفها علة دثارها
وهي ديمومة حمد الشعب لمجلس الندوة . او بالاحرى حمدهم للشرقاء . فرومبولس
كان قد وضع لذلك امتيازاً اذا اقتضى ان يكون الملوك انام ممتازون بباطون بشخصهم
الملوكي برباط خاصة ليحكموا في الشعب بواسطتهم . ولهذا اصطفى الشعب الشيوخ
والفت منهم مجلس الندوة وكانوا يدعون شيوخاً نظراً الى سنهم ومناصبهم ومنهم نشأت

عائلات الشرفاء. ومع هذا فمهما كانت السلطة التي اقتاها روميلوس للشعب فانه اخضعهم تحت ولاه الشرفاء بوسائل استخدمها في سبيل ذلك. وهذا الرضوخ اللازم للحكم المملوكي حفظوه في ايام الملوك. وحكم الجمهورية قائمهم استمروا مقتدرين من الشرفاء اعضاء مجلس الندوة وكانت الوظائف والولاة والرتب حتى الكهنوت منوطة بهم. غير ان الشيوخ الذين عثوا رومية لم يضربوا صفحا عن امتيازاتهم فدبت اذ ذاك عنارب الحسد ولا حاجة لذكر الكافاليه ابي الخيالة الرومانية الذين كانوا مرتبة ثالثة ياخذون آونة بابدي احد المنشاحين وآونة بابدي الآخر الا ان السبب الحقيقي الذي كانت به رومية متعشة هو حب الحرية

لان مبدأ الجمهورية الاساسي كان قائما بان تعتبر الحرية الله غير منفصل عن الاسم الروماني وان الشعب الذي يكون قد اتى هذا المبدأ او بالاحرى خلق ليستولي على الشعوب كلها (ودعاها فرجيليوس الشعب الملك) لا بد ان يرضخ لشريعة لم يكن منها هو نفسه. وكانت سلطة مجلس الندوة امرا واجبا يعدل سلطة غيره من المجالس ولو ذلك لكانت المجالس كلها ضحاية الا انه كان بالشعب يناط تقليد الولاة الرياسة وبه تسن الشرائع وتخدم الحرب ويبرم الصلح وكانت له حقوق الملك الاساسي ويتخذ اجابة الملوك ولهذا كان يرغب في ان يوعز اليه ولكن لا يشاء ان مجلس الندوة يتصرف على امره. وعليه فكل ما كان يبدو بهيئة التعظم والامر او يرتفع عن غيره او كل ما كان يشين او يفسد روح المساواة السائدة في دولة حرة يانف منه هذا الشعب الحر كل الانفة. ولهذا حب الحرية والمجد والتفوحات كان يقضي عليه بعدم الانقياد. والجمرة التي كانت تبعثهم على ان يشارروا كل الاعمال الخارجية كانت تسبب لهم انتقامات داخلية. وعلى هذا فان رومية الحريصة على حريتها شاهدت الشقاق ثائرا بين كل مراتب الامم. ولذا ذلك سرى الحسد الرائع بين الشعب ومجلس الندوة والشرفاء لان منهم من كان يزعم ان الحرية المفرطة تبعد نفسها ومنهم من كان يخشى ان السلطة التي من دايها ان تكون دائما عند من يجرؤا وعدوا انهم فلم ير الشعب ما بين هذين الطرفين حذرا اوسط. والصالح الذاتية لم ينج لم بان يستمروا في حدود الاراء العادلة. وان ذوي المطامع والهيمن كانوا يشيرون روح الحسد ليتعبنوا زمانا ببالون في اغراضهم. وهذا الحسد الذي كان نارة متواريا

وطوراً بادياً حسب مقتضيات الاحوال لم يبرح حياً في القلوب حتى سبب الانقلاب العظيم الذي طرأ في ايام قيصر ومن خلوه

الفصل السابع

ايضاحٌ للانقلابات التي حدثت في رومية

يسهل عليك يا سيدي جداً أن تنقف على بواعثها اذا كنت تبذل جهودك بد شعورك بسجاياء الرومانيين وتاليف جمهوريتهم بالاطلاع على بعض التي لما ارتباط وثيق . وإن كانت طرأت في ازمة قديمة جداً فجعلتها زيادةً للايضاح وهي : ان روميلوس الذي حكته الحروب وهو المدعو بابن مارس (اله الحرب) شاد رومية التي اسكنها من اناس مؤلفين من رعاة وعبيد ولصوص توافدوا عليها يتخذونها ملاذاً لان بابيا متزوج للواردين وإلى اليها اناس غزير لم سعة بالفضل والسبب الخطير . فلذن ذلك اشعرت هذا الشعب الهيج روح اقدام على كل شيء بالقوة السريعة حتى انهم اتخذوا نساءهم من الوساطة . وبعد ان مضى على ذلك مدة اسس الانتظام والآن عرائكهم بشرائع مقدسة . فباشرا ابتداء الدين الذي كان يعتبره اساً للمالك وجعله ذا وقار وحظر دخول المذاهب الاجنبية والذبايح التي لم يعاودها الرومانيون ثم خولفت هذه الشريعة التي كان صارفاً جل العناية في حفظها الا انهم ابقوا منها شيئاً وتخيروا من الشعب اعظمه ليؤلف مجامعاً عاماً . دعاه مجلس الندوة والفة من ثلثاية من الاعيان الذين زادوا فيما بعد عدداً . ومنهم خرجت العائلات الشريفة وما بقي كان سوقاً او شعباً وكان على مجلس الندوة ان يبعث عن الاشغال ويعرضها لدى الشعب . وكان بيت بعضها مع الملوك الا ان اعماها كان يبرزه لدى الشعب فصدق عليه . ويغما كان روميلوس في محل طرأت ثورة على عجل فتسابق اليه الشعب وقطعوه ارباً ارباً لانهم وجدوه ناهياً باوامر . ومن ذاك بدا الاستقلال في تلك العصاة وشاع البناء وتنتذر ان الالهة اخطنفت . روميلوس الى السماء قصد ان تخمد نيران غضب الشعب الذي كان يجب ملكه وان يكون المذكور في المدينة مقاماً سامياً . فتشاد الرومانيون له مذابح . ثم ان نوما بومبيلوس اكبل لتقريب عوائدهم ومجاياهم وتنظيم الدين غير مغبر شيئاً من

الاساس الذي اقامه روميلوس وذلك بعد ان خمدت نار الفتنة واستتب السلام .
وسن توليوس هوستيليوس شرائع ثقيلة للنظامات العسكرية والبحرية واصاف اليه خلفه
انكس مارتوس احتفالات مقدسة املاً بان تصير العسكرية مباركة ومقدسة وواصل
بعد تركوين القدم عدد الاعيان في مجلس الندوة الى ثلثاية . وما ذاك الا ليكون له
يو خصصة ويقوا على هذا العدد اجمالاً عديك ثم باشر الاشغال الشاقة التي كانت
آيلة الى الراحة العامة

ونوى سرفيوس توليوس على تاسيس جمهورية يترأسها حاكمان يغيرها الشعب جازماً
ان رياستها لا تتجاوز اكثر من عام . ونسخت الملوكة بغضة بتاريكوس الجبار وقويح الذين
حاولوا ان يغموها مع اخرى متذوقين باللعنات الوحشية وآلى الشعب على نفسه انه لا بد
من ان يستمر على حريته و اشار الى ذكره برونوس المورخ وتبع بهذا التغيير كتابات
سرفيوس توليوس . فكان الفضلان اللذان تخيرها الشعب ان يكونا من زمن الشرفاء
يساويان الملوك بالسلطة الا انها كانا يتداولانها ملياً ويغيران كل عام .

فاصطفي لهذا المنصب السنيح كلوتينوس وبرونوس لانها كانا مشتركين في الحرية
وان يكن الاول منها قريباً للكراس التي سبب موتها هذا التغيير وانه كان يهتدى اكثر
من غيره للانقسام من الاهانة التي تآمت فيها فلدن ذلك وقعت عليه الشبهة انه كان من
العائلة الملوكة فطرد واقيم بثنابو فاليريوس بعد ايايو من غزوة انفذ بها وطنه من
القبائين والاثروستين الا انه اتهم بانه يرغب في الحكم الجورسي لانه بدأ ان يشيد صرخاً
شامخاً على قمة آكة باذخة سواذ ذاك لم يكنف بالعدل عن تميم البناء بل انه بعد ان عاد
والشعب بنظره بعين الرضي والمودة من شريعة ان الدعاوي لابد من رفعها لدن
الاقضاء الى الشعب الذي يناط به آونة الجزم بالحكم فضغنت هذه السنة بدأة بدء
سلطة التناصل واتسعت حقوق الشعب . وبسبب الاقتسارات التي كان الاغنياء يعنون
فيها الفقراء لفصل الديون ثار الشعب على التناصل والجلس ولاذ بجمل افنتين . وكان
مدار هذه الجماهرات نوال الحرية الا ان الشعب الروماني لم يعتبره حرطالمام
يكن له وشائل شرعية يقاوم بها المجلس فالجأهم الامران بفيهوا وكلاء مدعين يذودون
عن حقوقهم فيساجلون الفناصل بالماناة والاستئناف فاما هؤلاء القضاة فرغبة في
ان تكون لهم السلطة كانوا دائماً يضرمون نيران الشقاق بين التناصل والشعب الذي

كانوا يصانعون القوم بقولهم لم ان اراضي البلدان المقموعة والتمن الذي اُذي عنها لابد
من تميزته بين السكان ولم يفتأ المجلس بقاوم هذه الآراء الایلة الى دثار الملكية لانه كان
مزماً ان يضع ثمن الارض في الخزينة الوطنية . وكثيراً ما كان الشعب يتفاد بمشورة
وكلالة البائين روح الشقاق الا انه كان ذا انصاف متعباً من فضل الرجال الذين
كانوا يناقضونه . والعلة التي كانت تقوم بتحميد هذه الثورات جروب متواصلة خارج بلادهم
فمنه الحروب كانت تمنع سير الشقاق الى حذر يصيب العاقبة وفي اثناء ما كان الرومانيون
فائزين بحروبهم وموسعين خطوات فتوحاتهم دب الحسد والضغينة فيهم وبعد ان ستم
الحزبان مرة هذا الشقاق الذي كان يوعدها الملكية بالخراب اتفقا على ان يسنا شرائع ايلة
الى راحتها والى تأييد المساواة اللازمة في كل مدينة حرة وكان كل منها يدعي ان
هذه الشرائع منوطة به فزاد ذلك الحسد بهذا الادعاء وصموا برأي عام النية على ان
يبعثوا سفراء الى اليونان للاطلاع على شرائعهم ولا سيما شرائع سولون المتعارفة لدى الشعب
كثيراً ووضعوا اذ ذلك الشرائع الاثني عشر لوجاً الا ان الدسيسة برأي القضاة العشرة الذي
نصوا هذه الشرائع نزعو من وظائفهم لانهم تجاوزوا الحد باستعمال السلطة . وبينما كانت
الراحة معتبة وكانت التراث تدل على ان تلك السنة العادلة توطد الى الابد الراحة
العامة احندمت نار الشقاق بسبب ادعاء الشعب بمنصب التنصلي المنوطة الى ذاك
الحين بالعزوة الاولى فاباحت الشريعة للسوقة ان يتقلدوا مناصب كهذه الا ان اعضاء
مجلس الندوة اثروا على ان يقيموا ثلاثة حكام حديثين يعطون سلطة القناصل ويدعون
تزيان على ان يقلدوهم شرف التنصلي . فقبل الشعب بهذه الرتبة الجديدة واذا اكتفي
بنوال حقوقه استعمل فوزه بفناعة واستمر على ان يسلم الامرية الى الشرفاء وبعد منازعات
طويلة ابوا الى التنصلي واشترك الحزبان مع تواتر الايام هذه المناصب وان يكن الشرفاء
لم الامتيازات الكبرى بالانتخابات واستمرت الحروب متواصلة اياماً مديدة . واما الرومانيون
الظافرون الفاطيون في فتح جبال السقفازا بعد تاجع الحرب مدة خمسمية سنة باعدائهم
الالاء وكل ايطاليا

ولدن ذلك ابتدأت الحروب الفرطينية وتعاضلت الاحوال حتى ان كلا من
الشعبين ظان ان لا وجود له الا بهلاك خصمه واشتكت رومية ان تنقهر الا انها لم تنزع
بل لبثت في ساحة العزم وحكمة مجلسها فتككل اخيراً صبر الرومانيين باكلبل الفوز وتكلم

انيبال وقهر قرطجة سيبون الافريقي وابسطت احكام رومية الظافرة من مابقي سنة
براً وبحراً ورضخ العالم كله لسلطوتها . وفي تلك الايام اي منذ خراب قرطجة اخذ المطامع
من الناس يطلبون الوظائف التي زادت عدداً وقيمة غير فاكربين الا باماله الشعب
مصانعينهم وبذلك انعكس الاتفاق الذي قد ابرم بين الفريقين من خراب قرطجة فان
الكراكين كانوا علة ذلك الاضطراب ومطالبهم باكورة كل الحروب الداخلية . ومنذ
ذاك الوقت اخذ الناس يحملون سلاحاً ويستخدمون القوة الجبرية وكان كل مجتهد
في ان ينال فوزاً يخصه بطريقة شرعية وحرية الاراء الا ان حكمة مجلس الندوة والحروب
العظيمة التي طرأت اخمدت نيران الخصومة . فماريوس الباسل الذي كان من السوفة
اثار الشعب بنصاحة جندييه وهيمهم بخطبه التي كان يقاوي بها الشرفاء وذلك ارتقى الى
اسي المراتب وامسولوا الذي كان من الشرفاء فقد تراس على الحزب المائض واصبح
ماريوس يرنو اليه بعين التلى والحمد . واخذت حيثنر المكاييد والرشوة تستولي على
رومية . وان حب الوطن واحترام الشرائع لم يعادلهما امر . فضلاً على ذلك فان حروب
اسيا علمت الرومانيين التبرج والطمع في الحصول على المال . ولدن ذلك اخذ قادة
المجوش يستميلون اليهم مودة الجنود الذين لم يكونوا من قبل ذلك يومدون لهم تكربة
الاكتونهم منلدين السلطة العامة

واما سيللا فقد غادر عساكره وتفرغ في الحرب التي شبت بينه وبين متريدات
ملك البون وما ذلك الا لسترخيم . واما ماريوس فقد كان يعد معاضديه انه
يقسم بينهم الدراهم والارض فبذلك اصبحا كلاهما مالكيين زمام جنودهما . فادعى
الاول انه يريد ان ياخذ بيد مجلس الندوة والاخر ان يقوم بناصر الشعب فاضطربت
بينهما حرب هائلة داخل المدينة فحل في اعوان ماريوس واعوانه الويل والشتار واكتسب
سيللا السلطة المطلقة ملفياً باسم ديكتاتور . فقتل من الشعب عدداً عظيماً وعاملهم
قولاً وفعلاً معاملة شديده حتى في الاجتماعات الرسمية . ولما نال معظم السلطة وثبت
اعظم ثباتاً استعزل وآب بارادته الى درجة السوفة بعد ان ابان ان الشعب الروماني
يمكن له ان يحمل سيلاً

اما بومبيوس الذي كان سيللا قد اسي مقامه فقد استخدم قسماً عظيماً من سلطته
لكنه كان يدا من تارة الشعب وطوراً مجلس الندوة أمل ان يبقى ثابتاً في منصبه . انما

ميله وغرضه الذاتي ربطاهُ بالحرب الأخير. وإذ ظهر على الفرسان والاسبانبوليت
والمشرق بأسره أصبح عظيم السلطة في الجمهورية ولاسيا في مجلس الندوة لكنا قبصر
الذي أراد ان يكون له مساوياً انحاز الى الشعب. وإذ كان يتفدى بتقليده الوظيفة
التنصية بمحامي الشعب المعاصي عرض لدى المجلس شرعية تقسيم الأراضي وشرائع
أخرى تقرر بها عبون السوقة. وافتتاح غالباً اسماء الى درجات شاهقة من السودود
والسلطة فاجتمع هو وبومبوس لمناصد ذاتية ثم افترقا بمحسد دب بينهما.

ولدن ذلك تأججت نيران الحرب الداخلية. فظن بومبوس ان اسمه يمكن له وحده
ان يذب عن حريه فتوّر الى وهداث الخمول. وأما قبصر البصير بعبد التدمير
فقد نال لواء النصر واستولى على الدولة الرومانية. ثم اخذ يجتهد الامور ليرى هل
يستطيع الرومانيون ان يعاودوا الحكم الملوكي فحدها هذا الاختبار الى ان يكون ممتنعاً
لدى الامّة. واخذ المجلس يمتحنه انعاماً لم ينلها احد من قبله. وما ذلك الا ليزيد
بغضة الشعب له ولم يلبث ان امانته داخل المجلس متغذبة ملكاً جائراً وقد كان
لنصر اذ ذاك من الاجل تسعة عشر عاماً فتعبن الوقت لينتار اياه ويجلس على عرشه
خليفة له وما برح يكذب حتى اتخذ آل بيته اعداءه ومنازعيه حباً بتتبع مفاصله الخاصة.
فاصلقت جود ابيه تحت لوائه رغبة في الانعام والمهبات التي من بها عليهم. ولدن
ذلك قصت السلطة عن مجلس الندوة فاخذ كل يستحصل حنة بالنوة وبالعسكر
والجنود الذين كانوا يخدمون من يزيد في انعامهم فيهبذ الحال السيئة بادت سلطة
هؤلاء الرجال الثلاثة طالما كان في رومية اقوياء يقاومون العنف والجور. ثم ظهر قبصر
وانطونيوس على برتيوس وكاسيوس فبادت معها الحربة فهذان الظانفان اهلكا
بيديوس الواهن وايرما بينهما اتحاداً واجتزما الملكة بينهما مراراً. وبما ان قبصر كان
متناهماً في المارة عثر على وسيلة تمكنه من الحصول على القسم الاوفر واحاز اليه رومية
ففاق بذلك خصمه. اما انطونيوس فقد جهد في ان يعزز سلطته لكنا ذلك كان
عبثاً لان فوز قبصر باكميالك حرك كل الملكة لتكون تحت سلطته. ولما اخذ العياض
من رومية كل ماخذ بسبب كثرة الحروب المدنية التزمت ان تنبذ الحربة جانباً
املاً بالراحة.

ولما نالت سراء التياض مامورية الجنود تحت اسم امبراطور قبضت على زمام

السلطة المطلقة . وأما رومية فكانت في عهد القياصرة مجتهد بان تحرس ذاتها غير مبالية بتوسيع نجومها . ولم تهم بغزو ولا لئدراً عنها البرابغ الذين ارادوا الدخول الى المملكة

ولدن موت غالبلاً اوشك مجلس الندوة ان يرجع الحرية والسلطة الفئصلية لولم يصح رجال الحرب الذين ارادوا ان يكون عليهم رئيساً مستمراً يئلدونه عليهم السيادة . واذ عئانديرون وعئنا في الارض جائراً ثار المئوسون وتغير كل من المئارين وازعماً وعلمت رجال الحرب ان ئقليد الولاء منوطاً بهم فباعوا السلطة جهاراً من بوئدي لم عنها ثمناً بائظاً وتعودوا ان ئتلعوا عنهم رءاء الطاعة فباد بذلك النظام معها واصبح جهء الملوئ الفاضلون في رعائه عئناً فان رغنهم في ابقاء نظام الجئئدي الروماني الئءيم حئئهم على ان ئبءق بهم الجئئوء بعئون الشئماء والئلى . ولدن ئغير الملوئ كان كل جيش ئجهء في ان بصطبي له ملكاً فئئئهم حئئئء حروب مءئئة ومذائئ مائئة ولهذا ارئئت اعصاب المملكة ونظام الجئئوء . فئئك الانئلابات قئمت هئبة الجئئش الروماني وعظئته فئفض البئر من ناحية المشرق باسم الفرس الذين تنكئوا في ما سلف مراراً جئء ومن ناحية الشئال امم كئئيرة كانت قاطئة اراضي بارءة جءباء حئئئها عظمة اراضي الدولة الرومانية على ان تكراً عليها وعزم الجئئع على الدخول اليها مراراً . وعلى هذا لم يكن رجل واحد كافئاً لان ئحمل على عائئو ملكة كهئ شائعة مئجوماً عليها من الجئئات كلها . فالحروب المئواصلة ورغبة العساكر في ان يئراس عليهم قياصرة وملوئ كانت بواعئ تنكئهم . وبما ان المملكة كانت احكامها ارئئة تكائئت الملوئ طئعاً بتكائئ اولاءهم . فماركوس اورلئوس شارك اخاه بالولاء ونصّب سفاريوس ابنه ملوئاً والئجائئ الضرورة ءبوقليسيانوس ان يئسم الغرب والشرق بيئء وبين مكسيمايئوس . ولما راي كل منئها ان الاشغال اخئئكة ئخير له قيصراً . وبسبب تكائئ عدد الملوئ والقياصرة اصبئت الدولة مضئوكة بنفئات بائظة فاجئرائت اذ ذاك المملكة وكئئت لحروب المءئئة ثم قسم قسطنطين بن كلوروس المملكة مئرائاً بين اولاءه واقتئئت ذريئته آئاره من بعءه ولم يبق بعء ذلك ملك حئئائر وحئ بالولاء

ان رءاءة اونوريوس وفالائئبئانوس الثالث كانت باعئاً كئيراً على اءاءة ملكة الغرب فئهب البرابغ مراراً جئء ائطاليا ورومية واصبئت المءائئ فيها فريسة لم . فوقع

الغرب حيثئذ في هذه الاهال فاستولى التندال على افريقية والوزيقوط على اسبانيا
 والفرنسيس على غاليا والساكسون على بريطانيا الكبرى والهارول على رومية برمتها ثم
 فتحها الوستروغوط فتواري الملوك الرومانيون في الشرق وغادروا ايطاليا ورومية فريسة
 للبرابرة . بيد ان المملكة الرومانية آبت الى ما كانت عليه من الباس والشد في ايام
 يوستينيانوس بسبب شجاعة باليزار ونارسيس . فرومية بعد ما اخذت مرات عديدة
 مكثت منوطة بالمملكة الرومانية . الا ان الشارقة لما رأوا ما فيها من الشقاق وما في
 ملوكها من الذواني ظفروا بها وسلبوها اعظم جزء في الشرق واذاقوها في هذه اللاحية
 عذاباً مبرحاً حتى انهم لم يعودوا يفكرون بايطاليا ولهذا استولى اللومبارديون على
 الجبال الاكثر بها ونضارة في ايطاليا . فلما اصبحت رومية في ضيقة عظيمة لكثرة
 تعدد اسيادها المتواصلة ولم يدافع عنها ملوكها التجات الى الافرنسيس طالبة الاستغاثة منهم
 فاجتاز بابان ملك فرنسا جبال الالب وقهر اللومباردين وبعد ما درس كارلوس
 الكبير رسوم سلطانهم تبوأ عرش ايطاليا اذ قناعته ابنت بقايا يسيرة لخلفاء القيصرية . وفي
 السنة الثماني والمائة بعد المسيح انتخب الرومانيون ملكاً واسم ثانياً المملكة الرومانية .
 فاصبحت بعد هذا معرفة على سمورومية وسقوطها امر سهل الادراك ففري هذه المملكة
 الناشئة لاحتدام الحروب والمؤامرة للاعتداء على جيرانها ودخت جميع انظار العالم لانها
 اتصلت بالسياسة وفن الحرب الى اسي درجة ثم انك ترى علل انشقاق الجمهورية ثم
 علل هبوطها التي جلبها حسد اهالي الوطن ومحبة الحرية التي اختزفت الحدود . فلم يعد
 يشق عليك ان تميز جميع ازمة رومية ان كنت تشاء ان تلاحظها بذاتها او بالنظر الى
 سائر الشعوب فترى حيثئذ التقلبات التي هي مزعة ان تصدر عن ادارة الاشغال في
 كل زمان . فاذا لاحظتها بالنظر الى ذاتها تراها اولاً في حالة ملوكية مربة حسب الشرائع
 الاولى خاضعة للحكم الجمهوري عنوة فيسهل عليك معرفة نظام الحالة الجمهورية ثم معرفة
 البداءة التي كانت لها في زمان سلطنة الملوك ولا ترى باقل وضوح كيف كان ركن
 السلطة الملوكية الجديدة تنبت في زمان الحرية لانه كما انك فهمت ان ابتداء المشيخة
 ومقاصدها نشأ في ملك سرفيوس توليوس الذي هو اول من اذاق الرومانيين طعم
 الحرية كذلك شعرت ان حكم سيلابوري وان يكن موقوتاً وقصيراً يوضح ان رومية
 وان كانت شديدة الخنزوانة قادرة ان ترسخ تحت نير العبودية كالشعوب الذين استولت

عليهم

ورجاء ان تنهم البامع على هذا الحد النطيع عليك ان تنظر في الزمنين اللذين عينتها لك بنوع خاص وذلك ان احدهما وقت ان كان الشعب مفيداً في حدود بسبب المخاطر التي كانت تكتنفه من كل الانحاء والاخر اذ لم يكن يخشى من امر خارجي فارخى العنان لشهوته. فالميزم الجمهوري بين هذين الزمنين هو ان في الاول محبة الوطن والشرائع كانت تقيد الافكار وفي الثاني كل شيء كان يتم بالغرض النفسي والقوة المجرية. فمن ذلك يتجلى ان في الزمان الاول منها رجال الامر الذين يتسلقون اعالي المناصب بوسائل شرعية كانوا يقيدون الجنود في رعاية النظام ويتقنونهم متعلقين بالجمهورية واما في الزمان الاخير يوم كان الاغصاب يسود على كل شيء فما كانوا يفتكرون الا بمداواة الجنود لكي يشركوهم في مقاصدهم رغماً عن سلطة مجلس الندوة. فيسبب هذه الحالة الاخيرة التظلم نيران الحرب ضرورة في رومية وبواسطة المهارة بشأن ذلك اصبحت السلطة بيد رئيس واحد. انما متى تم الاشياء بالقوة تصبح الشرائع خالية من القوة والجور وحده يتكفل بصنع كل امره واصبح اشد الناس سائداً عليهم وقصارى الامر ان السلطة اصيبت في يد رجل واحد

وهكذا كانت الاشياء في رومية تترتب بذاتها حتى ان بوليب المورخ الذي عمر في زمان الجمهورية المتناهية في الزهو علم من مجرد نظره في الامور ان الدولة الرومانية لا تلبث برهة الا تعود الى الحالة الملوكية وبسبب هذا الانقلاب لا نحمد جذوة الشقاق بين مناصب الجمهورية الا بسلطة مطلقة ومن جهة اخرى ان الحربة كانت موموقة جداً في رومية حتى لم يستقدموا الاغصاب والاكراه حجاباً بها فاقضى الامر ان يوهنوا رويداً رويداً بحيل متنوعة الى ان باتي زمن يبيدونها فيه بالقوة جهاراً فالخذاع يبدأ حسب قول اريستو بعد اهنة الشعب ثم بالظلم والجور لئلا يهبطوا في ورطة اخرى لا بد منها بسبب رجال الحرب ولا محيص من هذا الشر الناجم من هذه الحالة

فلا ريب ان هذه المملكة التي شادها الفياصع كثر فيها السلاح ولهذا اقتضى ان تكون كلها حربية فتنظم وتثبت بالابراطورية وهي من الانقلاب التي يتقلدها قادة الجيوش وامراء العساكر. وبهذا يتبين لديك انه كما كان المحمد يذب في الجمهورية بين الشعب والشرقاء كذلك كان في مملكة الفياصع دالة يسري في اعضائها وهو قباحة

جنوداً الذين كانوا يواعث على اجلاس كل قيصر على السدة الملوكة اذ كان من
المستقبل ان رجال الحرب الذين غيروا الملك واقاموا بدلاً منه ملوكاً يستمرون زمناً
مديداً غير فاكربن انهم هم النابضون على زمام الولاة ولذلك يتصرفون بكيفية يرومون .
ويمكن لك ان تلحق بالازمنة التي شعرت بها ما تدل على حالة الجندية وانقلابها وتبصر
في الزمان الذي كانت فيه راضخة لمجلس الندوة والشعب الروماني والى الزمان الذي
تعافت بقادتها والابن الذي فيه استدرجتهن الى مدارج الساطة المطلقة تحت القاب
امبراطورين ثم الى الحين الذي فيه كان الملوك بايديها ترفع مكاناتهم وتحفظها كما تشاء .
فبينم من ذلك لديك الارتماء والتمرد والحروب التي أنشأت عنها اباداة الجنود والدولة
الرومانية باسرها . فمنه هي الازمنة الاخيرة الشهيرة التي تدلنا على تغير الدولة الرومانية
بذاتها واما الازمنة التي تنبئها عن حالتها بالظن الى سائر الشعوب فلا يصعب عليها
امتيازها انما بقضى علينا ان ننظر في الزمان الذي كانت فيه تجاهد نظيراتها وهي معرضة
للأخطار . وقد استمر ذلك أكثر من خمسمائة سنة وانتهى بدثار الغولبين في ايطاليا ودمار دولة
قرطاجة . وفي الزمان الذي اضرمت فيه حروباً هائلة فانما كانت وقتئذٍ اشد وغير
معرضة للأخطار واستمر ذلك ما بقي سنة الى ان تشيدت دولة القياصرة . وفي الزمان
الذي فيه كانت حريصة على شوكتها وعظمتها . واستمر اربعماية سنة وانتهى في عهد ثيودوسيوس
الكبير . ثم في الزمان الذي فيه دثرت من كل ناحية وهبطت رويداً وهذه الحالة استمرت
اربماية سنة فكان ابتداءها في عهد اولاد ثيودوسيوس الكبير وانتهى في حكم كارلوس
العظيم

ولست بمجاهل يا سيدي ان قد يمكن اضافة حوادث خاصة الى علل دثار رومية
كجور الدائن على المدين فان بذلك ثورات عظيمة . وان كثرة السائفتين والعبيد
الذين افعوا رومية وايطالياسبب هيجاناً عظيماً وحروباً دموية . فاذا اوهنت هذه الحروب
الداخلية والخارجية قوى رومية شرعت تدخل الغرياء بين اهاليها سواء كان بالاكره
او نظيفة المخاطر ومن كثرتهم تعمس عليها ان تعرف نفسها . وغص مجلس الندوة بالبرابرة
ولهذا اخذدم الرومانيون يمتزج بغيره . وان حب الوطن الذي بواسطته ارتفعت رومية
فوق كل الشعوب لم يكن طبعياً ياباً ولك الذين توافدوا اليها من الخارج ودب الفساد
في اولادها بسبب هذا الاختلاط وكثرة المحبة بتكاثر الوطينين المحدثين . وعكف ذوي

الفتنة على وسائل ليباشروا اعمالاً تبيل الافكار

وفي الوقت نفسه تعاظم عدد ذوي المسكنة والحاجة لكثرة البذخ والرفائل والكسل الذي نظموا في سلك العادات . واما الذين كانوا في اسواء حال لم يكونوا يجدون وسائل تمكنهم من امر معاشهم الا القيام بالثورات غير عائبين بخراب يتأتى على الكون بعدهم وذلك ماحمل كتيسلينا على الاثارة قصد دثار رومية . فمن داب المطامع الصعاليك الذين لا يخشون من فقدان شيء اثناء الرزايا ان يودوا الانتلاب واستظهر هذان النوعان من السكان في رومية واصبح اصحاب الحالة البودهي الذين كانوا يعدلون الامور اضعف قسم فيها ولهذا اقتضى ان يستط الحكم الجمهوري ويمكن لنا ان نضيف على ذلك مهارة خاصة في الاشخاص فانهم سبوا حوادث عظيمة وهم الكراك وماربوس وسيلابومبيوس وجوليوس قيصر وانطونيوس واغسطس ولقد نوهت ببعضها انما كان جل اعنائهم ان ايبن لك عال الشرور العامة اي الحسد بين المرتبطين وهو وحده كانت معرفته تهمك وتنتجبه خطيرة لديك

الفصل الثامن

خلاصة الخطاب الآنف وبها يضح ان كل شيء معاده

الى فعل العناية الالهية

تذكر ياسيدي ان وثاق العلل الخاصة التي تنمي الممالك وتبيدها مناط بامر العناية الالهية السرية فان الله قابض من اسي السماء على ازمة الممالك ويك قلوب البشر قاطبة فائرة يكبح الشهوات وطوراً يطلق لها الاعنة وبهذا يترك كل الجنس البشري . ابود ان يقيم فاتحين . فانه يبعث بالخوف امامهم ويلقي في قلوبهم وقلوب جنودهم جراً تتوهم ذلك . ابود ان يقيم قضاة . فانه يبعث اليهم بحكمة خارقة وبصيرة وقادة ويعلمهم يستدركون الشرور التي تنوع المملكة ويوطدون اركان الراحة العامة فانه يعلم ان الحكمة البشرية قاصرة من وجه فينيرها ويد بافكارها ثم يغادرها وجهها فيعبرها ويطررها ويرذلها بذاتها فتتلبك بتصوراتها الخاصة ويصبح احتلالها اخبولة لما يستخدم بهن الوسيلة احكامه الهائلة حسب قواعد عدله الصائبة وهو نعمة يعد المعاولات

بالعمل البعثة وهو سبب هذه الضربات العظيمة التي عن بعد تبدو مفاعيلها ومتى شاء ان يضرب الضربة الاخيرة ويبعد الممالك نهوش الآراء وتهم القوة . فان مصر التي كانت في آنف الزمان حكيمة كانت تسير متشاختة خيلاء وتغييرة بكل امورها فان الله اذاع روح الدوار في ارائها فلم تدرك ما تصنع فهلكت . فلا تدخل الخديعة قلب بشري . فان الله يهدي من ضل ومن يستغر بضلال غيره يهوي الى هلكة وهدامة . وليس يلزم الخداع عقل الاسعاده الفسيحة وبذلك يحكم الله على كل الشعوب فلا نفوس عن البث والنصيب . بل اذا تكلمنا عنها فليكن ذلك ذريعة الى سرجهلنا . وان ما نعدّه فعل الصدقة بالنظر الى آرائنا غير الوثيقة نعمه حكمة سامية وهي العناية الازلية التي تتضمن كل العمل والمعلومات بنظام واحد ورتبة واحدة . وعلى هذا فكل شيء آبل الى غاية واحدة واننا لعدم فهمنا كل شيء نجد الصدقة او عدم الترتيب في المحادث الخاصة

وهذا يتحقق ما قاله الرسول وهو ان الله سعيد وهو وحده مستطيع كل شيء وهو ملك الملوك ورب الارباب . قطوبي له فان راحته غير قلقه وان تلقى برى كل شيء متغيراً وهو ثابت بغير الاشياء بعناية لا تتغير وهو وحده يهب السلطة ويتزعمها وينقلها من رجل الى آخر ومن بيت الى بيت ومن شعب الى شعب وما ذلك الا ليعين انما لم تكن لمن تسلط الا على سبيل العارية وبه وحده تقوم الطبائع وبذلك يشعر الملوك انهم راضخون لسلطة اسي من سلطتهم فانهم يصفون الاشياء بزيادة تروء او باقل فتتمكن اراؤهم من مفاعيل لم يستدركوها من قبل ولا يمكن لهم ان يتمكنوا من النظام الذي قامت به الاجيال النارطة في الاعمال ولا يمكنهم ان يستدركوا مجرى الاحوال مستقبلاً ولا من قسر الامور لئتم حسب معرفتهم فهو وحده قابض على كل شيء بيده ويعرف ابناء ما وجد وما لم يوجد وهو الحاكم وحده في كل الازمنة ويسبق فيعرف كل المآرب والآراء

فان اسكندر لم يخالف فكره ان كل اعماله ستاؤل الى جلاء قادته وان افتتاحاته تسبب دثار بينه ولم يكن بريتوس بعالم ان كان يائي في قلوب الشعب الروماني محبة الحرية الفائقة بانه يائي في الافكار مبدا هذه الجراءة العظيمة الذي به يضفي الظلم الراغب الله في ان يبده اشد ما كان في عهد التاركينيين . ولم يكن من داب التياصرة بهادنة

جنودهم ان يصبروا مستولين على المملكة وخلفائهم وقصارى الامر ان ليست سلطة بشرية
 الاتخدم كرها لمقاصد غير مقاصدها والله وحده يصنع ما يشاء ولهذا اذا تعمدنا الاشياء
 الخاصة بتبين لنا ان كل شيء عجيب. ومع ذلك فان الامور تتواتر بتسلسل ويبين لك
 ذلك خطابنا هذا. ويكشفك غير مكررين ما فيها به عن غير مالك ان تنظر في تسلسل
 الحوادث التي طرأت في الدولة الرومانية وحدها من عهد روميلوس الى عهد
 كارلوس الكبير. ولربما تخال اني اود اطالة الكلام عن شعب فرنسا وكارلوس الكبير
 الذي شاد المملكة الرومانية الجديدة. ففضلاً على ان تاريخ كارلوس الكبير قسم
 من تاريخ فرنسا الذي باشرت تاليفه انت نفسك وقد تقدمت فيه كثيراً فاني ابني
 ذلك الى تاريخ آخر اقوم بتاليفه اذ به اكون مقصوداً على ان اتكلم عن فرنسا وعن هذا المظفر
 الذي ضارع ببساتين كل الذين اشتهروا في الاجيال الدابره بل قد فاقهم بتناه وحكمته
 وعدلوه وبظهر لك ذلك علل فاتحين آخرين وان هذه المملكة التي نشأت قبل كارلوس
 بما بقي سنة ترى لما في خطابي محلاً ابسط فيه كلاماً عنها وقد ظننت ان من الخلق ان
 ابدي لك بتسلسل واحد ابتداءه وانحطاطه. وعليه فلم يبق شيء اتكلم عنه في القسم
 الاول من التاريخ العام فوقفت الان على اسراره واصبحت ملاحظات تسلسل الديانة
 والممالك العظيم حتى كارلوس العظيم منوطة بعهدتك فانك تراها منخطة بذاتها
 والديانة قائمة بقوتها الخاصة وتعلم حينئذ ما هي العظمة الثابتة وعلى اي
 اس بنى الرجل الحكيم آماله

تم



اصلاح غلط

ان تغييب مترجم هذا الكتاب ومعريه وسائر اعضاء الدائرة العلمية عن يروت وقت
طباعة لمصلحة مدرسة الحكمة اوقع اغلاطاً كثيرة فيه اوجبت علينا فهرستها هذا والتحافه
بهذه الترجمة

وجه	سطر	خطا	صواب
١١	١٩	تماليه	نرحاله
...	٢٢	كادموس	قدموس
١٤	١٢	انشاء	النشاة
١٨	٠١	ايام	ايها
...	٠٧	احساب	اخاب
١٩	١٩	لسيديون	لسيديون اي صبرنا
٢٠	٢٣	هرقل	هرقلوس وهو ابن المشتري
٢١	٠٥	لائهم كانوا يزدادون بها	وكانت بلاد اليونان تزداد قوة وتهدياً
...	١١	يوناس	يونان
٢٢	١٦	سيراكيز في جزيرة سيميليا	سيراكوزا في جزيرة صقلية
...	١٨	يونان	اليونان
٢٧	٠٦	فاقام قورش ابن اخيه	فاقام قائدنا على جيشه قورش ابن اخيه مندانا امرأة كيمس ملك الفرس
٢٩	٠٢	اعنلها	اعنلهم
٣٠	٢١	يل	بابل
٣٤	١٦	يهودا	يهودا
...	٢٦	حافظها	حافظوا

صواب	خطا	سطر	وجه
امانوها	امانوها	١٢	٠٢٥
سلوقوس... السلوقيين	سايليكوس... السلويسين	١٧	٠٤٧
فرصة	فرصة	٠٩	٠٦٢
خوض المعامع سنة ٨٦	خوض ٨٦ المعامع	١٢	٠٦٢
العدو	العدد	٠٢	٠٦٢
كانيلينا	كانيلنا	١٢	٠٠٠
لان اغنياق الخمرة وصبايته لم	لوان اغنياق الخمرة	٢٠	٠٦٩
بجملاه	وصبايته جملاه		
فكاشحه داشيوس واهرق دمه	فكاشحه لدايبوس الذي	١٨	٠٧٢
	اهرق دمه		
اما الملك داشيوس الذي كان يتم	يدراعتها الملك داس	٢٠	٠٠٠
بناصر الملكة	النواب الدامسة		
فكانت مدة ملكها يسيرة	فلم يلها عن الايقاع بالبيعة	٢٢	٠٠٠
	سوى مولاتهم للملك		
سايلديوس	سبالويس	٠٤	٠٧٤
زينب	زنوبا	٢٢	٠٠٠
السميساطي	السموذاتي	٠٢	٠٧٥
الفدية	الفديم	٢٢	٠٠٠
ارغم ان يلاين الاراطنة	ارغم ان يكون حاجدا	٢٢	٠٨٢
٢٨٦	٢٨٠٦	٠٦	٠٨٥
والثنيانوس	لاتينانوس	٠٧	٠٠٠
لنفسها	لنسا	١١	٠٠٠
القضب والحدة	العيب	٠٧	٠٨٦
النولفات اي السائرة او العانة	النولفات	١٤	٠٠٠
البون او كسين اي البحر الاسود	البوان توكسان	٠٩	٠٩١

وجه	نظر	خبر	صواب
...	١٣	الانجيليين	الاطلاخين
١٦٣	٠٢	الانديس	الانديس
...	١٥	يقال له بومستينوس	يقال له بومستينوس
١٦٨	١٣	الى مصب الدلفا	حيث مصب نهر الدلفا
١٠١	١٠	الناباب	الناباب
١٠٢	٠٢	مارلوس	مرنال
...	١٤	كبرونيم	كبرونيم اي التري
١٠٣	٠٨	مارناس	مرنال
١١١	١٤	وانه المحرك الاول الذي كان يعرفه	والمحرك الاول اللذين كان يعرفها
...	٢٢	الانثا	الانثا
١١٧	٢٣	التعباب	التعباب
١٢١	٠٣	لغتهم السجاف الاولى	لغتهم الاولى السجاف
١٤١	١٢	موسى (الثانية)	تليمن
...	٢٥	الصندل	الارز
١٤٥	٠٣	الشعوب	الشعوب
١٤٩	٠٢	سلته	وسلته
...	١٢	اليهم	اليه
١٥٠	٠٩	لضغب	لغضب
١٥١	٠٥	اسكلون	عسقلون
١٥٩	٠٢	ومفرغاً	ومفرغاً
١٦٢	١٨	اللاغيد يون... والسلاسيد يون	اللاغيدون... والسلفيقين
١٦٦	٢٦	يونا	يكونا
١٦٧	٢٠	واليونانية	اليونانية
١٦٩	٢٥	يعني وجودها	يعسر وجودها

وجه	سطر	خطا	صواب
١٧١	٢٦	لذن تناضل على الكهنوت	اذ تناضل على الكهنوت الذي...
		التي... وناذويل	عبركان واربتويل
١٧٤	٠٢	نمريض	ابراه
...	٢٦	لا وزن بل الله ويتطق به	لا مقياس لما هو حاصل عليه ويثبه
		بوزن	بنحاس
١٧٦	١٠	والى	الوالى
١٧٩	١٧	غير متباور	غير متساور
١٨١	١٠	بعضه	بعضه
١٨٤	١٥	لا	الا
١٨٩	٢٠	الدين	للدين
١٩٣	١٤	بطرس	بولس
...	١٧	الشعباء	اشعباء
١٩٥	٢٠	الرسل خلفائهم	الرسل وخلفائهم
١٩٩	١٧	تزوجوا (الثانية)	تزوجن
٢٠١	١٢	نيموس	طيطوس وكذا بعد
٢٠٥	١٢	التي نرضع	التي لا نرضع
٢٠٨	٠٨	الماجيسمالي	الساحر
٢٢٥	٠٧	كله المالكين	كله الصليب عند المالكين
...	٠٩	العلاء	العلاء
٢٢٧	١٥	لباخوس	لبخوس وكذا بعد
٢٣٢	٢٦	ان	انه
٢٣٦	٠٨	سالمس	شلموس
...	١٨	انه الانبياء	اناه الانبياء
...	٢١	وان رخصت	ومن يرغب
٢٣٧	٠٨	موا	من

وجه	سطر	خطا	صواب
....	٢٥	موضوع	موضع
٢٢٨	٢١	فقط من	فقط بل من
٢٤٠	٠٢	بها	به
٢٤١	٠٧	المارسيونيت	نباع مرشيون او مرفيون وكذا في عمل اخر
....	٠٩	السموذاتي	السموصاطي
....	١٤	السباليون والبوليانيس	السباليون والبولسيون
٢٤٢	٠٢	الاوقاف	الاوقات
٢٤٤	٠٩	السييل عمل	كتب السيالات تباد
....	٢٢	لاث	وعن
٢٤٥	١٥	الانبياء	الاباء
٢٤٥	٢٢	الصحة	الصحة
٢٤٦	٢٤	مارسيوس ومانس	ماركيون ومانس
٢٤٩	١١	صورة المثلث	صورة المذبح المشيد
...	١٢	في الشريعة حبارب	في الشريعة التي حبا الرب اسرائيل
...	...	اسرائيل به	بها
٢٥٠	٢٠	انها داخلة ضمن الاسفار	انها تقيم جرم الاسفار ولا يلزم الانسح
...	...	هكذا معتبرين ان يقتضي	من الاسفار حتى يشمل لا التكذيب
...	...	ان لا يكونوا قد تصفحوها	بها بل ايجاد كل ما يكره المحدثون
...	...	اذ لا يشمل عليهم ان	وجوده فيها واذا اسلفنا بكل ما يقولون
...	...	باتوا بما يضا فيها بان	فيستمر بلا مناص اصل هذه الاسفار
...	...	يضمنوها امورا لا يود	المها
...	...	المحدثون ان يزوها فيها ولو	...
...	...	محققا كل ما يطلبونه	...
٢٥٥	٠١	و... كتاب كان	فهل ... كتابا كان

وجه	سطر	خطا	صواب
٢٨٦	٢٦	لانه البلاد قمع	لانه قمع البلاد
٢٨٧	١٣	واعلنت بكتبات	واعلن بكتابات
٠٠٠	١٧	اعدت لالاعمال	اعدت لالاعمال
٢٩٠	٠٦	احرزت في المطامع المنوطه	احرزت المطامع المنوطه غالباً
		بها غالباً يحنسها ما لا يوجد	يحنسها مع الشجاعة التي لا توجد
٢٩٢	١٧	اللاتين	الذين
٢٩٣	٠١	النعالي	النعامي
٠٠٠	٠٢	المخدرات	المخدرات
٢٩٥	٢٤	تزيينهم	تزيينهم
٢٩٦	٢٠	برتكبون	برتكبون
٢٩٧	٢٥	المجسدي	المجسدية
٢٠٠	٠٧	الحربية	الحربية
٠٠٠	٢٢	شعرت ... خسرانها	شعروا ... خسرانهم
٢٠١	٠٣	اسرار الساسية	اسرار سياستهم
٢٠٢	٠٦	اللاسير يونيون	اللاسيد يونيون اي السبرتيون
٠٠٠	١٢	تستمر متبعت	يستمر متبعتين
٢٠٧	١١	تبايف	تيطوس ليفيوس
٢٠٨	٠٤	بمجد	بمجد
٢١٠	٠٣	الحركال	الحركات
٢١١	٠٩	بنيا	بينما
٠٠٠	١٨	في الخبر العام	في الخبر العام اكثر منه
٢١٢	٠٢	معلوماً	مخنوطاً
٠٠٠	٢٠	الذين فازوا بالنصر فان	الذين انتصر الرومانيون عليهم
		رومية لم يتأس ولم تكن	لكمهم كانوا ياملون الاخذ بثأرهم
		مجزعاً من ان تاخذ بثأرها	اذ كان

وجه	سطر	خطا	صواب
٢١٤	٠٤	مدينة	مدينة اريسي
٢١٥	٢١	عواصف	عواطف
٢١٨	٠٥	منهمكون	منهمكين
...	٢١	مجموع	مجموع
٢٢٠	٠٩	تيفوف	تيطوس لينوس
٢٢٤	٠٩	انه غير منفصل	انها غير منفصلة
٢٢٥	٠٦	بمض التي	بعض الحوادث التي
٢٢٦	١٩	ينظر	ينظر
٢٢٧	٠١	اذى	ادى
٢٢٩	١٢	وقد كان لتبصر اذ	وقد كان لتبصر ابنة اذ ذلك
...	١٤	ذاك حتى اتخذ آل	حتى اتخذ اعداء بيته ومنازعه مساعدين
			على تنعيم
			حبا بنعيم
٢٣١	٠١	التندال ...	البندالة والواز يقوط اي الغلط الغربيين
		والواز يقوط	وبعد ما الاسطر غوث ابي الغلط
			الشرقيون
...	١٢	الثاني والمائة	الثمانية
٢٣٢	٠٢	الباعث	الباعث
٢٣٣	٠٧	نمطها	نمطها
٢٣٤	٠٥	كتسلينا	كاتسلينا



3616